

مكتبة

مكائيات فرمان مع القرآن

جزء قد سمع

قصص
تحكيها للصغار
ويقرؤها
أبناء الكبار

الخير القريب
ر. عبد الله محمد عبد المحط

انصار

للطباعة والنشر
مكتبة - الطباعة - النشر
ebsar2015@gmail.com
01143749293
01095769710

مكتبة
t.me/soramnqraa

حِكَايَات فَزْحَان مع الْقُرْآن جزء قد سمع

قمص تحكيها للمغار
ويقرؤها أبناؤك الكبار

الخبير التربوي

د عبدالله محمد عبدالمعطي

Email: atfallna@yahoo.com



© دار أمجاد حنين للنشر والتوزيع، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبد المعطي، عبد الله محمد

حكايات فرحان مع القرآن جزء قد سمع. / عبد الله محمد عبد المعطي -
ط ١. - جدة، ١٤٤٥ هـ

٣٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٢٨-٢٦-٥

رقم الايداع: ١٤٤٥/٥٨٤٩

رقم الايداع: ١٤٤٥/٥٨٤٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٢٨-٢٦-٥

مكتبة

t.me/soramnqraa

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

«اللَّهُمَّ اَمْلَأْ هَذَا الْكِتَابَ إِخْلَاصًا وَتَوْفِيقًا وَقَبُولًا وَبَرَكَاتٍ، وَلَا تَجْعَلْهُ اللَّهُمَّ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَانْفَعْنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»...

هذا الدعاء الجميل أكرمني الله تعالى به عِنْدَمَا بَدَأْتُ تَأْلِيفَ حِكَايَاتِ فَرَحَانَ مَعَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ مُنْذُ عِدَّةِ أَغْوَامٍ، وَظَلَّ هَذَا الدُّعَاءُ يُرَافِقُنِي خِلَالَ رِحْلَةِ تَأْلِيفِ جُزْءِ عَمِّ، وَلَمْ يُفَارِقْنِي خِلَالَ تَأْلِيفِ جُزْءِ تَبَارَكَ، وَهَذَا نَحْنُ الْيَوْمَ نَلْتَقِي مَعَ جُزْءٍ قَدْ سَمِعَ، وَمَا زَالَ هَذَا الدُّعَاءُ يُنِيرُ طَرِيقَنَا حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَقَدْ ظَلَلْتُ قُرَابَةَ الْعَامِ أَكْتُبُ صَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَمْ أَتْرُكْ هَذَا الدُّعَاءَ يَوْمًا، وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِكِتَابَةِ الْقِصَّةِ الْآخِرَةِ مِنْ حِكَايَاتِ فَرَحَانَ مَعَ الْقُرْآنِ (جُزْءٍ قَدْ سَمِعَ)، أَسْأَلُهُ: سُبْحَانَهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا الْعَمَلَ، وَأَنْ يَنْشُرَهُ فِي الْآفَاقِ، وَأَنْ يَرْجِمَ لِجَمِيعِ اللُّغَاتِ، وَأَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ أَهْلُ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يَضَعَ لَهُ الْقَبُولَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنْ يَكُونَ سَبَبًا فِي مَحَبَّةِ أَبْنَائِنَا لِلْقُرْآنِ، وَأَنْ يُسَاعِدَهُمْ عَلَى حِفْظِ جُزْءٍ قَدْ سَمِعَ وَفَهَمَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

● أَيُّهَا الْمُرِيَّبِيُّ الْكَرِيمُ

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ يَحْتَوِي عَلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ قِصَّةً، تَتَنَاوَلُ سُورَةَ جُزْءٍ قَدْ سَمِعَ التَّسْعَ، وَهُنَاكَ خَمْسُ حِكَايَاتٍ حَوْلَ كُلِّ سُورَةٍ،

وَأَحْدَاثُ كُلِّ حِكَايَةٍ تُسَاعِدُ الْقَارِئَ عَلَى فَهْمِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِيهَا، وَحِفْظِهَا، وَالْعَمَلُ بِهَا، وَالْجَدْوَلُ التَّالِي يُوضِّحُ أَسْمَاءَ الْقِصَصِ، وَالسُّورَةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَهَا أَحْدَاثُ الْقِصَّةِ.

مسلسل	اسم الحكاية	السورة التي تدور حولها أحداث الحكاية
1	شَكَوَى الضَّعْفَاءُ	سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
2	الْحِصَانُ نَسِيَانُ	سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
3	نَادِي الضَّبَاعِ	سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
4	مَجْلِسُ الْحُكَمَاءِ	سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
5	صَدَقَةُ الْمُنَاجَاةِ	سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ
6	الْفِيلُ هَدَّامُ	سُورَةُ الْحَشْرِ
7	الثَّوْرُ الْأَنَانِي	سُورَةُ الْحَشْرِ
8	الْقَائِزُونَ الثَّلَاثَةُ	سُورَةُ الْحَشْرِ
9	الثَّغْلَبُ نَصُوحُ	سُورَةُ الْحَشْرِ
10	غَابَةُ الْمُسْتَقْبَلِ	سُورَةُ الْحَشْرِ
11	الرِّسَالَةُ السَّرِيَّةُ	سُورَةُ الْمُؤْتَحَنَةِ
12	حَسُونُ وَسَيْئُونُ	سُورَةُ الْمُؤْتَحَنَةِ
13	بَرْقُ وَرَعْدُ	سُورَةُ الْمُؤْتَحَنَةِ
14	الدُّثْبُ الْمُسَالِمُ	سُورَةُ الْمُؤْتَحَنَةِ
15	الْأَرْتَبُ الْغَرِيبُ	سُورَةُ الْمُؤْتَحَنَةِ

مسلسل	اسم الحكاية	السورة التي تدور حولها أحداث الحكاية
16	البَّغَاءُ الْمُغَامِر	سُورَةُ الصَّفِّ
17	العِقَابُ الذِّي	سُورَةُ الصَّفِّ
18	طُيُورُ الظَّلَام	سُورَةُ الصَّفِّ
19	التَّجَارَةُ الرَّابِحَة	سُورَةُ الصَّفِّ
20	أَصْدِقَاءُ الْفِيل	سُورَةُ الصَّفِّ
21	الطَّيِّبُ مَكَار	سُورَةُ الْجُمُعَة
22	غَابَةُ الْعُلَمَاء	سُورَةُ الْجُمُعَة
23	الزَّلْزَالُ الْكَاذِب	سُورَةُ الْجُمُعَة
24	سُوقُ الْجُمُعَة	سُورَةُ الْجُمُعَة
25	الرُّؤْيَا الْعَجِيبَة	سُورَةُ الْجُمُعَة
26	مَحْكَمَةُ الْغَابَة	سُورَةُ الْمُنَافِقُون
27	الْقِطُّ مَخْدُوع	سُورَةُ الْمُنَافِقُون
28	المُبْدِعُونَ الصَّغَار	سُورَةُ الْمُنَافِقُون
29	سُبُورَةُ الْإِنْجَارَات	سُورَةُ الْمُنَافِقُون
30	الْأُمْنِيَّةُ الْآخِرَة	سُورَةُ الْمُنَافِقُون
31	سَبَاقُ الْجَمَال	سُورَةُ التَّغَابُن
32	الْخُدْعَة الْكُبْرَى	سُورَةُ التَّغَابُن
33	الْقِرْدُ غَبُون	سُورَةُ التَّغَابُن

مسلسل	اسم الحكاية	السورة التي تدور حولها أحداث الحكاية
34	الدَّوَاءُ الْغَرِيبُ	سُورَةُ التَّغَابُنِ
35	الفَهْدُ الْفَقِيرُ	سُورَةُ التَّغَابُنِ
36	الحَمَامَةُ الْحَزِينَةُ	سُورَةُ الطَّلَاقِ
37	المُكَافَاتُ الْخَمْسُ	سُورَةُ الطَّلَاقِ
38	الجَمَلُ الْبَخِيلُ	سُورَةُ الطَّلَاقِ
39	سَارِقُ الْأَمَلِ	سُورَةُ الطَّلَاقِ
40	الْأَسَدُ الطَّيِّبُ	سُورَةُ الطَّلَاقِ
41	المَوْزَةُ الْفِضِّيَّةُ	سُورَةُ التَّحْرِيمِ
42	السُّلْحَفَاءُ حَفِيزَةُ	سُورَةُ التَّحْرِيمِ
43	الْعَرَّالُ التَّائِبُ	سُورَةُ التَّحْرِيمِ
44	الْغَابَةُ الْمُظْلِمَةُ	سُورَةُ التَّحْرِيمِ
45	أَجْمَلُ بَيْتٍ	سُورَةُ التَّحْرِيمِ

● أَيُّهَا الْمَرْبِّي الْكَرِيمُ

من المُهِمِّ جِدًّا أَنْ تَقْرَأَ الْحِكَايَةَ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ تَحْكِيَهَا لِطِفْلِكَ،
وإِيَّاكَ أَنْ تَقْرَأَهَا مَعَهُ مُبَاشَرَةً، فَقَدْ يَكُونُ فِيهَا أَحْدَاثٌ لَا تُنَاسِبُ
عَقْلَ طِفْلِكَ وَقُدْرَاتِهِ، وَعِنْدَمَا تَقْرَأَ الْحِكَايَةَ وَتَرَجِعَهَا يُمْكِنُكَ أَنْ
تُعَدِّلَ بَعْضَ الْأَحْدَاثِ أَوْ تَحْذِفَهَا، وَقَدْ تُضِيفُ بَعْضَ الْمَوَاقِفِ بِمَا
يُنَاسِبُ مَعَ شَخْصِيَّةِ طِفْلِكَ وَقُدْرَاتِهِ.

● أَيُّهَا الْمَرْبِيُّ الْكَرِيمُ

لَقَدْ عِشْتُ فِي ظِلَالِ جُزْءٍ قَدْ سَمِعَ قُرَابَةَ الْعَامِ، وَخِلَالَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ
كُنْتُ أَطِيرُ فَرَحًا عِنْدَمَا يَرْزُقُنِي اللَّهُ تَعَالَى بِفِكْرَةٍ جَمِيلَةٍ، وَأَسْجُدُ
لِلَّهِ شُكْرًا إِذَا أَكْرَمَنِي سُبْحَانَهُ بِفَهْمِ آيَةٍ، وَأُبْكِي نَدَمًا لِأَنَّنِي لَمْ
أَعْمَلْ بِآيَةٍ أُخْرَى، وَمَرْتُ عَلَى لَحَظَاتٍ تَمَنَيْتُ فِيهَا أَنْ أَكُونَ مِثْلَ
فَرَحَانَ، لِأَعِيشَ جَمَالَ الْقُرْآنِ، وَفِي لَحَظَاتٍ أُخْرَى حَزَنْتُ لِأَنَّنِي لَمْ
أَجِدْ فِي صِغَرِي شَيْخًا مِثْلَ شَيْخِ فَرَحَانَ، وَلَعَلَّ هَذَا الْكِتَابَ يَكُونُ
سَبَبًا فِي تَطْوِيرِ مَهَارَاتِ مُعَلِّمِي الْقُرْآنِ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، بِحَيْثُ
يَجْعَلُونَ أَبْنَاءَنَا يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ بِحُبٍّ، وَيَتْلُونَهُ بِسَعَادَةٍ، وَيَفْهَمُونَهُ
بِعُمُقٍ، وَيَعْمَلُونَ بِهِ بِحَقٍّ، وَإِلَى أَنْ نَجِدَ مِثْلَ هَذَا الشَّيْخِ سَنَقُومُ
نَحْنُ -الآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ- بِهَذِهِ الْمِهْمَةِ، سَائِلِينَ اللَّهَ تَعَالَى: أَنْ يَجْعَلَ
أَبْنَاءَنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الخبير التربوي

د. عبدالله محمد عبدالمعطي

السبت 16 من ربيع الأول 1445هـ

1 من أكتوبر 2023م



**حِكَايَات فَرْحَانَ
مَعَ الْقُرْآنِ
جزء قد سمع**

ذات يوم رجع فرحان من المدرسة حزينا، فسألت أمه: عن سبب حزنه، فدمعت عيناه وقال: أحد زملائي الأغنياء سخر من ملابسي المتواضعة، وأحزن قلبي كثيرا، فحاولت أن أشكوه إلى المعلم، لكنه لم يسمعني، وأمرني بالصمت حتى يكمل الدرس، ولما انتهت من الشرح ظننت أنه سيستمع إلى شكواي، لكنه لم يفعل، وانصرف دون أن يهتم بأمرى، فانتظرت حتى جاء مدرس الحصة التالية، وشكوت إليه، فقال: إن هذه المشكلة لم تحدث في حصتي، ولا وقت عنيدي لحلها... قالت أمه: إن هذا محزن حقا، ومآذا فعلت بعد ذلك يا حبيبي؟... تنهد فرحان وقال: بعد انتهاء الحصة ذهبت إلى مدير المدرسة حتى أشكو إليه، لكنني وجدته مشغولا ولم أستطع مقابلاته، فرجعت إلى الفصل منكسرا، ولم أملك إلا البكاء، فالضعفاء أمثالي لا يجدون من يسمع شكواهم... دمعت عينا أم فرحان وحضنته وهي تقول: ولكن الله يسمع شكواك يا بني، فلماذا لم تشتكي إليه سبحانه؟... قال فرحان: لقد نسيت!!!... قالت أمه: لقد أنساك الشيطان حتى يزيد همك وحزنك... قال فرحان: حسنا يا أمي، سأشتكي إلى ربي.

ذهب فرحان إلى غرفته، وأنشغل بأداء واجباته، ولما رجع أبوه من العمل حكى له ما حدث معه في المدرسة، فقال أبوه: ولماذا لم تشتكي إلى الله يا بني؟!... تعجب فرحان وقال: لقد سألتني أمي

هَذَا السُّؤَالُ، وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْتَكِيَ إِلَى اللَّهِ، فَهَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْكُمْ لَنْ تُسَاعِدُونِي؟!... قَالَ أَبُوهُ: لَا يَا بُنَيَّ، نَحْنُ سَنُسَاعِدُكَ بِكُلِّ مَا نَسْتَطِيعُ، وَلَكِي تَذْرِكُ أَهْمِيَّةَ الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ سَاحِي لَكَ حِكَايَةٌ...

كَانَتْ الصَّحَابِيَّةُ الْجَلِيلَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ زَوْجَةً لَأَوْسَ بْنِ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَعَاشَا مَعًا سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَذَاتَ يَوْمٍ فَعَلَتْ شَيْئًا أَغْضَبَ زَوْجَهَا، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي... وَيُطْلَقُ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ اسْمُ (الظُّهَارِ)، وَأَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَسْتَخْدِمُونَهُ لِنِهَائِ الزَّوْاجِ، فَمَنْ قَالَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ لِزَوْجَتِهِ تُصْبِحُ مُحَرَّمَةً عَلَيْهِ، وَلَا تَرْجِعُ زَوْجَةً لَهُ أَبَدًا، وَفِي هَذَا ظُلْمٌ شَدِيدٌ لِلْمَرْأَةِ، وَهَدْمٌ لِلْأُسْرَةِ، وَتَشْرِيدٌ لِلْأَبْنَاءِ.

قَالَ فَرَحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَتْ السَّيِّدَةُ خَوْلَةُ بَعْدَ ذَلِكَ؟... قَالَ أَبُوهُ: ذَهَبَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَشْكُو زَوْجَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَوْسًا تَزَوَّجَنِي وَأَنَا شَابَةٌ مَرْغُوبٌ فِي، وَعِشْتُ مَعَهُ مُدَّةَ شَبَابِي، وَأَنْجَبْتُ لَهُ الْأَوْلَادَ، فَلَمَّا كَبُرْتُ سَنِّي جَعَلَنِي عَلَيْهِ حَرَامًا كَأُمِّهِ، وَتَرَكَنِي إِلَى غَيْرِ أَحَدٍ... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ حَرُمْتَ عَلَيْهِ... قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا... قَالَ ﷺ: قَدْ حَرُمْتَ عَلَيْهِ... قَالَتْ: إِنَّ لِي مِنْ زَوْجِي صَبِيَّةً صَغَارًا، إِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا (لَنْ يَسْتَطِيعَ رِعَايَتَهُمْ)، وَإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا (لَا يُمَكِّنُنِي الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِمْ)... فَقَالَ ﷺ: مَا عِنْدِي فِي أَمْرِكَ شَيْءٌ (يَعْنِي: لَمْ يَأْمُرْنِي اللَّهُ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِكَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)... وَظَلَّتِ السَّيِّدَةُ خَوْلَةُ تُجَادِلُ النَّبِيَّ ﷺ لَعَلَّهَا تَجِدُ طَرِيقَةً تَرْجِعُ بِهَا إِلَى زَوْجِهَا وَأَوْلَادِهَا، لَكِنْ دُونَ نَتِيجَةٍ، فَاشْتَكَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَهَلْ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا وَأَجَابَ دُعَاءَهَا؟... قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَمَا إِنْ انْتَهَتْ السَّيِّدَةُ خَوْلَةَ مِنْ شَكْوَاهَا حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَام- عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ۝٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[المجادلة: 1-4].

قَالَ فَرِحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟... قَالَ أَبُوهُ: بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ السَّيِّدَةَ خَوْلَةَ بِنُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَخْبَرَهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لَهَا أَنْ تَرْجِعَ لِرِزْوَجِهَا بَعْدَ الْكِفَارَةِ، وَقَالَ ﷺ لَهَا: مُرِي زَوْجَكَ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً (يَشْتَرِي عَبْدًا وَيُعْتِقَهُ لِيَكُونَ حُرًّا)... قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ (لَا يَمْلِكُ مَالًا وَلَا عَبِيدًا)... فَقَالَ ﷺ: فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ... قَالَتْ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ... فَقَالَ ﷺ: فَلْيُطْعَمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا... قَالَتْ: مَا عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ لِلْسَّيِّدَةِ خَوْلَةَ بَعْدَ أَنْ عَجَزَ زَوْجُهَا عَنِ الْكِفَارَاتِ الثَّلَاثِ؟!... قَالَ أَبُوهُ: أَشْفَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا، وَأَخْبَرَهَا أَنَّه سَيُسَاعِدُ زَوْجَهَا بِتَمَرٍ يَكْفِي لِإِطْعَامِ ثَلَاثِينَ مِسْكِينًا، فَقَالَتْ: وَأَنَا

سَأَسَاعِدُهُ بِمِثْلِهِ... فَقَالَ ﷺ لَهَا: أَصَبْتَ وَأُحْسَنْتِ، اذْهَبِي فَأَطْعِمِي
بِهَا عَنْهُ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَارْجِعِي إِلَيْهِ... فَفَعَلْتُ ذَلِكَ.

شَكَرَ فَرْحَانُ أَبَاهُ، وَذَهَبَ إِلَى غُرْفَتِهِ، وَاشْتَكَى إِلَى اللَّهِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي
ذَهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، فَفُوجِيَ بِالْمُدِيرِ يَسْتَدْعِيهِ، فَذَهَبَ إِلَى مَكْتَبِهِ، فَتَفَاجَأَ
بُوجُودِ أَبِيهِ هُنَاكَ، وَسَمِعَ الْمُدِيرُ شَكْوَاهُ، وَاسْتَدْعَى زَمِيلَهُ الَّذِي أَسَاءَ إِلَيْهِ،
وَسَأَلَهُ: عَنْ سَبَبِ سُخْرِيَّتِهِ مِنْهُ، فَأَنْكَرَ الْوَلَدُ تِلْكَ التُّهْمَةَ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَمْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَأَفْلَتَ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شُهودٌ عَلَى مَا فَعَلَ.

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْيَوْمِ الدَّرَاسِيِّ رَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى الْبَيْتِ مُبْتَسِمًا، وَأَخْبَرَ أُمَّهُ
أَنَّهُ فَرِحَ كَثِيرًا بِزِيَارَةِ أَبِيهِ، وَفَرِحَ أَكْثَرَ لِأَنَّ اللَّهَ سَمِعَ شَكْوَاهُ وَاسْتَجَابَ
دُعَاءَهُ... قَالَتْ أُمُّهُ: وَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ أَنْكَرَ
الْوَلَدُ التُّهْمَةَ أَمَامَ الْمُدِيرِ، وَلَمَّا رَجَعْنَا إِلَى الْفَصْلِ سَخِرَ مِنِّي مَرَّةً ثَانِيَةً،
فَوَاجَهْتُهُ بِحَزْمٍ وَقُلْتُ لَهُ: سَأَشْكُوكَ إِلَى اللَّهِ... فَأَلْقَى اللَّهُ الْخَوْفَ فِي
قَلْبِهِ، وَاعْتَذَرَ لِي، وَوَعَدَنِي أَلَّا يَسْخَرَ مِنِّي أَبَدًا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ ضِعْفَاءَ الْحَيَوَانَاتِ
يَنْتَظِرُونَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، حَيْثُ يَقْرَأُ وَرَدَهُ الْيَوْمِي مِنَ الْقُرْآنِ،
فَسَأَلَهُمْ فَرْحَانُ: عَنْ سَبَبِ انْتِظَارِهِمْ لَهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ مِنْهُ أَنْ
يُسَاعِدَهُمْ فِي إِيْصَالِ شَكَاوَاهُمْ إِلَى قَاضِي الْغَابَةِ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ:
وَلِمَاذَا لَا تُوَصِّلُونَهَا بِأَنْفُسِكُمْ؟!!! فَالْقَاضِي بَابُهُ مَفْتُوحٌ لِلْجَمِيعِ... قَالَتْ
الْحَمَامَةُ: لَقَدْ أَعْلَقَ هَذَا الْبَابُ لِلْأَسَفِ، فَالْحَيَوَانَاتُ الْقَوِيَّةُ أَوْهَمَتِ
الْقَاضِي أَنَّ حَيَاتَهُ فِي خَطَرٍ، وَأَحَاطُوهُ بِحِرَاسَةٍ مُشَدَّدَةٍ، وَمَنَعُونَا مَنْ

الْوُصُولِ إِلَيْهِ... قَالَ فَرَحَانُ: وَلِمَاذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟!... قَالَ الْأَرْزَبُ: حَتَّى يَظْلِمُونَنَا كَيْفَمَا شَاءُوا، وَيَضْمَنُوا أَنْ شَكَawَانَا لَنْ تَصِلَ إِلَى الْقَاضِي، وَلَقَدْ حَاولْنَا عَشْرَاتِ المَرَّاتِ أَنْ نُقَابِلَهُ، لَكِنْ دُونَ فَائِدَةٍ... قَالَ فَرَحَانُ: حَسَنًا، اكْتُبُوا شَكَawَاكُمْ عَلَى أَوْرَاقِ الأشْجَارِ، وَأَنَا سَأَخْذُهَا بِنَفْسِي إِلَى الْقَاضِي.

فَرِحَتِ الحَيَوَانَاتُ الضَّعِيفَةُ، وَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَكَawَاهُ بِسُرْعَةٍ، فَجَمَعَهَا فَرَحَانُ مِنْهُمْ وَانْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ رَجَعَ مُنْكَسِرًا، فَسَأَلُوهُ: عَمَّا حَدَثَ، فَقَالَ بِلَهْجَةٍ حَزِينَةٍ: لَقَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْقَاضِي، وَأَخْذُوا الشَّكَawَى وَقَطَّعُوهَا أَمَامَ عَيْنِي، وَطَرَدُونِي بِقَسْوَةٍ... قَالَ العُصْفُورُ: إِذَا كَانُوا قَدْ فَعَلُوا هَذَا بِكَ أَنْتَ، فَمَاذَا سَيَفْعَلُونَ بِنَا؟!... وَقَالَتِ السُّلْحَفَةُ: إِنَّا لَنْ نَصِلَ إِلَى الْقَاضِي أَبَدًا، وَسَنُعَانِي مِنَ الظُّلْمِ إِلَى الْأَبَدِ... صَاحَ فَرَحَانُ قَائِلًا: إِيَّاكُمْ وَالْيَأْسَ، فَهَذَا مَا يُرِيدُهُ الظَّالِمُونَ، وَالْآنَ اسْمَعُونِي جَيِّدًا، سَنَكْتُبُ جَمِيعَ الشَّكَawَى عَلَى وَرَقَةٍ مَوْزٍ كَبِيرَةٍ، وَنُلْقِيهَا بِإِحْكَامٍ، ثُمَّ نُلْقِيهَا فَوْقَ بَيْتِ الْقَاضِي مِنَ الْأَعْلَى... قَالَ الْعَنْكَبُوتُ: وَمَنْ سَيَقُومُ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ؟... قَالَ الْهُدُودُ: إِنَّ جَدِّي حَمَلَ رِسَالَةَ سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَام- إِلَى مَلِكَةِ سَبَأَ، وَأَنَا سَأَحْمِلُ شَكَawَاكُمْ إِلَى الْقَاضِي.

تَحَمَّسَتِ الحَيَوَانَاتُ الضَّعِيفَةُ، وَكَتَبُوا الشَّكَawَى عَلَى وَرَقَةٍ المَوْزِ، وَحَمَلَهَا الْهُدُودُ وَطَارَ حَتَّى اخْتَفَى عَنِ الْأَنْظَارِ، فَجَلَسَ الْجَمِيعُ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتَهُ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ رَجَعَ الْهُدُودُ وَالدَّمَاءُ تَسِيلُ مِنْ جَنَاحَيْهِ، وَقَالَ وَهُوَ يَرْتَجِفُ: لَقَدْ هَاجَمَتْنِي النُّسُورُ وَالصُّقُورُ وَمَنَعُونِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي، وَنَجَوْتُ مِنْهُمْ بِأَعْجُوبَةٍ.

أَحَسَّ الْجَمِيعُ بِالْحُزْنِ، وَنَظَرُوا إِلَى فَرْحَانَ بِانْكِسَارٍ، فَصَاحَ قَائِلًا: لَنْ نَسْتَسْلِمَ أَبَدًا، وَسَنُحَاوِلُ مَرَّةً أُخْرَى... قَالَتِ الْفَرَّاشَةُ: وَمَاذَا سَنَفْعَلُ؟... قَالَ فَرْحَانُ: إِذَا لَمْ نَتَمَكَّنْ مِنْ إِيصَالِ الشَّكََاوَى عَبْرَ الْهَوَاءِ، فَسَنُوصِلُهَا عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ، فَبَيَّتَ الْقَاضِي يَقْعُ عَلَى النَّهْرِ، وَيُمْكِنُنَا أَنْ... قَاطَعَهُ الضَّفَدَةُ قَائِلًا: لَا تُفَكِّرْ فِي هَذَا أَبَدًا، فَالْتِمَاسِيحُ تَحْرُسُ النَّهْرَ جَدِّدًا، وَلَنْ تَسْمَحَ لِأَحَدٍ بِالْاِقْتِرَابِ مِنْ بَيْتِ الْقَاضِي... قَالَ فَرْحَانُ: إِذَا نَحْفِرُ نَفْقًا يُوصِلُنَا إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي... قَالَ الْأَرْنبُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَالْمَسَافَةُ طَوِيلَةٌ جَدًّا، وَحَفَرُ هَذَا النَّفْقِ يَسْتَغْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا... قَالَ فَرْحَانُ: إِذَا سَأَرِسَلُ بِهَدِيَّةٍ إِلَى الْقَاضِي، وَأَخْفِي فِيهَا رِسَالَةً سَرِيَّةً... قَالَ الدَّيْكُ: إِنَّ الْحُرَّاسَ سَيَشْكُونُ فِي أَمْرِكَ، وَلَنْ يَسْمَحُوا بِوُصُولِ هَدِيَّتِكَ إِلَى الْقَاضِي أَبَدًا.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: إِذَا لَمْ نَسْتَطِعْ دُخُولَ بَيْتِ الْقَاضِي، فَلَنُخْرِجْهُ هُوَ مَنْ هُنَاكَ... قَالَتِ النَّمْلَةُ: وَكَيْفَ نَفْعَلُ ذَلِكَ؟... قَالَتِ النَّحْلَةُ: إِنَّ الْبَشَرَ يُخْرِجُونَ النَّحْلَ مِنَ الْخَلِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الدُّخَانِ، وَيُمْكِنُنَا أَنْ نُخْرِجَ الْقَاضِي مِنْ بَيْتِهِ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا.. صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: هَذِهِ فِكْرَةٌ رَائِعَةٌ، سَنَجْمَعُ الْأَخْشَابَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْقَاضِي، وَنُخْرِجُ الْجَمِيعَ أَتْنَا نَبْنِي حَظِيرَةً جَدِيدَةً لِلْحِمَارِ، ثُمَّ نُشْعِلُ النَّارَ فِي الْأَخْشَابِ، وَنَضَعُ فَوْقَهَا الْأَغْصَانِ الْخَضِرَاءَ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا الْكَثِيرُ مِنَ الدُّخَانِ، وَعِنْدَمَا تَحْمِلُهُ الرِّيَّاحُ نَحْوَ بَيْتِ الْقَاضِي سَيُضْطَرُّ الْحُرَّاسُ لِإِخْرَاجِهِ مِنْ هُنَاكَ، وَنَحْنُ سَنَكُونُ بَانْتِظَارِهِ، وَعِنْدَمَا نُقَابِلُهُ سَنَشْرَحُ لَهُ الْمُواَمَرَةَ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا، وَنُعْطِيهِ الشَّكََاوَى... وَافَقَ الْجَمِيعُ عَلَى هَذِهِ الْخُطَّةِ، وَبَدَؤُوا تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ.

فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة شكَاوى الضُعَفَاء...

● اسأَلَهُمْ: عن رأيهم في الخطّة التي وَضَعَهَا فرحانٌ للوُصُولِ إلى القَاضِي؟ وهل سَتَتَجَبَّحُ هذه الخطّة؟ وهل عندَ أَحَدِهِمْ فِكْرة أُخْرَى وَخُطّة أَفْضَلُ؟.

● أَخْبِرْهُمْ أَنَّ السَيِّدَةَ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قالت: «الحمد لله الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصواتَ، لقد جاءتِ المُجَادِلَةُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، وأنا في ناحية البيتِ، تَشْكُو زوجها، وما أَسْمَعُ ما تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» [صحيح ابن ماجة للألباني ح ر 156]، فالسَيِّدَةُ عَائِشَةُ كانتَ في المَكانِ نَفْسِهِ وَلَمْ تَسْمَعْ شَكَاوى السَيِّدَةِ خَوْلَةَ، وَسَمِعَهَا اللهُ تَعَالَى وَأَجَابَ دُعَاءَهَا.

● أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ -عَلَيْهِمُ السَّلَام- اشْتَكَاوا أَحْزَانَهُمْ وَهُمُومَهُمْ إلى اللهِ تَعَالَى، فَيَعْقُوبُ -عليه السلام- قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَفِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]، فَسَمِعَ اللهُ شَكَاوَاهُ، وَرَدَّ لَهُ ابْنُهُ يُوسُفُ، وَأَبْدَلَ حُزْنَهُ فَرَحًا، وَيُونُسُ -عليه السلام- عِنْدَمَا كَانَ حَبِيسًا فِي بَطْنِ الْحُوتِ اشْتَكَى إلى رَبِّهِ: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]، فَسَمِعَ اللهُ شَكَاوَاهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَفِي ظِلْمَةِ الْبَحْرِ، وَنَجَّاهُ مِنْ هَذَا الْكَرْبِ الشَّدِيدِ، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّضُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88].

● أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ شَكَاوى الْمَظْلُومِ شَأْنُهَا عَظِيمٌ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إلى الْيَمَنِ، فَقَالَ ﷺ له: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» (يعني: إِنَّهَا مَسْمُوعَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَا تُرَدُّ)، وَقَالَ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزِّي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 2524].

الْحِصَانُ نَسِيَان

في يومٍ من الأيام قرَّرَ فرحانُ أن يَسْتَخْدِمَ حِيلَةً مَّاكِرَةً؛ تَجْعَلُ حَيَاتَهُ أَكْثَرَ رَاحَةً، وَتَسْمَحُ لَهُ بِالْمَزِيدِ مِنَ اللَّعِبِ، وَتُسَاعِدُهُ عَلَى التَّهَرُّبِ مِنَ أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَتُنْجِيهِ مِنَ الْعِقَابِ، هَذِهِ الْحِيلَةُ هِيَ: ”ادَّعَاءُ النَّسِيَانِ“... وَبَدَأَ فرحانُ تَنْفِيذَ حِيلَتِهِ الْمَاكِرَةِ، فَتَكَاسَلَ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَظَلَّ يَلْعَبُ حَتَّى أَذِنَ الْمَغْرِبُ، وَلَمَّا عَاتَبَهُ أَبُوهُ اعْتَذَرَ قَائِلًا: سَامِحْنِي يَا أَبِي، فَقَدْ نَسِيتُ!!!. وَفِي الْمَسَاءِ طَلَبَتْ مِنْهُ أُمُّهُ أَنْ يَقُومَ بِإِحْدَى الْمَهَامِ الْمَنْزِلِيَّةِ، فَوَعَدَهَا أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ انشَغَلَ بِمُشَاهَدَةِ التِّلْفَازِ، وَتَنَاسَى مَا طَلَبَتْهُ أُمُّهُ، فَغَضِبَتْ مِنْهُ وَعَاتَبَتْهُ بِشِدَّةٍ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهَا قَائِلًا: سَامِحْنِي يَا أُمِّي، لَقَدْ نَسِيتُ!!!. وَظَلَّ فرحانُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ، وَأَهْمَلَ الْوَاجِبَاتِ الْمَدْرَسِيَّةَ الْمَطْلُوبَةَ مِنْهُ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَسَأَلَهُ الْمُعَلِّمُ: عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مَنَعَهُ مِنْ إِنْجَازِ الْوَاجِبَاتِ، فَاعْتَذَرَ فرحانُ قَائِلًا: سَامِحْنِي يَا أَسْتَاذَ، فَقَدْ نَسِيتُ!!!.

وَفِي الْمَسَاءِ ذَهَبَ فرحانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ دُونَ أَنْ يَحْفَظَ مَا عَلَيْهِ مِنْ آيَاتٍ، وَاعْتَذَرَ لِلشَّيْخِ قَائِلًا: سَامِحْنِي يَا شَيْخَنَا، لَقَدْ نَسِيتُ!!!... فَسَامَحَهُ الشَّيْخُ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَلَقَةِ تَفَاخَرَ فرحانُ أَمَامَ زُمَلَائِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالْحِيلَةِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا، وَكَيْفَ أَنَّهُ اسْتَرَّاحَ مِنَ الْحِفْظِ حِينَ ادَّعَى النَّسِيَانِ.

وفي اليوم التالي حَدَّثَ أَمْرٌ عَجِيبٌ، لَقَدْ حَضَرَ جَمِيعُ الْأَوْلَادِ إِلَى حَلْقَةِ التَّحْفِيزِ دُونَ أَنْ يَحْفَظُوا، وَلَمَّا عَاتَبَهُمُ الشَّيْخُ اعْتَذَرُوا قَائِلِينَ: لَقَدْ نَسِينَا... فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: حَسَنًا، غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - سَأُعْطِي جَوَائِزَ قِيَمَةٍ لِمَنْ يَحْفَظُونَ جَيِّدًا.

تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا، وَجَاءُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَقَدْ حَفِظُوا جَمِيعًا، وَانْتَظَرُوا أَنْ يُعْطِيَهُمُ الشَّيْخُ الْجَوَائِزَ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، فَقَالُوا: أَيْنَ الْجَوَائِزُ يَا شَيْخَنَا؟.. تَعَجَّبَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَيُّهُ جَوَائِزُ؟!... قَالُوا: الْجَوَائِزُ الَّتِي وَعَدْتَنَا بِهَا... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: إِنَّ النَّسِيَانَ مَرَضٌ مُعْدٍ، فَقَدْ أُصِيبَ بِهِ فَرَحَانٌ فِي الْبِدَايَةِ وَنَسِيَ الْحِفْظَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وَنَسِيتُمْ الْحِفْظَ، وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أَصَابَنِي وَنَسِيتُ الْجَوَائِزَ!!!... وَهَذَا أَدْرَكَ الْأَوْلَادُ أَنَّ شَيْخَهُمْ فَهَمَ الْخُدْعَةَ وَاسْتَعْمَلَهَا ضِدَّهُمْ!!!.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا يَا أَبْنَائِي، هُنَاكَ مَسْأَلَةٌ حِسَابِيَّةٌ أُرِيدُكُمْ أَنْ تَحْلُوهَا، لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا فَعَلَ فِي الْيَوْمِ عَشْرَ طَاعَاتٍ فَقَطْ، فَكَمْ طَاعَةً يَقُومُ بِهَا فِي عَشْرِ سَنَوَاتٍ؟... انْشَغَلَ الْأَوْلَادُ بِالْحِسَابِ ثُمَّ قَالُوا: يَفْعَلُ 36500 طَاعَةً... قَالَ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتُمْ، وَلَوْ فَعَلَ هَذَا الْإِنْسَانُ خَطَأً وَاحِدًا فِي الْيَوْمِ، فَكَمْ خَطَأً يَرْتَكِبُهُ فِي عَشْرِ سَنَوَاتٍ؟... قَالَ الْأَوْلَادُ: 3650 خَطَأً... قَالَ الشَّيْخُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، وَالْآنَ سَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ وَرَقَةً وَقَلَمًا، لِيَكْتُبَ مَا فَعَلَهُ مِنْ طَاعَاتٍ وَأَخْطَاءٍ خِلَالَ سَنَوَاتِ عُمُرِهِ الْمَاضِيَةِ، وَلَنْ يَقْرَأَ أَحَدٌ مَا سَتَكْتُبُونَهُ.

تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ لِلْفِكْرَةِ، وَاجْتَهَدُوا فِي الْكِتَابَةِ، وَبَعْدَهَا سَأَلَهُمُ الشَّيْخُ: عَنْ عَدَدِ الطَّاعَاتِ وَالْأَخْطَاءِ الَّتِي كَتَبَهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَاكْتَشَفَ

أَنَّهُمْ لَمْ يَتَذَكَّرُوا إِلَّا الْقَلِيلَ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا تَذَكَّرَ 50 طَاعَةً وَ20 خَطَاً فَقَطْ، فَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: أَيْنَ بَقِيَّةُ الطَّاعَاتِ وَالْأَخْطَاءِ الَّتِي فَعَلْتُمُوهَا خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ؟... قَالَ الْجَمِيعُ: قَدْ نَسِينَاهَا... فَقَالَ الشَّيْخُ: وَمَعَ ذَلِكَ سَيَحَاسِبُكُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَصَاحَ قَائِلًا: وَكَيْفَ يُحَاسِبُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى شَيْءٍ قَدْ نَسِينَاهُ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: الْإِجَابَةُ عَنْ سُؤَالِكَ يَا بُنَيَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6]، فَاللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخَيِّ الْمَوْتَى جَمِيعًا، وَيَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ مَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَيَحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ، وَيُجَازِيهِمْ بِهِ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَكَيْفَ يُخْبِرُهُمُ اللَّهُ بِأَعْمَالِهِمْ وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْصِي أَعْمَالَ الْعِبَادِ وَيُسْجِلُهَا عَلَيْهِمْ تَسْجِيلًا تَامًّا، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ الْكَرَامَ بِكِتَابَتِهَا وَحِفْظِهَا فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ مَعَهُ مَلَكَانِ يُسْجِلَانِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، أَحَدُهُمَا يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ مَهْمَا كَانَتْ بَسِيطَةً، وَالْآخَرُ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا فَعَلَ فِي حَيَاتِهِ مَلِئُونَ حَسَنَةً أَوْ مَلِئُونَ سَيِّئَةً، فَسَيَجِدُهَا كُلَّهَا مَكْتُوبَةً فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ، وَسَيَحَاسِبُهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

قَالَ فَرْحَانُ: وَلِمَذَا جَعَلَنَا اللَّهُ نَنسى مَا فَعَلْنَاهُ مِنْ أَعْمَالٍ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ النَّسْيَانَ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ يَا بُنَيَّ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ تَذَكَّرَ كُلَّ مَا فَعَلَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ؛ فَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهُ فَعَلَ مَا يَكْفِي لِدُخُولِ الْجَنَّةِ،

وَيَتَوَقَّفُ عَنْ فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، فَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَلَوْ تَذَكَّرَ كُلُّ مَا فَعَلَهُ مِنْ سَيِّئَاتٍ فَقَدْ يَنَاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهَذَا يَجْعَلُهُ يُكْثِرُ مِنْ فِعْلِ الْمَعَاصِي، فَيَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟... قَالَ الشَّيْخُ: مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَحْوَالِ خَلْقِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِالسِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَاللَّهُ تَعَالَى شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، فَقَدْ رَأَى كُلُّ مَا فَعَلُوهُ، وَسَمِعَ كُلُّ مَا قَالُوهُ، وَعَلِمَ بِكُلِّ سِرٍّ أَخْفَوهُ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ ادَّعَى النَّسْيَانَ، وَصَدَّقَهُ النَّاسُ، وَأَفْلَتَ مِنَ الْعِقَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ سِرَّهُ، وَشَاهِدٌ عَلَى مَكْرِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ تُسَجِّلُ مَا قَامَ بِهِ مِنْ كَذِبٍ وَخِدَاعٍ، لِيُحَاسِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

دَمَعَتْ عَيْنَا فَرْحَانَ وَقَالَ: سَامِحْنِي يَا شَيْخَنَا، فَقَدْ أَخْطَأْتُ وَادَّعَيْتُ كَذِبًا أَنَّنِي نَسِيتُ الْحِفْظَ لَأَنْجُو مِنَ الْعِقَابِ، وَأَعِدُّكَ إِلَّا أَسْتَخْدِمَ هَذِهِ الْحِيلَةَ الْخَبِيثَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ... فَقَالَ بَقِيَّةُ الْأَوْلَادِ: وَنَحْنُ أَيْضًا وَقَعْنَا فِي الْخَطَا نَفْسِهِ، سَامِحْنَا يَا شَيْخَنَا... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: سَامَحْكُمْ اللَّهُ يَا أَبْنَائِي وَغَفَرَ لَكُمْ، وَسَاءُ عَطِيَّكُمْ الْجَوَائِزُ الَّتِي وَعَدْتُكُمْ بِهَا، فَقَدْ شُفِيتُ الْآنَ مِنْ مَرَضِ النَّسْيَانِ!!!... فَضَحِكَ الْجَمِيعُ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى سُوقِ الْعَابَةِ لِيَشْتَرِيَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ، فَرَأَى هُنَاكَ حِصَانًا جَمِيلًا وَقَوِيًّا يَتَجَوَّلُ بَيْنَ التُّجَّارِ، وَكُلُّهُمْ يَسْأَلُونَهُ: أَيْنَ النَّقُودُ؟... وَالْحِصَانُ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ قَائِلًا: سَامِحُونِي، لَقَدْ نَسِيتُ!!!... فَسَأَلَ فَرْحَانُ الْقِرَدَ التَّاجِرَ: عَمَّا يَحْدُثُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ هَذَا الْحِصَانَ اسْمُهُ

(نَسِيَان)، وَهُوَ يَشْتَرِي الْأَشْيَاءَ وَلَا يَدْفَعُ فَمِنْهَا؛ لِأَنَّهُ مُصَابٌ بِمَرَضِ
النَّسِيَانِ، وَبَعْضُ التُّجَّارِ يَتَعَاطِفُونَ مَعَهُ، وَيُعْطُونَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ،
وَيَنْتَظِرُونَ الْيَوْمَ الَّذِي يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَا عَلَيْهِ وَيُسَدِّدُهُ.

نَظَرَ فَرَحَانُ إِلَى الْحِصَانِ نَسِيَانٍ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذَا الْحِصَانُ قَدْ يَكُونُ مَرِيضًا
وَمِسْكِينًا بِالْفِعْلِ، وَقَدْ يَكُونُ مُخَادِعًا وَكَاذِبًا، وَسَاكُنَشِفُ الْحَقِيقَةِ بِنَفْسِي.

اقْتَرَبَ فَرَحَانُ مِنَ الْحِصَانِ نَسِيَانٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَى الْبَلَدَةِ، وَعَرَضَ
عَلَيْهِ أَجْرًا طَيِّبًا، فَوَافَقَ الْحِصَانُ، وَأَوْصَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ بِسَلَامٍ، فَشَكَرَهُ فَرَحَانُ
وَأَعْطَاهُ الْأَجْرَ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أُرِيدُكَ أَنْ تُوصِلَنِي غَدًا إِلَى الْغَابَةِ،
وَسَأُعْطِيكَ أَجْرًا كَبِيرًا... تَحَمَّسَ الْحِصَانُ وَقَالَ: حَسَنًا، وَمَتَى نَلْتَقِي؟... قَالَ
فَرَحَانُ: سَأَنْتَظِرُكَ هُنَا عِنْدَ الظَّهِيرَةِ، لَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَتَأَخَّرَ.... صَهَلَ الْحِصَانُ
وَقَالَ: لَا تَخَفْ يَا صَدِيقِي، فَالْأَجْرُ الْكَبِيرُ يَمْنَعُ التَّأخيرَ... هَا هَا هَا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ حَضَرَ الْحِصَانُ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ، فَرَكِبَ فَرَحَانُ عَلَى ظَهْرِهِ،
وَانْطَلَقَا نَحْوَ الْغَابَةِ، وَبِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْحِصَانِ نَزَلَ فَرَحَانُ، وَجَمَعَ بَعْضَ
الْأَخْشَابِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنَ الْحِصَانِ أَنْ يُحْضِرَ لَهُ حَبَلًا لِيُرْبِطَ بِهِ الْأَخْشَابَ، وَوَعَدَهُ
أَنْ يُعِيدَهُ لَهُ فِي الْغَدِ، فَذَهَبَ الْحِصَانُ إِلَى بَيْتِهِ وَأَحْضَرَ حَبَلًا طَوِيلًا، فَأَخَذَهُ مِنْهُ
فَرَحَانُ وَرَبَطَ الْأَخْشَابَ، وَحَمَلَهَا عَلَى ظَهْرِ الْحِصَانِ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ بِسَلَامٍ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرَحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَوَجَدَ الْحِصَانُ يَنْتَظِرُهُ عِنْدَ
الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَا نَسِيَانُ؟!... قَالَ الْحِصَانُ:
لَقَدْ جِئْتُ لِأَخْذِ الْحَبْلِ الَّذِي أُعْطِيتُهُ لَكَ بِالْأَمْسِ... ابْتَسَمَ فَرَحَانُ
وَقَالَ: حَسَنًا، لَقَدْ أَحْضَرْتُهُ لَكَ، وَالْآنَ هَيَّا أَوْصِلْنِي إِلَى السُّوقِ.

أَخَذَ الْحِصَانُ الْحَبْلَ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ السُّوقِ حَامِلًا فِرْحَانَ عَلَى ظَهْرِهِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ أَخْرَجَ فِرْحَانُ وَرَقَةً كَبِيرَةً، وَعَلَّقَهَا فِي رَقَبَةِ الْحِصَانِ، فَتَعَجَّبَ الْحِصَانُ وَقَالَ: مَا هَذَا؟!... قَالَ فِرْحَانُ: هَذِهِ مِنْ أَجْلِ تَسْجِيلِ الدُّيُونِ، فَإِذَا اشْتَرَيْتَ شَيْئًا مِنْ أَحَدِهِمْ فَإِنَّهُ سَيَكْتُبُهُ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ، حَتَّى لَا تَنْسَى مَا عَلَيْكَ... صَهْلَ الْحِصَانُ بِغَضَبٍ وَقَالَ: أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَشْتَرِيَ شَيْئًا الْيَوْمَ... قَالَ فِرْحَانُ: إِنَّ التُّجَّارَ يَنْتَظِرُونَ تَجَرِبَةَ هَذِهِ الْفِكْرَةِ، وَإِذَا لَمْ تَشْتَرِ مِنْهُمْ شَيْئًا فَقَدْ يَظُنُّونَ أَنَّكَ تَخْدَعُهُمْ... تَرَدَّدَ الْحِصَانُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: حَسَنًا، سَأَشْتَرِي شَيْئًا وَاحِدًا فَقَطْ.

اشْتَرَى الْحِصَانُ حُزْمَةً مِنَ الْبُرْسِيمِ، وَسَجَّلَهُ الْبَائِعُ فِي الْوَرَقَةِ، وَرَكِبَ فِرْحَانُ عَلَى ظَهْرِ الْحِصَانِ وَانْطَلَقَا، فَقَالَ الْحِصَانُ: إِلَى أَيْنَ؟!!... قَالَ فِرْحَانُ: إِلَى بَيْتِكَ لِنُحْضِرَ ثَمَنَ الْبُرْسِيمِ قَبْلَ أَنْ تَنْسَاهُ... وَافَقَ الْحِصَانُ رَغْمًا عَنْهُ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ نَظَرَ فِي الْوَرَقَةِ وَصَاحَ قَائِلًا: هَذَا الْمَبْلُغُ غَيْرُ صَحِيحٍ... ابْتَسَمَ فِرْحَانُ وَقَالَ: أَنْتَ عَلَى حَقٍّ، فَأَنَا قُمْتُ بِتَعْدِيلِهِ... تَعَجَّبَ الْحِصَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ؟!... قَالَ فِرْحَانُ: لَقَدْ أَخْضَعْتُكَ لِأَرْبَعِ اخْتِبَارَاتٍ، وَتَأَكَّدْتُ مِنْ خِلَالِهَا أَنَّكَ تَدَّعِي النَّسِيَانَ، فَعِنْدَمَا طَلَبْتُ مِنْكَ أَنْ تُوَصِّلَنِي إِلَى بَيْتِي لَمْ تَضِلَّ الطَّرِيقَ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي جِئْتَ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ، وَلَمْ تَنْسَ الْحَبْلَ الَّذِي اقْتَرَضْتُهُ مِنْكَ، وَمَا قُمْتُ بِتَغْيِيرِ ثَمَنِ الْبُرْسِيمِ اكْتَشَفْتَ أَنْتَ هَذِهِ الْخُدْعَةَ وَتَذَكَّرْتَ السَّعَرَ الصَّحِيحَ... بَكَى الْحِصَانُ وَاعْتَرَفَ بِجَرِمَتِهِ وَقَالَ: أَرْجُوكَ سَامِحْنِي وَلَا تَفْضَحْنِي... قَالَ فِرْحَانُ: سَأَسَامِحَكَ بِشَرِطٍ وَاحِدٍ؛ أَنْ تَرُدَّ الْحُقُوقَ لِأَصْحَابِهَا، وَلَا تَخْدَعَهُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا... وَافَقَ الْحِصَانُ، وَوَعَدَ فِرْحَانُ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ ادِّعَاءِ النَّسِيَانَ.



فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة الحصان نسيان...

- اسألهم: عن رأيهم في الاختبارات التي قام بها فرحان لكشف خدعة الحصان نسيان؟ وهل سيفي الحصان بوعده ويتوقف عن ادعاء النسيان؟ وماذا يفعل فرحان لو أخلف الحصان وعده ولم يتوقف عن الخداع؟
- اسألهم: ما الحيل التي يستخدما بعض الأولاد للتهرب من أداء الواجبات؟ والإفلات من العقاب؟ واستمع إليهم وتناقش معهم.
- أخبر أبناءك أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ (يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِيُكَلِّمَهُ وَيَعْرِضَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ)، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ (يَسْتُرُ) اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَنْ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ لَهُ؛ لئَلَّا يُفْتَضَحَ أَمَامَهُمْ، وَيُكَلِّمَهُ سِرًّا)، فَيَقُولُ (سُبْحَانَهُ): أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ (يَذْكُرُهُ بِمَا فَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ذُنُوبٍ)، فَيَقُولُ (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ): نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ (يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ دَاخِلُ النَّارِ لَا مُحَالَةَ بِسَبَبِ هَذِهِ الذُّنُوبِ)، قَالَ (تَعَالَى): سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».
- أخبرهم أن النسيان شيء طبيعي، وله أسباب كثيرة، وأحياناً يحدث بسبب الشيطان، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: 63]، واحك لهم القصة التي وردت فيها هذه الآية.
- اسأل أبناءك: هل نحاسبنا الله تعالى على النسيان؟ ثم أخبرهم أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَ مَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» [صحيح الجامع للألباني ج 1 ر 1836]، واستمع معهم لشرح هذا الحديث من أحد العلماء الثقات، واضرب لهم بعض الأمثلة العملية.

ذات يوم ذهب فرحانُ إلى حلقةِ التحفيظ، وجلسَ صامتًا وحزينًا، فقال له الشيخُ: ماذا بك يا بُني؟!... دَمَعَتْ عَيْنَا فرحان وقال: بالأمسِ حَدَّثْتُ مُشْكِلَةً بَيْنِي وَبَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ زُمَلَائِي فِي الْحَلَقَةِ، وَالْيَوْمَ رَأَيْتُهُمَا يَجْلِسَانِ مَعًا، وَيَتَكَلَّمَانِ فِيمَا بَيْنَهُمَا سِرًّا، وَيَنْظُرَانِ نَحْوِي وَيَغْمِرَانِ بِأَعْيُنِهِمَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمَا يَسْخَرَانِ مِنِّي وَيُخَطِّطَانِ لِإِيذَائِي؛ وَأَحْسَسْتُ بِالْحُزْنِ وَالْخَوْفِ... فَاسْتَدْعَى الشيخُ الْوَلَدَيْنِ وَأَخْبَرَهُمَا بِشَكْوَى فَرَحَانَ، فَأَعْرَضَ أَحَدُهُمَا قَائِلًا: نَحْنُ لَمْ نَسْخَرْ مِنْهُ، وَلَمْ نُخَطِّطْ لِإِيذَائِهِ... فَسَكَتَ الشَّيْخُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا يَا أَبْنَائِي، فَسَأُحْكِي لَكُمْ حِكَايَةً...

كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَعِيشُونَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ مَعَ الْيَهُودِ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ صُلْحٌ وَمُعَاهَدَةٌ، لَكِنَّ الْيَهُودَ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهَذِهِ الْمُعَاهَدَةِ، فَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ (يَعْنِي: يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا)، وَيَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُؤْمِنِ وَيَتَغَامَزُونَ بِأَعْيُنِهِمْ عَلَيْهِ، حَتَّى يَظُنُّ أَنَّهُمْ يَتَأَمَّرُونَ عَلَيْهِ وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ، أَوْ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَمْرِ يَكْرَهُهُ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ خَافَ مِنْهُمْ وَذَهَبَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، وَأَحَسَّ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ، وَتَكَرَّرَ هَذَا الْفِعْلُ مِنَ الْيَهُودِ كَثِيرًا، فَاشْتَكَى الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَأَمَرَ ﷺ الْيَهُودَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ ذَلِكَ، وَنَهَاَهُمْ عَنِ الْحَدِيثِ سِرًّا بِمَا يُثِيرُ الشَّكَّ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ فَرَحَانُ: وَهَلْ أَطَاعَ الْيَهُودُ أَمَرَ النَّبِيِّ ﷺ؟ ... قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَقَدْ عَادُوا لِفِعْلِهِمُ الْخَبِيثَ، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ إِذَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُمْ عَنْ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُمْ عَنْهُ وَيَنْجَرُونَ بَإِلْئِمْ وَأَلْعُودُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فِئْتَسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: 8]، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لِلْيَهُودِ، وَتَحْذِيرٌ شَدِيدٌ لِمَنْ يَتَحَدَّثُونَ سِرًّا أَمَامَ أَحَدِ الْمُؤْمِنِينَ بِطَرِيقَةٍ تُخِيفُهُ وَتُحْزِنُهُ... سَمِعَ الْوَلَدَانِ هَذَا الْكَلَامَ فَخَافَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَاعْتَذَرَا لِفَرَحَانَ، وَوَعَدَا الشَّيْخَ أَلَّا يَفْعَلَا هَذَا الْخَطَأَ مَرَّةً أُخْرَى.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَ فَرَحَانُ إِلَى حَلْقَةِ التَّحْفِيزِ، وَجَلَسَ صَامِتًا وَحَزِينًا، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: مَاذَا بَكَ الْيَوْمَ يَا بُنَيَّ؟!... تَنَهَّدَ فَرَحَانُ وَقَالَ: الْيَوْمَ أَلْقَيْتُ السَّلَامَ عَلَى بَعْضِ زَمَلَائِي فِي الْحَلْقَةِ، فَسَخِرُوا مِنِّي لِأَنِّي أَلْقَيْتُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ كَامِلًا، وَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ... وَأَخَذُوا يَتَلَاعَبُونَ بِصِغَةِ السَّلَامِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَقُولُونَ: سَامُوا عَلَيْكُمْ، وَعَلَاكَ السَّلَامُ، السَّامُ عَلَيْكَ، وَغَيْرَهَا... فَظَنَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا، فَسَاحِكِي لَكُمْ حِكَايَةً...

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَاءَ بَعْضُ الْيَهُودِ إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَأْذَنُوا فِي الدُّخُولِ، فَأَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمَّا دَخَلُوا قَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ... وَأَوْهَمُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ يُلْقُونَ عَلَيْهِ تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، فَكَلِمَةُ (السَّامُ) مَعْنَاهَا: الْمَوْتُ وَالْهَلَكَةُ، وَأَدْرَكَ النَّبِيُّ ﷺ حِيلَتَهُمُ الْخَبِيثَةَ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: «وَعَلَيْكُمْ»، يَعْني: وَعَلَيْكُمْ مِثْلُ مَا قُلْتُمْ مِنَ الدُّعَاءِ... وَفَهِمَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- مَكِيدَةَ الْيَهُودِ، فَغَضِبَتْ وَرَدَّتْ

عَلَيْهِمْ قَائِلَةٌ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ... فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرُّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ، أَوْ الْفُحْشَ...» قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟!... فَقَالَ ﷺ: «أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ (قُلْتُ لَهُمْ: وَعَلَيْكُمْ)، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ الْيَهُودِ إِذَا دَعَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَسْتَجِيبُ لِلْمُسْلِمِينَ إِذَا دَعَوْا عَلَى الْيَهُودِ... وَبَعْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: 8] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى ضَرُورَةِ الْإِتِّزَامِ بِالتَّحِيَّةِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَنَا، فَتَحْرِيفُ كَلِمَاتِ السَّلَامِ يُغَيِّرُ مَعْنَاهَا تَمَامًا، فَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ (بِكَسْرِ السِّينِ) مَعْنَاهَا: الْحِجَارَةُ عَلَيْكُمْ، وَعَلَاكَ السَّلَامُ مَعْنَاهَا: ارْتَفَعَ عَنْكَ السَّلَامُ وَابْتَعَدَ عَنْكَ... سَمِعَ الْأَوْلَادُ هَذَا الْكَلَامَ فَأَحْسُوا بِخُطُورِهِ مَا فَعَلُوهُ، وَاعْتَرَفُوا بِخَطِيئِهِمْ، وَاعْتَذَرُوا لِفَرَحَانَ، وَوَعَدُوا الشَّيْخَ أَلَّا يُحَرِّفُوا كَلِمَاتِ السَّلَامِ مَرَّةً أُخْرَى.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَ فَرَحَانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَجَلَسَ صَامِتًا وَحَزِينًا، فَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهِ وَقَالَ مُتَعَجِّبًا: هَلْ أَحْزَنَكَ زُمْلَاؤُكَ الْيَوْمَ أَيْضًا؟... قَالَ فَرَحَانُ: لَا يَا شَيْخَنَا... قَالَ الشَّيْخُ: وَلِمَاذَا أَرَاكَ مَهْمُومًا وَحَزِينًا؟!!... بَكَى فَرَحَانُ وَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ بَعْضَ الْكُفَّارِ رَسَمُوا بَعْضَ الرُّسُومَاتِ الْمُسِيئَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا أَحْزَنَنِي كَثِيرًا... دَمَعَتْ عَيْنَا الشَّيْخِ وَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ مُحْزِنٌ حَقًّا يَا بُنَيَّ... قَالَ فَرَحَانُ: وَلِمَاذَا يَتْرُكُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى دُونَ عِقَابٍ؟!!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ اللَّهَ سَيُعَاقِبُهُمْ بِالتَّأْكِيدِ... قَالَ فَرَحَانُ: وَلِمَاذَا لَا يُعَاقِبُهُمُ الْآنَ؟!!... قَالَ الشَّيْخُ: هَلْ تَذْكُرُ الْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا لَهُ: السَّامُ عَلَيْكَ؟... قَالَ فَرَحَانُ: نَعَمْ، وَلَكِنْ مَا

عِلَاقَةٌ ذَلِكَ بِسُؤَالِي؟!... قَالَ الشَّيْخُ: هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا لِبَعْضِهِمْ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا لَعَذَّبَنَا اللَّهُ الْآنَ بِسَبَبِ إِسَاءَتِنَا إِلَيْهِ، فَنَحْنُ نُلْقِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَنَقْصِدُ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: 8]، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُعَجِّلِ الْعُقُوبَةَ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ الْحَقِيقِيَّ يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَا يَكْتِبُهُمْ وَيُرِيحُ قَلْبَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

شَكَرَ فَرحَانُ شَيْخَهُ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ عَشْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي ظِلَالِ آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْ خِلَالِهَا أَنَّ حَيَاتِنَا سَتَكُونُ أَجْمَلُ إِذَا فَهَمْنَا الْقُرْآنَ وَعَمِلْنَا بِمَا فِيهِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي زَارَ فَرحَانُ حَكِيمَ الْغَابَةِ فِي بَيْتِهِ، فَوَجَدَ بَعْضَ الْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً عِنْدَهُ، وَفَرِحَ الْجَمِيعُ بِزِيَارَتِهِ، وَرَحَّبَ الْحَكِيمُ بِهِ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ جِئْتُ فِي وَقْتِكَ مَمَامًا يَا صَدِيقِي... ابْتَسَمَ فَرحَانُ وَقَالَ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْحَكِيمُ: هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ، وَنُرِيدُ مُسَاعَدَتَكَ فِي حَلِّهَا... قَالَ فَرحَانُ: نَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ، مَا هَذِهِ الْمُشْكِلَةُ؟... أَشَارَ الْحَكِيمُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الْمَجْتَمِعَةِ عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ: الْأَفْضَلُ أَنْ تَسْمَعَ الْمُشْكِلَةَ مِنْ أَصْحَابِهَا...

قَالَتْ الزَّرَافَةُ: أَنَا سَأُخْبِرُكَ بِمَا حَدَثَ، لَقَدْ قَرَّرَ الضَّبَاعُ أَنْ يَفْتَحُوا نَادِيًا اجْتِمَاعِيًّا خَاصًّا بِهِمْ... قَالَ فَرحَانُ: وَمَا الْمُشْكِلَةُ فِي ذَلِكَ؟!... قَالَتْ

الزَّرَافَةُ: الْمُسْكِلَةُ أَنَّهُمْ فَتَحُوا هَذَا النَّادِي فِي الْحَيِّ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَلِمَاذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟... قَالَتِ الزَّرَافَةُ: حَتَّى يَفْعَلُوا مَا يَحُلُّو لَهُمْ، فَسُكَّانُ هَذَا الْحَيِّ جَمِيعُهُمْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُسَالِمَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ افْتِتَاحِ نَادِي الضُّبَاعِ؟... قَالَتِ الزَّرَافَةُ: لَقَدْ تَحَوَّلَتْ حَيَاتُنَا إِلَى جَحِيمٍ، فَقَدْ اتَّخَذَ الضُّبَاعُ مِنْ هَذَا النَّادِي وَكْرًا لِلْفَسَادِ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ شَرِّهِمْ أَحَدٌ، وَآذَوْا كُلَّ مَنْ يُمْرُّ بِهِمْ، فَإِذَا سَلَّمَ الْمَارُّ عَلَيْهِمْ سَخِرُوا مِنْهُ، وَإِذَا لَمْ يَسْلَمْ تَوَعَّدُوهُ بِالشَّرِّ، فَتَجَنَّبَ الْجَمِيعُ الْمُرُورَ مِنْ هُنَاكَ، وَأَغْلَقَ تَجَارُ الْمِنْطَقَةِ مَحَلَّاتِهِمْ، وَفَكَّرَ حِيرَانُ النَّادِي فِي الرَّحِيلِ...

صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: وَلِمَاذَا لَمْ يَتَّحِدْ سُكَّانُ الْحَيِّ لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الْخَطَرِ؟!!... قَالَتِ الزَّرَافَةُ: لَقَدْ اجْتَمَعْنَا وَفَكَّرْنَا وَوَجَدْنَا أَنَّنَا لَا نَقْوَى عَلَى مُوَاجَهَةِ الضُّبَاعِ، فَاتَّفَقْنَا أَنْ نَعْقِدَ مَعَهُمْ اتِّفَاقًا، بِحَيْثُ يَتْرُكُونَنَا فِي حَالِنَا وَلَا يَتَعَرَّضُوا لَنَا، وَفِي الْمُقَابِلِ نُعْطِيهِمُ الطَّعَامَ كُلَّ يَوْمٍ مَجَانًا... قَالَ فَرْحَانُ: عَجَبًا، وَهَلْ وَافَقَ الضُّبَاعُ عَلَى هَذَا الْاتِّفَاقِ؟... قَالَتِ الزَّرَافَةُ: نَعَمْ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِ، فَأَكَلُوا طَعَامَنَا، وَلَمْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ إِيْذَانِنَا.

نَظَرَ فَرْحَانُ إِلَى الْحَكِيمِ وَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ حَقًّا، فَلِمَاذَا لَمْ يَلْجَأُوا لِلْقَضَاءِ؟!!... قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ رَفَعُوا قَضِيَّتَهُمْ إِلَى الْقَاضِي، وَقَدَّمُوا الْأَدِلَّةَ الْلازِمَةَ، لَكِنَّ الضُّبَاعَ اسْتَأْجَرُوا مُحَامِيًّا مُخَادِعًا، اسْتَطَاعَ بِمَكْرِهِ أَنْ يُقْنَعَ الْقَاضِي أَنَّ النَّادِي يَخْدُمُ أَبْنَاءَ الْحَيِّ، فَحَكَّمَ الْقَاضِي لِلضُّبَاعِ، وَخَسِرَ سُكَّانُ الْحَيِّ الْقَضِيَّةَ.

نَظَرَ فَرْحَانُ إِلَى الزَّرَافَةِ وَقَالَ: وَلِمَاذَا لَمْ تَشْتَكُوا لِمَلِكِ الْعَابَةِ؟... تَنَهَّدَتِ الزَّرَافَةُ وَقَالَتْ: لَقَدْ شَكَّوْنَا إِلَيْهِ بِالْفِعْلِ، وَطَلَبْنَا مِنْهُ أَنْ يُغْلِقَ

هَذَا النَّادِي، لَكِنَّهُ رَفَضَ ذَلِكَ؛ بِحُجَّةٍ أَنَّ الضَّبَاعَ تَلْتَزِمُ بِقَوَانِينِ الْعَابَةِ، وَتَدْفَعُ الضَّرَائِبَ... صَاحَ فَرَحَانُ فِي غَيْظٍ وَقَالَ: حَسَنًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَنَجِدُ طَرِيقَةً نُغْلِقُ بِهَا وَكْرَ الْفَسَادِ هَذَا.

وَسَكَتَ فَرَحَانُ قَلِيلًا ثُمَّ صَاحَ قَائِلًا: وَجَدْتُهَا، سَنَجْمَعُ الْمَالَ مِنْ سُكَّانِ الْحَيِّ، وَنُعْطِيهِ لَكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، وَأَنْتَ تَذْهَبُ إِلَى الضَّبَاعِ، وَتُخْبِرُهُمْ أَنَّكَ تُرِيدُ مُشَارَكَتَهُمْ فِي النَّادِي، وَتُقْنِعُهُمْ بِالتَّوْقِيعِ عَلَى عَقْدِ الشَّرَاكَةِ... قَالَ الْحَكِيمُ: وَمَا فَائِدَةُ ذَلِكَ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: سَنَكْتُبُ فِي هَذَا الْعَقْدِ شُرُوطًا تَجْعَلُنَا نُغْلِقُ النَّادِي لِلأَبَدِ، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ أَنَّكَ تُدِيرُ الْمَكَانَ يَوْمًا وَالضَّبَاعُ تُدِيرُهُ يَوْمًا آخَرَ، وَعَلَى الْجَمِيعِ تَنْفِيدُ أَوَامِرِ الْمُدِيرِ مَهْمَا كَانَتْ، وَمَنْ يَعْصِهِ يَخْسَرُ نَصِيبَهُ فِي النَّادِي... صَاحَ الْحَكِيمُ قَائِلًا: هَذَا الشَّرْطُ سَيَكُونُ فِي صَالِحِ الضَّبَاعِ، فَهُمْ سَيَطْلُبُونَ مِنِّي فِعْلَ أَشْيَاءَ سَيِّئَةٍ، وَإِذَا لَمْ أَنْفِذْهَا أَخْسَرُ نَفُودَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ... ابْتَسَمَ فَرَحَانُ وَقَالَ: هَذَا مَا سَيُظَنُّهُ الضَّبَاعُ، لَكِنَّكَ سَتَشْتَرِطُ أَنْ تَكُونَ إِدَارَةُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ نَصِيبِكَ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ سَتَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَسْخَرُوا مِنْ أَوَّلِ حَيَوَانٍ يَمُرُّ بِالنَّادِي، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تَدْعُو الْأَسَدَ لِمِيزَانَةِ مَشْرُوعِكَ الْجَدِيدِ، لِيَكُونَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ يَمُرُّ بِكُمْ... ابْتَسَمَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: هَكَذَا سَيَكُونُ أَمَامَ الضَّبَاعِ خِيَارَانِ أَحْلَاهُمَا مَرًّا؛ إِمَّا أَنْ يَسْخَرُوا مِنَ الْأَسَدِ فَيَأْمُرُ بِإِغْلَاقِ النَّادِي فِي الْحَالِ، وَإِمَّا أَنْ يَعْصُوا أَمْرِي وَيَخْسَرُوا نَصِيبَهُمْ فِي النَّادِي أَمَامَ الْقَاضِي... قَالَ فَرَحَانُ: نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ تَنْجَحَ هَذِهِ الْخُطَّةُ، هَيَّا بِنَا إِلَى الْعَمَلِ.



فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة نَادِي الضَّبَاع...

● اسألهم: مَا مَعْنَى النَّجْوَى؟ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ أَنَّهَا تَعْنِي: الْحَدِيثَ سِرًّا بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَتَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَفِي الشَّرِّ، وَأَصْلُ النَّجْوَى أَنْ تَخْلُوَ مِنْ تَتَاجِيهِ بِسِرٍّ عَلَى انْفِرَادٍ فِي نَجْوَةٍ، أَيْ: فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ مُنْفَصِلٍ عَمَّا حَوْلَهُ.

● أَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»، فَالنَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنْ تَتَاجِي الرَّجُلَيْنِ (وهو أَنْ يَتَكَلَّمَا فِيمَا بَيْنَهُمَا سِرًّا - فِيمَا هُوَ مُبَاحٌ) بِحُضُورِ ثَالِثٍ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يُوَسَّوِسُ لَهُ أَنَّهُمَا يَتَنَاجِيَانِ فِيمَا يَضُرُّهُ، وَيَحْزَنُ لَأَنَّهُمَا يَتَكَلَّمَانِ مَعًا وَيَتَرُكَا نَهْيَ وَحِيدًا، وَهَذَا النَّهْيُ يَزُولُ إِذَا كَانُوا فِي جَمَاعَةٍ وَخُلُطَةِ النَّاسِ؛ فَعِنْدَهَا يَزُولُ الشُّكُّ وَالرَّيْبَةُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ».

● تَكَلَّمْ مَعَ أَبْنَائِكَ عَنْ فَضْلِ إِلْقَاءِ السَّلَامِ وَآدَابِهِ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ) كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ) كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً» [صحيح الترغيب للألباني ح ر 2711].

● اسأل ابْنَكَ (ابْنَتَكَ): كَيْفَ تَرُدُّ عَلَى مَنْ يَسْتُمُك؟ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ (يَعْنِي: الْمَوْتُ وَالْهَلَاكُ)، قَالَ ﷺ: «وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ، أَوْ الْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ ﷺ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي» [رواه البخاري]، فَرَدُّ الْقَوْلِ السَّيِّئِ يَكُونُ بِمِثْلِهِ دُونَ عُنْفٍ أَوْ فُحْشٍ أَوْ بَذَاءَةٍ، فَتَقُولُ لِمَنْ شَتَمَكَ: «وَأَنْتَ كَذَلِكَ»، وَلَا تَرُدِّ عَلَى ذَلِكَ.

في يومٍ من الأيام اجتمع الأولاد حول شيخهم في حلقة التحفيظ، وجلس كل واحد منهم في مكانه، فأخبرهم الشيخ أن طالباً جديداً سينضم إليهم اليوم، وعليهم أن يكرموه ويحسنوا معاملته؛ لأنه يلتحق بحلقات التحفيظ لأول مرة في حياته.

وبعد دقائق جاء الولد الذي ينتظرونه، واقترَب من الحلقة على استحياء، فاستقبله الشيخ بحفاوة شديدة، ثم نظر إلى طلابه وقال: رحبوا بأخيكُم، وأفسحوا له مكاناً يجلس فيه... رحب الأولاد بزميلهم الجديد، لكنهم لم يفسحوا له، فقال الشيخ بحزم: يا أبنائي، أفسحوا لأخيكُم... نظر الأولاد لبعضهم ولم يتحرك منهم أحد، فأمرهم الشيخ للمرة الثالثة أن يوسّعوا لزميلهم حتى يجلس بينهم، لكن دون نتيجة، فأحس الولد بالحرَج، وظهرت عليه علامات الحزن، فترقق الشيخ به وقال له: حسناً يا بُني، أنا سأفسح لك، وستجلس بجواري.

شكر الولد الشيخ، وجلس بجواره وهو يشعر بالخجل، فشجعه الشيخ بكلمات رقيقة، ثم نظر إلى بقيّة الأولاد وقال بلهجة حزينة: أمّا أنتم فقد أحزنتم زميلكم، وأغضبتم شيخكم، ولم تطيعوا أمر ربكم... تعجب فرحان وصاح قائلاً: كل هذا لأننا لم نفسح له في المجلس؟!!!! قال الشيخ: نعم، فالله تعالى يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي

الْمَجْلِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿[المجادلة: 11].

قَالَ فَرحَانُ: وَمَا سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ؟... قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- يَتَسَابَقُونَ لِلْجُلُوسِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ يَأْتِي أَحَدُهُمْ فَلَا يَجِدُ لَهُ مَكَانًا يَجْلِسُ فِيهِ، فَيَقُولُ: أَفْسَحُوا لِي رَحِمَكُمُ اللَّهُ... فَلَا يُوَسَّعُ لَهُ أَحَدٌ، وَيَتَمَسَّكُ الْجَمِيعُ بِأَمَاكِنِهِمْ حِرْصًا عَلَى الْقُرْبِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -فِي هَذِهِ الْآيَةِ- أَنْ يُفْسِحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ.

قَالَ فَرحَانُ: وَهَلِ الْأَمْرُ بِالتَّفْسِيحِ خَاصٌّ بِمَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَطْ؟... قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَالْأَمْرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَشْمَلُ كُلَّ مَجَالِسِ الْمُسْلِمِينَ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا﴾، وَالْمُرَادُ بِالْمَجَالِسِ: كُلُّ مَجْلِسٍ اجْتَمَعَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ لِلْخَيْرِ وَالْأَجْرِ، كَمَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْمَجَالِسِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ... قَالَ فَرحَانُ: وَهَلِ الْعَمَلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ يَخُصُّ الصَّحَابَةَ فَقَطْ؟... قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بُنَيَّ، هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَالْخِطَابُ بـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) خِطَابٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَشْمَلُ مَنْ حَضَرُوا مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ وَيَشْمَلُ غَيْرَهُمْ، فَهَذِهِ الْآيَةُ تُخَاطَبُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ.

سَكَتَ فَرحَانُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: وَهَلِ هُنَاكَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ يُفْسِحُ فِي الْمَجَالِسِ؛ عَمَلًا بِهَذِهِ الْآيَةِ؟... قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا

يَسِّحَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿١﴾، فَاَلْمُكَافَأَةُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسِّحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فَمَنْ يُوسِّعُ لِإِخْوَانِهِ وَيُفْسِحَ لَهُمْ فِي الْمَجَالِسِ يُوسِّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيُوسِّعَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ... تَنْهَدَ فَرَحَانُ وَقَالَ: لَقَدْ خَسِرْنَا كَثِيرًا لِأَنَّنَا لَمْ نُفْسِحْ لِرِزْمِيلِنَا كَمَا أَمَرْتَنَا!!!.

اعْتَذَرَ الْجَمِيعُ لِرِزْمِيلِهِمُ الْجَدِيدِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُسَامِحَهُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ قَائِلًا: لَقَدْ سَامَحْتُكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَدَعَا لِلْجَمِيعِ بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ: هُنَاكَ أَدَبٌ آخَرُ وَرَدَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا﴾، وَانْشُرُوا مَعْنَاهَا: قُومُوا... قَالَ فَرَحَانُ: هَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ لَنَا قُومُوا مِنَ الْمَجْلِسِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ، وَذَلِكَ فِي حَالَاتٍ ثَلَاثٍ، الْحَالَةُ الْأُولَى: أَنْ يُطْلَبَ مِنْكَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَكَانِكَ لِمَنْ هُوَ أَوْلَى بِالْجُلُوسِ مِنْكَ كَذَوِي الْاِحْتِيَاجَاتِ الْخَاصَّةِ وَكِبَارِ السَّنِّ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَغَيْرِهِمْ، وَالْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ يُطْلَبَ مِنْكَ الْاِنْصِرَافُ مِنْ أَحَدِ الْمَجَالِسِ لِأَنَّ الْوَقْتَ تَأَخَّرَ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ، وَقَدْ يُقَالُ لَكَ: اِنْصَرِفْ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، كَأَنْ تَرَى صَاحِبَ الْمَكَانِ قَدْ تَمَلَّمَ وَتَتَأَبَّ وَبَدَأَ يَنْظُرُ فِي سَاعَتِهِ، مِمَّا يُوجِي أَنْ هُنَاكَ نَوْعًا مِنَ الضِّيقِ، وَالْحَالَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يُطْلَبَ مِنْكَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ حَتَّى تَفْعَلَ أَمْرًا فِيهِ خَيْرٌ لَكَ، كَأَنْ يُقَالَ لَكَ: اِنْهَضْ إِلَى الصَّلَاةِ، وَإِلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَإِلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَإِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ.

سَكَتَ فَرَحَانُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: وَهَلْ هُنَاكَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ يَعْمَلُ بِهِذِهِ الْآيَةِ وَيَلْتَزِمُ بِهِذَا الْأَدَبِ؟... قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، فَاللَّهُ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

دَرَجَاتٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا، وَيَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَهَا إِلَّا اللَّهُ؛ وَذَلِكَ بِفَضْلِ عِلْمِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ... تَحَمَّسَ فَرْحَانُ وَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَنُعَوِّضُ خَسَارَتَنَا، وَسَنَعْمَلُ بِمَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ آدَابٍ؛ حَتَّى يُوسِّعَ اللَّهُ لَنَا وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِنَا.

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَالْآنَ هَيَّا انْشُرُوا، فَقَدْ انْتَهَى وَقْتُ الْحَلَقَةِ الْيَوْمِ... ضَحِكَ الْأَوْلَادُ وَانْصَرَفُوا، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرُوا إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَجَلَسُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ، وَلَمَّا جَاءَ زَمِيلُهُمُ الْجَدِيدُ أَفْسَحَ لَهُ الْجَمِيعُ، وَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يُجْلِسَهُ بِجَوَارِهِ، فَابْتَسَمَ الْوَلَدُ بِمَكْرٍ وَقَالَ: شُكْرًا لَكُمْ، وَلَكِنِّي سَأَجْلِسُ فِي مَكَانِي الْمُفَضَّلِ بِجَوَارِ الشَّيْخِ... فَنَظَرَ الْأَوْلَادُ لِبَعْضِهِمْ فِي غَيْظٍ، وَسَكَّتُوا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَبَدَأَ يَقْرَأُ وَرَدَهُ الْيَوْمِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ جَاءَهُ الْفِيلُ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَلِكَ الْغَابَةِ يُرِيدُهُ فِي الْحَالِ، فَاعْتَذَرَ لَهُ فَرْحَانُ وَقَالَ: سَأَنْتَهِي مِنْ قِرَاءَةِ الْوَرْدِ ثُمَّ أَلْحَقُ بِكَ... قَالَ الْفِيلُ: لَا بَأْسَ، سَأَنْتَظِرُكَ حَتَّى نَذْهَبَ مَعًا.

انْتَهَى فَرْحَانُ مِنْ قِرَاءَةِ الْوَرْدِ، وَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ وَانْطَلَقَا، وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى بَيْتِ الْأَسَدِ وَجَدَاهُ يَنْتَظِرُهُمَا، وَرَحَّبَ الْأَسَدُ بِفَرْحَانَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أُرِيدُ اسْتِشَارَتَكَ فِي أَمْرِ خَطِيرٍ... قَالَ فَرْحَانُ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْأَسَدُ: لَقَدْ جَمَعْتُ عَشْرَةَ مِنْ حُكَمَاءِ الْغَابَةِ، لِيُسَاعِدُونِي فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الْمُهِّمَةِ...

قَالَ فَرَحَانُ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ... قَالَ الْأَسَدُ: لَكِنَّهَا لِلْأَسَفِ لَمْ تَكْتَمِلْ، فَمُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ أَحَسَسْتُ أَنَّ بَيْنَهُمْ خَائِنًا يَنْقُلُ أَخْبَارَنَا إِلَى غَابَةِ الْأَعْدَاءِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَكْتَشِفَ هَذَا الْخَائِنَ... قَالَ فَرَحَانُ: وَهَلْ تَأْكُذُّ أَنْ هُنَاكَ خَائِنًا؟!... قَالَ الْأَسَدُ: لَا... قَالَ فَرَحَانُ: قَبْلَ أَنْ نَكْتَشِفَ الْخَائِنَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّكِدَ مِنْ وُجُودِهِ... قَالَ الْأَسَدُ: وَكَيْفَ نَفْعَلُ ذَلِكَ؟... قَالَ فَرَحَانُ: سَتُعْلِنُ أَمَامَ مَجْلِسِ الْحُكَمَاءِ أَنَّكَ سَتَلْتَقِي بِجَاسُوسٍ يَنْقُلُ لَكَ الْأَخْبَارَ مِنْ غَابَةِ الْأَعْدَاءِ، وَتُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ الْلِقَاءِ وَمَوْعِدِهِ، ثُمَّ نُرَاقِبُ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ بَعِيدٍ، فإِذَا ذَهَبَ الْأَعْدَاءُ إِلَى هُنَاكَ فَعِنْدَهَا نَتَّكِدُ أَنَّ هُنَاكَ خَائِنًا بَيْنَنَا.

افْتَتَحَ الْأَسَدُ بِهَذِهِ الْفِكْرَةَ، وَقَامَ بِتَنْفِيذِهَا، وَتَأَكَّدَ أَنَّ هُنَاكَ خَائِنًا فِي مَجْلِسِ الْحُكَمَاءِ، وَأَخْبَرَ فَرَحَانَ بِذَلِكَ وَسَأَلَهُ: كَيْفَ نُمْسِكُ بِهِذَا الْخَائِنَ؟... قَالَ فَرَحَانُ: يُمَكِّنُنَا أَنْ نَسْتَجُوبَ الْحُكَمَاءَ الْعَشْرَةَ وَنُحَقِّقَ مَعَهُمْ حَتَّى يَعْتَرِفَ الْخَائِنُ... قَالَ الْأَسَدُ: إِنَّ الْخَائِنَ لَنْ يَعْتَرِفَ بِسُهُولَةٍ، كَمَا أَنَّنَا سَنَشَوُّهُ سُمْعَةَ الْحُكَمَاءِ الْعَشْرَةِ... قَالَ فَرَحَانُ: فَمَا رَأَيْكَ أَنْ نُخْبِرَ الْحُكَمَاءَ أَنَّ بَيْنَهُمْ خَائِنًا، وَنُقَدِّمَ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً لِمَنْ يَكْشِفُهُ؟... قَالَ الْأَسَدُ: هَكَذَا سَيُحَذِّرُ الْخَائِنَ وَيُخْفِي جَمِيعَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تُثَبِّتُ خِيَانَتَهُ، وَإِذَا أَحَسَّ أَنَّنَا نَقْتَرِبُ مِنَ الْإِمْسَاكِ بِهِ سَيَهْرُبُ... قَالَ فَرَحَانُ: إِذَا نَفْتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ أَمَامَ الْخَائِنِ، وَنُعْلِنُ أَنَّنَا سَنَعْفُو عَنْهُ إِذَا اعْتَرَفَ بِجَرِيمَتِهِ... زَارَ الْأَسَدُ وَقَالَ: نَحْنُ لَا نَعْفُو عَنِ الْخِيَانَةِ أَبَدًا، فَالْعَفْوُ عَنِ الْخَائِنِ خِيَانَةٌ لِسُكَّانِ الْغَابَةِ جَمِيعًا.

سَكَتَ فَرَحَانُ وَأَخَذَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأَسَدِ وَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْتُهَا، سَتَدْعُو مَجْلِسَ الْحُكَمَاءِ لِلاجْتِمَاعِ، وَتُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ الْأَسْرَارِ الْخَطِيرَةِ، وَبَعْدَ الْاجْتِمَاعِ سَيَذْهَبُ الْخَائِنُ لِتَبْلِيغِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ لِعَابَةِ

الأشرار، وَعِنْدَهَا نَقِيبُ عَلَيْهِ مُتَلَبِّسًا... قَالَ الْأَسَدُ: كَيْفَ؟... قَالَ فِرْحَانُ:
فِي الْاجْتِمَاعِ سَتَضَعُ عِطْرًا لِلْحُكَمَاءِ الْعَشْرَةِ، تَعْبِيرًا عَنْ تَقْدِيرِكَ لَهُمْ،
وَبَعْدَ الْاجْتِمَاعِ سَنَجْعَلُ عَشْرَةَ كِلَابٍ تَشُمُّ هَذَا الْعِطْرَ، وَكُلُّ كَلْبٍ مِنْهُمْ
يَتَّبَعُ أَثَرَ أَحَدِ الْحُكَمَاءِ، وَهَكَذَا تُمَسِّكُ بِالْخَائِنِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَفَقَ الْأَسَدُ عَلَى هَذِهِ الْخُطَّةِ، وَسَاعَدَهُ فِرْحَانُ فِي تَنْفِيزِهَا، وَقَبَضَا
عَلَى الْقِرْدِ الْخَائِنِ، فَسَأَلَهُ الْأَسَدُ مُتَعَجِّبًا: مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَخُونُ غَابَتَنَا
وَأَنْتَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ الْعَشْرَةِ؟... قَالَ الْقِرْدُ: هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءُ هُمْ سَبَبُ
خِيَانَتِي، فَقَدْ كَانُوا يَحْتَقِرُونِي لِأَنِّي قِرْدٌ، وَيَسْخَرُونَ مِنِّي، وَلَا يَحْتَرِمُونَ
كَلَامِي، وَفِي كُلِّ اجْتِمَاعٍ يُجْلِسُونِي فِي أَسْوَأِ مَكَانٍ، وَإِذَا جِئْتُ مُتَأَخِّرًا لَا
يُفْسِحُونَ لِي، وَإِذَا جِئْتُ مُبَكِّرًا وَجَلَسْتُ فِي مَكَانٍ جَيِّدٍ أَمْرُونِي أَنْ أَقُومَ
مِنْهُ لِيَجْلِسَ فِيهِ أَحَدُهُمْ، أَمَّا غَابَةُ الْأَعْدَاءِ فَقَدْ عَامَلُونِي فِي مَجَالِسِهِمْ
بِاخْتِرَامٍ شَدِيدٍ، وَرَفَعُوا شَأْنِي بَيْنَهُمْ، فَأَحَبَّبَتْهُمْ وَكَرِهَتْكُمْ، وَسَاعَدَتْهُمْ
وَخُنْتُكُمْ... قَالَ الْأَسَدُ: إِنَّ مَا حَدَثَ مَعَكَ فِي مَجْلِسِ الْحُكَمَاءِ خَطَأٌ كَبِيرٌ،
لَكِنَّهُ لَا يُبَرِّرُ الْخِيَانَةَ أَبَدًا، لِذَلِكَ سَنُنْزِلُ بِكَ أَشَدَّ الْعِقَابِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ
الْحُكَمَاءُ الَّذِينَ عَامَلُوكَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُهِينَةِ فَقَدْ أَثْبَتُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا
بِحُكَمَاءَ، وَلَا يَسْتَحِقُّونَ الْمَكَانَةَ الَّتِي وَضَعْتُهُمْ فِيهَا، وَلَمْ يَعُدْ لَهُمْ مَكَانٌ
فِي الْمَجْلِسِ، وَسَأَخْتَارُ غَيْرَهُمْ بِعِنَايَةٍ، وَأَتَأَكَّدُ بِنَفْسِي أَنَّ مَجْلِسَ الْحُكَمَاءِ
الْجَدِيدَ يَسُودُهُ الْحُبُّ وَالْاحْتِرَامُ وَالتَّقْدِيرُ.



مكتبة

t.me/soramnqraa

فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة مَجْلِسِ الْحُكَمَاءِ...

• تَكَلَّمَ مَعَهُمْ عَنْ آدَابِ الْمَجَالِسِ، وَدَرَّبَهُمْ عَلَيْهَا بِطَرِيقَةٍ تَمَثِّلِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ إِلْقَاءُ السَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَجْلِسِ وَقَبْلَ مُغَادَرَتِهِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيَسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيَسَلِّمْ؛ فَلْيَسِتِ الْأَوَّلَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ» [صحيح أبي داود للألباني ح ر 5208]، وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ أَلَّا تُقِيمَ أَحَدًا لِيَتَجَلَّسَ مَكَانَهُ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرُ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ مَكَانَهُ، وَقَالَ ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنَ مَقْعَدِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»، وَمِنْ آدَابِ الْمَجَالِسِ عَدَمُ الْجُلُوسِ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِإِذْنِهِمَا، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَجْلِسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا» [صحيح أبي داود للألباني ح ر 4844]، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَابْنِهِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «لَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَابْنِهِ فِي الْمَجْلِسِ» [السلسلة الصحيحة للألباني ح ر 3556].

• اسْأَلْ أَبْنَاءَكَ: لِمَاذَا نَتَعَلَّم؟ ثُمَّ تَكَلَّمَ مَعَهُمْ عَنْ فَضْلِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي (يطلب) فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْجِبَتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِمَّا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافٍ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 2682، وتخریج صحيح ابن حبان لشعيب الأرناؤوط ح ر 88 وقال: حديث حسن].

صَدَقَةُ الْمُنَاجَاةِ

بَدَأَتِ الْإِجَازَةُ الصَّيْفِيَّةُ، وَأَخْبَرَ الشَّيْخُ طَلَّابَهُ أَنَّهُ سَيُضَاعَفُ عَدَدَ الْآيَاتِ الَّتِي يَحْفَظُونَهَا فِي الْيَوْمِ، فَأَعْتَرَضَ الْأَوْلَادُ، وَحَاوَلُوا إِقْتِنَاعَ شَيْخِهِمْ بِالْغَاءِ هَذَا الْقَرَارِ، لَكِنَّهُمْ فَشِلُوا فِي ذَلِكَ، فَاتَّفَقُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى حِيلَةٍ مَآكِرَةٍ تُرِيحُهُمْ مِنَ الْحِفْظِ، وَتُعْطِيهِمْ فُرْصَةً أَكْبَرَ لِلْعِبِّ وَالْمَرَحِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرُوا جَمِيعًا إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ مُسْتَعِدِّينَ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمُ الشَّيْخُ عَنِ الْحِفْظِ سَأَلُوهُ عَنْ مَعْنَى إِحْدَى الْآيَاتِ، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَغَيْرِهَا، وَشَغَلُوا شَيْخَهُمْ بِالكَثِيرِ مِنَ الْأَسْئَلَةِ حَتَّى انْتَهَى وَقْتُ الْحَلَقَةِ، وَانْصَرَفُوا دُونَ حِفْظِ أَوْ تَسْمِيعِ، وَنَجَحَتْ خُطَّتُهُمُ الْمَآكِرَةُ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي تَهَرَّبُوا مِنَ الْحِفْظِ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا، وَأَجَابَ الشَّيْخُ عَنْ أَسْئَلَتِهِمْ بِكُلِّ سَعَادَةٍ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ حَضَرُوا إِلَى الْحَلَقَةِ وَمَعَهُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ، فَفُوجِئُوا بِالشَّيْخِ يَقُولُ لَهُمْ: لَنْ أُجِيبَ عَنْ أَسْئَلَتِكُمْ مَجَّانًا، فَمَنْ يَسْأَلُ سُؤَالَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ مَالًا، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ لَدَيْكُمْ أَسْئَلَةٌ سَنَبْدَأُ تَسْمِيعَ الْحِفْظِ فَوْرًا... نَظَرَ الْأَوْلَادُ لِبَعْضِهِمْ فِي دُهُولٍ، وَخَافُوا مِنْ كَشْفِ خُدَعَتِهِمْ، وَجَمَعُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ نُقُودٍ بِسُرْعَةٍ، وَدَفَعُوهَا ثَمَنًا لِلْأَسْئَلَةِ، وَنَجَّوْا بِأَعْجُوبَةٍ.

وَاسْتَمَرَ هَذَا الْحَالُ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَدَفَعَ الْأَوْلَادُ نُقُودًا كَثِيرَةً ثَمَنًا لِأَسْئَلَتِهِمْ، وَلَمْ يَعُودُوا قَادِرِينَ عَلَى الاسْتِمْرَارِ، فَتَوَقَّفُوا عَنِ السُّؤَالِ وَالْخِدَاعِ،

وَحَفِظُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتٍ، فَابْتَاسَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَحَسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي،
وَالآنَ لَكُمْ عِنْدِي مُفَاجَأَةٌ، إِنَّ النُّقُودَ الَّتِي دَفَعْتُمُوهَا ثَمَنًا لِلْأَسْلَةِ
سَنَتَّصَدَّقُ بِهَا كُلَّهَا؛ حَتَّى يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، فَقَدْ خَدَعْتُمْ شَيْخَكُمْ،
وَتَهَرَّبْتُمْ مِنْ حِفْظِ كِتَابِ رَبِّكُمْ... نَظَرَ الْأَوْلَادُ لِبَعْضِهِمْ بَاسْتِغْرَابٍ،
فَضَحِكَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَقَدْ كَشَفْتُ خُدَعَتَكُمْ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ!!!

اعْتَذَرَ الْأَوْلَادُ لِشَيْخِهِمْ، وَوَعَدُوهُ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الْحِفْظِ، وَأَنْ يُعَوِّضُوا
مَا فَاتَهُمْ بِسَبَبِ الْخِدَاعِ، فَسَامَحَهُمُ الشَّيْخُ وَدَعَا لَهُمْ بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ:
الْآيَاتُ الَّتِي سَنَحْفَظُهَا الْيَوْمَ هِيَ الَّتِي سَاعَدَتْنِي عَلَى فَهْمِ خُدَعَتِكُمْ،
وَجَعَلَتْنِي أَتَعَامَلُ مَعَكُمْ بِصَبْرٍ وَحِكْمَةٍ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ
فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 12، 13].

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: كَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَطْلُبُ مِنَ النَّبِيِّ
ﷺ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُ عَلَى انْفِرَادٍ لِيُكَلِّمَهُ فِي أَمْرِ خَاصٍّ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ
يَسْتَجِيبُ لِلْجَمِيعِ وَلَا يَرْفُضُ طَلِبَ أَحَدٍ، فَكَثُرَ هَذَا الْأَمْرُ، وَأَرْهَقَ النَّبِيُّ
ﷺ وَاتَّعَبَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ
فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: 12]، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَرَادُوا مُنَاجَاةَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ
يُقَدِّمُوا صَدَقَةً لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَمُنَاجَاةَ النَّبِيِّ ﷺ (تَعْنِي: لِقَاؤُهُ عَلَى
انْفِرَادٍ وَالتَّكَلُّمَ مَعَهُ سِرًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ)... قَالَ فَرِحَانُ: وَمَا مِقْدَارُ هَذِهِ

الصَّدَقَةُ؟... قَالَ الشَّيْخُ: لَمْ تُحَدِّدِ الْآيَةَ مِقْدَارَ الصَّدَقَةِ لِتَشْمَلَ الْقَلِيلَ
وَالكَثِيرَ؛ تَيَسِّرًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَتَى تُقَدِّمُ هَذِهِ الصَّدَقَةَ؟...
قَالَ الشَّيْخُ: تُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ قَبْلَ لِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُنَاجَاتِهِ بِقَلِيلٍ.

ثُمَّ نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ وَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَ لِمَاذَا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْ يَتَصَدَّقُوا قَبْلَ مُنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ؟... قَالَ الْأَوْلَادُ: اللَّهُ أَعْلَمُ... قَالَ
الشَّيْخُ: لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِصَدَقَةِ الْمُنَاجَاةِ تَأْذِيْبًا لِلْمُسْلِمِينَ وَتَعْلِيمًا
لَهُمْ، وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِشْعَارًا بِأَنْ مُنَاجَاتِهِ ﷺ شَيْءٌ لَا يُنَالُ
بِسُهُوْلَةٍ، وَلِلتَّخْفِيفِ عَنْهُ ﷺ حَتَّى يَتَفَرَّغَ لِلْمَهَامِ الْعُظْمَى الَّتِي كَلَّفَهُ
اللَّهُ بِهَا، وَعَدَمِ إِشْغَالِهِ ﷺ بِالْأُمُورِ غَيْرِ الْمُهَمَّةِ، وَشَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى
هَذِهِ الصَّدَقَةَ نَفْعًا لِلْفُقَرَاءِ، وَتَمْيِيزًا لِمَنْ يُحِبُّ الرَّسُولَ ﷺ بِصَدَقِ
وَيُضْحِي بِمَالِهِ لِيُفُوزَ بِمُنَاجَاتِهِ ﷺ.

صَاحَ الْأَوْلَادُ جَمِيعًا وَقَالُوا: لَوْ كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَتَصَدَّقْنَا بِكُلِّ مَا
مَلَكَ حَتَّى نَحْظِيَ بِشَرَفِ لِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُنَاجَاتِهِ... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ
وَقَالَ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ
الْآيَةِ؟... قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ تَوَقَّفَ كَثِيرُونَ عَنْ مُنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ...
تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنَّ بَعْضَهُمْ
لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ مُنَاجَاةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَمْرِ مُهِمٍّ، وَهُنَاكَ مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ
كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ فَقِيرًا
لَا يَمْلِكُ الْمَالَ الَّذِي يَتَصَدَّقُ بِهِ قَبْلَ الْمُنَاجَاةِ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: وَهَلْ
حُرِّمَ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءُ مِنْ مُنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِسَبَبِ فَقْرِهِمْ؟!!!... قَالَ
الشَّيْخُ: لَا يَا بَنِي، لَقَدْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَلَطَّفَ بِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿... فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَعْنِي: فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ بِسَبَبٍ فَقَرِكُمْ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَسَامَحَكُمْ، وَأَبَاحَ لَكُمْ مُنَاجَاةَ النَّبِيِّ ﷺ بِدُونِ تَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ.

دَمَعْتُ عَيْنًا فَرحَانُ وَقَالَ: مَا أَرْحَمَ اللَّهُ بِالْفُقَرَاءِ... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْحَمْ الْفُقَرَاءَ فَقَطْ يَا بُنَيَّ، بَلْ رَحِمَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، فَقَدْ خَافَ الصَّحَابَةُ مِنْ اسْتِمْرَارِ هَذَا الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ يُحِبُّونَ النَّبِيَّ ﷺ وَيَشْتَاقُونَ لِمُنَاجَاتِهِ، وَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى خَوْفَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَشَقَّةَ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ كُلِّ مُنَاجَاةٍ، سَهَّلَ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ، وَسَمَحَ لَهُمْ جَمِيعًا بِمُنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِدُونِ تَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 13]، وَهَكَذَا تَوَقَّفَ الْعَمَلُ بِصَدَقَةِ الْمُنَاجَاةِ، وَبَقِيَ التَّعْظِيمُ لِلرَّسُولِ ﷺ وَالاحْتِرَامُ لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَتَعَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ كَيْفَ يَكُونُ الْأَدَبُ فِي مُنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

شَكَرَ فَرحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي انْطَلَقَ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَهُ الْيَوْمِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ذَهَبَ لِمُزَارَعَةِ الْحَكِيمِ الْغَابَةِ، فَلَمْ يَجِدْهُ فِي بَيْتِهِ، وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى الْبَابِ «الْمَنْزِلُ لِلْبَيْعِ»، فَتَعَجَّبَ فَرحَانُ وَسَأَلَ الْجِيرَانَ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَرَّرَ أَنْ يَرْحَلَ عَنِ الْغَابَةِ، وَعَرَضَ بَيْتَهُ لِلْبَيْعِ، وَقَدْ غَادَرَ مِنْذُ دَقَائِقَ.

جَرَى فَرحَانُ بِسُرْعَةٍ وَلَحِقَ بِالْحَكِيمِ فِي الطَّرِيقِ، وَنَادَى عَلَيْهِ قَائِلًا: أَيُّهَا الْحَكِيمُ، هَلْ سَتُغَادِرُ دُونَ أَنْ تُودِّعَنِي؟... نَظَرَ الْحَكِيمُ نَحْوَهُ وَقَالَ:

سَامِحْنِي يَا صَدِيقِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّنِي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الرَّحِيلِ... قَالَ فَرحَانُ:
وَلِمَاذَا تَرْحَلُ عَنِ الْغَابَةِ وَالْجَمِيعُ يُحِبُّكَ؟!... تَنْهَدَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: لِأَنَّ
حَيَاتِي هُنَا أَصْبَحَتْ صَعْبَةً وَمُسْتَحِيلَةً، فَاسْتِشَارَاتُ سُكَانِ الْغَابَةِ لَا تَتَوَقَّفُ
لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، وَتَسْتَهْلِكُ كَثِيرًا مِنْ وَقْتِي وَصِحَّتِي وَحَيَاتِي، وَلِلْأَسَفِ هُنَاكَ
كَثِيرٌ مِنَ الْاسْتِشَارَاتِ تَكُونُ فِي أُمُورٍ تَافِهَةٍ، وَلَا يُمَكِّنُنِي الْاِعْتِدَارُ عَنْهَا؛
حَتَّى لَا تَحْزَنَ الْحَيَوَانَاتُ... ابْتَسَمَ فَرحَانُ وَقَالَ: وَكَمْ تَدْفَعُ لِمَنْ يَحُلُّ
لَكَ هَذِهِ الْمُسْكِلَةَ؟... قَالَ الْحَكِيمُ سَاحِرًا: لَقَدْ حَلَلْتُ مِائَاتَ الْمَشَاكِلِ دُونَ
مُقَابِلِ، فَهَلْ سَتَأْخُذُ أَنْتَ ثَمَنًا لِحَلِّ مُشْكِلَتِي؟!... ضَحِكَ فَرحَانُ وَقَالَ: لَقَدْ
اقْتَرَبْتُ مِنَ الْحَلِّ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، فَأَنْتَ تُقَدِّمُ الْاسْتِشَارَاتِ مَجَانًّا،
وَهَذَا يَسْمَحُ لِأَصْحَابِ الْمَشَاكِلِ التَّافِهَةِ بِإِضَاعَةِ وَقْتِكَ وَجُهْدِكَ، وَلَوْ جَعَلْتَ
الْاسْتِشَارَاتِ بِمُقَابِلِ مَادِّي، فَلَنْ يَأْتِيكَ إِلَّا أَصْحَابُ الْمَشَاكِلِ الْحَقِيقِيَّةِ.

سَكَتَ الْحَكِيمُ لِحِطَاتٍ، ثُمَّ صَاحَ قَائِلًا: أَحَسَنْتَ يَا صَدِيقِي، وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ
تَسْتَحِقُّ أَنْ أُعْزِمَكَ عَلَى وَجِبَةٍ شَهِيَّةٍ، فَهَيَّا بِنَا نَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي، وَسَاطِبْخُ لَكَ
الطَّعَامَ بِنَفْسِي... ابْتَسَمَ فَرحَانُ وَقَالَ: شُكْرًا لَكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، لَكِنِّي مُضْطَرٌّ
لِلرَّحِيلِ الْآنَ حَتَّى لَا أَتَأَخَّرَ عَلَى أُمِّي، وَأَعِدُّكَ أَنَّنِي سَأُزُورُكَ فِي أَقْرَبِ فُرْصَةٍ.

رَجَعَ فَرحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ قَرَّرَ أَنْ يَزُورَ الْحَكِيمَ لِيَطْمَئِنَّ
عَلَيْهِ وَيَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ مَعَهُ، وَفِي الطَّرِيقِ وَجَدَ الْغَزَالَ تَجَلِسُ بَاكِئَةً،
فَسَأَلَهَا: عَنْ سَبَبِ حُزْنِهَا، فَقَالَتْ: لَقَدْ احْتَجَجْتُ إِلَى اسْتِشَارَةِ حَكِيمِ
الْغَابَةِ فِي أَمْرِ مُهِمٍّ، لَكِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ مُقَابَلَتَهُ بِسَبَبِ فَقْرِي، فَأَنَا لَا
أَمْلِكُ مَا أَدْفَعُهُ ثَمَنًا لِتِلْكَ الْاسْتِشَارَةِ... قَالَ فَرحَانُ: لَا تَحْزَنِي أَيْتُّهَا
الْغَزَالَةُ، سَأَحُلُّ هَذِهِ الْمُسْكِلَةَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَانْطَلَقَ فِرْحَانُ نَحْوَ بَيْتِ الْحَكِيمِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ اسْتَقْبَلَهُ الْحَكِيمُ مُبْتَسِمًا وَقَالَ: أَبَشِّرْكَ يَا صَدِيقِي لَقَدْ نَجَحْتَ فِكْرُكَ، فَالاسْتِشَارَاتُ أَصْبَحَتْ قَلِيلَةً بَعْدَ أَنْ جَعَلْنَاهَا بِمُقَابِلِ مَادِّي، وَنَفَعْنِي هَذَا الْمَالُ كَثِيرًا، وَلِذَلِكَ سَأُحْضِرُ لَكَ كُلَّ مَا تَتَمَنَّاهُ مِنْ أَطْعَمَةٍ... تَنْهَدَ فِرْحَانُ وَقَالَ: لَكِنْ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ... قَالَ الْحَكِيمُ: خَيْرًا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ فِرْحَانُ: إِنَّ فُقَرَاءَ الْغَابَةِ لَا يُمَكِّنُهُمْ مُقَابَلَتُكَ لِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ ثَمَنَ الْاسْتِشَارَةِ!!!... قَالَ الْحَكِيمُ: لَا مُشْكِلَةَ، سَنَجْعَلُ اسْتِشَارَاتِ الْفُقَرَاءِ مَجَانًّا... صَاحَ فِرْحَانُ قَائِلًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْآنَ هَاتِ الْأَكْلَ بِسُرْعَةٍ، فَأَنَا جَوْعَانٌ!!!!!!

تَنَاوَلَ فِرْحَانُ الطَّعَامَ مَعَ حَكِيمِ الْغَابَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ قِطْرَةٍ زَارَ الْحَكِيمَ مَرَّةً أُخْرَى، وَمَا إِنَّ رَأَاهُ الْحَكِيمُ حَتَّى صَاحَ قَائِلًا: لَقَدْ جِئْتَ فِي وَقْتِكَ تَمَامًا... قَالَ فِرْحَانُ: هَلْ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ؟!!!... قَالَ الْحَكِيمُ: نَعَمْ، فَبَعْدَ أَنْ جَعَلْنَا اسْتِشَارَاتِ الْفُقَرَاءِ مَجَانِّيَّةً، اعْتَرَضَ الْأَغْنِيَاءُ عَلَى ذَلِكَ، وَطَلَبُوا مُساوَاتِهِمْ بِالْفُقَرَاءِ... قَالَ فِرْحَانُ: لَا مُشْكِلَةَ، اقْبَلْ طَلَبَهُمْ وَاجْعَلْ اسْتِشَارَاتِهِمْ مَجَانِّيَّةً، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُكَ أَنْتَ أَيْضًا مَجَانِّيَّةً... تَعَجَّبَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!!!... قَالَ فِرْحَانُ: تَسْكُنُ فِي بُيُوتِ الْأَغْنِيَاءِ مَجَانًّا، وَيَأْتِيكَ مَا تَحْتَاجُهُ مِنْ مَحَلَّاتِهِمْ مَجَانًّا، وَتَأْخُذُ مَا تُرِيدُ مِنْ أَرْضِهِمْ مَجَانًّا، فَإِنْ وَاَفَّقُوا عَلَى ذَلِكَ فَلَا مُشْكِلَةَ، وَإِذَا رَفَضُوا نَكُونُ قَدْ حَلَلْنَا الْمُسْكِلَةَ... ابْتَسَمَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ.

فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة صَدَقَةِ الْمَنَاجَاةِ...

● اسأَلَهُمْ: عَنْ رَأْيِهِمْ فِي الْفِكْرَةِ الَّتِي افْتَرَحَهَا فَرحَانٌ لِلتَّعَامُلِ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ؟ وَهَلْ سَيَقْبَلُ الْأَغْنِيَاءُ شَرْطَ الْحَكِيمِ أَمْ سَيَرْفُضُونَهُ؟ وَكَيْفَ سَيَتَصَرَّفُ الْحَكِيمُ فِي حَالِ الْقَبُولِ أَوْ الرَّفْضِ؟ وَهَلْ هُنَاكَ فِكْرَةٌ أُخْرَى لِحَلِّ هَذِهِ الْمَشْكِلةِ؟

● تَكَلَّمْ مَعَ أَبْنَائِكَ عَنْ أَهْمِيَّةِ الْوَقْتِ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟» [صحيح الترمذ للالباني ج 2 ر 3592، وصحيح الترمذي ح ر 2417]، فَقَدِّمِ الْعَبْدَ لَنْ تَتَحَرَّكَ مِنْ مَوْضِعِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَلِذَلِكَ حَثَّنَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْأَوْقَاتِ فِي عَمَلِ الْخَيْرَاتِ فَقَالَ ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» [تخريج رياض الصالحين لشعيب الأرنؤوط 1 / 204 وقال: إسناده حسن، وصحيح الترمذ للالباني ح ر 3355].

● اسأَلْ أَبْنَاءَكَ: مَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُضَيِّعُ أَوْقَاتَنَا؟ وَكَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَهَا؟ ثُمَّ صَغِّعْ مَعَهُمْ خُطَّةً مُنَاسِبَةً لاسْتِغْلَالِ أَوْقَاتِهِمْ، وَسَاعِدْهُمْ عَلَى تَنْفِيزِهَا.

● أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ أَجْرًا مُقَابِلَ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ، وَهَذَا حَالُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَلِيءٌ بِالآيَاتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ ذَلِكَ.

● قُلْ لِأَبْنَائِكَ: إِذَا كُنَّا قَدْ حُرُمْنَا مِنْ لِقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَمُنَاجَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهَنَاكَ فُرْصَةٌ لِلْقَائِهِ ﷺ وَمُرَافَقَتِهِ فِي الْجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَاجْعَلْهُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ كَيْفِيَّةِ حُدُوثِ ذَلِكَ، وَشَارِكُهُم الْعَمَلَ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمِّيَّةِ الْعَظِيمَةِ.

● اسأَلْ أَبْنَاءَكَ: كَمْ نِدَاءٍ وَجَّهَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ فِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ؟ ثُمَّ فَكِّرْ مَعَهُمْ فِي كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ بِهَا مِمَّا يُنَاسِبُ أَعْمَارَهُمْ، وَشَجِّعْهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

الفيل هدام

ذات يوم ذهب فرحان وزملاؤه إلى حلقة التَّحْفِيز، فَوَضَعَ الشيخُ أَمَامَهُمْ كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنَ الْمَكْعَبَاتِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: قَبْلَ الْحِفْظِ سَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِبِنَاءِ بَيْتٍ بِاسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْمَكْعَبَاتِ، وَهُنَاكَ جَائِزَةٌ لِصَاحِبِ أَجْمَلِ بَيْتٍ، وَأَمَامَكُمْ نِصْفُ سَاعَةٍ لِإِنْجَازِ هَذِهِ الْمُهْمَةِ... تَحْمَسَ الْأَوْلَادُ، وَاجْتَهَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي بِنَاءِ بَيْتٍ مُتَمَيِّزٍ، وَانْتَهَى الْوَقْتُ الْمَحْدَدُ، فَأَمَرَهُمُ الشَّيْخُ بِالتَّوَقُّفِ عَنِ الْعَمَلِ، وَتَفَحَّصَ مَا صَنَعُوهُ جَيِّدًا، ثُمَّ قَالَ: الْبُيُوتُ كُلُّهَا جَمِيلَةٌ، وَلِذَلِكَ سَأَقْسِمُ الْجَائِزَةَ بَيْنَكُمْ جَمِيعًا.

صَاحَ الْأَوْلَادُ فِي سَعَادَةٍ، وَأَخْرَجَ الشَّيْخُ كَيْسًا مِنَ الْحَلَوَى اللَّذِيذَةِ وَوَزَعَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: الْآنَ سَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِهَدْمِ الْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ... فَسَكَتَ الْأَوْلَادُ فَجَاءَةً، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ عَلَامَاتُ الْحُزْنِ، ثُمَّ هَدَمُوا الْبُيُوتَ فِي صَمْتٍ، فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: لَقَدْ بَنَيْتُمْ هَذِهِ الْبُيُوتَ مِنَ الْمَكْعَبَاتِ فِي نِصْفِ سَاعَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ شَعَرْتُمْ بِالْحُزْنِ عِنْدَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهَدْمِهَا، فَمَا رَأَيْتُمْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يَمْلِكُونَ بُيُوتًا جَمِيلَةً، وَعَاشُوا فِيهَا سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، ثُمَّ هَدَمُوهَا وَخَرَّبُوهَا بِأَيْدِيهِمْ؟!!!... تَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا شَيْخَنَا؟! وَلِمَاذَا هَدَمُوا بُيُوتَهُمْ؟! وَأَيْنَ سَكَنُوا بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: اهْدُؤُوا، وَسَاحِي لَكُمْ قِصَّتَهُمْ.

وَجَلَسَ الشَّيْخُ فِي مَكَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ يَسْكُنُهَا قَبِيلَتِي الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

تَعَالَى وَنَصَرُوا رَسُولَهُ ﷺ، وَكَانَ يَسْكُنُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ مِنْ قَبَائِلِ الْيَهُودِ هُمْ: بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَبَنِي قَرْيُظَةَ... وَعِنْدَمَا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا اجْتَمَعَ مَعَ زُعَمَاءِ الْيَهُودِ، وَعَقَدَ مَعَهُمْ مُعَاهَدَةً تَنْظُمُ عِلَاقَتَهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ، لِيَعِيشُوا مَعًا فِي سَلَامٍ وَأَمَانٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَفِيَا مِمَّا عَاهَدَهُمْ عَلَيْهِ، أَمَّا الْيَهُودُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا بِهِذِهِ الْمُعَاهَدَةَ، وَخَانُوا الرَّسُولَ ﷺ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ عِقَابًا لَهُمْ... قَالَ فَرَحَانُ: وَهَلْ طَرَدَ النَّبِيُّ ﷺ قَبَائِلَ الْيَهُودِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ دُفْعَةً وَاحِدَةً؟... قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَقَدْ كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ خِيَانَةٌ خَاصَّةٌ، وَلَمْ يُعَاقِبِ النَّبِيُّ ﷺ قَبِيلَةً بِسَبَبِ مَا فَعَلَتْهُ الْأُخْرَى، وَالْيَوْمَ سَأُحْكِي لَكُمْ عَنْ خِيَانَةِ بَنِي النَّضِيرِ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ أَرَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَجْمَعُوا مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ لِلْقِيَامِ بِأَحَدِ الْأَعْمَالِ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُسَاهِمُوا مَعَهُمْ؛ وَفَاءً بِالْمُعَاهَدَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْيَهُودُ بِالْتَّرْحَابِ، وَقَالُوا: نَفْعَلْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَاجْلِسْ هُنَا حَتَّى نُخْضِرَ لَكَ مَا طَلَبْتَ... فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَوَارِ أَحَدِ بُيُوتِهِمْ يَنْتَظِرُ وَفَاءَهُمْ مِمَّا وَعَدُوا، وَجَلَسَ مَعَهُ ﷺ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَلَا الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَتَأَمَّرُوا عَلَى قَتْلِهِ ﷺ، وَقَالُوا لِبَعْضِهِمْ: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا فُرْصَةً أَحْسَنَ لِقَتْلِ مُحَمَّدٍ، فَمَنْ مِنْكُمْ يَصْعَدُ فَوْقَ هَذَا الْبَيْتِ وَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً كَبِيرَةً فَيُرِيحَنَا مِنْهُ... فَتَطَوَّعَ أَحَدُهُمْ لِلْقِيَامِ بِهِذِهِ الْمُهْمَّةِ الْخَبِيثَةِ، وَصَعَدَ فَوْقَ الْبَيْتِ، وَاسْتَعَدَّ لِلْإِقَاءِ الصَّخْرَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

صَاحَ فَرَحَانُ فِي فَرْعٍ وَقَالَ: وَهَلْ نَجَحَ هَذَا الْمُجْرِمُ فِي إِيْذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ؟!!! قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْ

عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَأَخْبَرَهُ مُؤَامَرَةَ الْيَهُودِ، فَقَامَ ﷺ مُسْرِعًا، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَحِقَهُ أَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرَهُمْ ﷺ بِمُؤَامَرَةِ الْيَهُودِ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ رِسَالَةً يَأْمُرُهُمْ فِيهَا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى خِيَانَتِهِمْ، وَسَمَحَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمْ كُلَّ مَا أَرَادُوا مِنْ سِلَاحٍ وَأَمْوَالٍ، وَأَعْطَاهُمْ مُهَلَّةً عَشْرَةَ أَيَّامٍ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ فَعَلَ بَنُو النَّضِيرِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؟ ... قَالَ الشَّيْخُ: لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ خِيَارٌ آخَرُ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ خَانُوا وَغَدَرُوا وَاسْتَحَقُّوا الطَّرْدَ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلِذَلِكَ بَدُّوا يَتَجَهَّزُونَ لِلرَّحِيلِ، لَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَأَلَ -زَعِيمُ الْمُتَنَافِقِينَ- نَصَحَهُمْ أَلَّا يُنْفِذُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَنْصَرَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ سَيَذْهَبُ إِلَيْهِمْ وَمَعَهُ أَلْفَانِ مِنَ الْمُحَارِبِينَ، فَصَدَّقُوهُ وَأَطَاعُوهُ، وَأَرْسَلُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ رِسَالَةً يَقُولُونَ فِيهَا: إِنَّنَا لَنْ نَخْرُجَ مِنْ دِيَارِنَا، فَاصْنَعْ مَا تُرِيدُ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا وَصَلَتْهُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ؟ ... قَالَ الشَّيْخُ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّجَهُّزِ لِلْقِتَالِ، وَخَرَجُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ وَحَاصَرُوهُمْ، فَالْتَجَأَ بَنُو النَّضِيرِ إِلَى حُصُونِهِمْ وَتَحَصَّنُوا بِهَا، وَانْتَظَرُوا الْمُسَاعَدَةَ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا الْمُتَنَافِقُونَ عِدَّةَ أَيَّامٍ، لَكِنَّهُمْ خَانُوهُمْ وَتَخَلَّوْا عَنْهُمْ، وَقَذَفَ اللَّهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْيَهُودِ، فَقَرَّرُوا الِاسْتِسْلَامَ، وَطَلَبُوا مِنَ الرُّسُولِ ﷺ أَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ، فَوَافَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ بِشَرْطٍ أَنْ يَتْرَكُوا سِلَاحَهُمْ، وَلَا يَأْخُذُوا مَعَهُمْ إِلَّا مِقْدَارَ مَا تَحْمِلُهُ الْجِمَالُ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ مَهْزُومِينَ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ سُورَةُ الْحَشْرِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِ الْآبَصِرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ [الحشر: 1 - 4].

قَالَ فِرْحَانُ: وَكَيْفَ خَرَّبَ بَنُو النَّضِيرِ بُيُوتَهُمْ يَا شَيْخَنَا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ خَانُوا الرَّسُولَ ﷺ وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي خَرَابِ بُيُوتِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْهَا، وَلَمَّا سَمَحَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا تَحْمِلُهُ الْجِمَالُ كَانَ أَحَدُهُمْ يَهْدِمُ جِدَارَ بَيْتِهِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ خَشَبَةً أَوْ بَابًا أَوْ شَبَّاكًا، وَلَقَدْ كَانَتْ بُيُوتُهُمْ مُزْخَرَفَةً وَجَمِيلَةً، فَخَرَّبُوهَا بِأَيْدِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتْرُكُوهَا حَتَّى لَا يَسْكُنَهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُمْ.

شَكَرَ فِرْحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ، وَحَفِظَ أَوَّلَ أَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَجَوَّلُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، فَمَرَّ عَلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ تَجْلِسُ بَاكِئَةً وَحَزِينَةً، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَسَلَّاهُمْ: عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْفِيلَ (هَذَا) قَدْ خَرَّبَ بُيُوتَهُمْ جَمِيعًا، فَتَعَجَّبَ فِرْحَانُ وَتَسَاءَلَ: عَنْ السَّبَبِ الَّذِي جَعَلَ الْفِيلَ يَفْعَلُ ذَلِكَ...

فَقَالَ الْحِمَارُ: إِنِّي أَسْكُنُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْفِيلِ هَذَا، وَلَقَدْ هَدَمَ بَيْتِي لِأَنَّ صَوْتَ نَهْيَقِي يُزْعِجُهُ، وَيُرِيدُنِي أَنْ أَرْحَلَ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.

وقالت النملة: مُنْذُ يَوْمَيْنِ كَانَ الْفِيلُ هَدَامَ يَجْلِسُ بِجِوَارِ بَيْتِنَا، فَقَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَدَمَّرَ قَرِيَّةَ النَّمْلِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، وَجَعَلَ آلَافَ النَّمْلِ بِلَا مَأْوَى.

وقال الأرنب: بِالْأَمْسِ كَانَ الْفِيلُ هَدَامَ يَمْشِي بِالْقُرْبِ مِنَ الْجُحْرِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، فَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَمْشِيَ بِرَفْقٍ حَتَّى لَا يَهْدِمَ بَيْتِنَا، فَسَخِرَ مِنِّي، وَأَخَذَ يَقْفِزُ هُنَا وَهُنَاكَ حَتَّى هَدَمَ الْجُحْرَ الَّذِي أَعِيشُ فِيهِ مَعَ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي.

وقالت العصفورة: هَذَا الصَّبَاحَ مَرَّ الْفِيلُ هَدَامَ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَسْكُنُ فِيهَا، فَسَقَطَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ الْأُورَاقِ، وَظَنَّ أَنَّنِي فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَسْخَرَ مِنْهُ وَأَقْلَلَ مِنْ شَأْنِهِ، فَأَمْسَكَ الشَّجَرَةَ بِخُرْطُومِهِ، وَظَلَّ يَهْزِهَا بِقُوَّةٍ حَتَّى سَقَطَ الْعُشُّ الَّذِي أَعِيشُ فِيهِ.

اسْتَمَعَ فَرَحَانُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ بَاهْتِمَامٍ شَدِيدٍ، وَتَعَاطَفَ مَعَهُمْ، وَأَحْسَّ بِالْحُزْنِ مِنْ أَجْلِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: لِابْدُ مِنْ مُعَاقِبَةِ هَذَا الْفِيلِ الظَّالِمِ... قَالَتِ النَّمْلَةُ: إِنَّ الْفِيلَ هَدَامَ قَوِيٌّ جِدًّا، وَلَا يُمَكِّنُنَا مُوَاجَهَتَهُ... قَالَ فَرَحَانُ: إِذَا كَانَ الْفِيلُ قَوِيٌّ فَهَئَاكَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، فَهَيَّا بِنَا نَذْهَبُ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَنَشْكُوهُ إِلَيْهِ.

انْطَلَقَ فَرَحَانُ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ إِلَى بَيْتِ الْأَسَدِ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا فَعَلَهُ الْفِيلُ هَدَامَ مَعَهُمْ، فَغَضِبَ الْأَسَدُ وَاسْتَدْعَى الْفِيلَ فِي الْحَالِ، وَسَأَلَهُ: عَنْ سَبَبِ هَذِهِ لِبُيُوتِ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةِ، فَحَاوَلَ هَدَامُ أَنْ يُبْرِئَ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ التُّهْمَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَحَكَّمَ الْأَسَدُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ الْبُيُوتَ الَّتِي هَدَمَهَا، وَأَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ خِلَالَ أُسْبُوعٍ، فَفَرِحَتِ الْحَيَوَانَاتُ الْأَرْبَعَةُ، وَهَتَفُوا: يَحْيَا الْعَدْلُ، يَحْيَا الْعَدْلُ.

رَجَعَ فَرَحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ أُسْبُوعٍ زَارَ الْغَابَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَذَهَبَ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ لِيَهْنئَهَا عَلَى بُيُوتِهَا الْجَدِيدَةِ، فَوَجَدَهَا تَجْلِسُ حَزِينَةً وَبَاكِيةً، فَسَأَلَهُمْ: عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْفِيلَ رَفَضَ أَنْ يَبْنِيَ بُيُوتَهُمْ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِالْإِيذَاءِ إِنْ اشْتَكَوْهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَمَرَهُمْ فَرَحَانُ أَلَّا يَسْتَسْلِمُوا، وَشَجَّعَهُمْ عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَأَخْبَرُوا الْأَسَدَ بِمَا فَعَلَهُ الْفِيلُ، فَاسْتَدْعَاهُ فِي الْحَالِ، وَوَبَّخَهُ بِشِدَّةٍ، وَتَوَعَّدَهُ بِالْعِقَابِ إِنْ تَعَرَّضَ لِلْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ بِالْأَذَى، وَقَالَ لَهُ: بِمَا أَنَّكَ لَمْ تَبْنِ لَهُمْ بُيُوتَهُمْ الَّتِي هَدَمْتَهَا، فَسَأَعِاقِبُكَ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى، سَتَرُكَ بَيْتَكَ لِيَعِيشَ فِيهِ مَنْ هَدَمْتَ بُيُوتَهُمْ، وَإِيَّاكَ أَلَّا تُنْفِذَ هَذَا الْحُكْمَ... فَهَتَفَتِ الْحَيَوَانَاتُ الْأَرْبَعَةُ قَائِلَةً: يَحْيَا الْعَدْلُ، يَحْيَا الْعَدْلُ... وَبَعْدَ فِتْرَةٍ ذَهَبُوا مَعَ فَرَحَانِ إِلَى بَيْتِ الْفِيلِ لِيَسْتَلِمُوهُ مِنْهُ تَنْفِيذًا لِحُكْمِ الْأَسَدِ، لَكِنَّ الْفِيلَ طَرَدَهُمْ قَائِلًا: أَنَا لَنْ أَنْفِذَ هَذَا الْحُكْمَ مَهْمَا حَدَثَ... وَجَلَسَ الْفِيلُ يُفَكِّرُ فِي الْوَرُطَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا، وَبَعْدَ تَفَكُّيرٍ عَمِيقٍ اتَّخَذَ قَرَارًا عَجِيبًا، لَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يَهْدِمَ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ، وَلَا يُسَلِّمَهُ لِلْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ إِلَّا كَوْمَةً مِنَ التُّرَابِ، وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ نَفَّذَ الْحُكْمَ دُونَ أَنْ يَخْضَعَ لِأَحَدٍ.

وَهَدَمَ الْفِيلُ بَيْتَهُ، وَانْتَشَرَ الْخَبَرُ فِي الْغَابَةِ، وَذَهَبَ فَرَحَانُ لِيَرَى مَا حَدَثَ بِنَفْسِهِ، فَوَجَدَ الْفِيلَ يَجْلِسُ أَمَامَ بَيْتِهِ الْمُتَهَدَّمِ حَزِينًا وَبَاكِيًا، فَقَالَ لَهُ: مَا شُعُورُكَ الْآنَ بَعْدَ أَنْ فَقَدْتَ بَيْتَكَ؟... سَكَتَ الْفِيلُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَقَالَ لَهُ فَرَحَانُ: سَأَعْرِضُ عَلَيْكَ عَرْضًا، مَا رَأَيْكَ أَنْ نَتَعَاوَنَ مَعَكَ فِي بِنَاءِ بَيْتِكَ، ثُمَّ تَبْنِي مَعَنَا الْبُيُوتَ الَّتِي هَدَمْتَهَا؟... وَافَقَ الْفِيلُ، وَاعْتَذَرَ لِلْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ، وَشَارَكَ مَعَهُمْ فِي الْبِنَاءِ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ.



فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة الفيل هَدام...

- اسأَلَهُمْ: عَنْ رَأْيِهِمْ فِيَمَا فَعَلَهُ فَرْحَانُ حَتَّى يَجْعَلَ الْفِيلَ هَدام يُسَاعِدُ فِي بِنَاءِ بُيُوتِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي هَدمَهَا، وَهَلْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ فِكْرَةٌ أُخْرَى؟
- اسْتَمِعْ مَعَ أَبْنَائِكَ لِشَرْحِ عَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ، وَتَنَاقَشْ مَعَهُمْ فِي أَحْدَاثِهَا، وَارْبِطْهَا بِسُورَةِ الْحَشْرِ، ثُمَّ اجْعَلْ أَبْنَاءَكَ يَبْحَثُونَ عَمَّا فَعَلَهُ بَنُو قُرَيْظَةَ وَبَنُو قَيْنِقَاعَ مِنْ خِيَانَةٍ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ.
- أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ خَرَابَ الْبُيُوتِ لَا يَكُونُ بِهِدْمُ جُدرانِهَا فَقَطْ، بَلْ يَكُونُ بِإِفْسَادِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَهَذَا أَحَدُ أَهْدَافِ الشَّيْطَانِ الْخَبِيثَةِ، فَهُوَ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ، وَيُفْسِدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِيَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَنْبَعِثُ سَرَايَاهُ (يُرْسِلُ جُنُودَهُ مِنْ الشَّيَاطِينِ لِإِضْلَالِ النَّاسِ ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَيُخْبِرُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ الَّتِي نَجَحَ فِي إِيقَاعِ ابْنِ آدَمَ فِيهَا)، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزِلَةٌ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً (أَقْرَبُهُمْ إِلَى إِبْلِيسَ هُوَ أَكْثَرُهُمْ إِضْلَالًا لِلنَّاسِ)، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ (إِبْلِيسُ): مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ (شَيْطَانُ آخَرٍ) فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ (جَعَلْتُهُ يُطَلِّقُهَا)، فَيُذْنِيهِ مِنْهُ (يُقَرِّبُهُ إِبْلِيسُ مِنْهُ) وَيَقُولُ (لَهُ): نِعَمَ أَنْتَ (وَيَمْدَحُهُ إِعْجَابًا بِمَا فَعَلَهُ)».
- اسأَلْ أَبْنَاءَكَ: مَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَتَسَبَّبُ فِي خَرَابِ الْبُيُوتِ؟ وَهَلْ يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُخَرِّبَ بَيْتَهُ بِيَدَيْهِ؟ وَكَيْفَ نَحْمِي بَيْتَنَا مِنَ الْخَرَابِ؟ وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِمْ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ إِفْشَاءَ أَسْرَارِ الْبَيْتِ، وَالِاسْتِمَاعَ لِنَصَائِحِ أَصْدِقَاءِ السُّوءِ، وَالْإِسْرَافَ، وَكَثْرَةَ الدُّيُونِ، وَارْتِكَابَ أَهْلِ الْبَيْتِ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَأَكْلَ الْحَرَامِ، وَغَيْرِهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا فِي خَرَابِ الْبُيُوتِ.

● فَكَّرْ مَعَ أَبْنَائِكَ فِي الْأَنْشِطَةِ الَّتِي تَزِيدُ الْحُبَّ بَيْنَكُمْ، وَاجْتَهِدُوا فِي تَنْفِيذِهَا.

الثَّوْرُ الْإِنَانِي

ذَاتَ مَسَاءٍ اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَةُ عَلَى الْعَشَاءِ، فَقَالَ فَرْحَانُ لِأَبِيهِ: إِنَّ مَدْرَسَتَنَا سَتُنْظَمُ رِحْلَةً تَرْفِيهِيةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْقَادِمِ، وَأَتَمَنَّى أَنْ أَشَارِكَ فِيهَا... صَاحَ أَخُوهُ قَائِلًا: وَمَدْرَسَتُنَا أَيْضًا سَتُنْظَمُ رِحْلَةً فِي الْمَوْعِدِ نَفْسِهِ، وَلَقَدْ اتَّفَقْتُ مَعَ أَصْحَابِي أَنَّنَا جَمِيعًا سَنَشْتَرِكُ فِيهَا...!!!

سَكَتَ الْأَبُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّنِي لَا أَمْلِكُ مِنَ النُّقُودِ مَا يَكْفِي لِلِاشْتِرَاكِ فِي كِلَا الرِّحْلَتَيْنِ، وَلِذَلِكَ سَأَقُومُ بِالِاشْتِرَاكِ لِأَحَدِكُمَا، عَلَى وَعْدٍ أَنْ يُشَارِكَ الْآخَرُ فِي الرِّحْلَةِ الْقَادِمَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّ رِحْلَةَ مَدْرَسَتِنَا مُهِمَّةٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهَا سَتَكُونُ فِي أَمَاكِنَ تَارِيخِيَّةٍ مُرْتَبِطَةٍ بِالْمُنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ... وَقَالَ أَخُوهُ: وَرِحْلَةُ مَدْرَسَتِنَا لَا يُمْكِنُ تَعْوِيضُهَا؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعَامِ... فَقَالَ الْوَالِدُ: إِنَّنِي لَا أَمْلِكُ إِلَّا اشْتِرَاكَ رِحْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ، وَإِذَا لَمْ يَتَنَازَلْ أَحَدُكُمَا لِلْآخَرِ، فَلَنْ يَذْهَبَ كِلَاكُمَا إِلَى أَيَّةِ رِحْلَةٍ... صَاحَ أَخُو فَرْحَانَ قَائِلًا: أَنَا لَنْ أَتَنَازَلَ أَبَدًا، حَتَّى لَوْ ضَاعَتِ الرِّحْلَةُ عَلَيْنَا جَمِيعًا... نَظَرَ إِلَيْهِ فَرْحَانُ وَقَالَ: وَأَنَا لَنْ أَكُونَ سَبَبًا فِي حِرْمَانِكَ مِنَ السَّعَادَةِ يَا أَخِي، فَادْهَبْ أَنْتَ إِلَى رِحْلَتِكَ، وَأَنَا سَأَنْتَظِرُ رِحْلَةً أُخْرَى... فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا بُنَيَّ.

وَجَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَرِيعًا، وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَدَّعَ فَرْحَانُ أَخَاهُ قَبْلَ ذَهَابِهِ إِلَى الرِّحْلَةِ، وَدَّعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ جَلَسَ صَامِتًا وَحَزِينًا، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَبُوهُ بِحَنَانٍ، وَرَبَّتَ عَلَى كَتِفِهِ بِحُبٍّ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا فَخُورٌ بِكَ يَا

بُنَيَّ؛ لَأَنَّكَ تَنَازَلْتَ لِأَخِيكَ وَأَثَرْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الْأَنْصَارُ
مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ، فَمَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ... قَالَ
فَرْحَانُ: وَمَا الَّذِي فَعَلَهُ الْأَنْصَارُ؟ أَخْبِرْنِي يَا أَبِي... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: إِنَّهَا
حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ، وَسَأُحْكِيهَا لَكَ مِنَ الْبِدَايَةِ...

جَلَسَ الْوَالِدُ بِجَوَارِ فَرْحَانَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ أَلْوَانًا
كَثِيرَةً مِنَ الْعَذَابِ، فَهَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فِرَارًا بِدِينِهِمْ، وَتَرَكُوا الْبُيُوتَ
وَالْأَعْمَالَ وَالْأَمْوَالَ، وَوَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَرَاءَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، فَاسْتَقْبَلَهُمُ
الْأَنْصَارُ (الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ)، وَأَسْكَنُوهُمْ مَعَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ،
وَأَعْطَوْهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ أَصْحَابَ مَزَارِعٍ نَخِيلٍ، فَقَسَمُوا ثَمَارَ
نَخْلِهِمْ -كُلَّ عَامٍ- مَعَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يَطْلُبُوا مِنْهُمْ الْعَمَلَ مَعَهُمْ فِي مَزَارِعِ
النَّخِيلِ؛ لِأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ عَمَلَ الْحَدَائِقِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ (يَعْنِي: مَا
رَأَيْنَا أَحْسَنَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَا أَكْرَمَ مِنْهُمْ)، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤُونَةَ (تَحَمَّلُوا عَنَّا
مِشْقَةَ الْعَمَلِ فِي مَزَارِعِ النَّخِيلِ)، وَأَشْرَكْنَا فِي الْمَهْنَةِ (وَشَارَكُونَا فِي الثَّمَارِ
وَالْخَيْرِ وَالنَّعِيمِ)، حَتَّى لَقَدْ حَسَبْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ ﷺ: "لَا،
مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ"، فَالْمُهَاجِرُونَ قَدْ اسْتَكْثَرُوا مَا فَعَلَهُ
الْأَنْصَارُ مَعَهُمْ وَأَرَادُوا مُكَافَأَتَهُمْ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: ادْعُوا لِلْأَنْصَارِ
بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، وَاشْكُرُوا لَهُمْ، وَاثْنُوا عَلَيْهِمْ؛ فَهَكَذَا تُكَافِئُوهُمْ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟... قَالَ أَبُوهُ: ظَلَّ الْمُهَاجِرُونَ
يَعِيشُونَ فِي بُيُوتِ الْأَنْصَارِ، وَيَقْتَسِمُونَ مَعَهُمُ الثَّمَارَ، حَتَّى جَاءَتِ السَّنَةُ
الرَّابِعَةُ لِلْهِجْرَةِ، وَغَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ، فَدَعَا ﷺ الْأَنْصَارَ

وَشَكَرَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ فِي السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَحَبِّتُمْ قَسَمْتُ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الْغَنَائِمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَيَظْلُونَ مَعَكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَإِنْ أَحَبِّتُمْ قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَطْ وَخَرَجُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ... فَقَالَ الْأَنْصَارُ: بَلْ نَقْسِمُهَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَيَبْقُونَ فِي بُيُوتِنَا... فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَسَمَ الْغَنَائِمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدًا إِلَّا ثَلَاثَةً مِنْهُمْ بِسَبَبِ فَقْرِهِمْ.

صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: مَا أَجْمَلَ مَا فَعَلَهُ الْأَنْصَارُ يَا أَبِي... قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، وَمَوَاقِفُهُمُ الْجَمِيلَةُ كَثِيرَةٌ وَرَائِعَةٌ، فَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاشْتكى لَهُ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَهُ جُوعٌ شَدِيدٌ، فَأَرْسَلَ ﷺ إِلَى نِسَائِهِ يَطْلُبُ مِنْهُنَّ طَعَامًا لِهَذَا الرَّجُلِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ... فَأَخَذَ الْأَنْصَارِيُّ الضَّيْفَ الْجَائِعَ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَالَ لِرِزْوَجَتِهِ: هَذَا ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَكْرَمِيهِ وَلَا تَدْخِرِي عَنْهُ شَيْئًا... فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا عَشَاءُ صَبْيَانِي... فَقَالَ لَهَا: أَعِدِّي الطَّعَامَ لِلضَّيْفِ، وَأَوْقِدِي السَّرَاجَ، وَعَجِّلِي بِنُومِ الْأَطْفَالِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُمُ الْجُوعُ... فَأَطَاعَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا، وَنَوِمَتِ أَوْجَاهُهَا بِغَيْرِ عَشَاءٍ، ثُمَّ قَدَّمَتِ الطَّعَامَ لِلضَّيْفِ، وَقَامَتِ كَأَنَّهَُا تُصْلِحُ السَّرَاجَ فَأَطْفَأَتْهُ عَنْ قَصْدٍ حَتَّى أَظْلَمَ الْبَيْتُ، فَجَعَلَ الزَّوْجَانِ يَتَظَاهَرَانِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ مَعَ الضَّيْفِ، حَتَّى يَأْكُلَ مَا يُرِيدُ، وَلَا يَشْعُرُ بِقِلَّةِ الطَّعَامِ، فَأَكَلَ الضَّيْفُ وَشَبِعَ، وَبَاتَ الزَّوْجَانِ بِغَيْرِ عَشَاءٍ، وَفِي الصَّبَاحِ ذَهَبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «لَقَدْ ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ -أَوْ عَجِبَ- مِنْ فَعَالِكُمَا»

يَغْنِي: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَنِيعِكُمَا، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]، فالأنصار -يا بُنَيَّ- كَانَتْ لَهُمْ ثَلَاثُ صِفَاتٍ؛ فَهُمْ يُحِبُّونَ الْمُهَاجِرِينَ، وَلَيْسَ فِي صُدُورِهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ أَوْ الْحَقْدِ تَجَاهَهُمْ بِسَبَبِ تَفْضِيلِهِمْ بِغَنَائِمِ بَنِي النَّضِيرِ وَغَيْرِهَا، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَذَوِي الْحَاجَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيُعْطُونَهُمْ الْمَالَ وَالطَّعَامَ وَغَيْرَهَا رَغْمَ فَقْرِهِمْ وَاحْتِيَاجِهِمْ.

دَمَعَتْ عَيْنَا فَرْحَانَ وَقَالَ: لَيْتَنِي كُنْتُ وَاحِدًا مِنَ الْأَنْصَارِ... فَحَضَنَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: إِذَا لَمْ تَكُنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَسِرْ عَلَى طَرِيقِهِمْ، وَاتَّصِفْ بِصِفَاتِهِمْ، وَقَاوِمِ شُحَّ نَفْسِكَ وَبُخْلَهَا تَكُنْ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَادْعُ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْأَنْصَارِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

شَكَرَ فَرْحَانُ أَبَاهُ، وَاسْتَأْذَنَ مِنْهُ وَذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ، وَقَضَى هُنَاكَ بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ مَرَّ عَلَى الْمَزْرَعَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي يَمْلِكُهَا الْأَخْوَانُ: (كَرْمَان) وَ (بَخْلَان)، فَأَوْقَفَهُ الثَّوْرُ كَرْمَانَ، وَأَعْطَاهُ بَعْضَ الْخُضِرَوَاتِ هَدِيَّةً، وَجَاءَ الثَّوْرُ بِخْلَانَ مُسْرِعًا، وَاعْتَرَضَ عَلَى مَا فَعَلَهُ أَخُوهُ، وَأَمَرَهُ أَلَّا يُعْطِيَ شَيْئًا بِالْمَجَّانِ، فَأَحَسَّ فَرْحَانُ بِالْحَرَجِ، وَأَرَادَ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ الْخُضِرَوَاتِ، فَرَفَضَ كَرْمَانُ ذَلِكَ بِشِدَّةٍ، وَتَرَجَّاهُ أَنْ يَقْبَلَ الْهَدِيَّةَ، فَشَكَرَهُ فَرْحَانُ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ الْبَيْتِ بِسُرْعَةٍ حَتَّى لَا يَتَأَخَّرَ عَنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ زَارَ فَرْحَانُ الْغَابَةَ مَرَّةً أُخْرَى، فَوَجَدَ الثَّوْرَ كَرْمَانَ يَجْلِسُ
أَمَامَ الْمَزْرَعَةِ حَزِينًا، فَسَلَّمَ فَرْحَانُ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ: عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ، فَبَكَى
كَرْمَانُ وَقَالَ: لَقَدْ طَرَدَنِي أَخِي مِنَ الْبَيْتِ وَالْمَزْرَعَةِ، وَادَّعَى كَذِبًا أَنَّنِي
بِغْتُ لَهُ كُلِّ شَيْءٍ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: كَيْفَ يَفْعَلُ أَخُوكَ ذَلِكَ؟! هَيَّا
بِنَا نَشْكُوهُ إِلَى الْقَاضِي... تَهَدَّدَ كَرْمَانُ وَقَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَلَقَدْ
حَكَّمَ الْقَاضِي بِصَحَّةِ ادِّعَاءِ بَخْلَانَ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا؟!...
قَالَ كَرْمَانُ: لِأَنَّ أَخِي خَدَعَنِي، وَجَعَلَنِي أَبِيعُ لَهُ نَصِيبِي فِي الْبَيْتِ
وَالْمَزْرَعَةِ دُونَ أَنْ أَشْعُرَ... قَالَ فَرْحَانُ: كَيْفَ؟!... قَالَ كَرْمَانُ: أَنَا أُحِبُّ
الْعَطَاءَ، وَأُهْدِي بَعْضَ مُنْتَجَاتِ الْمَزْرَعَةِ لِلْأَحْبَابِ وَالضُّعَفَاءِ، وَهَذَا لَمْ
يُعْجِبْ أَخِي بَخْلَانَ، وَقَرَّرَ أَنْ يَخْصِمَ هَذِهِ الْهَدَايَا مِنْ نَصِيبِي فِي الْأَرْبَاحِ،
فَوَافَقْتُ عَلَى ذَلِكَ، وَبَدَأَ هُوَ يُسَجِّلُ مَا أُعْطِيهِ لِلآخِرِينَ وَيَجْعَلُنِي
أَوْقَعُ عَلَيْهِ، وَفِي الْبِدَايَةِ كُنْتُ أَقْرَأُ مَا كَتَبَهُ بَخْلَانَ قَبْلَ التَّوْقِيعِ، وَبَعْدَ
فِتْرَةٍ بَدَأْتُ أَوْقَعُ دُونَ أَنْ أَقْرَأُ، وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي طَرَدَنِي فِيهِ اكْتَشَفْتُ أَنَّهُ
جَعَلَنِي أَوْقَعُ عَلَى عَقْدِ بَيْعِ نَصِيبِي فِي الْبَيْتِ وَالْمَزْرَعَةِ دُونَ أَنْ أَشْعُرَ،
وَهَكَذَا خَدَعَنِي وَأَخَذَ حَقِّي.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: كَلِّمْنِي عَنْ أَخِيكَ بَخْلَانَ، مَا الَّذِي
يُحِبُّهُ؟ وَمَا الَّذِي يَكْرَهُهُ؟ وَمَنْ هُمْ أَصْدِقَاؤُهُ؟ وَهَلْ هُنَاكَ حَيَوَانٌ
يَتَمَنَّى بَخْلَانُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ؟... تَعَجَّبَ كَرْمَانُ وَقَالَ: وَمَا عِلَاقَةُ ذَلِكَ
بِمُسْكِلتِي؟!... قَالَ فَرْحَانُ: أَخْبِرْنِي وَسَأَشْرَحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ... قَالَ كَرْمَانُ:
إِنَّ أَخِي يُحِبُّ التَّجَارَةَ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الْفِيلِ (ذُكْوَانَ)، فَهُوَ
فِيلٌ قَوِيٌّ وَغَنِيٌّ، وَالْجَمِيعُ يَحْتَرِمُهُ وَيَقْدَرُهُ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: أَبْشِرْ

يَا كَرْمَانَ، فَالْفِيلُ ذَكْوَانٌ سَيُسَاعِدُكَ... تَعَجَّبَ كَرْمَانُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!!!...
 قَالَ فَرَحَانُ: سَنَحْكِي لَهُ حِكَايَتَكَ، وَعِنْدَمَا يَتَأَكَّدُ مِنْ ظُلْمِ أَخِيكَ لَكَ،
 سَيُعِيدُ لَكَ حَقَّكَ بِطَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ... قَالَ كَرْمَانُ: لَكِنْ بِشَرَطٍ أَلَّا يُؤْذِيَ
 أَخِي... قَالَ فَرَحَانُ: لَا تَخَفْ يَا صَدِيقِي، فَنَحْنُ سَنَسْتَخْدِمُ الْحِيلَةَ،
 وَنَسْقِي أَخَاكَ مِنَ الْكَأْسِ نَفْسِهِ الَّذِي سَقَاكَ مِنْهُ... قَالَ كَرْمَانُ: وَلَكِنَّ
 هَذِهِ الْمُهْمَّةَ لَنْ تَكُونَ سَهْلَةً!!!.

تَحَمَّسَ فَرَحَانُ وَقَالَ: اسْمَعْنِي جَيِّدًا يَا كَرْمَانَ، نَحْنُ سَنَتَّفِقُ مَعَ الْفِيلِ
 ذَكْوَانَ أَنْ يَزُورَ أَخَاكَ، وَيُهْنِتُهُ عَلَى امْتِلَاكِ الْبَيْتِ وَالْمَزْرَعَةِ، وَيَعْرِضُ
 عَلَيْهِ مُشَارَكَتَهُ فِي مَشْرُوعٍ كَبِيرٍ، وَطَبْعًا أَخُوكَ سَيُوافِقُ بِسُرْعَةٍ، وَيُوقِّعُ
 عَلَى جَمِيعِ الْأُورَاقِ الَّتِي سَيُقَدِّمُهَا لَهُ الْفِيلُ دُونَ تَرَدُّدٍ... قَالَ كَرْمَانُ:
 فَهَمْتُ، فَالْفِيلُ سَيَجْعَلُ أَخِي يُوقِّعُ عَلَى عَقْدٍ يَبِيعُ نِصْفَ الْبَيْتِ
 وَالْمَزْرَعَةِ لِي، دُونَ أَنْ يَشْعُرَ... قَالَ فَرَحَانُ: لَا، بَلْ سَنَجْعَلُ أَخَاكَ يَبِيعُ
 لَكَ الْبَيْتَ كُلَّهُ وَالْمَزْرَعَةَ كُلَّهَا... تَعَجَّبَ كَرْمَانُ وَقَالَ: لِمَذَا؟!!!... قَالَ
 فَرَحَانُ: حَتَّى يَشْرَبَ أَخُوكَ مِنَ الْكَأْسِ نَفْسِهِ الَّذِي سَقَاكَ مِنْهُ، وَيَنْدَمَ
 عَلَى مَا فَعَلَهُ بِكَ، وَعِنْدَمَا يُصْبِحُ كُلُّ شَيْءٍ مِلْكُكَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ
 فِيهِ كَمَا يَخْلُو لَكَ... قَالَ كَرْمَانُ مُتَعَجِّبًا: وَهَلْ تَقْبَلُ أَنْ أَكُلَ حَقَّ
 أَخِي وَأَنْ أَظْلِمَهُ؟!!!... قَالَ فَرَحَانُ: لَا يَا صَدِيقِي، فَأَنَا لَا أَرْضَى بِالظُّلْمِ،
 وَكُلُّ مَا أَفْعَلُهُ مَعَكَ هُوَ لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ... قَالَ كَرْمَانُ: إِنِّي لَنْ أَظْلِمَ
 أَخِي مَهْمَا فَعَلَ، وَسَأَرُدُّ لَهُ حَقَّهُ كَامِلًا دُونَ نُقْصَانٍ، وَأَتَمْنَى أَنْ يَتَعَلَّمَ
 الدَّرْسَ، وَيَتَخَلَّى عَنِ الْمَكْرِ وَالْبُخْلِ.



فكرة تربوية

بعد أن تخيي لأبنائك قصة الثور الأثاني...

● اسألهم: عن رأيهم في الخطّة التي وَصَّعَهَا فرحانٌ لإِعَادَةِ حَقِّ الثورِ كَرَمَانَ، وهل سَتَنْجَحُ هذه الخطّة؟ وهل سَيَتَعَلَّمُ الثورُ بَخْلَانَ الدُّرُسِ وَيَتَخَلَّى عن المَكْرِ والبُخْلِ؟ وهل لَدَى أَحَدِهِمْ خُطّةٌ أُخْرَى لِمُسَاعَدَةِ الثورِ كَرَمَانَ؟.

● أَخْبِرْهُمْ أَنَّ مَنْ أَجْمَلَ أَنْوَاعِ الإِثَارِ مَا يَقُومُ بِهِ الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ معِ الْأَبْنَاءِ، وَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: جَاءَنِي مِسْكِينَةٌ (امْرَأَةٌ فَقِيرَةٌ وَمُحْتَاجَةٌ) تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا (وَتَطْلُبُ شَيْئًا منِ الصَّدَقَةِ)، فَأَطْعَمْتُهَا (أَعْطَيْتُهَا) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَعْطَيْتُ (الْمَرْأَةَ) كُلَّ وَاحِدَةٍ (كُلَ بِنْتٍ) مِنْهُمَا ثَمْرَةً، وَرَفَعْتُ إِلَى فِيهَا (فِيهَا) ثَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطَعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا (طَلَبَتْ ابْنَتَاهَا الثَّمَرَةَ الثَّالِثَةَ)، فَشَقَّتِ الثَّمَرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ».

● اتَّفَقَ معِ ابْنَائِكَ على إِبْطَاقِ مَشْرُوعِ «الإِثَارِ الْأُسْرِيِّ» دَاخِلَ بَيْنَتِكُمْ، وَذَلِكَ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ، يَنْتَهِي بِحِفْظِ أُسْرِي بَسِيطٍ وَجَمِيلٍ.

● أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمْرَهُم بِالْبُخْلِ فَبُخِلُوا، وَأَمْرَهُم بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا، وَأَمْرَهُم بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا» [صحيح أبي داود للألباني ح ر 1698]، فَكَانَ بَدَايَةُ هَلَاكِهِمْ هُوَ الِاسْتِجَابَةُ لِلشُّحِّ وَعَدَمُ مُقَاوَمَتِهِ، فَالْحِرْصُ الشَّدِيدُ عَلَى الْمَالِ قَدْ يَقُودُ إِلَى الْبُخْلِ وَالظُّلْمِ وَقَطِيعَةِ الرَّجْمِ وَفِعْلِ الْمَعَاصِي، وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

● شَجِّعْ أَبْنَاءَكَ على تَرْدِيدِ هَذَا الدَّعَاءِ «اللَّهُمَّ قِنِي شَحَّ نَفْسِي وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُفْلِحِينَ»، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ يَدْعُو طَوَالَ طَوَافِهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي شَحَّ نَفْسِي» [تفسير ابن كثير 4 / 446].

الفَائِزُونَ الثَّلَاثَةُ

في يومٍ من الأيام ذهبَ فرحانُ إلى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَلَمَّا حَضَرَ جَمِيعُ الأولادِ قَالَ الشَّيْخُ: عِنْدِي مُفَاجَأَةٌ، سَتُقَامُ مُسَابَقَةٌ - في كُرَةِ القَدَمِ - بَيْنَ حَلَقَاتِ التَّحْفِيزِ في بَلَدَتِنَا، وَهُنَاكَ جَوَائِزُ قِيَمَةٍ لِلْفِرَقِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى... صَاحَ الأولادُ في سَعَادَةٍ، وَسَأَلُوا الشَّيْخَ عَنْ مَوْعِدِ المُسَابَقَةِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ أَوَّلَ مُبَارَاةٍ سَتُقَامُ بَعْدَ شَهْرٍ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَدَرَّبُوا جَيِّدًا؛ حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْفِرَقِ الْفَائِزَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ إِهْمَالِ الحِفْظِ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يُشَارِكَ في هذه المُبَارَاةِ إِلَّا مَنْ يَحْفَظُونَ بِإِتْقَانٍ.

تَحَمَّسَ الأولادُ كَثِيرًا، وَبَدَؤُوا يَتَدَرَّبُونَ عَلَى كُرَةِ القَدَمِ بِقُوَّةٍ وَعَزِيمَةٍ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ اجْتَهِدُوا فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَبَعْدَ طُولِ انْتِظَارٍ بَدَأَتْ المُسَابَقَةُ، وَلَعِبَ فرحانُ وَزُمَلَاؤُهُ ثَمَانِ مُبَارَاةٍ، وَكَانَ أَدَاؤُهُمْ طَيِّبًا، لَكِنَّهُمْ حَصَلُوا عَلَى الْمَرْكَزِ الرَّابِعِ، وَخَسِرُوا جَمِيعَ الْجَوَائِزِ، فَحَضَرُوا الْحَفْلَ الْخِتَامِيَّ عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحْسَنُ لَاعِبٍ وَأَحْسَنُ حَارِسٍ مَرْمِيٍّ وَهَدَافٍ المُسَابَقَةِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْجَوَائِزَ الثَّلَاثَةَ ضَاعَتْ مِنْهُمْ أَيْضًا، فَرَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَالْحُزْنَ يَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَ جَمِيعُ الأولادِ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَتَحَدَّثُوا كَثِيرًا عَنْ خَسَارَتِهِمْ فِي مُسَابَقَةِ كُرَةِ القَدَمِ، وَشَارَكَ الشَّيْخُ مَعَهُمْ فِي الْحَدِيثِ تَارَةً، وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِمْ تَارَةً أُخْرَى، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا يَا

أَبْنَائِي... خِلَالَ حَيَاتِكُمْ سَتَدْخُلُونَ مُسَابَقَاتٍ كَثِيرَةً، وَسَتُفُوزُونَ فِي بَعْضِهَا، وَتَخْسِرُونَ الْبَعْضَ الْآخَرَ، وَمَعَ كُلِّ فَوْزٍ وَخَسَارَةٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَنْسُوا أَهَمَّ سَبَاقٍ فِي حَيَاتِكُمْ... قَالَ الْأَوْلَادُ: وَمَا هَذَا السَّبَاقُ يَا شَيْخَنَا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّهُ السَّبَاقُ نَحْوَ الْجَنَّةِ... تَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: وَهَلْ هُنَاكَ فَائِزُونَ وَخَاسِرُونَ فِي هَذَا السَّبَاقِ?... قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ، وَالْفَائِزُونَ - مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ - ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ فَقَطْ، وَالْبَاقِي جَمِيعُهُمْ خَاسِرُونَ، وَعَلَيْكُمْ - يَا أَبْنَائِي - أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْفَائِزِينَ الثَّلَاثَةِ... قَالَ الْأَوْلَادُ: وَكَيْفَ نَكُونُ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُهُمْ؟!...

سَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْنَافَ الْمُؤْمِنِينَ الثَّلَاثَةَ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ، وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ، حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْفَائِزِينَ فِي يَوْمِ الْحَشْرِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)... قَالَ الْأَوْلَادُ: إِذَا عَرَّفْنَا بِهِمْ يَا شَيْخَنَا... قَالَ الشَّيْخُ: هَذِهِ الْمِهْمَةُ سَتَقُومُونَ أَنْتُمْ بِهَا... قَالَ الْأَوْلَادُ: كَيْفَ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: سَتَقْرَأُونَ سُورَةَ الْحَشْرِ آيَةً آيَةً، وَتَتَنَاقَشُونَ مَعَ بَعْضِكُمْ، وَإِذَا عَرَفْتُمْ أَصْنَافَ الْمُؤْمِنِينَ (الْفَائِزِينَ) الثَّلَاثَةَ، سَتَكُونُ لَكُمْ مَكَافَاةٌ.

تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا، وَفَتَحُوا الْمَصَاحِفَ، وَبَدَؤُوا الْمِهْمَةَ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ صَاحُوا قَائِلِينَ: لَقَدْ انْتَهَيْنَا يَا شَيْخَنَا... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: حَسَنًا، هَيَّا أَخْبِرُونِي بِالنَّتِيجَةِ... فَوَقَّفَ فَرِحَانٌ وَقَالَ:

الصَّنْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

الصَّنْفُ الثَّانِي: هُمُ الْأَنْصَارُ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

الصَّنْفُ الثَّالِثُ: هُمُ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهُمْ التَّابِعُونَ وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي، وَلَقَدْ مَضَى زَمَنُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَمْ يَبْقَ لَنَا إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، وَحَتَّى نَكُونَ مِنْهُمْ عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ هِيَ: نَسْأَلُ اللَّهَ: أَنْ يَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَنَدْعُو لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ بِمَا دَعَوْنَا بِهِ لَأَنْفُسِنَا، وَنَسْأَلُ اللَّهَ: أَلَّا يَجْعَلَ فِي قُلُوبِنَا حِقْدًا وَلَا بَغْضًا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10]، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَذْكُرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَعَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَجْتَهِدَ فِي إِزَالَةِ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ تَجَاهَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

شَكَرَ الْأَوْلَادُ شَيْخَهُمْ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَفِي بِوَعْدِهِ، فَضَحِكَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَقَدْ وَعَدْتُكُمْ بِمُكَافَأَةٍ وَاحِدَةٍ، لَكِنِّي سَأُعْطِيكُمْ ثَلَاثَ مُكَافَأَاتٍ... صَاحَ الْأَوْلَادُ فِي

سَعَادَةٍ، فَأَكْمَلَ الشَّيْخُ كَلَامَهُ قَائِلًا: سَأُخْبِي لَكُمْ كُلَّ أُسْبُوعٍ قِصَّةَ أَحَدِ الصَّحَابَةِ، حَتَّى نُجِبَهُمْ أَكْثَرَ، وَنَقْتِدِي بِهِمْ بِصُورَةٍ أَفْضَلَ، وَهَذِهِ هِيَ الْمُكَافَأَةُ الْأُولَى، أَمَّا الْمُكَافَأَةُ الثَّانِيَّةُ فَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكُمْ عَدَدًا مِنَ اللُّوْحَاتِ وَأَقْلَامِ التَّلْوِينِ، وَسَيَصْنَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَوْحَةً لِأَصْنَافِ الْمُؤْمِنِينَ الثَّلَاثَةِ، وَيَكْتُبُ فِيهَا الْآيَاتِ، وَيُلَوِّنُهَا كَيْفَمَا شَاءَ، ثُمَّ يَحْتَفِظُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ... قَالَ الْأَوْلَادُ: وَمَا هِيَ الْمُكَافَأَةُ الثَّالِثَةُ؟... قَالَ الشَّيْخُ: سَأُوزَعُ عَلَيْكُمْ الْحُلُوى الْجَمِيلَةَ الَّتِي تُحِبُّونَهَا.

وَأَحْضَرَ الشَّيْخُ اللُّوْحَاتِ وَأَقْلَامِ التَّلْوِينِ، وَوَضَعَهَا أَمَامَ الْأَوْلَادِ، فَأَبْدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي تَصْمِيمِ لَوْحَتِهِ وَتَلْوِينِهَا، وَأَخَذُوا الْحُلُوى مِنَ الشَّيْخِ وَشَكَرُوهُ وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ فِي سَعَادَةٍ، وَلَمَّا رَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ عَلَّقَ اللُّوْحَةَ فِي غُرْفَتِهِ، وَجَلَسَ يَدْعُو اللَّهَ قَائِلًا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ تَلَقَّى فَرْحَانُ رِسَالَةً مِنْ حَكِيمِ الْغَابَةِ، يَطْلُبُ فِيهَا حُضُورَهُ لِأَمْرِ عَاجِلٍ وَخَطِيرٍ، فَاسْتَأْذَنَ فَرْحَانُ مِنْ وَالِدَيْهِ، وَذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ بِسُرْعَةٍ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْحَكِيمُ قَائِلًا: سَامِحْنِي يَا صَدِيقِي لِأَنِّي طَلَبْتُ حُضُورَكَ عَلَى عَجَلٍ، لَكِنَّ الْأَمْرَ خَطِيرٌ وَلَا يَحْتَمِلُ التَّأْخِيرُ... قَالَ فَرْحَانُ: مَا الَّذِي حَدَثَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ؟! أَخْبِرْنِي بِسُرْعَةٍ... قَالَ الْحَكِيمُ: سَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَاجْلِسْ وَاسْمَعْنِي جَيِّدًا...

جَلَسَ فَرْحَانُ وَبَدَأَ الْحَكِيمُ يَخْبِي لَهُ مَا حَدَثَ، فَقَالَ: مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ كَانَتْ هُنَاكَ رِحْلَةٌ لِصِغَارِ الْحَيَوَانَاتِ عِنْدَ حُدُودِ الْغَابَةِ، وَفَجْأَةً هَجَمَ عَلَيْهِمْ مَجْمُوعَةٌ مِنْ غَابَةِ الْأَشْرَارِ، وَخَطَفُوهُمْ، وَأَخَذُوهُمْ إِلَى غَابَتِهِمْ،

وَطَلَبُوا مِنَّا أَنْ نَدْفَعَ لَهُمْ فِدْيَةً كَبِيرَةً، حَتَّى يَعُودَ الصَّغَارُ لَنَا بِسَلَامٍ... قَالَ فَرْحَانُ: وَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟!! وَأَيْنَ كَانَ حُرَّاسُ الْغَابَةِ؟!! وَكَيْفَ خَطَفُوهُمْ وَخَرَجُوا بِهِمْ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِمْ أَحَدٌ؟!!... قَالَ الْحَكِيمُ: هُنَاكَ خَائِنٌ بَيْنَنَا أَوْصَلَ لَهُمُ الْمَعْلُومَاتِ، وَسَاعَدَهُمْ فِي الْخَطْفِ وَالْهَرَبِ... قَالَ فَرْحَانُ: هَذِهِ حَقًّا مُشْكِلَةٌ كَبِيرَةٌ وَتَحْتَاجُ إِلَى حَلٍّ سَرِيعٍ، فَاْلْمَخْطُوفُونَ يَجِبُ إِعَادَتُهُمْ بِسَلَامٍ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْخَائِنُ وَنَقْبِضَ عَلَيْهِ وَنُعَاقِبَهُ... قَالَ الْحَكِيمُ: أَنْتَ عَلَى حَقٍّ، لَكِنَّ الْمُسْكِلَةَ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا بِكَثِيرٍ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!! أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ!!!

تَنَهَّدَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: لَقَدْ اجْتَمَعَ زُعَمَاءُ الْغَابَةِ، وَتَنَاقَشُوا فِي هَذِهِ الْمُسْكِلَةِ الْكَبِيرَةِ، لَكِنَّ دُونَ نَتِيجَةٍ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لِمَذَا؟!!... قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ آرَاءٍ لِحَلِّ هَذِهِ الْمُسْكِلَةِ، فَالْأَسَدُ أَرَادَ أَنْ يُعْلِنَهَا حَرْبًا عَلَى غَابَةِ الْأَشْرَارِ، وَيَهْجُمَ عَلَيْهِمْ بِجَيْشٍ جَرَّارٍ، وَلَا يَرْجِعَ حَتَّى يُحَقِّقَ الْإِنْتِصَارَ، فَاتَّهَمَهُ الْحَاضِرُونَ بِالْإِنْدِفَاعِ وَالتَّهْوُّرِ... فَاقْتَرَحَ الْفِيلُ أَنْ يَجْمَعَ مَبْلَغَ الْفِدْيَةِ، وَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْخَاطِفِينَ، وَيُحَرِّرَ الصَّغَارَ دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضَ الْغَابَةُ لِلْأَخْطَارِ، فَاتَّهَمَهُ الْبَاقُونَ بِالْخُوفِ وَالْجُبْنِ... فَرَأَى الضَّبُعُ أَلَّا نَخُوضَ حَرْبًا مَعَ الْأَشْرَارِ، وَلَا نُعْطِيَهُمُ الْفِدْيَةَ، حَتَّى يَشْعُرُوا أَنَّنَا لَا نَهْتَمُّ لِأَمْرِ الصَّغَارِ، وَعِنْدَهَا سَيَتَرَكُونَهُمْ بِسَلَامٍ، فَاتَّهَمَهُ الْجَمِيعُ بِقِلَّةِ الْاهْتِمَامِ وَالْإِمْبَالَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟... قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ مَسَّكَ كُلُّ وَاحِدٍ بِرَأْيِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ، وَخَافَ أَنْ تَهْتَزَّ صُورَتُهُ أَمَامَ قَطِيعِهِ وَأَهْلِهِ، وَحَدَّثَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ كَبِيرٌ، وَانْتَهَى الْاجْتِمَاعُ دُونَ نَتِيجَةٍ!!!

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: عِنْدِي فِكْرَةٌ، سَنَطْلُبُ مِنَ الْأَسَدِ أَنْ يَدْعُو زُعَمَاءَ الْغَابَةِ إِلَى اجْتِمَاعٍ آخَرَ، حَتَّى يَتَّخِذُوا الْقَرَارَ بِشَأْنِ خَطْفِ الصَّغَارِ... قَالَ الْحَكِيمُ: لَا فَائِدَةَ مِنْ هَذَا الْاجْتِمَاعِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَيَتَمَسَّكُ بِرَأْيِهِ، وَلَنْ يَتَنَازَلَ عَنْهُ أَبَدًا... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَذَا مَا نُرِيدُهُ... تَعَجَّبَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: لِمَاذَا؟!... قَالَ فَرْحَانُ: سَأُشْرَحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الطَّرِيقِ، هَيَّا بِنَا إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ.

وَأَفْتَنَعَ الْأَسَدُ بِفِكْرَةِ فَرْحَانِ، وَدَعَا الْجَمِيعَ فِي الْحَالِ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ بَدَأَ الْاجْتِمَاعَ، فَوَقَفَ فَرْحَانُ أَمَامَ زُعَمَاءِ الْغَابَةِ وَقَالَ: كَمَا تَعْلَمُونَ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ آرَاءَ جَيِّدَةٍ لِحَلِّ مُشْكِلةِ الْمَخْطُوفِينَ، وَنَحْنُ سَنَجْمَعُهَا فِي خُطَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَالْفِيلُ سَيَأْخُذُ مَبْلَغَ الْفِدْيَةِ وَيَذْهَبَ مَعَ وَفْدٍ خَاصٍّ إِلَى غَابَةِ الْأَشْرَارِ، وَالْأَسَدُ يَجْمَعُ جَيْشَهُ وَيَنْطَلِقُ لِمُحَارَبَتِهِمْ، وَالضَّبْعُ يَبْقَى هُنَا مَعَ الْمُعْتَرِضِينَ، وَعِنْدَمَا يَرَى الْأَشْرَارُ ذَلِكَ سَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هُنَاكَ انْقِسَامٌ كَبِيرٌ بَيْنَكُمْ، وَأَنَّهَا فُرْصَةٌ لِلْقَضَاءِ عَلَيْكُمْ، وَلِذَلِكَ سَيَخْرُجُونَ لِمُحَارَبَةِ الْأَسَدِ دُونَ اسْتِعْدَادٍ لِأَنَّ جَيْشَهُ ضَعِيفٌ، وَهُنَا يَهْجُمُ الْفِيلُ وَفَرِيقُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَلْفِ، بَعْدَ أَنْ يُنْقِذُوا الْمَخْطُوفِينَ، وَيَلْحَقُ الضَّبْعُ وَمَنْ مَعَهُ بِالْمَعْرَكَةِ فِي اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ، وَهَكَذَا يَتَحَرَّرُ الصَّغَارُ، وَتُحَقِّقُونَ الْاِنْتِصَارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَفَقَّ الْجَمِيعُ عَلَى خُطَّةِ فَرْحَانِ، وَقَرَّرُوا تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ، وَخَرَجَ أَصْحَابُ الْآرَاءِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْاجْتِمَاعِ سُعْدَاءَ، فَجَمِيعُهُمْ قَدْ فَازُوا وَلَمْ يَخْسَرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.



فكرة تربوية

بعد أن تُحكى لأبنائك قصة الفائزين الثلاثة ...

- اسألهم: عن رأيهم في الخُطة التي وَصَّعَهَا فرحانُ لإنقاذِ المَخْطُوفِينَ، وهل سَتَنْجَحُ هذه الخُطة؟ وهل عِنْدَ أَحَدِهِم خُطة أُخْرَى؟
- شَجَّعَ أَبْنَاءَكَ على تَرْديدِ دُعَاءِ (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)، وأخبرهم أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً» [صحيح الجامع للأباني ح ر 6026 وقال: حديث حسن]، فَتَخَيَّلْ عَدَدَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ حَتَّى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ.
- أَخْبِرْهُمْ أَنَّ حُقُوقَ الْمُؤْمِنِ على الْمُؤْمِنِ كَثِيرَةٌ، وَمِنْهَا الدَّعَاءُ لَهُ فِي حُضُورِهِ وَغِيَابِهِ، وَفِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ (يَعْنِي: فِي غَيْبَةِ الْأَخِ الْمُؤْمِنِ الْمَدْعُو لَهُ وَفِي السِّرِّ) مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»، فَالْمَلَكُ يُؤْمِنُ على الدُّعَاءِ، وَيَدْعُو لِلدَّاعِي بِمِثْلِ مَا دَعَا بِهِ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ.
- اجْمَعْ أَبْنَاءَكَ، وَأَخْضِرْ قُطْنَةً بَيَضَاءَ وَقَلَمَ حَبْرٍ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْقُطْنَةَ تُشَبِّهُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ، وَالْحَبْرُ يُشَبِّهُ الْغِلَّ الَّذِي يُصِيبُ الْقَلْبَ، ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ بِبَعْضِ أَسْبَابِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، وَمَعَ كُلِّ مِثَالٍ ضَعْ نُقْطَةً حَبْرٍ عَلَى الْقُطْنَةِ، لِيُشَاهِدُوا شَكْلَ الْقَلْبِ الَّذِي يَمْتَلِئُ حَسَدًا وَحَقْدًا، ثُمَّ اسْأَلْهُمْ: كَيْفَ نُظْهِرُ قُلُوبَنَا مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ؟ وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِمْ قَدِّمْ لَهُمْ بَعْضَ النَّصَائِحِ الْعَمَلِيَّةِ، وَمِنْهَا: إِذَا أَغْضَبَكَ أَحَدٌ فَادْعُ لَهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ قَلْبُكَ وَتَشْعُرَ بِالرَّاحَةِ، وَلَا تَنْظُرْ لِمَا فِي أَيْدِي الْآخَرِينَ، وَانْظُرْ لِمَنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَجَمَالًا وَغَيْرَهَا؛ يَمْتَلَأُ قَلْبُكَ رِضًا، وَاعْتَذِرْ لِمَنْ تُخْطِئُ فِي حَقِّهِ حَتَّى تَنْتَزِعَ الْغِلَّ مِنْ قَلْبِهِ.

التَّغْلِبُ نُصُوح

ذَاتَ يَوْمٍ اسْتَأْذَنَ فَرْحَانُ مِنْ أَبِيهِ وَذَهَبَ لِلْعِبِّ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَوَعَدَ أَبَاهُ أَلَّا يَنْشَغَلَ بِاللَّعِبِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَأَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ عِنْدَمَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ، وَانْطَلَقَ فَرْحَانُ نَحْوَ الْمَلْعَبِ مُسْرِعًا، وَقَضَى هُنَاكَ وَقْتًا جَمِيلًا، وَعِنْدَمَا سَمِعَ أَذَانَ الْمَغْرِبِ تَوَقَّفَ عَنِ اللَّعِبِ، وَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ: لَا تَتْرُكِ اللَّعِبَ يَا رَجُلَ، فَفَرِيقُنَا بِدُونِكَ سَيَنْهَزِمُ... قَالَ فَرْحَانُ: وَلَكِنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ سَتَفُوتُنِي... قَالَ صَدِيقُهُ: لَا تَقْلُقْ، عِنْدَمَا نَنْتَهِي مِنَ اللَّعِبِ سَنُصَلِّي مَعًا.

تَرَدَّدَ فَرْحَانُ قَلِيلًا، ثُمَّ أَطَاعَ صَدِيقَهُ، وَأَكْمَلَ اللَّعِبَ، وَبَعْدَ الْمُبَارَاةِ طَلَبَ فَرْحَانُ مِنْ صَدِيقِهِ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ كَمَا وَعَدَهُ، فَاعْتَذَرَ صَدِيقُهُ قَائِلًا: سَأُصَلِّي فِي الْبَيْتِ لِأَنَّنِي تَأَخَّرْتُ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا سَأَقُولُ لِأَبِي إِذَا سَأَلَنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟... قَالَ صَدِيقُهُ: لَا تَخَفْ يَا رَجُلَ، أَخْبِرْهُ أَنَّكَ صَلَّيْتَ، وَأَنَا سَأَشْهَدُ مَعَكَ، وَلَيَنْ عَاقَبَكَ أَبُوكَ سَأُدَافِعُ عَنْكَ، وَإِذَا حَرَمَكَ مِنَ الْمَضْرُوفِ سَأُعْطِيكَ مِنْ مَضْرُوفِي.

رَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَأَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ تَرَكَ اللَّعِبَ وَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ كَمَا وَعَدَهُ، وَأَنَّ صَدِيقَهُ يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَهُ أَبُوهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا الشَّاهِدِ، فَذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى صَدِيقِهِ وَأَحْضَرَهُ مَعَهُ، وَتَرَجَّاهُ أَلَّا يَخْذِلَهُ، فَوَعَدَهُ صَدِيقُهُ أَنْ يَشْهَدَ مَعَهُ وَيُنْقِذَهُ مِنَ الْعِقَابِ، لَكِنَّهُ لَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ

وَالِدِ فَرْحَانَ تَبَدَّلَ حَالُهُ، وَتَرَجَّعَ عَنْ كُلِّ مَا وَعَدَ بِهِ، وَقَالَ: ابْنُكَ لَمْ يُصَلِّ الْمَغْرِبَ يَا عَمَّاهُ، وَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ!!!

نَزَلَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى فَرْحَانَ كَالصَّاعِقَةِ، وَلَمْ يَنْطِقْ مِنْ هَوْلِ الصَّدْمَةِ، وَأَنْصَرَفَ صَدِيقُهُ بِهُدُوءٍ، وَتَرَكَهُ وَحِيدًا فِي وَجْهِ الْعَاصِفَةِ، وَتَوَقَّعَ أَنَّ وَالِدَهُ سَيُعَاقِبُهُ فِي الْحَالِ، لَكِنَّهُ تَفَاجَأَ بِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْهَبْ لِلصَّلَاةِ، وَبَعْدَهَا سَنَنْظُرُ فِي أَمْرِكَ.

تَوَضَّأَ فَرْحَانُ وَصَلَّى وَهُوَ يَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَدَعَا اللَّهَ فِي سُجُودِهِ أَنْ يَلْطِفَ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ أَبَاهُ يَغْفُو عَنْهُ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ اعْتَذَرَ فَرْحَانُ لِأَبِيهِ، وَحَكَى لَهُ مَا فَعَلَهُ صَدِيقُهُ الْمَخَادِعَ، وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يُرِيدُ مَصْلَحَتِي، وَلِذَلِكَ قَبِلْتُ نَصِيحَتَهُ وَسَمِعْتُ كَلَامَهُ... تَنَهَّدَ أَبُوهُ وَقَالَ: النَّاصِحُونَ يَا بُنَيَّ نَوْعَانِ: نَاصِحٌ أَمِينٌ يَنْصَحُكَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ، وَنَاصِحٌ لَيْئِمٌ يَنْصَحُكَ بِفِعْلِ الشَّرِّ وَتَرْكِ الْخَيْرِ، وَلَكِي تَذَرِكْ خُطُورَةَ النَّاصِحِ اللَّيِّمِ سَاحِي لَكَ حِكَايَةٌ...

فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ حَاوَلَ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَدْرِهِمْ، وَعِقَابًا لَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوهُ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَلَا يُجَاوِرُوهُ فِيهَا، وَسَمَحَ ﷺ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مَعَهُمْ كُلَّ مَا أَرَادُوا مِنْ سِلَاحٍ وَأَمْوَالٍ، وَأَعْطَاهُمْ مُهْلَةً عَشْرَةَ أَيَّامٍ لِيَفْعَلُوا ذَلِكَ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟!!! قَالَ أَبُوهُ: بَدَأَ الْيَهُودُ يَتَجَهَّزُونَ لِلرَّحِيلِ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمْ خِيَارٌ آخَرُ، فَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَفَجْأَةً جَاءَتْهُمْ رِسَالَةٌ مِنْ نَاصِحٍ

لَيْمٍ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولَ زَعِيمُ الْمُنَافِقِينَ (وَهُمُ الَّذِينَ أَظْهَرُوا
 الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ)، فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ يَنْصَحُهُمْ أَلَّا يُتَفَدُّوا أَمْرَ النَّبِيِّ
 ﷺ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ وَمَعَهُ أَلْفَيْنِ مِنَ الْمُحَارِبِينَ، وَقَالَ لَهُمْ:
 لَئِنْ أَخْرَجَكُمْ مُحَمَّدٌ مِنْ مَنَازِلِكُمْ لَنَخْرُجَنَّ مِنْ دِيَارِنَا مَعَكُمْ، وَنَضْحَبَكُمْ
 حَيْثُمَا سِرْتُمْ، وَلَئِنْ طَلَبَ مِنَّا أَحَدُهُمْ أَنْ نَخْذُلَكُمْ وَنَتَخَلَّى عَنْكُمْ فَلَنْ
 نَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَإِنْ قَاتَلَكُمْ الْمُسْلِمُونَ سَنَقَاتِلُ مَعَكُمْ، وَنُقَدِّمَ لَكُمْ
 الْعَوْنَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى نَصْرِكُمْ... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ صَدَّقَ الْيَهُودُ هَؤُلَاءِ
 الْمُنَافِقِينَ وَأَخَذُوا بِنَصِيحَتِهِمْ؟... قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، وَأَرْسَلُوا لِلنَّبِيِّ
 ﷺ رِسَالَةً تَقُولُ: إِنَّا لَنْ نَخْرُجَ مِنْ دِيَارِنَا، فَاصْنَعْ مَا تَرِيدُ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟... قَالَ أَبُوهُ: التَّجَاَ يَهُودُ بَنِي
 النَّضِيرِ إِلَى حُصُونِهِمْ وَتَحَصَّنُوا بِهَا، فَحَاصَرَهُمْ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ
 النَّبِيِّ ﷺ، وَانْتَظَرِ الْيَهُودُ الْمُسَاعَدَةَ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا الْمُنَافِقُونَ عِدَّةَ
 أَيَّامٍ، لَكِنَّهُمْ خَانُوهُمْ وَخَذَلُوهُمْ، فَاسْتَسَلَّمَ الْيَهُودُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبُوا
 مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ سَالِمِينَ، فَوَافَقَ
 النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ بِشَرْطٍ أَنْ يَتْرَكُوا سِلَاحَهُمْ، وَلَا يَأْخُذُوا مَعَهُمْ
 إِلَّا مِقْدَارَ مَا تَحْمِلُهُ الْجِمَالُ، فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ مَهْزُومِينَ خَاسِرِينَ،
 بَعْدَ أَنْ خَدَعَهُمُ النَّاصِحُ اللَّيْمُ، وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
 لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
 إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ
 نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتِيَنَّكَ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿الحشر: 11، 12﴾.

وَسَكَتَ وَالِدُ فَرْحَانَ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: وَلَئِنْ النَّاصِحَ اللَّيِّمَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ، فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا فِي سُورَةِ الْحَشْرِ مَثَلًا آخَرَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿[الحشر: 16، 17]... فَمَا فَعَلَهُ الْمُتَنَافِقُونَ مَعَ الْيَهُودِ يُشَبِّهُ مَا فَعَلَهُ الشَّيْطَانُ مَعَ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ، فَقَدْ زَيَّنَ لَهُ الْكُفْرَ وَحَسَّنَهُ، وَدَعَاهُ إِلَيْهِ وَنَصَحَهُ بِهِ، فَلَمَّا كَفَرَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ وَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَبُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَأَى مَصِيرَهُ الْأَلِيمَ، نَدِمَ وَاعْتَذَرَ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُ، وَهُنَا يَتَبَرَّأُ الشَّيْطَانُ مِنْهُ وَيَتَخَلَّى عَنْهُ، بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَلَا يَنْتَفِعُ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ، وَيَقَعَانِ مَعًا فِي النَّارِ، وَاللَّوْمُ كُلُّ اللَّوْمِ عَلَى مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ رَغْمَ تَحْذِيرِ اللَّهِ تَعَالَى الشَّدِيدِ مِنْهُ.

بَكَى فَرْحَانُ نَدَمًا، وَاعْتَرَفَ بِخَطِيئِهِ، وَاعْتَذَرَ لِأَبِيهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَقَبِلَ أَبُوهُ اعْتِذَارَهُ، وَحَثَّهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَتَعَاملُ مَعَ نَصَائِحِ الْأَشْرَارِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَلَّا يَسْتَخْدِمَ الْأَجْهَزَةَ الْإِلِكْتُرُونِيَّةَ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ؛ عِقَابًا لَهُ عَلَى الْكَذِبِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، فَأَطَاعَ فَرْحَانُ أَبَاهُ بِهُدُوءٍ وَأَدَبٍ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ الْمُفْضِلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَهُ الْيَوْمِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ذَهَبَ لِرِيزَةِ حَكِيمِ الْغَابَةِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي الطَّرِيقِ رَأَى النِّعَامَةَ تَجْلِسُ حَزِينَةً، فَسَأَلَهَا: عَنْ سَبَبِ حُزْنِهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ عَلَى الْبَيْضِ بِسَلَامٍ، فَتَنْصَحُهَا الثَّعْلَبُ (نُصُوح) أَنْ تَتْرَكَ الْبَيْضَ فِي حِرَاسَتِهِ، وَتَذْهَبَ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَشَكَرَتْهُ وَعَمِلَتْ بِنَصِيحَتِهِ، وَعِنْدَمَا رَجَعَتْ وَجَدَتْ الْبَيْضَ قَدْ سُرِقَ،

فَعَاتَبْتُ الثَّعْلَبَ لِأَنَّهُ لَمْ يُحَافِظْ عَلَى الْأَمَانَةِ، فَسَخِرَ مِنْهَا قَائِلًا: لَقَدْ أَحْسَسْتُ أَنَا أَيْضًا بِالْجُوعِ، فَذَهَبْتُ لِلْأَكْلِ مِثْلَكَ!!!.

حَاوَلَ فَرَحَانُ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ حُزْنِ النَّعَامَةِ بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الرَّقِيقَةِ، ثُمَّ تَرَكَهَا وَانْصَرَفَ، وَبَعْدَ خُطَوَاتٍ وَجَدَ الْأَرْنبَ يَجْلِسُ مُتَأَلِّمًا، فَسَأَلَهُ: عَنْ سَبَبِ تَأَلُّمِهِ، فَأَخْبَرَهُ الْأَرْنبُ أَنَّ الثَّعْلَبَ (نُصُوحَ) نَصَحَهُ أَنْ يَقْفَزَ بَيْنَ الْأَشْجَارِ؛ حَتَّى يُشَاهِدَ الْجَمِيعُ قُوَّتَهُ وَشَجَاعَتَهُ، وَوَعَدَهُ بِالْمُسَاعَدَةِ إِنْ حَدَثَ لَهُ مَكْرُوهٌ، وَلِلْأَسَفِ سَمِعَ الْأَرْنبُ كَلَامَ نُصُوحَ وَعَمِلَ بِنَصِيحَتِهِ، وَكَانَتْ النَّتِيجَةُ أَنَّهُ وَقَعَ وَكُسِرَتْ قَدَمُهُ، وَعِنْدَمَا طَلَبَ الْمُسَاعَدَةَ مِنَ الثَّعْلَبِ، فُوجِئَ بِهِ يَقُولُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ أَشْيَاءَ لَا تَنَاسِبُكَ أَيُّهَا الْأَرْنبُ الضَّعِيفُ، وَأَنَا لَا أَسَاعِدُ الْأَغْيَاءَ.

سَاعَدَ فَرَحَانُ الْأَرْنبَ قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ، ثُمَّ انْطَلَقَ مِنْ جَدِيدٍ نَحْوَ بَيْتِ الْحَكِيمِ، وَبَعْدَ مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ رَأَى النَّمْلَةَ تَجْلِسُ بَاكِئَةً، فَسَأَلَهَا: عَنْ سَبَبِ بُكَائِهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ تَجْتَهِدُ فِي جَمْعِ الْحُبُوبِ فِي الصَّيْفِ، لِتَنْفَعَهَا فِي الشِّتَاءِ، فَأَخْبَرَهَا الثَّعْلَبُ (نُصُوحَ) أَنَّ ذَلِكَ يَحْرِمُهَا مِنَ الِاسْتِمْتَاعِ بِجَوْ الصَّيْفِ الْجَمِيلِ، وَنَصَحَهَا أَنْ تَلْعَبَ وَتَمَرِّحَ كَمَا تَشَاءُ، وَوَعَدَهَا أَنْ يُعْطِيَهَا مِنْ طَعَامِهِ وَقْتُ الشَّدَّةِ، فَسَمِعَتْ كَلَامَهُ وَعَمِلَتْ بِنَصِيحَتِهِ، وَلَمَّا جَاءَ الشِّتَاءُ لَمْ تَجِدْ فِي بَيْتِهَا طَعَامًا، وَأَحْسَتْ بِالْبَرْدِ وَالْجُوعِ، وَطَلَبَتْ مِنَ الثَّعْلَبِ أَنْ يُعْطِيَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ كَمَا وَعَدَهَا، فَرَفَضَ ذَلِكَ قَائِلًا: أَنْتِ لَمْ تُسَاعِدِي نَفْسَكَ، فَكَيْفَ تَطْلُبِي الْمُسَاعَدَةَ مِنْ غَيْرِكَ؟!.

أَحْضَرَ فَرَحَانُ بَعْضَ الطَّعَامِ لِلنَّمْلَةِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَبَعْدَ بَضْعِ خُطَوَاتٍ وَجَدَ الْحِمَارَ يَجْلِسُ حَزِينًا، فَسَأَلَهُ: عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ، فَأَخْبَرَهُ الْحِمَارُ أَنَّهُ

كَانَ يَعْمَلُ وَيَجْتَهِدُ مِنْ أَجْلِ جَمْعِ الطَّعَامِ، فَنَصَحَهُ الثَّعْلَبُ (نُصُوح) أَلَّا يَتَعَبَ نَفْسَهُ، وَيَأْخُذَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَزْرَعَةِ جَارِهِ الثَّوْرَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ إِذَا حَدَّثَتْ لَهُ مُشْكِلَةً، وَلِلْأَسَفِ سَمِعَ الْحِمَارُ كَلَامَ الثَّعْلَبِ وَعَمِلَ بِنَصِيحَتِهِ، وَكَانَتْ النَّتِيجَةُ أَنَّ الثَّوْرَ أَمْسَكَ بِالْحِمَارِ وَهُوَ يَسْرِقُ مِنْ مَزْرَعَتِهِ، وَأَخَذَهُ لِلْقَاضِي، فَجَاءَ الثَّعْلَبُ وَشَهِدَ أَنَّهُ رَأَى الْحِمَارَ يَسْرِقُ وَأَثْبَتَ التُّهْمَةَ عَلَيْهِ، وَالْآنَ هُوَ مُهَدَّدٌ بِدُخُولِ السِّجْنِ.

ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الثَّوْرِ فِي الْحَالِ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْعَفْوَ عَنِ الْحِمَارِ، مُقَابِلَ أَنْ يَعْمَلَ عِنْدَهُ فِي الْمَزْرَعَةِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، فَوَافَقَ الثَّوْرُ، وَفَرِحَ الْحِمَارُ بِذَلِكَ، وَتَرَكَهُمَا فَرْحَانُ وَانْصَرَفَ، وَوَصَلَ أَخِيرًا إِلَى بَيْتِ حَكِيمِ الْغَابَةِ، وَحَكَى لَهُ مَا رَأَاهُ فِي الطَّرِيقِ، فَتَنَهَّدَ الْحَكِيمُ قَائِلًا: إِنَّ الثَّعْلَبَ (نُصُوح) أَفْسَدَ الْغَابَةَ بِنَصَائِحِهِ اللَّئِيمَةِ، وَلَقَدْ حَاوَلْنَا إِيقَافَهُ لَكِنْ دُونَ نَتِيجَةٍ... قَالَ فَرْحَانُ: عِنْدِي فِكْرَةٌ تَجْعَلُهُ يَتَوَقَّفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْحَكِيمُ: أَخْبِرْنِي بِهَا حَفِظَكَ اللَّهُ... قَالَ فَرْحَانُ: سَنَجْمَعُ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ وَنُعْطِيهِ لَكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الثَّعْلَبُ يَرَى هَذَا الْمَالَ مَعَكَ، وَعِنْدَمَا يَسْأَلُكَ عَنْ مَصْدَرِهِ، تَخْبِرُهُ أَنَّكَ رَبِّحْتُهُ مِنَ التَّجَارَةِ، ثُمَّ تَنْصَحُهُ أَنْ يَأْتِيكَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ لِتَتَاجَرَ لَهُ فِيهِ، وَبَعْدَ أَنْ تَأْخُذَ النُّقُودَ مِنْهُ تَنْتَظِرُ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ تَخْبِرُهُ أَنَّ التَّجَارَةَ قَدْ خَسِرْتَ، وَأَنَّ نَقُودَهُ ضَاعَتْ، وَهَكَذَا يَتَذَوَّقُ الثَّعْلَبُ طَعْمَ النَّصِيحَةِ الْمَاكِرَةِ، وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّمُ الدَّرْسَ تَعِيدُ لَهُ نَقُودَهُ، بِشَرْطِ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ نَصَائِحِ اللَّئِيمَةِ... قَالَ الْحَكِيمُ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ، فَالثَّعْلَبُ نُصُوحٌ لِأَبَدٍ أَنْ يَشْرَبَ مِنَ الْكَأْسِ نَفْسِهِ الَّذِي سَقَى الْآخَرِينَ مِنْهُ؛ لِيُذْرِكَ خُطُورَةَ نَصَائِحِ الْخَبِيثَةِ.



فكرة تربوية

بعد أن تخيي لأبنائك قصة الثعلب نضوح...

● اسألهم: عن رأيهم في الخطبة التي وصَّعها فرحان؟ وهل ستَنجَحُ في جَعْلِ الثَّعْلَبِ نَضُوحَ يَتَوَقَّفُ عَنْ نَصَائِحِهِ اللَّيْمَةِ؟ وهل عِنْدَ أَحَدِهِمْ فِكْرَةٌ أُخْرَى وَخُطَّةٌ أَحْسَنُ؟

● أَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الدِّينَ يَقُومُ عَلَى النَّصِيحَةِ، فَهِيَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُهْمَّةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»، فَهُوَ قَدْ عَاهَدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى فِعْلِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ الثَّلَاثَةِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ النُّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَتَحْرِيرِ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَالْحِرْصِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ، وَالسَّعْيِ فِي مَنَافِعِهِمْ.

● شَجَّعَ أَبْنَاءَكَ عَلَى تَقْدِيمِ النُّصْحِ لَكَ، وَتَقَبَّلْ نَصِيحَتَهُمْ بِحُبٍّ، وَاعْمَلْ بِهَا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، ثُمَّ شَجَّعْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ عَلَى تَقْدِيمِ نَصِيحَةٍ لِلْآخَرِ (يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَكْتُوبَةً)، وَسَاعِدْهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ نَصِيحَةٍ طَيِّبَةٍ لِأَحَدِ الْأَصْدِقَاءِ أَوْ الزَّمَلَاءِ، وَعَلِّمُهُمْ آدَابَ النَّصِيحَةِ بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ.

● اسْأَلْ أَبْنَاءَكَ: مَا النَّصِيحَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَقْبَلَهَا؟ وَمَا النَّصِيحَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَرْفُضَهَا؟ وَهَلْ نَصَحَكَ أَحَدُهُمْ يَوْمًا بِنَصِيحَةٍ سَيِّئَةٍ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ النَّتِيجَةُ؟ وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِمْ أَخْبِرْهُمْ بِبَعْضِ النَّصَائِحِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي يَنْصَحُ بِهَا أَصْدِقَاءُ السُّوءِ، مِثْلَ نَصِيحَةِ أَحَدِهِمْ بِالتَّذْخِينِ لِيَكُونَ رَجُلًا، وَنَصِيحَةِ إِحْدَاهُنَّ بِخَلْعِ الْحِجَابِ لِيَتَكُونَ أَجْمَلٌ... ثُمَّ اخْكْ لَهُمْ بَعْضَ ذِكْرِيَاتِكَ مَعَ النَّصِيحَةِ.

● أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَدَرْنَا كَثِيرًا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6]،

وَاسْأَلْهُمْ: كَيْفَ نَهْزِمُ الشَّيْطَانَ؟ وَابْحَثْ مَعَهُمْ عَنِ الْإِجَابَةِ.

غَابَةُ الْمُسْتَقْبَلِ

ذات يوم ذهب فرحان إلى حلقة التحفيظ، وقضى هناك وقتاً جميلاً في الحفظ والمراجعة، وقبل الانصراف قال لهم الشيخ: اسمعوني جيداً يا أبنائي، بعض آيات القرآن الكريم تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهذا نداء خاص من رب العالمين لعباده المؤمنين، والمؤمن عند ما يسمع هذا النداء عليه أن يئنصت جيداً ليعرف ما يريد الله تعالى منه، ثم يجتهد في العمل به، فإما خير يأمره الله به، أو شر ينهاه عنه، ومن يعمل بهذه الآيات يكن من الفائزين، واليوم سأقيم بينكم سباقاً في العمل بإحدى هذه الآيات... فرح الأولاد كثيراً، وتساءلوا: ما هذه الآية؟... فقال لهم الشيخ: سأقيم بينكم سباقاً في العمل بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: 18]، وهذا السباق ستكون مدته أربع وعشرون ساعة، فكل واحد منكم -عندما يرجع إلى بيته- يتأمل هذه الآية، ويجتهد في العمل بها، وعدداً - إن شاء الله - نستمع إلى تجاربكم، ونعطي جوائز قيّمة للمجتهدين منكم.

تحمّس الأولاد للفكرة، ووعدوا الشيخ أن يرى منهم ما يسره، ورجعوا إلى بيوتهم سعداء، وفي اليوم التالي حضروا إلى حلقة التحفيظ في الموعد المحدد، فأحسن الشيخ استقبالهم، وسألهم: عن إنجازاتهم...

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ فِي حُدُودِ يَوْمِي فَقَطْ، وَلَا أَفَكِّرُ فِي
 الْغَدِ، وَهَذَا كَانَ يُغْضِبُ أُمِّي، وَخَاصَّةً أَنَّهَا نَصَحْتَنِي كَثِيرًا أَنْ أَجْهَزَ
 حَقِيبَةَ الْمَدْرَسَةِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَلَلْأَسَفِ لَمْ أَخُذْ بِنَصِيحَتِهَا أَبَدًا، فَكُنْتُ كُلَّ
 صَبَاحٍ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ الْبَحْثِ عَنْ كُتُبِي وَأَقْلَامِي الضَّائِعَةِ، وَبِالْأَمْسِ
 قَرَرْتُ أَنْ أَسْتَعِدَّ لِلْغَدِ عَمَلًا بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَجَهَّزْتُ حَقِيبَةَ الْمَدْرَسَةِ فِي
 الْمَسَاءِ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ أَحْسَسْتُ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا لَمْ أَكُنْ أَخْطِطُ لِلْأَعْمَالِ الَّتِي سَأَقُومُ بِهَا فِي الْغَدِ، وَلَيْلَةً
 أَمْسِ أَحْضَرْتُ وَرْقَةً وَقَلَمًا، وَكَتَبْتُ مَهَامَ الْيَوْمِ التَّالِي، وَبَدَأْتُ تَنْفِيزَهَا
 فِي الصَّبَاحِ، وَهَذَا جَعَلَ الْيَوْمَ جَمِيلًا.

وَقَالَ ثَالِثٌ: وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَجْهَزُ مَا سَأَرْتَدِيهِ فِي الْغَدِ، وَلِذَلِكَ كُنْتُ كُلَّ صَبَاحٍ
 أَتَعَبُ كَثِيرًا فِي الْبَحْثِ عَنْ مَلَابِسِي وَجَوَارِي، وَكَانَتْ هَذِهِ بَدَايَةَ سَيِّئَةٍ لِلْيَوْمِ،
 وَبِالْأَمْسِ جَهَّزْتُ مَلَابِسِي الَّتِي سَأَرْتَدِيهَا فِي الصَّبَاحِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِي.

وَقَالَ رَابِعٌ: وَأَنَا كُنْتُ أَنْفِقُ كُلَّ نُقُودِي، وَلَا أَدَّخِرُ مِنْهَا شَيْئًا لِلْغَدِ،
 وَبِالْأَمْسِ صَنَعْتُ حَصَالَةً، وَادَّخَرْتُ فِيهَا جُزْءًا مِنْ مَصْرُوفِي.

ثُمَّ تَوَالَتْ الْأَفْكَارُ الْعَمَلِيَّةُ، وَلَمَّا انْتَهَى الْجَمِيعُ مِنَ الْكَلَامِ قَالَ الشَّيْخُ:
 إِنَّ مَا قُمْتُمْ بِهِ جَمِيلٌ وَرَائِعٌ، لَكِنَّكُمْ لَمْ تَعْمَلُوا بِالْآيَةِ!!!... تَعَجَّبَ
 الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: كَيْفَ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْغَدِ
 فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هُوَ الْيَوْمُ التَّالِي، وَهَذَا
 خَطَأٌ، فَالْغَدُ هُنَا مَعْنَاهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا أَنْ تَنْظُرَ وَتَفَكَّرَ
 فِيمَا قَدَّمَتْهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ أَخْطَأْنَا لِأَنَّا عَمِلْنَا بِالْآيَةِ

قَبْلَ أَنْ نَعْرِفَ تَفْسِيرَهَا وَنَفْهَمَ مَعْنَاهَا، وَلَكِنْ عِنْدِي سُؤَالٌ، لِمَاذَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْغَدِ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَأْتِي بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ؟!!!!... قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ عَبَّرَ - سُبْحَانَهُ - عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْغَدِ، لِلإِشْعَارِ بِقُرْبِهِ، وَالْعَرَبُ تَخْبِرُ عَنْ الْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِ بِالْغَدِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ... وَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَرِيبًا فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ أَيُّهَا الْحَبِيبُ... وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: سَأُعْطِيكُمْ فُرْصَةً ثَانِيَةً لِلْعَمَلِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، لَكِنْ بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ، وَغَدًا بِإِذْنِ اللَّهِ نَلْتَقِي.

مَرَّ الْيَوْمَ سَرِيعًا، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ اجْتَمَعَ الْأَوْلَادُ حَوْلَ شَيْخِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى، وَبَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْكِي كَيْفَ عَمِلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ...

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي وَقْتِهَا، بِهَذُوءٍ وَخُشُوعٍ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا تَصَدَّقْتُ مِنْ نُقُودِي الْخَاصَّةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِي.

وَقَالَ ثَالِثٌ: لَقَدْ حَفِظْتُ دُعَاءَ جَمِيلًا، وَقَلْتُهُ كَثِيرًا، فَأَحْسَسْتُ بِرَاحَةٍ وَطَمَإْنِينَةٍ.

وَقَالَ رَابِعٌ: وَأَنَا سَاعَدْتُ أُمِّي فِي عَمَلِ الْمَنْزِلِ، فَفَرِحَتْ وَدَعَتْ لِي كَثِيرًا.

وَاسْتَمَعَ الشَّيْخُ لِلْجَمِيعِ بِإِنْصَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي، لَكِنَّكُمْ لَمْ تَعْمَلُوا بِالْآيَةِ بِصُورَةٍ كَامِلَةٍ!!!!... اغْتَرَضَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: كَيْفَ؟!!!!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ مَعْنَاهُ: وَلْتَنْظُرْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا قَدَّمَتْهُ مِنْ (خَيْرٍ وَشَرٍّ) لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَالْخَيْرُ تَزِيدُ مِنْهُ، وَالشَّرُّ تَنْوِبُ عَنْهُ، وَأَنْتُمْ فَكَّرْتُمْ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ فَقَطْ، وَسَأُعْطِيكُمْ فُرْصَةً ثَالِثَةً لِتَكْمِلُوا الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ.

رَجَعَ الْأَوْلَادُ إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَاجْتَهَدُوا فِي تَصْحِيحِ أَخْطَائِهِمْ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي جَاءُوا إِلَى شَيْخِهِمْ، وَبَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْكِي تَجْرِبَتَهُ...

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ تَوَقَّفْتُ عَنْ ضَرْبِ أُخْتِي، فَفَرَحْتُ كَثِيرًا.

وَقَالَ آخَرُ: كُنْتُ أَعَانِدُ أُمِّي، فَتَوَقَّفْتُ عَنْ ذَلِكَ، وَوَجَدْتُ طَاعَتَهَا أَجْمَلَ.

وَقَالَ ثَالِثٌ: وَأَنَا كُنْتُ أَضِيعُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً أَمَامَ الْأَجْهَرَةِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ، فَاتَّفَقْتُ مَعَ أَبِي عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهَا وَقْتُ مُحَدَّدٍ، وَالْوَقْتُ الْبَاقِي أَفْعَلُ فِيهِ أَشْيَاءَ مُفِيدَةٍ.

وَقَالَ رَابِعٌ: كَانَ لِي ذَنْبٌ بَيْنِي وَبَيْنَ رَبِّي، فَتُبْتُ مِنْهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَمَا انْتَهَى الْجَمِيعُ مِنَ الْكَلَامِ، نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ يَا أَبْنَائِي، وَلَكِنْ هُنَاكَ أَمْرٌ رَبَّانِيٌّ تَكَرَّرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَرَّتَيْنِ وَأَنْتُمْ لَمْ تَنْتَبِهُوا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ اُنْقَرُوا لِلَّهِ ﴾، وَمَعْنَاهُ: خَافُوا اللَّهَ، وَاحْذَرُوا عِقَابَهُ، وَلَا تَفْعَلُوا مَا يُغْضِبُهُ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ بِفِعْلِ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَاتٍ، وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِي... هُنَا صَاحَ الْأَوْلَادُ قَائِلِينَ: مَا هَذَا يَا شَيْخَنَا؟! هَلْ سَتُعِيدُنَا مَرَّةً رَابِعَةً لِنُكْمِلَ الْعَمَلَ بِهِذِهِ الْآيَةِ؟!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَا، سَأُوزَعُ عَلَيْكُمْ الْجَوَائِزَ الْآنَ، لَعَلَّهَا تَكُونُ مِمَّا أَقْدَمَهُ لِنَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْقَبُولَ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي انْطَلَقَ فَرَحَانُ نَحْوَ الْغَابَةِ، وَذَهَبَ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ؛ لِيَقْرَأَ وَرَدَّهُ الْيَوْمِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ هُنَاكَ، فَفُوجِيَ أَنَّ الشَّجَرَةَ قَدْ قُطِعَتْ، وَتَمَّ تَخْرِيبُ الْمَكَانِ، فَأَحْسَ بِصَدْمَةٍ كَبِيرَةٍ، وَسَأَلَ عَمَّنْ فَعَلَ هَذِهِ الْجَرِيمَةَ، فَأَخْبَرَهُ الْقِرْدُ أَنَّ الْبَشَرَ قَطَعُوا الْأَشْجَارَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، لِيَبْنُوا مَكَانَهَا

عددًا من البيوت، ولَمَّا تَأَكَّدَ فرحانُ من ذلكَ ذَهَبَ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَابَلَ أَحَدَ الْمَسْؤُولِينَ، وَحَاوَلَ إِقْنَاعَهُ بِضُرُورَةِ الْحِفَاطِ عَلَى أَشْجَارِ الْغَابَةِ، لَكِنْ دُونَ فَائِدَةٍ، وَعَلِمَ فرحانُ مِنْ هَذَا الْمَسْئُولِ أَنَّ هُنَاكَ خُطَّةَ كَبِيرَةً لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ أَرْضِ الْغَابَةِ كُلِّهَا، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْغَابَةَ سَتُخْتَفَى تَمَامًا خِلَالَ سَنَوَاتٍ، فَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ حَزِينًا وَبَاكِيًا، وَجَلَسَ يُفَكِّرُ فِي حَيَاتِهِ كَيْفَ سَتَكُونُ بِدُونِ الْغَابَةِ!!!.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ قَرَّرَ فرحانُ أَنْ يَقُومَ بِخُطْوَةٍ جَرِيئَةٍ، فَذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَمَعَ الْحَيَوَانَاتِ فِي السَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْمُصِيبَةِ الْقَادِمَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْغَابَةَ فِي خَطَرٍ، وَأَنَّهَا سَتُخْتَفَى خِلَالَ سَنَوَاتٍ، فَسَخِرُوا مِنْهُ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ اخْتِفَاءَ الْغَابَةِ شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، وَلَوْ حَدَّثَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ سَيَعِيشُونَ مَا بَقِيَ مِنْ سَنَوَاتٍ فِي سَعَادَةٍ وَهُدُوءٍ، حَتَّى يَأْتِيَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ.

رَجَعَ فرحانُ إِلَى بَيْتِهِ وَالْأُفْعَى تَتَرَقَّرُ فِي عَيْنَيْهِ، وَأَخْبَرَ وَالِدَيْهِ بِمَا حَدَّثَ، فَحَضَنَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: لَا تَحْزَنْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ فَعَلْتَ مَا عَلَيْكَ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ فَرْجًا وَمَخْرَجًا، وَهُنَاكَ خَبْرٌ قَدْ يُخَفِّفُ مِنْ حُزْنِكَ... مَسَحَ فرحانُ دُمُوعَهُ وَقَالَ: مَا هُوَ؟!!! قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ جَاءَنِي عَقْدُ عَمَلٍ فِي إِحْدَى الدُّوَلِ، وَسَنُسَافِرُ مَعًا لِلْعَيْشِ هُنَاكَ، وَهَذِهِ الدُّوَلَةُ فِيهَا غَابَاتٌ كَثِيرَةٌ وَحَيَوَانَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ... تَنَهَّدَ فرحانُ وَقَالَ: حَسَنًا يَا أَبِي، لَعَلَّهُ خَيْرٌ.

وَذَهَبَ فرحانُ إِلَى الْغَابَةِ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، وَوَدَّعَ أَصْدِقَاءَهُ، وَكَانَتْ كَلِمَاتُهُ الْأَخِيرَةُ لَهُمْ: لَا تَنْسُوا مَا يَنْتَظِرُكُمْ فِي الْغَدِّ، وَاسْتَعِدُّوا لَهُ مِنَ الْآنَ.

سَافَرَ فرحانُ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَانْشَغَلَ بِدِرَاسَتِهِ وَحَيَاتِهِ الْجَدِيدَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ الْغَابَةَ يَوْمًا، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ، وَمَا إِنْ حَظَّ رِحَالُهُ فِي الْبَيْتِ

حَتَّى انْطَلَقَ نَحْوَ الْغَابَةِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَدْ اخْتَفَتْ، وَحَلَّ مَكَانَهَا غَابَةٌ
 مِنَ الْعِمَارَاتِ وَالْأَبْرَاجِ السَّكِينَةِ، فَبَكَى فَرْحَانُ حُزْنًا، وَمَشَى فِي الطَّرِيقَاتِ هَائِمًا
 عَلَى وَجْهِهِ، وَفَجْأَةً رَأَى مِنْ بَعِيدٍ غَابَةً كَبِيرَةً، فَاَنْطَلَقَ يَجْرِي نَحْوَهَا، وَمَا إِنْ
 وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ الْحُرَّاسُ، وَأَخَذُوهُ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ
 الْأَسَدُ بِقَسْوَةٍ، وَسَأَلَهُ: عَنْ سَبَبِ زِيَارَتِهِ، فَعَرَفَهُ فَرْحَانُ بِنَفْسِهِ، فَرَحَّبَ الْأَسَدُ
 بِهِ وَأَكْرَمَهُ، وَاعْتَذَرَ لَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَدْ غَيَّرَتِ السَّنَوَاتُ شَكْلَهُ.

نَظَرَ فَرْحَانُ حَوْلَهُ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَكَانُ صَحْرَاءَ جَرْدَاءٍ، فَكَيْفَ
 تَحَوَّلَ إِلَى غَابَةٍ خَضْرَاءٍ؟!... قَالَ الْأَسَدُ: أَنْتَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ، فَمُنْذُ سَنَوَاتٍ
 نَصَحْتَنَا أَنْ نُخْطِطَ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَلَمْ يَأْخُذْ زُعَمَاءُ الْغَابَةِ بِرَأْيِكَ، لَكِنَّ صِغَارَ
 الْحَيَوَانَاتِ -وَأَنَا مِنْهُمْ- أَحْسُوا أَنْ مُسْتَقْبَلَهُمْ فِي خَطَرٍ، وَقَرَّرُوا أَنْ يَبْنُوا
 غَابَةً جَدِيدَةً، فَقَامُوا بِحَفْرِ الْبُحَيْرَةِ هُنَا، وَنَقَلُوا إِلَيْهَا الْمَاءَ مِنَ الْبُحَيْرَةِ
 الْقَدِيمَةِ، فَكَانَ كُلُّ حَيَوَانٍ يَنْقُلُ دَلْوًا وَاحِدًا فِي الْيَوْمِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ
 يَزْرَعُ شَجَرَةً وَاحِدَةً يَوْمِيًّا دُونَ تَوَقُّفٍ، ثُمَّ نَقَلُوا الصُّخُورَ مِنَ الْجَبَلِ
 لِيَبْنُوا سُورًا كَبِيرًا حَوْلَ الْغَابَةِ، فَنَقَلَ كُلُّ حَيَوَانٍ صَخْرَةً وَاحِدَةً فِي الْيَوْمِ،
 حَتَّى اكْتَمَلَ بِنَاءُ سُورِ الْغَابَةِ الْعَظِيمِ، وَمِثْرُورِ السَّنَوَاتِ أَصْبَحَ لَدَيْنَا هَذِهِ
 الْغَابَةُ الْجَمِيلَةُ، وَهُنَاكَ شَيْءٌ مُهِمٌّ يَجِبُ أَنْ تَرَاهُ بِنَفْسِكَ، فَهَيَّا بِنَا.

انْطَلَقَ فَرْحَانُ مَعَ الْأَسَدِ فِي سَعَادَةٍ، فَأَخَذَهُ إِلَى شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ وَجَمِيلَةٍ، وَأَخْبَرَهُ
 أَنَّهُمْ زَرَعُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ مِنْ أَجْلِهِ، وَانْتَظَرُوهُ سَنَوَاتٍ حَتَّى يَجْلِسَ فِي ظِلِّهَا،
 وَيَقْرَأَ الْقُرْآنَ، عِنْدَهَا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ فِي الْغَابَةِ الْقَدِيمَةِ.



فكرة تربوية

بعد أن تُحكي لأبنائك قصة غَايَةِ الْمُسْتَقْبَلِ...

- أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْمُسْلِمَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَلِنُنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: 18]، فَإِنْ رَأَى نَفْسُهُ تَرْتَكِبُ خَطَاً تَوَقَّفَ عَنْهُ وَتَابَ مِنْهُ، وَإِنْ وَجَدَهَا تَقْصُرُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَوْامِرِ اللَّهِ اجْتَهِدَ فِي الْعَمَلِ بِهِ وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ، ثُمَّ شَجَّعَ أَبْنَاءَكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جِلْسَةٌ -قَبْلَ النَّوْمِ- يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، فَمَا فَعَلَهُ مِنْ خَيْرٍ يَحْمَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَا فَعَلَهُ مِنْ شَرٍّ يَتُوبُ مِنْهُ.
- اجْعَلْ ابْنَكَ (ابْنَتَكَ) يَكْتُبُ قَائِمَةً بِالطَّاعَاتِ الَّتِي يُقْصِرُ فِيهَا، وَالْأَخْطَاءَ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا، ثُمَّ يَخْتَارُ إِحْدَى الطَّاعَاتِ لِيَجْتَهِدَ فِي أَدَائِهَا، وَأَحَدَ الْأَخْطَاءِ لِيَتَوَقَّفَ عَنْهُ، وَكَافِلُهُ عَلَى اجْتَهِادِهِ، وَكُنْ قُدْوَةً لَهُمْ فِي الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْفِكْرَةِ.
- اسْتَمِعْ مَعَ أَبْنَائِكَ لِشَرْحِ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةُ عُرَاهُ، مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (ظَهَرَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ) لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ (الفقر الشديد)، فَدَخَلَ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَنَ (لِلصلاة) وَأَقَامَ، فَصَلَّى ﷺ ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «يَتَأْتِي النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَلِنُنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: 18]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ ﷺ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصْرَةَ كَادَتْ كُفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ (دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ السُّرُورِ)».

الرَّسَالَةُ السَّرِيَّةُ

ذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ فَرَحَانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّخْفِيزِ، وَقَضَى مَعَ زُمَلَائِهِ وَقْتًا جَمِيلًا، وَقَبْلَ الانْصِرَافِ فُوجِئُوا بِالشَّيْخِ يَقُولُ لَهُمْ: سَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ وَرَقَةً مَطْوِيَةً، فِيهَا رِسَالَةٌ سَرِيَّةٌ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُخَبِّئَهَا فِي مَكَانٍ لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ، وَيُخْفِيهَا بِطَرِيقَةٍ يَسْتَحِيلُ اكْتِشَافُهَا، وَيُحْضِرُهَا مَعَهُ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - دُونَ أَنْ يَقْرَأَهَا، وَمَنْ يَنْجَحْ فِي هَذِهِ الْمِهْمَةِ سَتَكُونُ لَهُ جَائِزَةٌ كَبِيرَةٌ.

تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ لِلْفِكْرَةِ، وَأَخَذُوا الْأُورَاقَ وَانْطَلَقُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ فِي سَعَادَةٍ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَ الْجَمِيعُ إِلَى حَلَقَةِ التَّخْفِيزِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ، فَحَرَّبَ الشَّيْخُ بِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي أَيْنَ خَبَأْتُمُ الرِّسَائِلَ؟... فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ وَضَعْتُ الرِّسَالََةَ فِي أَحَدِ الْكُتُبِ بِطَرِيقَةٍ يَسْتَحِيلُ اكْتِشَافُهَا... وَقَالَ الثَّانِي: لَقَدْ أَخْفَيْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ... وَقَالَ الثَّالِثُ: لَقَدْ خَبَأْتُهَا فِي الْقُبْعَةِ الَّتِي أَرْتَدِيهَا... وَقَالَ الرَّابِعُ: هُنَاكَ جَيْبٌ سَرِيٌّ فِي الثَّوْبِ الَّذِي أَرْتَدِيهِ، وَلِذَلِكَ وَضَعْتُهَا فِيهِ... وَجَاءَ دَوْرُ فَرَحَانَ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ خَبَأْتُ الرِّسَالََةَ بِذَكَاءٍ، وَوَضَعْتُهَا فِي مَكَانٍ لَا يَتَوَقَّعُهُ أَحَدٌ، فَقَدْ غَلَفْتُهَا بِقِطْعَةٍ مِنَ الْبِلَاسْتِيكِ، وَأَخْفَيْتُهَا فِي هَذَا السَّنْدَوْتِشِ.

ضَحِكَ الْأَوْلَادُ مِمَّا فَعَلَهُ فَرَحَانُ، وَضَحِكَ الشَّيْخُ مَعَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: أَحْسَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي، وَأَبْدَعْتُمْ فِي إِخْفَاءِ الرِّسَائِلِ، لَكِنَّكُمْ لِلْأَسَفِ خَسِرْتُمْ جَمِيعًا!!!!... اعْتَزَّ الْأَوْلَادُ وَصَاحُوا قَائِلِينَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟!!! وَلِمَاذَا؟!!!!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: سَأُخْبِي لَكُمْ حِكَايَةً تَوْضِحُ لَكُمْ سَبَبَ خَسَارَتِكُمْ...

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَمْ يَتْرُكْهُمْ الْكُفَّارُ فِي حَالِهِمْ، وَقَرَّرُوا مُحَارَبَتَهُمْ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ كَعَزْوَةِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْأَحْزَابِ، وَفِي الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ قَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ فَتْحَ مَكَّةَ، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَتَجَهَّزُوا، فَكَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رِسَالَةً سَرِيَّةً إِلَى رِجَالٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيَأْتِي إِلَى مَكَّةَ لِفَتْحِهَا، وَأَعْطَى حَاطِبٌ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَعْطَاهَا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ حَتَّى تُوصِلَهَا إِلَيْهِمْ، فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ تِلْكَ الرِّسَالَةَ وَأَخْفَتْهَا بِطَرِيقَةٍ خَبِيثَةٍ وَذَكِيَّةٍ، فَقَدْ وَضَعَتْهَا فِي رَأْسِهَا، وَفَتَلَتْ عَلَيْهَا صَفَائِرَ شَعْرِهَا، وَانْطَلَقَتْ إِلَى مَكَّةَ فِي سَرِيَّةٍ تَامَّةٍ، لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِمَ بِمَا فَعَلَتْهُ تِلْكَ الْمَرْأَةُ.

تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَصَاحَ قَائِلًا: لَقَدْ كَانَتْ الرِّسَالَةُ سَرِيَّةً، وَالْمَرْأَةُ قَدْ أَخْفَتْهَا بِطَرِيقَةٍ ذَكِيَّةٍ، فَكَيْفَ عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا فَعَلَتْهُ؟!!!

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَقَدْ جَاءَهُ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ يَا بُنَيَّ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ -عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ- بِخَبَرِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الرِّسَالَةَ السَّرِيَّةَ، وَأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ نَحْوَ مَكَّةَ، وَأَخْبَرَهُ أَيْضًا بِالْمَكَانِ الَّذِي تُوجَدُ فِيهِ تِلْكَ الْمَرْأَةُ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ؟.

قَالَ الشَّيْخُ: اسْتَدْعَى النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَةً مِنْ فِرْسَانِ الصَّحَابَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْطَلِقُوا إِلَى مَكَانٍ يُسَمَّى «رَوْضَةَ خَاخٍ»، وَهُوَ مَوْضِعٌ يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا، وَأَخْبَرَهُمْ ﷺ أَنَّهُمْ سَيَجِدُونَ هُنَاكَ امْرَأَةً مُسَافِرَةً عَلَى

جَمَلٍ لَهَا، وَأَنْ مَعَهَا رِسَالَةٌ مَكْتُوبَةٌ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهَا تِلْكَ الرِّسَالَةَ وَيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقَ الْفِرْسَانُ الثَّلَاثَةُ تَجْرِي بِهِمْ خَيْلُهُمْ حَتَّى أَتَوْا الْمَكَانَ الَّذِي ذَكَرَهُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدُوا الْمَرْأَةَ، وَأَمَرُوهَا أَنْ تُخْرِجَ الرِّسَالَةَ الَّتِي مَعَهَا، فَأَنْكَرَتْ أَنْ مَعَهَا رِسَالَةٌ، فَفَتَّشُوا الْجَمَلَ الَّذِي تَرَكَبَهُ جَيْدًا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا، فَهَدَّوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تُخْرِجِ الرِّسَالَةَ سَيَضْطَرُّونَ لِتَفْتِيشِهَا وَالْبَحْثِ فِي مَلَابِسِهَا، فَخَافَتْ وَأَخْرَجَتْ الرِّسَالَةَ مِنْ شَعْرِهَا، فَتَرَكُوهَا تَرْحَلُ، وَأَخَذُوا الرِّسَالَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا شَيْخَنَا؟.

قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ الرِّسَالَةَ، فَإِذَا هِيَ مُرْسَلَةٌ مِنْ حَاطِبٍ إِلَى بَعْضِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ فِيهَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَيَأْتِي مَكَّةَ لِفَتْحِهَا، فَاسْتَدْعَى النَّبِيُّ ﷺ حَاطِبًا، وَأَشَارَ إِلَى الرِّسَالَةِ قَائِلًا: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟!... فَأَحْسَ حَاطِبُ بِالْخَوْفِ وَطَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَلَّا يَعْجَلَ عَلَيْهِ فِي الْعِقَابِ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: يَا حَاطِبُ أَفَعَلْتَ ذَلِكَ (هَلْ كَتَبْتَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ)؟!... قَالَ حَاطِبُ: نَعَمْ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ غِشًا (خِيَانَةً) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نِفَاقًا... فَقَالَ ﷺ: وَمَا الَّذِي جَعَلَكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟!... قَالَ حَاطِبُ: إِنِّي غَرِيبٌ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَوَالِدَتِي هُنَاكَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصْنَعَ لَهُمْ مَعْرُوفًا يَحْمُونَ بِسَبَبِهِ أَهْلِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ... فَقَالَ ﷺ لِلْحَاضِرِينَ: "أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ"، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ: "صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا"، فَقَالَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ ﷺ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: ااعْمَلُوا

مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ“، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]، وهذه الآية فيها عتابٌ شديدٌ لحاطِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَنَهْيٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ اتِّخَاذِ أَعْدَاءِ دِينِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِمْ أَحْبَابًا، وَتَحْذِيرٌ مَنْ إِلْقَاءِ الْمَوَدَّةِ إِلَيْهِمْ سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: هَلْ عَرَفْتُمْ الْآنَ يَا أَبْنَائِي سَبَبَ خَسَارَتِكُمْ؟... قَالَ فَرْحَانُ: نَعَمْ يَا شَيْخَنَا، فَقَدْ طَلَبْتُ مِنَّا أَنْ نُخْبِتَ الرِّسَالَةَ السَّرِيَّةَ فِي مَكَانٍ لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

شَكَرَ الْأَوْلَادُ شَيْخَهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَقَابَلَهُ الْفِيلُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْأَسَدَ يُرِيدُهُ فِي الْحَالِ، فَرَكِبَ فَرْحَانُ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ، وَانْطَلَقَا بِسُرْعَةٍ إِلَى بَيْتِ مَلِكِ الْغَابَةِ، وَلَمَّا وَصَلَا إِلَى هُنَاكَ رَحَّبَ الْأَسَدُ بِفَرْحَانَ، وَقَالَ لَهُ: نُرِيدُكَ أَنْ تُسَاعِدَنَا فِي أَمْرِ سَرِّي وَخَطِيرٍ جَدًّا... قَالَ فَرْحَانُ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْأَسَدُ: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنا فِي حَالَةِ حَرْبٍ مَعَ غَابَةِ الْأَشْرَارِ، وَهُنَاكَ خَائِنٌ بَيْنَنَا، يَنْقُلُ الْأَسْرَارَ لِأَعْدَائِنَا، وَلَمْ نَسْتَطِعْ الْإِمْسَاكَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يُرْسِلُ الْأَخْبَارَ إِلَيْهِمْ بِسَرِّيَّةٍ، وَيَحْمِي نَفْسَهُ بِطَرِيقَةٍ ذَكِيَّةٍ... قَالَ فَرْحَانُ فِي تَحَدُّ: إِذَا كَانَ هَذَا الْخَائِنُ ذَكِيًّا فَهَنَّاكَ مَنْ هُوَ أَذْكَى مِنْهُ، وَسَنَقْبِضُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْأَسَدُ: وَكَيْفَ سَنَفْعَلُ ذَلِكَ وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُهُ؟!!!.

سَكَتَ فَرحَانُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سَنَصْنَعُ خَزَنَةً كَبِيرَةً وَنُسَمِّيهَا خَزَنَةُ الْأَسْرَارِ، وَنَحْتَفِظُ بِهَا فِي مَكَانٍ سَرِيِّ، وَنَضَعُ عَلَيْهَا حِرَاسَةً مُشَدَّدَةً... قَالَ الْأَسَدُ: وَمَا عِلَاقَةُ هَذِهِ الْخَزَنَةِ بِالْخَائِنِ؟!... قَالَ فَرحَانُ: سَنُخْبِرُ بَعْضَ الْحَيَوَانَاتِ (الَّتِي تَنْقُلُ الْكَلَامَ) أَنَّنَا نَحْتَفِظُ بِأَسْرَارِ الْغَابَةِ الْخَطِيرَةِ فِي هَذِهِ الْخَزَنَةِ، وَنُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِهَا، وَنَطْلُبُ مِنْهُمْ أَلَّا يُخْبِرُوا أَحَدًا، وَطَبَعًا هُمْ لَنْ يَسْكُتُوا، وَسَيَنْشُرُوا الْخَبَرَ فِي الْغَابَةِ، وَعِنْدَمَا يَسْمَعُ بِهِ الْخَائِنُ سَيَذْهَبُ إِلَى مَكَانِ الْخَزَنَةِ لِيَلَّا لِيَعْرِفَ مَا فِيهَا... قَالَ الْأَسَدُ: وَكَيْفَ سَنُصَلِّحُكَ بِهِ؟!... قَالَ فَرحَانُ: سَنَخْتَارُ بَوْمَةً نَثِقُ فِيهَا، وَنَجْعَلُهَا تُرَاقِبُ مَكَانَ الْخَزَنَةِ عِدَّةَ لَيَالٍ، وَتَعْرِفُ مَنْ سَيَأْتِي إِلَى هُنَاكَ، دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِذَلِكَ أَحَدٌ... قَالَ الْأَسَدُ: حَسَنًا، سَنَبْدَأُ تَنْفِيزَ هَذِهِ الْخُطَّةِ فِي الْحَالِ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ جَاءَ فَرحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَأَخْبَرَهُ الْأَسَدُ أَنَّ الْبَوْمَةَ شَاهَدَتْ خَمْسَ حَيَوَانَاتٍ فِي مَكَانِ الْخَزَنَةِ السَّرِيَّةِ، وَهُمْ: الثُّعْبَانُ وَالضَّبُعُ وَالْخُفَّاشُ وَالْقُنْفُذُ وَالسَّحْلِيَّةُ... قَالَ فَرحَانُ: قَدْ يَكُونُ الْخَائِنُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَلِذَلِكَ نُرِيدُ أَنْ نَجْمَعَ الْمَعْلُومَاتِ عَنْهُمْ... قَالَ الْأَسَدُ: سَأُكَلِّفُ جُنُودِي بِمُرَاقَبَتِهِمْ فَوْرًا.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ زَارَ فَرحَانُ الْغَابَةَ لِيَعْرِفَ نَتِيجَةَ الْمُرَاقَبَةِ، فَأَخْبَرَهُ الْأَسَدُ أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ الْخَمْسِ -الْمُشْتَبَهَةِ فِيهَا- تَنْشَطُ لِيَلَّا، وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا تَسْكُنُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَانِ الْخَزَنَةِ السَّرِيَّةِ، هُمْ: الْقُنْفُذُ وَالسَّحْلِيَّةُ وَالثُّعْبَانُ... قَالَ فَرحَانُ: سَنَسْتَبْعِدُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ مُوَقَّتًا... قَالَ الْأَسَدُ: وَالثُّعْبَانُ يَأْتِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ لِأَنَّ فِيهِ فِرَّانَ... قَالَ فَرحَانُ: سَنَسْتَبْعِدُ الثُّعْبَانَ أَيْضًا، وَيَتَبَقَّى الضَّبُعُ، فَمَا هِيَ نَتِيجَةُ مُرَاقَبَتِهِ?... قَالَ الْأَسَدُ: لَقَدْ ذَهَبَ

إِلَى مَكَانِ الْخَزْنَةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ سَبَبٌ لِتَوَاجُدِهِ هُنَاكَ ...
 قَالَ فَرَحَانُ: إِذَا قَدْ يَكُونُ هُوَ الْخَائِنُ... قَالَ الْأَسَدُ: هَذَا احْتِمَالٌ كَبِيرٌ،
 فَالضُّبُعُ يَذْهَبُ إِلَى غَابَةِ الْأَشْرَارِ مِنْ أَجْلِ التَّجَارَةِ، وَالْيَوْمَ سَيَذْهَبُ
 إِلَى هُنَاكَ بِصَفْقَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَسْمَاكِ... صَاحَ فَرَحَانُ قَائِلًا: وَأَيْنَ هُوَ
 الْآنَ؟... قَالَ الْأَسَدُ: لَقَدْ غَادَرَ مُنْذُ سَاعَةٍ تَقْرِيْبًا... وَقَفَ فَرَحَانُ فَجْأَةً
 وَقَالَ: هَيَّا بِنَا نَلْحَقْ بِهِ فِي الْحَالِ.

انْطَلَقَ فَرَحَانُ مَعَ الْأَسَدِ بِسُرْعَةٍ، فَلَحِقَا بِالضُّبُعِ عِنْدَ حُدُودِ الْغَابَةِ،
 وَقَدْ أَوْقَفَهُ الْحُرَّاسُ لِلتَّفْتِيشِ، فَأَشْرَفَ الْأَسَدُ بِنَفْسِهِ عَلَى تَفْتِيشِ
 الْعَرَبَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا غَرِيبًا، فَقَرَّرَ فَرَحَانُ أَنْ يُفْتَشَّهَا مَرَّةً
 أُخْرَى، فَصَاحَ الضُّبُعُ قَائِلًا: إِنَّ السَّمَكِ سَيَفْسُدُ، وَسَآخَسُرُ نُقُودِي... قَالَ
 فَرَحَانُ: لَا تَخَفْ، فَنَحْنُ سَنُفْتَشُ سَمَكَةً وَاحِدَةً.

وَتَفَحَّصَ فَرَحَانُ الْأَسْمَاكَ جَيِّدًا، وَاخْتَارَ وَاحِدَةً مِنْ بَيْنِهَا، وَأَمْسَكَ
 بِهَا، فَارْتَعَدَ الضُّبُعُ وَحَاوَلَ الْهَرَبَ، فَأَمْسَكَ الْحُرَّاسُ بِهِ، وَأَخْرَجَ فَرَحَانُ
 الرِّسَالَةَ السَّرِيَّةَ مِنْ دَاخِلِ السَّمَكَةِ، فَتَعَجَّبَ الْأَسَدُ وَقَالَ: كَيْفَ عَرَفْتَ
 يَا فَرَحَانُ أَنَّ الرِّسَالَةَ فِي هَذِهِ السَّمَكَةِ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: إِنَّ الْخَائِنَ لَا بُدَّ
 أَنْ يَضَعَ الرِّسَالَةَ فِي سَمَكَةٍ مُمَيَّزَةٍ حَتَّى لَا تَضِيعَ بَيْنَ الْأَسْمَاكِ، وَهَذِهِ
 السَّمَكَةُ قَدْ قُطِعَ ذَيْلُهَا، وَهَذِهِ هِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي عَلَّمَهَا بِهَا... شَكَرَ
 الْأَسَدُ فَرَحَانَ، وَأَخَذَ الضُّبُعَ الْخَائِنَ لِلْمُحَاكَمَةِ فِي الْحَالِ.



مكتبة

t.me/soramnqraa

فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة الرسالة السريّة...

- اسألهم: عن رأيهم في الخطّة التي وضعها فرحان لكشف الخائن؟ وهل عند أحدهم طريقة أخرى لكشفه والقبض عليه؟
- اسأل أبنائك: لماذا أرسل حاطب بن أبي بلتعة -رضي الله عنه- الرسالة إلى كفار مكة؟ ولماذا عفا النبي ﷺ عنه؟... ثم أخبرهم أن النبي ﷺ أرسل حاطباً -رضي الله عنه- بعد ذلك رسوياً إلى المقوقس حاكم مصر، وتكلّم حاطب مع المقوقس بطريقة ذكيّة، وكانت لزيارته نتائج إيجابيّة... ثم استمع مع أبنائك لقصة حاطب -رضي الله عنه- من أحد العلماء الثقات.
- اسأل أبنائك: لماذا عفر الله تعالى لمن حصر غزوة بدر من الصحابة؟ ولماذا أوجب لهم الجنة؟... ثم استمع مع أبنائك لشرح غزوة بدر من أحد العلماء الثقات، ويمكنك أن تطلب من أحدهم أن يقرأ عن غزوة بدر ويستمع لشرح العلماء لها، ثم يشرحها لكم بطريقة مبدعة، وكافئه على ذلك.
- اكتب بعض الرسائل السريّة لأبنائك، تعبّر فيها عن حبك لهم، وتذكر لهم صفاتهم الطيبة، وتبشّرهم بمستقبل أجمل، وتدعو لهم فيها بدعوات طيبة، ثم خبّي هذه الرسائل بطريقة سريّة في كتبهم وحقائبهم وغيرها، وشجّعهم على البحث عنها، في جو من الحب والمرح.
- أخبر أبنائك أن شيخاً كان يفضّل أحد طلابه، فاعترض زملاؤه، فأعطى الشيخ كل واحد منهم طائراً وطلب منهم أن يدبّحوه في مكان لا يراهم فيه أحد، فاختبأ الجميع ودبّحوا طيورهم، أما هذا الطالب فقد رجّع بطائره حيّاً، فسأله الشيخ: لماذا لم تدبّحه؟ فقال: كلّما اختبأت في مكان وجدت الله يطلع عليّ، ولم أجد مكاناً لا يراني الله فيه، ففهم زملاؤه سبب تفضيل الشيخ له.

حَسُون وَسَيِّئُون

في يومٍ من الأيام ذهبَ فرحانٌ إلى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَلَمَّا حَضَرَ جَمِيعُ الأولادِ سَأَلَهُمُ الشَّيْخُ: هَلْ تَعْرِفُونَ مَعْنَى الْقُدْوَةِ؟... نَظَرَ الأولادُ لِبَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَقَالَ الشَّيْخُ: الْقُدْوَةُ يَا أَبْنَائِي هِيَ أَنْ تُحِبَّ إِنْسَانًا، وَتُقَلِّدَهُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَالطِّفْلُ الصَّغِيرُ يُحِبُّ وَالِدَيْهِ وَيُقَلِّدُهُمَا فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَعِنْدَمَا يَكْبُرُ يَزِدَادُ عَدَدَ مَنْ يُحِبُّهُمْ، وَتَكْثُرُ الْقُدَوَاتُ فِي حَيَاتِهِ، فَيَقْتَدِي بِمُعَلِّمِهِ وَشَيْخِهِ وَغَيْرِهِمَا، وَالْآنَ سَنَقُومُ مَعًا بِتَجْرِبَةٍ جَمِيلَةٍ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخُ عَدَدًا مِنَ الْأُورَاقِ وَالْأَقْلَامِ، وَوَزَعَهَا عَلَى الْأَوْلَادِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَكْتُبْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَسْمَاءَ مَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ... تَحَمَّسَ الأولادُ لِلْفِكْرَةِ، وَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَسْمَاءَ مَنْ يُحِبُّهُمْ وَيُقَلِّدُهُمْ، وَبَعْدَهَا جَمَعَ الشَّيْخُ الْأُورَاقَ مِنْهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْتَفِظُوا بِالْأَقْلَامِ، وَقَالَ لَهُمْ: هَذِهِ الْأَقْلَامُ هَدِيَّةٌ لَكُمْ يَا أَبْنَائِي، وَلَقَدْ كَتَبْتُ عَلَيْهَا عِبَارَةً خَاصَّةً: حَتَّى تَتَذَكَّرُونِي دَائِمًا فِي صَالِحِ دُعَائِكُمْ.

شَكَرَ الأولادُ شَيْخَهُمْ، وَوَعَدُوهُ أَلَّا يَنْسَوُهُ فِي دُعَائِهِمْ، ثُمَّ تَأَمَّلُوا الْأَقْلَامَ، فَوَجَدُوا مَكْتُوبًا عَلَيْهَا: ”الْقُدْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي سُورَةِ الْمُؤْتَحِنَةِ“، فَتَسَاءَلُوا: مَا الْعَلَاقَةُ بَيْنَ سُورَةِ الْمُؤْتَحِنَةِ وَبَيْنَ الْقُدْوَةِ؟!!!... فَقَالَ الشَّيْخُ: الْإِجَابَةُ عَنْ سُؤَالِكُمْ فِي الْآيَاتِ الَّتِي سَنَحْفَظُهَا الْيَوْمَ، فَهَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ، أَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ [الممتحنة: 4 - 6].

وَبَعْدَ أَنْ أَتَقَنَّ الْأَوْلَادُ التَّلَاوَةَ قَالَ الشَّيْخُ: فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِإِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- وَالَّذِينَ مَعَهُ؛ لِأَنَّهُمْ أُسْوَةٌ (قُدْوَةٌ) حَسَنَةٌ، تَنْفَعُ مَنْ يَقْتَدِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَنْ هُمْ الَّذِينَ مَعَهُ يَا شَيْخَنَا؟... قَالَ الشَّيْخُ: هُمْ أَتْبَاعُ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوا هَدْيَهُ... قَالَ فَرْحَانُ: وَكَمْ كَانَ عَدَدُهُمْ؟... قَالَ الشَّيْخُ: اثْنَانِ!!!... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَصَاحَ قَائِلًا: اثْنَانِ فَقَطْ؟ كَيْفَ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ دَعَا إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَاسْتَخْدَمَ مَعَهُمْ أَسَالِيبَ كَثِيرَةً، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ إِلَّا زَوْجَتُهُ سَارَةَ وَابْنُ أَخِيهِ لُوطٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَبْنَاءٌ، أَمَّا قَوْمُهُ فَقَدْ كَذَّبُوهُ وَآذَوْهُ كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْقَدُوا النَّارَ لِيَحْرِقُوهُ فِيهَا، وَأَعْلَنُوا الْحَرْبَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَرَغِمَ أَنْ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- وَالَّذِينَ مَعَهُ كَانُوا ثَلَاثَةً فَقَطْ، إِلَّا إِنَّهُمْ وَاجَهُوا قَوْمَهُمُ الْكَافِرِينَ بِقُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ، وَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا بَرِيئُونَ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ، وَإِنَّا قَدْ كَفَرْنَا بِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ، وَأَنْكَرْنَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَظَهَرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا مَا دُمْتُمْ عَلَى

كُفِّرْكُمْ، فَإِذَا آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، زَالَتْ هَذِهِ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ، وَانْقَلَبَتْ مَوَدَّةً وَمَحَبَّةً... وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَوَاجَهَةِ الشُّجَاعَةِ فَارَقَ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- وَالَّذِينَ مَعَهُ قَوْمَهُمْ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَلَجُّوا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَدَعَا اللَّهُ قَائِلِينَ: ﴿... رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ كَانُوا ثَلَاثَةً فَقَطْ، وَرَغِمَ قَلَّةُ عَدَدِهِمْ فَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ مَرَّتَيْنِ بِأَنَّهُمْ قُدُوةٌ حَسَنَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾، وَلَعَلَّ فِي هَذَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ أَصْحَابَ الْقُدُوةِ الْحَسَنَةِ دَائِمًا قَلِيلٌ، بَيْنَمَا أَصْحَابُ الْقُدُوةِ السَّيِّئَةِ كَثِيرُونَ، وَهَذَا امْتِحَانٌ كَبِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ صِغَارًا وَكِبَارًا، فَانْتُمْ يَا أَبْنَائِي سَتَجِدُونَ حَوْلَكُمْ قُدُواتٍ سَيِّئَةً كَثِيرَةً، وَقُدُواتٍ حَسَنَةً قَلِيلَةً، فَلَا تَتَّخِذُوا بِكَثْرَةِ الْفَاسِدِينَ، وَاقْتَدُوا بِالصَّالِحِينَ وَالطَّيِّبِينَ مَهْمَا كَانَ عَدَدُهُمْ قَلِيلًا.

نَظَرَ فَرِحَانُ إِلَى شَيْخِهِ وَقَالَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾؟... قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ يَتَوَلَّ مِنْهُمْ (يَعْنِي: يُعْرِضُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا يَفْتَدِي بِمَنْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ قُدُوةً حَسَنَةً)؛ فَلَنْ يَضُرَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَسَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْغَنِيُّ عَنِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْحَمِيدُ لِمَنْ يَمْتَثِلُ أَمْرَهُ... وَالْآنَ يَا أَبْنَائِي هَيَّا بِنَا نُفَكِّرْ مَعًا كَيْفَ نَقْتَدِي بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام.

سَكَتَ الْأَوْلَادُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا سَأُقْتَدِي بِإِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي الدُّعَاءِ، وَسَأَحْفَظُ دُعَاءَهُمُ الَّذِي وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَدْعُو بِهِ كَثِيرًا... وَقَالَ آخَرُ: وَأَنَا سَأُبْحَثُ فِي سِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَام-، وَآتَعَرَّفُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ؛ حَتَّى أَقْتَدِيَ بِهِ بِطَرِيقَةٍ أَفْضَلَ... وَقَالَ ثَالِثٌ: أَمَّا أَنَا فَسَأَجْتَهِدُ حَتَّى أَبْنِيَ لِلَّهِ مَسْجِدًا كَمَا بَنَى إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَام- الْكَعْبَةَ وَالْبَيْتَ الْحَرَامَ.

وَتَوَالَّت اقْتِرَاحَاتُ الْأَوْلَادِ الْعَمَلِيَّةَ، فَشَكَرَهُمُ الشَّيْخُ عَلَى أَفْكَارِهِمُ الذَّكِيَّةَ، ثُمَّ أَخْرَجَ الْأُورَاقَ الَّتِي جَمَعَهَا مِنْهُمْ قَبْلَ الْحِفْظِ، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْوَرَقَةَ الَّتِي كَتَبَ فِيهَا أَسْمَاءَ مَنْ يُحِبُّهُمْ وَيُقْتَدِي بِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ارْجِعُوا إِلَى بُيُوتِكُمْ بِسَلَامٍ، وَتَأَمَّلُوا -مَعَ وَالِدَيْكُمْ- أَسْمَاءَ مَنْ تَقْتَدُونَ بِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ قُدْوَةٌ حَسَنَةً فَتَمَسَّكُوا بِهِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ، وَمَنْ كَانَ قُدْوَةٌ سَيِّئَةً فَتَوَقَّفُوا عَنْ تَقْلِيدِهِ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ.

شَكَرَ الْأَوْلَادُ شَيْخَهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَأَخْبَرُوا أَهْلَهُمْ بِمَا حَدَثَ فِي حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، فَدَعَا لِلشَّيْخِ بِخَيْرٍ، وَسَاعَدُوا أَبْنَاءَهُمْ فِي تَنْفِيزِ مَا طَلَبَهُ الشَّيْخُ مِنْهُمْ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَهَبَ فَرْحَانُ لِرِيزَارَةِ حَكِيمِ الْغَابَةِ، فَرَحَّبَ الْحَكِيمُ بِهِ وَجَلَسَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ فِي سَبْعَادَةٍ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ جَاءَ النَّمِرَانُ (حَسُونُ) وَ(سَيُّوْنُ) إِلَى بَيْتِ الْحَكِيمِ، وَطَلَبَا مِنْهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا، فَرَحَّبَ الْحَكِيمُ بِهِمَا، وَبَدَأَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِمَا، فَقَالَ حَسُونُ: إِنَّ سَيُّوْنَ يَدَّعِي أَنَّهُ مَرٌّ مُتَمَيِّزٌ، وَأَنَّ كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ تُحِبُّهُ وَتُقَلِّدُهُ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَهُوَ

مَرَّ عَادِيٌّ جَدًّا، وَأَنَا أَفْضَلُ مِنْهُ بِكَثِيرٍ، وَالْجَمِيعُ يَفْتَدِي بِي أَنَا وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِثْلِي... قَاطَعَهُ النَّمْرُ سَيِّئُونَ قَائِلًا: دَعَكَ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ يَا حَسُون، فَجَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ تُحِبُّنِي أَنَا، وَلَنْ يَجِدُوا قُدْوَةً أَحْسَنَ مِنِّي.

وَدَارَ بَيْنَ النَّمْرَيْنِ نِقَاشٌ حَادٌّ، فَأَمَرَهُمَا الْحَكِيمُ بِالْهُدُوءِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى فَرْحَانَ وَقَالَ: مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذِهِ الْمُسْكِكَةِ؟... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّ كُلَّ مَرٍّ مِنْهُمَا يَدَّعِي أَنَّهُ قُدْوَةٌ أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِ، وَلَكِي نَحْكُمَ بَيْنَهُمَا لِأَبَدٍ أَنْ يُحْضَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ يَقْتَدُونَ بِهِ؛ لِنَعْرِفَ عَدَدَهُمْ وَنَسْتَمَعَ لآرَائِهِمْ... قَالَ سَيِّئُونَ: إِنَّ مَنْ يَقْتَدُونَ بِي كَثِيرُونَ وَسَأَجْعَلُكَ تَرَاهُمْ بِنَفْسِكَ... وَقَالَ حَسُون: إِنِّي قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ وَسَأُثَبِّتُ لَكَ ذَلِكَ... قَالَ الْحَكِيمُ: اتَّفَقْنَا، سَنَجْتَمِعُ فِي سَاحَةِ الْعَابَةِ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ شَهْرٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يُحْضِرُ مَنْ يُحِبُّونَهُ وَيُقَلِّدُونَهُ، وَعِنْدَهَا سَنَعْرِفُ مَنْ مِنْكُمَا سَيَكُونُ الْقُدْوَةُ الْأَفْضَلُ.

انْطَلَقَ النَّمْرَانِ فِي حِمَاسٍ، وَبَحَثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ طَرِيقَةٍ تَزِيدُ عَدَدَ الْمُعْجَبِينَ وَالْمُقْتَدِينَ بِهِ، وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ طَوِيلٍ وَجَدَ النَّمْرُ حَسُون أَنَّ عَدَدَ مَنْ يَقْتَدُونَ بِهِ سَيَزِيدُ عِنْدَمَا يَرَوْنَ إِنْجَازَاتِهِ وَيَشْعُرُونَ بِجَمِيلِ أَخْلَاقِهِ، فَبَدَأَ يَتَوَاصَلُ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ تَجَارِبَهُ وَأَفْكَارَهُ، وَيُشَجِّعُهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ.

أَمَّا النَّمْرُ سَيِّئُونَ فَذَهَبَ إِلَى الثَّغْلَبِ مَكَّارًا، وَطَلَبَ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ فِي تَحْقِيقِ الْإِنْتِصَارِ، فَقَالَ لَهُ الثَّغْلَبُ: أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ النَّمْرَ حَسُون أَفْضَلُ مِنْكَ، وَأَنْتَ لَا تَسْتَخِيقُ أَنْ تَكُونَ قُدْوَةً لِأَحَدٍ، لَكِنِّي سَأَجْعَلُكَ تَفُوزُ... تَعَجَّبَ سَيِّئُونَ وَقَالَ: كَيْفَ؟!!!... قَالَ الثَّغْلَبُ: سَأُضْغِعُ مِنْكَ نَجْمًا، وَأَجْعَلُ الْجَمِيعَ يَحْلُمُونَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَكَ... قَالَ سَيِّئُونَ: كَيْفَ سَتَفْعَلُ ذَلِكَ؟!!!...

قَالَ الثَّعْلَبُ: سَنَلْتَقِطُ لَكَ عَدَدًا مِنَ الصُّورِ الْجَمِيلَةِ، وَنَنْشُرُهَا فِي الْغَابَةِ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ، وَنَخْتَرِعُ لَكَ عَدَدًا مِنَ الْبُطُولَاتِ الْوَهْمِيَّةِ وَنَحْكِيهَا لِلصَّغَارِ بِطَرِيقَةٍ ذَكِيَّةٍ، وَنَسْتَأْجِرُ عَدَدًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ لِيَتَحَدَّثُوا عَنْكَ بِطَرِيقَةٍ جَمِيلَةٍ، وَهَكَذَا يُعْجِبُ بِكَ الْجَمِيعُ وَيُقَلِّدُونَكَ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ... ابْتَسَمَ سَيُّونُ وَقَالَ: هَذِهِ خُطَّةٌ مُبْدِعَةٌ، وَسَنَبْدَأُ فِي تَنْفِيزِهَا حَالًا.

وَمَرَّ الشَّهْرُ سَرِيعًا، وَحَانَ الْمَوْعِدُ الْمُنْتَظَرُ، فَاجْتَمَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي سَاحَةِ الْغَابَةِ الْكَبِيرَةِ، وَجَاءَ النَّمِرُ سَيُّونُ وَمَعَهُ أَعْدَادٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمُعْجَبِينَ وَالْمُحِبِّينَ، بَيْنَمَا لَمْ يَأْتِ مَعَ النَّمِرِ حَسُونُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ فَقَطْ، فَظَنَّ الْحَاضِرُونَ أَنَّ السَّبَاقَ قَدْ حُسِمَ لِصَالِحِ النَّمِرِ سَيُّونُ، وَأَنَّهُ سَيَفُوزُ بِلَقَبِ الْقُدْوَةِ الْأَفْضَلِ، لَكِنَّ فَرْحَانَ وَقَفَ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَقَالَ: قَبْلَ أَنْ نُعْلِنَ الْفَائِزَ هُنَاكَ سُؤَالٌ وَاحِدٌ سَنَسْأَلُهُ لِلْفَرِيقَيْنِ؛ وَتَوَجَّهَ فَرْحَانُ لِلْمُعْجَبِينَ بِالنَّمِرِ سَيُّونُ وَسَأَلَهُمْ: مَا الَّذِي اسْتَفَدْتُمُوهُ مِنْ تَقْلِيدِ سَيُّونُ؟... فَسَكَتُوا لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالُوا: لَمْ نَسْتَفِدْ شَيْئًا؛ فَقَدْ قَلَّدْنَاهُ فِي أُمُورٍ لَا نَنْفَعُ فِيهَا وَلَا فَائِدَةٌ، وَلَيْتَنَّا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ، فَقَدْ خَسِرْنَا الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ وَالْمَالِ.

فَتَوَجَّهَ فَرْحَانُ إِلَى الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ النَّمِرِ حَسُونُ وَسَأَلَهُمْ: مَا الَّذِي تَغَيَّرَ فِي حَيَاتِكُمْ عِنْدَمَا اقْتَدَيْتُمْ بِحَسُونُ؟... فَقَالُوا: لَقَدْ اقْتَدَيْنَا بِأَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ، وَقَلَّدْنَا أَعْمَالَهُ النَّافِعَةَ، فَأَصْبَحَتْ حَيَاتُنَا أَجْمَلَ.

وَهُنَا أَعْلَنَ فَرْحَانُ فَوْزَ النَّمِرِ حَسُونُ بِلَقَبِ الْقُدْوَةِ الْأَفْضَلِ، وَقَالَ: إِنَّ الْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ لَا تُقَاسُ بِكَثْرَةِ الْمُقَلِّدِينَ، وَلَكِنَّهَا تَكُونُ بِنَفْعِ الْآخَرِينَ.



فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة حسنون وسيئون...

- اسألهم: ما هي القدوة الحسنة؟ والقدوة السيئة؟ وبعد أن تستمع إليهم أخبرهم أن القدوة الحسنة تعني: محبة أهل الخير والاقتداء بهم في فعل الصالحات وترك المنكرات، أما القدوة السيئة فتعني: الإعجاب بأهل الباطل والاقتداء بهم في فعل السيئات وترك الحسنات، ثم حذرهم من الاقتداء بالآخرين في كل أفعالهم، فإنه لا يؤمن على حيي فتنة.
- اطلب من ابنك (ابنتك) أن يكتب أسماء من يحبهم ويقتدي بهم، ثم تناقش معه فيمن يقتدي بهم، واسأله: عن سبب محبته لهم، والأشياء التي يقتدي بهم فيها، وحذره إن كان أحدهم قدوة سيئة، ثم احك له عن الذين اقتديت بهم أنت في مراحل حياتك المختلفة، وأثر ذلك عليك.
- أخبر أبناءك أن كلمة (أسوة) وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، مرة في سورة الأحزاب، ومرة في سورة الممتحنة، وشجعهم على البحث عن هذه الآيات، وعلمهم كيف يعملون بما فيها.
- اشرح لأبنائك قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، ثم أخبرهم أن مَنْ فَعَلَ شَيْئًا طَيِّبًا وَاقْتَدَى بِهِ الْآخَرُونَ فَلَهُ مِثْلُ ثَوَابِ مَنْ يَفْتَدُونَ بِهِ، وَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا سَيِّئًا وَاقْتَدَى بِهِ الْآخَرُونَ فَعَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ يَفْتَدِي بِهِ.
- اسأل ابنك (ابنتك): ماذا تفعل حتى تكون قدوة حسنة لإخوتك الصغار؟ ولزملائك وأصدقائك؟ وما الأشياء الجيدة التي ستفعلها حتى يقلدوك فيها؟ وما الأشياء السيئة التي ستتوقف عنها حتى لا يقتدوا بك فيها؟

ذات يوم كان فرحانُ يجلسُ مع أمّه، ويحكِي لها ما حَدَثَ في المَدْرَسَةِ اليَومَ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ: هَلْ تَكْرَهُ أَحَدَ زُمَلَائِكَ فِي الْفَصْلِ؟... قَالَ فرحانُ: نَعَمْ، إِنَّنِي أَكْرَهُ زَمِيلِي (نَبْهَانَ)، أَكْرَهُهُ بِشِدَّةٍ... قَالَتْ أُمُّهُ: ولماذا تَكْرَهُهُ يا بُنَيَّ؟!!!... قَالَ فرحانُ: لِأَنَّهُ لَا يَتَعَامَلُ مَعِي بِطَرِيقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَيَغْضَبُ لِأَتْفَقَ الْأَسْبَابَ، وَيَرْفُضُ أَنْ يُعْطِينِي شَيْئًا مِنْ أَدَوَاتِهِ الْمَدْرَسِيَّةِ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ يُحَافِظُ عَلَيْهَا، وَلَا يَبْتَسِمُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يَلْعَبُ مَعِي، وَيَجْلِسُ دَائِمًا وَحْدَهُ... قَالَتْ أُمُّهُ: لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا يَا بُنَيَّ، فَقَدْ يَكُونُ مَرِيضًا أَوْ حَزِينًا أَوْ... قَاطَعَهَا فرحانُ قَائِلًا: لَا عُذْرَ لَهُ يَا أُمِّي، وَأَنَا أَكْرَهُهُ.. قَالَتْ أُمُّهُ: وَكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ يَا بُنَيَّ؟... قَالَ فرحانُ: أَعَامِلُهُ بِطَرِيقَةٍ سَيِّئَةٍ، فَلَا أُلْقِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَلَا أَسْمَحُ لَهُ بِالْجُلُوسِ بِجَوَارِي، وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ بِغَضَبٍ، وَأَتَعَمَّدُ مُضَايَقَتَهُ، وَأَسْخَرُ مِنْهُ...!!!

سَكَتَتْ أُمُّ فَرَحَانَ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَتْ: عِنْدِي سُؤَالٌ يَا بُنَيَّ، لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ نَارٌ صَغِيرَةٌ مُشْتَعِلَةٌ، وَوَضَعْنَا فِيهَا حَطْبًا، مَاذَا سَيَحْدُثُ لَهَا؟... قَالَ فرحانُ: سَتَكْبُرُ وَتَزْدَادُ اشْتِعَالًا... قَالَتْ أُمُّهُ: وَمَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ صَبَبْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ؟... قَالَ فرحانُ: سَيَهْدَأُ لَهَيْبِهَا، وَقَدْ تَنْطَفِئُ.... ابْتَسَمَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: إِنَّ الْعَدَاوَةَ وَالْكَرَاهِيَّةَ يَا بُنَيَّ تُشَبِّهُ النَّارَ، فَهِيَ تَزْدَادُ اشْتِعَالًا بِالْمُعَامَلَةِ السَّيِّئَةِ، وَتَهْدَأُ وَتَنْطَفِئُ بِالْمُعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ... قَالَ فرحانُ: هَلْ تَقْصِدِينَ أَنَّ تَعَامُلِي السَّيِّئَ مَعَ نَبْهَانَ يَزِيدُ نَارَ عَدَاوَتِنَا اشْتِعَالًا؟!!!... قَالَتْ أُمُّهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، وَالْعَاقِلُ مَنْ يَجْتَهِدُ لِتَكُونَ الْعَدَاوَةُ فِي حَدِّهَا الْأَدْنَى، وَلَا يَزِيدُهَا اشْتِعَالًا... قَالَ

فرحان: وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ مُعَامَلَةَ نَبْهَانَ بِطَرِيقَةٍ طَيِّبَةٍ... قَالَتْ أُمُّهُ: إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ أَنْ تَصُبَّ الْمَاءَ عَلَى النَّارِ، فَلَا تَضَعَنَّ فِيهَا الْمَزِيدَ مِنَ الْحَطَبِ، وَتَوَقَّفْ عَنِ مُعَامَلَةِ نَبْهَانَ بِطَرِيقَةٍ سَيِّئَةٍ، فَرُبَّمَا تَتَحَوَّلَ عَدَاوَتُكَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَحَبَّةٍ وَصَدَاقَةٍ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: هَذَا مُسْتَحِيلٌ!!!... قَالَتْ أُمُّهُ: لَكِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ، وَفِي سُورَةِ الْمُتَحَنَةِ سَتَجِدُ الدَّلِيلَ.

فَتَحَ فَرْحَانُ الْمُضْحَفَ، وَبَدَأَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُتَحَنَةِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 7]، فَصَاحَ قَائِلًا: هَلْ تَقْصِدِينَ هَذِهِ الْآيَةَ يَا أُمِّي؟!... قَالَتْ أُمُّهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَا سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ... قَالَتْ أُمُّهُ: سَأُخْبِرُكَ يَا بُنَيَّ، فَاسْمَعْنِي جَيِّدًا...

وَسَكَتَتْ أُمُّ فَرْحَانَ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَتْ: بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَرَادَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ بِحُبٍّ وَمَوَدَّةٍ، فَحَذَّرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَدَاوَةِ الْكُفَّارِ، وَعَدَمِ التَّعَامُلِ مَعَهُمْ بِمَوَدَّةٍ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ يُعَادُونَ دِينَ اللَّهِ وَيُحَارِبُونَ رَسُولَهُ ﷺ، وَقَدْ أَخْرَجُوا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ بِمَوَدَّةٍ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَابْتَعَدَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]...

قَالَ فَرِحَانُ: وماذا فَعَلَ الصَّحَابَةُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؟... قَالَتْ أُمُّهُ: اسْتَجَابُوا لِلأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ، وَتَوَقَّفُوا عَنْ مَوَدَّةِ أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَظْهَرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ، وَعَلِمَ اللَّهُ شِدَّةَ ذَلِكَ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَعَدَهُمْ سُبْحَانَهُ بِإِسْلَامِ أَقَارِبِهِمُ الْكُفَّارَ، وَأَنَّهُ سَيَجْعَلُ بَيْنَهُمْ مَحَبَّةَ بَعْدِ الْعَدَاوَةِ، وَمَوَدَّةَ بَعْدِ الْقَطِيعَةِ، وَذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَذَبْتُمْ عَنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 7]، وَالْمَعْنَى: عَسَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - وَبَيْنَ الَّذِينَ كَذَبْتُمُوهُمْ مِنْ أَقَارِبِكُمُ الْكُفَّارَ مَوَدَّةً وَمَحَبَّةً، وَذَلِكَ بِأَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، فَتَجْتَمِعُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَتَتَحَوَّلَ عَدَاوَتُكُمْ لَهُمْ إِلَى أُخُوَّةٍ صَادِقَةٍ وَمَحَبَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدِيرٌ (شَدِيدُ الْقُدْرَةِ) عَلَى أَنْ يُغَيِّرَ أَحْوَالَ الْقُلُوبِ، فَيُضَيِّحُ الْمُشْرِكُونَ مُؤْمِنِينَ، وَالْأَعْدَاءُ أَصْدِقَاءَ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِمَنْ اسْتَجَابَ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَأَقْلَعَ عَنْ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَنَبَذَ الْكُفْرَ وَتَحَوَّلَ إِلَى الْإِيمَانِ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَهَلْ تَحَوَّلَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى مَحَبَّةٍ؟... قَالَتْ أُمُّهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ تَعَالَى وَعْدَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَهَدَى كَثِيرًا مِنَ الْكُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَالتَّقُواهُمْ وَأَقَارِبُهُمُ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو سُفْيَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكُفَّارِ وَأَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، أَسْلَمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَتَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَبْلَ ذَلِكَ، وَتَحَوَّلَتْ عَدَاوَتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةٍ.

شَكَرَ فَرْحَانُ أُمَّهُ، وَوَعَدَهَا أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ الْإِسَاءَةِ إِلَى زَمِيلِهِ نَبْهَانَ؛
حَتَّى لَا يَزِيدَ نَارَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمَا اشْتِعَالًا.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ رَجَعَ فَرْحَانُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ سَعِيدًا، وَجَرَى نَحْوُ أُمِّهِ،
وَقَالَ لَهَا: لَقَدْ حَدَّثَ الْيَوْمَ شَيْءٌ غَرِيبٌ فِي الْمَدْرَسَةِ... قَالَتْ أُمُّهُ: أَنَا
أَعْرِفُ مَا حَدَّثَ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ نَسِيتَ طَعَامَ الْغَدَاءِ هُنَا وَلَمْ تَأْخُذْهُ مَعَكَ،
وَهَذَا لَيْسَ غَرِيبًا عَلَيْكَ... ضَحِكَ فَرْحَانُ وَقَالَ: نَعَمْ يَا أُمِّي، وَلَكِنْ مَا
حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ الْغَرِيبُ، فَقَدْ أَعْطَانِي زَمِيلِي نَبْهَانَ نِصْفَ طَعَامِهِ،
وَكَتَشَفْتُ أَنَّهُ وَلَدٌ طَيِّبٌ، وَرَبِّمَا أَكُونُ قَدْ ظَلَمْتُهُ... ابْتَسَمَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَعَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ بَدَايَةَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَكُمَا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ عِنْدَ
الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَبَدَأَ يَقْرَأُ وَرَدَّهُ الْيَوْمِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفَجْأَةً تَحَوَّلَ الْمَكَانُ
إِلَى سَاحَةِ مَعْرَكَةٍ، فَقَدْ تَجَمَّعَتْ مِائَتُ الْقُرُودِ فَوْقَ الْأَشْجَارِ، وَهَجَمَتْ عَلَى
بَعْضِهَا بِعُنفٍ وَقَسْوَةٍ، وَامْتَلَأَتْ الْأَجْوَاءُ بِالصِّيَاحِ وَالصُّرَاخِ، فَخَافَ فَرْحَانُ
عَلَى نَفْسِهِ، وَغَادَرَ الْمَكَانَ عَلَى الْفَوْرِ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ حَكِيمِ الْغَابَةِ لِيَفْهَمَ
مِنْهُ مَا يَحْدُثُ، فَهَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ يُشَاهِدُ فِيهَا فَرْحَانُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

وَاسْتَقْبَلَهُ الْحَكِيمُ بِتَرْحَابٍ شَدِيدٍ، فَسَأَلَهُ فَرْحَانُ: عَنْ سَبَبِ الصُّرَاعِ بَيْنَ
الْقُرُودِ، فَقَالَ الْحَكِيمُ: هُنَاكَ جَمَاعَتَانِ مِنَ الْقُرُودِ تَعِيشَانِ فِي الْغَابَةِ،
الْجَمَاعَةُ الْأُولَى يَقُودُهَا الْقِرْدُ (بَرْقُ)، وَالثَّانِيَةُ يَحْكُمُهَا أَخُوهُ الْقِرْدُ (رَعْدُ)،
وَكُلُّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمَا تَصُومُ مِائَتَ الْقُرُودِ، وَمُنْذُ فَتْرَةٍ حَدَثَ خِلَافٌ بَسِيطٌ
بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ بَرْقُ وَرَعْدُ، وَتَحَوَّلَ الْخِلَافُ إِلَى عَدَاوَةٍ كَبِيرَةٍ، وَتَطَوَّرَ إِلَى

صِرَاعٍ عَنِيفٍ بَيْنَ الْجَمَاعَتَيْنِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَلِمَاذَا لَمْ تُصْلِحُوا بَيْنَهُمَا؟!...
 قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ عَقَدْنَا الْكَثِيرَ مِنْ جَلَسَاتِ الصُّلْحِ؛ لَكِنَّهَا لَمْ تَنْجَحْ...
 قَالَ فَرْحَانُ: وَلِمَاذَا لَمْ تَلْجَأِ الْقُرُودَ لِلْقَضَاءِ؟!... قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ ذَهَبُوا
 بِالْفِعْلِ إِلَى الْمَحْكَمَةِ، وَأَرَادَتْ كُلُّ جَمَاعَةٍ أَنْ تَطْرُدَ الْأُخْرَى مِنَ الْغَابَةِ،
 وَهَذَا مَا رَفَضَهُ الْقَاضِي؛ لِأَنَّ الْغَابَةَ مِلْكٌ لِلْجَمِيعِ، وَلَا يُمَكِّنُ لِلْقَاضِي أَنْ
 يَطْرُدَ أَحَدًا مِنْ وَطْنِهِ... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّ هَذَا الصِّرَاعَ لَمْ يُحَلِّ فِي وَاحَةٍ
 الصُّلْحَ، وَلَمْ يَنْتَهِ فِي سَاحَةِ الْقَضَاءِ، فَهَلْ سَيُخَسِّمُ فِي مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ؟...
 قَالَ الْحَكِيمُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَالْجَمَاعَتَانِ مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْقُوَّةِ تَقْرِيبًا،
 وَلَا تَسْتَطِيعُ إِحْدَاهُمَا هَزِيمَةَ الْأُخْرَى، وَهَذِهِ الْمَعْرَكَةُ الْكُلُّ فِيهَا خَاسِرٌ.
 سَكَتَ فَرْحَانُ لَحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الصِّرَاعَ لَنْ يَتَوَقَّفَ إِلَّا إِذَا نَقَلْنَاهُ
 مِنْ سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ إِلَى مَيْدَانِ السَّبَاقِ... قَالَ الْحَكِيمُ: وَكَيْفَ سَنَفْعَلُ
 ذَلِكَ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: سَنَقَابِلُ الْقِرْدَ بَرَقٍ، وَنُخْبِرُهُ أَنَّنا وَجَدْنَا طَرِيقَةً
 لِحَسْمِ الصِّرَاعِ مَعَ أَخِيهِ رَعْدٍ، وَذَلِكَ بِإِجْرَاءِ عَدَدٍ مِنَ الْمُسَابَقَاتِ بَيْنَ
 جَمَاعَتَيْهِمَا، وَالْفَائِزُ مِنْهُمَا فِي السَّبَاقِ يَكُونُ هُوَ الْمُنتَصِرُ، ثُمَّ نَفْعَلُ
 الْأَمْرَ نَفْسَهُ مَعَ الْقِرْدِ رَعْدٍ... قَالَ الْحَكِيمُ: أَتُرِكَ هَذِهِ الْمُهْمَّةَ لِي، فَأَنَا
 سَأَلْتَقِي بِهِمَا، وَأُقْنِعُهُمَا بِالْمُشَارَكَةِ فِي هَذَا السَّبَاقِ.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ نَجَحَ حَكِيمُ الْغَابَةِ فِي مُهِمَّتِهِ، وَتَقَابَلَ الْفَرِيقَانِ، فَأَعْلَنَ فَرْحَانُ
 أَنَّ السَّبَاقَ الْأَوَّلَ سَيَكُونُ فِي صُعُودِ الْأَشْجَارِ، فَتَحَمَّسَ الْجَمِيعُ وَشَارَكُوا
 بِقُوَّةٍ، وَفَازَتْ جَمَاعَةُ الْقِرْدِ بَرَقٍ، وَهُنَا أَعْلَنَ فَرْحَانُ أَنَّ السَّبَاقَ الثَّانِي
 سَيَكُونُ فِي تَنَاوُلِ أَكْبَرِ كَمِيَّةٍ مِنَ الْمَوْزِ، فَفَرِحَ الْجَمِيعُ بِالْفِكْرَةِ، وَتَنَافَسُوا
 فِي أَكْلِ الْمَوْزِ بِشِدَّةٍ، فَفَازَتْ جَمَاعَةُ الْقِرْدِ رَعْدٍ، وَتَعَادَلَ الْفَرِيقَانِ،

فَأَخْبَرَهُمْ فَرْحَانُ أَنَّ السَّبَاقَ التَّالِيَّ سَيَكُونُ فِي جَمْعِ الحَطَبِ، فَأَسْرَعَ
الْفَرِيقَانِ لِيَجْمَعَ أَكْبَرَ كَمِّيَّةٍ مِنَ الْأَغْصَانِ وَالْفُرُوعِ الْجَافَّةِ، وَلَمَّا انْتَهَى
الْوَقْتُ الْمُحَدَّدُ كَانَ كُلُّ فَرِيقٍ قَدْ جَمَعَ جَبَلًا مِنَ الحَطَبِ، فَأَعْلَنَ فَرْحَانُ
تَعَادُلَ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا السَّبَاقَ سَيُخْسَمُ بِالنَّارِ، فَأَنَا سَأُشْعِلُ
نَارًا صَغِيرَةً لِكُلِّ فَرِيقٍ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَضَعُوا فِيهَا الحَطَبَ؛ حَتَّى يَزْدَادَ
اشْتِعَالُهَا وَيَعْلُو لَهْيُهَا، وَالْفَرِيقُ صَاحِبُ النَّارِ الْأَكْبَرِ سَيَكُونُ هُوَ الْفَائِزُ.

تَحَمَّسَ الْفَرِيقَانِ لِلسَّبَاقِ الْحَاسِمِ، وَأَشْعَلَ فَرْحَانُ النَّارَيْنِ، فَوَضَعُوا
فِيهَا الْكَثِيرَ مِنَ الحَطَبِ، وَارْتَفَعَتْ أَلْسِنَةُ اللَّهَبِ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْ مَسَاكِنِ
الْفَرِيقَيْنِ، فَارْتَفَعَتْ صَرَخَاتُ التَّحْذِيرِ وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَجَرَى الْجَمِيعُ نَحْوَ
النَّهْرِ وَتَعَاوَنُوا فِي إِحْضَارِ الْمَاءِ، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مِنَ الْعَمَلِ نَجَحُوا فِي
إِطْفَاءِ النَّارِ، وَجَلَسُوا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ، فَنَظَرَ فَرْحَانُ إِلَيْهِمْ
وَقَالَ: إِنَّ الْعَدَاوَةَ بَيْنَكُمْ تُشَبِّهُ هَذِهِ النَّارَ، وَإِذَا لَمْ تُطْفِئُوهَا الْآنَ
سَتُحْرِقُكُمْ جَمِيعًا... وَبَعْدَ حَوَارٍ طَوِيلٍ تَصَالَحَتِ الْجَمَاعَتَانِ، وَتَصَافَحَ
الْأَخَوَانِ بَرَقَ وَرَعْدٌ، وَعَادَ الْأَمَانُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْغَابَةِ مِنْ جَدِيدٍ.



فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة بَرَق وَرَعْد...

- حَذَرُهُمْ مِنْ اسْتِخْدَامِ النَّارِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ، وَعَدَمَ تَقْلِيدِ مَا فَعَلَهُ فَرَحَانُ.
- اسْأَلْ ابْنَكَ (ابنتك): هَلْ هُنَاكَ شَخْصٌ تَكْرَهُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ وَالْمَسْجِدِ وَالشَّارِعِ وَغَيْرِهَا؟ وَلِمَاذَا تَكْرَهُهُ؟ وَكَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُ؟ وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِ عِلْمُهُ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ مَنْ يَكْرَهُهُ بِطَرِيقَةٍ مُنَاسِبَةٍ، وَسَاعِدْهُ إِنْ لَزِمَ الْأَمْرَ، وَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ التَّمَثِيلِ، فَتَقُومُ أَنْتَ بِدَوْرٍ مَنْ يَكْرَهُهُ ابْنُكَ، وَيَقُومُ ابْنُكَ بِتَجْرِبَةِ طُرُقِ التَّعَامُلِ الْجَدِيدَةِ مَعَكَ، وَيَرَى رَدَّ فِعْلِكَ تِجَاهَهَا، وَهَذَا يَجْعَلُ ابْنَكَ (ابنتك) يَثِقُ فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ عِنْدَمَا يَتَعَامَلُ مَعَ مَنْ يَكْرَهُ، وَيَتَوَقَّعُ رُدُودَ أَفْعَالِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَيُحَسِّنُ التَّصَرُّفَ مَعَهَا.
- أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» [صحيح الأدب المفرد للألباني ح ر 992، و تخريج شرح السنة لشعيب الأرناؤوط 13/66 وقال: صحيح]، ثُمَّ اسْتَمِعْ مَعَهُمْ لِسُحْرِ هَذِهِ الْحِكْمَةِ مِنْ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ، وَعَلِّمُهُمْ كَيْفَ يَكُونُ التَّعَامُلُ بِاعْتِدَالٍ مَعَ مَنْ نُحِبُّ وَمَنْ نَكْرَهُ.
- اسْأَلْ أَبْنَاءَكَ: مَا رَأَيْتُمْ فِي الْخُطَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا فَرَحَانُ لِإِنْهَاءِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ الْفُرُودِ؟ وَهَلْ لَدَى أَحَدِكُمْ فِكْرَةٌ أُخْرَى لِلِإِصْلَاحِ بَيْنَ الْفُرُودِ الْمُتَصَارِعَةِ؟
- تَكَلَّمْ مَعَ أَبْنَائِكَ عَنْ فَضْلِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «يَا أَبَا أَيُّوبَ! أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَبَاغَضُوا وَتَفَاسَدُوا» [السلسلة الصحيحة للألباني ح ر 2644، وصحيح الترغيب ح ر 2820]... ثُمَّ اسْأَلْهُمْ: لَوْ تَخَاصَمَ اثْنَانِ مِنْ أَحْبَابِكَ أَوْ أَصْدِقَائِكَ، كَيْفَ تُصْلِحُ بَيْنَهُمَا؟ ثُمَّ تَكَلَّمْ مَعَهُمْ عَنْ فُنُونِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ، وَجَرِّبُوَهَا بِطَرِيقَةٍ مُمَثِّلِيَّةٍ.

الذُّبُّ الْمُسَالِم

ذات يوم ذهب فرحان مع أمه إلى السوق، وهناك رأى التفاح الذي يُحِبُّه، فَطَلَبَ مِنْ أُمِّهِ أَنْ تَشْتَرِيَ لَهُ بَعْضًا مِنْهُ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ بِحَنَانٍ وَقَالَتْ: سَامِحْنِي يَا بُنَيَّ، فَأَنَا لَا أَمْتَلِكُ النُّقُودَ... قَالَ فرحان: هَيَّا نَرْجِعْ إِلَى الْبَيْتِ وَنُحْضِرُ النُّقُودَ... قَالَتْ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ، نَحْنُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، وَمَا تَبَقِيَ مِنْ مَصْرُوفِ الْبَيْتِ يَكْفِينَا بِصُعُوبَةٍ... قَالَ فرحان: إِذَا نَأْخُذُ النُّقُودَ مِنْ أَبِي... قَالَتْ أُمُّهُ: لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ يَا حَبِيبِي أَنَّنَا فِي آخِرِ الشَّهْرِ، وَأَخْشَى إِنْ طَلَبْنَا النُّقُودَ مِنْ أَبِيكَ أَنْ نُحْمَلَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، فَاصْبِرْ يَا بُنَيَّ حَتَّى أَوَّلِ الشَّهْرِ، وَأَعِدْكَ عِنْدَمَا يَسْتَلِمَ أَبُوكَ الرَّاتِبَ سَأَشْتَرِيَ لَكَ التُّفَّاحَ الَّذِي تُحِبُّهُ... سَكَتَ فرحانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: حَسَنًا يَا أُمِّي، سَأَصْبِرُ.

وَأَكْمَلَ فرحانُ جَوْلَتَهُ فِي السُّوقِ وَهُوَ صَامِتٌ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ حَزِينًا، وَدَخَلَ غُرْفَتَهُ وَهَمَّدَ فِي سَرِيرِهِ وَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ بَعْدَ فِتْرَةٍ، فَوَجَدَ عَلَى مَكْتَبِهِ طَبَقًا مَلِيًّا بِالتُّفَّاحِ، فَقَفَزَ فِي سَعَادَةٍ، وَأَخَذَ تُّفَّاحَةً، وَجَرَى نَحْوَ أُمِّهِ وَقَالَ لَهَا: شُكْرًا لِكَ يَا أُمِّي لِأَنَّكَ اشْتَرَيْتِ التُّفَّاحَ مِنْ أَجْلِي... قَالَتْ أُمُّهُ: أَنَا لَمْ أَشْتَرِ شَيْئًا... قَالَ فرحانُ: إِذَا فَقَدْ أَحْضَرَهُ أَبِي وَهُوَ رَاجِعٌ مِنَ الْعَمَلِ... قَالَتْ أُمُّهُ: أَبُوكَ لَمْ يُحْضِرْ شَيْئًا... تَعَجَّبَ فرحانُ وَقَالَ: فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا التُّفَّاحُ؟! ... قَالَتْ أُمُّهُ: مِنْ جِيرَانِنَا، فَقَدْ أَحْضَرُوهُ مِنْ مَزْرَعَتِهِمْ، وَأَهْدَوْهُ لَنَا... سَكَتَ فرحانُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ وَضَعَ التُّفَّاحَةَ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: أَنَا لَا أُرِيدُ تُّفَّاحًا... نَظَرَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ بِاسْتِغْرَابٍ وَقَالَتْ: لِمَاذَا يَا بُنَيَّ؟!!! ... قَالَ فرحانُ: هَذَا التُّفَّاحُ لَا يُعْجِبُنِي!!!

وَاسْتَأْذَنَ فَرَحَانُ مِنْ أُمِّهِ وَذَهَبَ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَقَضَى هُنَاكَ بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ سَعِيدًا، وَجَرَى نَحْوَ أُمِّهِ وَقَالَ لَهَا: أَيْنَ التُّفَاحَ؟! أُرِيدُ تَفَاحَةً... تَعَجَّبَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّ هَذَا التُّفَاحَ لَا يُعْجِبُكَ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: لَقَدْ غَيَّرْتُ رَأْيِي... قَالَتْ أُمُّهُ: لَنْ أُعْطِيكَ شَيْئًا حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَا حَدَثَ وَجَعَلَكَ تُغَيِّرُ رَأْيَكَ... قَالَ فَرَحَانُ: حَسَنًا يَا أُمِّي، سَأُخْبِي لَكَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَسَكَتَ فَرَحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جِيرَانَنَا الَّذِينَ أَهَدَوْا لَنَا التُّفَاحَ غَيْرَ مُسْلِمِينَ، وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ يَجِبُ أَلَّا نَقْبَلَ هَدَايَاهُمْ، وَلِذَلِكَ رَفَضْتُ أَكْلَ التُّفَاحِ... قَالَتْ أُمُّهُ: وَمَا الَّذِي جَعَلَكَ تَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: لَقَدْ أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَتْ لَهُ زَوْجَتَانِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، الْأُولَى هِيَ أُمُّ رُومَانَ وَالِدَةُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، وَالثَّانِيَّةُ هِيَ قُتَيْلَةُ وَالِدَةِ السَّيِّدَةِ أَسْمَاءَ، وَلَقَدْ طَلَّقَهَا أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَسْلَمَتْ أُمُّ رُومَانَ وَابْنَتُهَا عَائِشَةُ كَمَا أَسْلَمَتْ أَسْمَاءُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ جَمِيعًا-، وَظَلَّتْ قُتَيْلَةُ كَافِرَةً، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ تَزَوَّجَتْ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَقِيَتْ أُمُّهَا (قُتَيْلَةُ) فِي مَكَّةَ، وَدَارَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ، وَفِي الْعَامِ السَّادِسِ مِنَ الْهَجْرَةِ عَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْكَفَّارِ صُلْحًا، وَتَوَقَّفَتِ الْحَرْبُ لِفَتْرَةٍ... تَعَجَّبَتْ أُمُّ فَرَحَانَ وَقَالَتْ: وَمَا عِلَاقَةُ هَذَا كُلِّهِ بِهَدِيَّةِ جِيرَانِنَا؟.

تَنَهَّدَ فَرَحَانُ وَقَالَ: اصْبِرِي يَا أُمِّي وَسَتَعْرِفِينَ كُلَّ شَيْءٍ... قَالَتْ أُمُّهُ: حَسَنًا أَيُّهَا الْعَالِمُ الصَّغِيرُ، أَعْتَذِرُ عَنْ مُقَاطَعَتِكَ!!!... قَالَ فَرَحَانُ: فِي فَتْرَةِ الصُّلْحِ

بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْكَفَّارِ خَرَجَتْ قَتِيلَهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَخَذَتْ مَعَهَا هَدَايَا جَمِيلَةً، وَذَهَبَتْ لِرِيزَارَةِ ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ، وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِهَا فُوجِئَتْ بِهَا تَقُولُ لَهَا: لَا أَقْبَلُ مِنْكَ هَدِيَّةً وَلَا تَدْخُلِي بَيْتِي حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... قَالَتْ أُمُّ فَرْحَانَ: وَلِمَاذَا فَعَلْتَ السَّيِّئَةَ أَسْمَاءَ ذَلِكَ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: لِأَنَّ أُمَّهَا كَانَتْ كَافِرَةً، وَخَافْتُ إِنْ هِيَ أَذْخَلَتْهَا بَيْتَهَا وَقَبِلَتْ هَدِيَّتَهَا أَنْ تَكُونَ قَدْ فَعَلْتَ شَيْئًا يُغْضِبُ اللَّهَ تَعَالَى... قَالَتْ أُمُّ فَرْحَانَ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ؟... قَالَ فَرْحَانُ: سَأَلْتُ السَّيِّدَةَ أَسْمَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَدْخُلَ أُمَّهَا إِلَى بَيْتِهَا، وَتَقْبَلَ هَدَايَاهَا، وَتُكْرِمَهَا وَتُحْسِنَ إِلَيْهَا، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[الممتحنة: 8، 9].

قَالَتْ أُمُّ فَرْحَانَ: أَحَسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَأَنَا لَنْ أُعْطِيكَ تَفَاحَةً وَاحِدَةً، بَلْ سَأُعْطِيكَ تَفَاحَتَيْنِ؛ بِشَرْطٍ أَنْ تَشْرَحَ لِي مَعْنَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ... ابْتَسَمَ فَرْحَانُ بِمَكْرٍ وَقَالَ: أَنَا مُوَافِقٌ، لَكِنِّي سَأَخُذُ ثَلَاثَ تَفَاحَاتٍ... ضَحِكَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: اتَّفَقْنَا.

اعْتَدَلَ فَرْحَانُ فِي جِلْسَتِهِ وَقَالَ: هَاتَانِ الْآيَتَانِ تَرْسُمَانِ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَنَهِجَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَسِيرُوا عَلَيْهِ مَعَ الْكَفَّارِ، فَالْكَافِرُ الْمُسَالِمُ الَّذِي لَمْ يُقَاتِلْنَا، وَلَمْ يَعْمَلْ عَلَى الْإِحَاقِ الْأَذَى بِنَا؛ فَلَا بَأْسَ مِنْ بَرِّهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، أَمَّا الْكَافِرُ الْمُحَارِبُ الَّذِي يُقَاتِلُنَا وَيُحَاوِلُ إِيْدَاءَنَا؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَقْطَعَ صِلَتَنَا بِهِ، وَنَتَّخِذَ كَافَّةَ الْوَسَائِلِ لِرُدْعِهِ.

قَالَتْ أُمُّ فَرْحَانَ: هَذَا كَلَامٌ جَمِيلٌ، لَكِنِّي أُرِيدُ تَفْسِيرَ الْآيَتَيْنِ... قَالَ فَرْحَانُ: حَسَنًا يَا أُمِّي، الْآيَةُ الْأُولَى مَعْنَاهَا: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنْ مَوَدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ بِسَبَبِ إِسْلَامِكُمْ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، فَلَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ ﴿ أَنْ تَبْرُوهُمْ ﴾ أَنْ تَحْسِنُوا مُعَامَلَتَهُمْ وَتُكْرِمُوهُمْ، ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أَنْ تُعَامِلُوهُمْ بِمِثْلِ مَا يُعَامِلُونَكُمْ بِهِ مِنَ التَّقَرُّبِ وَالْمَوَدَّةِ، فَإِنَّ مُعَامَلَةَ الْآخَرِينَ بِالْمِثْلِ مِنَ الْعَدْلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ... أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ فَمَعْنَاهَا: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنْ مَوَدَّةِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ بِسَبَبِ دِينِكُمْ، وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، وَعَاوَنُوا غَيْرَهُمْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، فَيَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ بِالنُّصْرَةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَمَنْ يَتَّخِذْهُمْ أَنْصَارًا وَأَحْبَابًا فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ظُلْمًا شَدِيدًا، وَيَسْتَحِقُّونَ مِنَ اللَّهِ عِقَابًا أَلِيمًا.

صَاحَتْ أُمُّ فَرْحَانَ فِي سَعَادَةٍ وَقَالَتْ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا بُنَيَّ، وَزَادَكَ عِلْمًا وَفَهْمًا. وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ فُوجِئَ فَرْحَانُ بِأَمِّهِ تَقُولُ لَهُ: أَلَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْغَابَةِ الْيَوْمَ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: هَلْ تُرِيدِينَ شَيْئًا مِنْ هُنَاكَ يَا أُمِّي؟... قَالَتْ أُمُّهُ: نَعَمْ، أُرِيدُ بَعْضَ الْأَعْشَابِ وَالنَّبَاتَاتِ الطَّبِيَّةِ... ابْتَسَمَ فَرْحَانُ وَقَالَ: مَنْ عِيُونِي، سَأُحْضِرُهَا لَكَ فِي الْحَالِ، وَلَوْ أَرَدْتِ أَنْ أُحْضِرَ لَكَ فِيلًا؛ لَفَعَلْتُ... ضَحِكَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: أَنَا لَا أُرِيدُ فِيلًا أَيُّهَا الدَّكِّي، أَحْضِرْ فَقَطْ مَا طَلَبْتُهُ مِنْكَ.

ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَبَدَأَ يَبْحَثُ عَنِ النَّبَاتَاتِ وَالْأَعْشَابِ الَّتِي طَلَبَتْهَا أُمُّهُ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ لَمْ يَجْمَعْ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهَا، وَلَمْ

يَعْرِفُ مَكَانَ الْبَقِيَّةِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَطْلُبَ الْمُسَاعَدَةَ مِنَ الْكِلَابِ الْبَرِّيَّةِ؛ لِأَنَّهَا مَمْلُوكَةٌ حَاسَّةٌ شَمٌّ قَوِيَّةٌ، وَيُمْكِنُهَا أَنْ تَعْرِفَ مَكَانَ النَّبَاتَاتِ الطَّبِئَةِ.

وَانْطَلَقَ فَرْحَانُ بِسُرْعَةٍ إِلَى وَكْرِ الْكِلَابِ، وَطَلَبَ مُسَاعَدَتَهَا، فَفُوجِئَ بِقَائِدِ قَطِيعِ الْكِلَابِ يَقُولُ لَهُ: هَذِهِ الْمُهْمَّةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى كَلْبٍ، وَخَيْرُ مَنْ يَقُومُ بِهَا هُوَ الذُّئْبُ؛ فَالذُّئَابُ مَمْلُوكَةٌ حَاسَّةٌ شَمٌّ قَوِيَّةٌ جِدًّا... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: إِنِّي عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِي، وَلَا وَقْتُ عِنْدِي لِلْبَحْثِ عَنِ الذُّئَابِ... قَالَ قَائِدُ الْقَطِيعِ: لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ يَا صَدِيقِي، فَالذُّئْبُ الْمُنَاسِبُ سَيَكُونُ أَمَامَكَ الْآنَ.

وَنَبَحَ قَائِدُ الْقَطِيعِ بِقُوَّةٍ، وَصَاحَ قَائِلًا: يَا جَارِنَا الذُّئْبُ، تَعَالَ فِي الْحَالِ... فَخَرَجَ ذِئْبٌ كَبِيرٌ مِنْ جُحْرِ قَرِيبٍ، فَتَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: كَيْفَ يَعْيشُ هَذَا الذُّئْبُ بِجَوَارِكُمْ؟ وَكَيْفَ يُطِيعُكُمْ وَيَسْمَعُ كَلَامَكُمْ؟!... قَالَ قَائِدُ قَطِيعِ الْكِلَابِ: إِنَّهُ ذِئْبٌ مُسَالِمٌ، وَيَسْكُنُ بِجَوَارِنَا مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَيَعِيشُ مَعَنَا فِي سَلَامٍ وَأَمَانٍ... قَالَ فَرْحَانُ: وَلَكِنَّ الذُّئَابَ لَا أَمَانَ لَهَُا... قَالَ قَائِدُ الْقَطِيعِ: لَيْسَتْ كُلُّ الذُّئَابِ كَذَلِكَ.

وَطَلَبَ قَائِدُ الْقَطِيعِ مِنَ الذُّئْبِ أَنْ يُسَاعِدَ فَرْحَانَ، فَاسْتَجَابَ الذُّئْبُ بِسُرْعَةٍ، وَنَجَحَ فِي آدَاءِ الْمُهْمَّةِ، فَشَكَرَهُ فَرْحَانُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ حَامِلًا مَا طَلَبَتْهُ أُمُّهُ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ جَاءَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَمَرَّ عَلَى وَكْرِ الْكِلَابِ، فَوَجَدَهُمْ يُهَاجِمُونَ الذُّئْبَ الْمُسَالِمَ وَيَعْضُونَهُ بِأَسْنَانِهِمْ وَيَخْمِشُونَهُ بِأَظْفَارِهِمْ، فَسَأَلَ فَرْحَانُ: عَمَّا يَحْدُثُ، فَقَالَ قَائِدُ قَطِيعِ الْكِلَابِ: إِنَّ الذُّئَابَ هَاجَمُونَا بِالْأَمْسِ، وَلَابدُّ أَنْ هَذَا الذُّئْبُ الْخَائِنُ دَلَّهْمُ عَلَيْنَا وَأَخْبَرَهُمْ بِأَسْرَارِنَا، وَنَحْنُ سَنُعَاقِبُهُ وَنَطْرُدُهُ بَعِيدًا... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّ

هَذَا الذُّئْبُ مُسَالِمٌ، وَيَعِيشُ مَعَكُمْ فِي سَلَامٍ وَأَمَانٍ... قَالَ قَائِدُ الْقَطِيعِ:
يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَخْدَعُنَا... قَالَ فَرْحَانُ: وَرُبَّمَا يَكُونُ مَظْلُومًا... اعْتَرَضَ قَائِدُ
الْقَطِيعِ قَائِلًا: مُسْتَحِيلٌ، فَهُوَ ذِئْبٌ غَدَّارٌ مِثْلَ بَقِيَّةِ الذُّئَابِ.

سَكَتَ فَرْحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ هَذَا الذُّئْبُ قَدْ سَاعَدَ الذُّئَابَ فِي
الْهُجُومِ عَلَيْكُمْ، فَلِمَاذَا لَمْ يَهْرُبْ مَعَهُمْ؟!... قَالَ قَائِدُ الْقَطِيعِ: رُبَّمَا فَعَلَ
ذَلِكَ لِأَنَّ الذُّئَابَ لَمْ تَنْجَحْ فِي هَزِيمَتِنَا، وَلَعَلَّهُ بَقِيَ هُنَا حَتَّى يَكْتَشِفَ
نُقْطَةَ ضَعْفِنَا وَيَدْلُهُمْ عَلَيْهَا... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ هَاجَمَتِ الذُّئَابُ مَخَازِنَ
طَعَامِكُمُ السَّرِيَّةِ؟... قَالَ قَائِدُ الْقَطِيعِ: لَا... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ هَاجَمَتِ
الْمَكَانَ الَّذِي تَخْتَبِئُ فِيهِ صِغَارُكُمْ؟... قَالَ قَائِدُ الْقَطِيعِ: لَا... قَالَ فَرْحَانُ:
إِذَا فَهَذَا الذُّئْبُ بَرِيءٌ، لِأَنَّهُ لَوْ خَانَكُمْ لَأَخْبَرَ الذُّئَابَ بِأَسْرَارِكُمْ، وَهُوَ لَمْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَلَوْ طَرَدْتُمُوهُ سَيَذْهَبُ إِلَى الذُّئَابِ وَيَخُونُكُمْ بِحَقِّ.

اِفْتَتَحَ قَائِدُ قَطِيعِ الْكِلَابِ بِكَلَامِ فَرْحَانَ، فَتَبَحَ بِقُوَّةٍ وَصَاحَ قَائِلًا: اثْرُكُوا جَارَنَا
الذُّئْبَ وَتَوَقَّفُوا عَنْ إِيْذَانِهِ، فَهُوَ بَرِيءٌ... وَذَهَبَ قَائِدُ الْقَطِيعِ إِلَى الذُّئْبِ الْمُسَالِمِ،
وَاعْتَذَرَ لَهُ، وَعَالَجَ جِرَاحَهُ، وَأَمَرَ الْكِلَابَ أَنْ تَرْعَاهُ وَتَخْدُمَهُ حَتَّى يَتِمَّائِلَ لِلشِّفَاءِ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَجَاءَ فَرْحَانُ لِزِيَارَةِ الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْكِلَابَ تُقِيمُ اخْتِفَالًا
كَبِيرًا، فَسَأَلَهُمْ: عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ لَهُ قَائِدُ الْقَطِيعِ: بِالْأَمْسِ شَمَّ الذُّئْبُ
الْمُسَالِمَ رَائِحَةَ قَطِيعِ الذُّئَابِ مِنْ بَعِيدٍ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَيَهْجُمُونَ عَلَيْنَا،
فَأَخْبَرَنَا فِي الْحَالِ، وَوَضَعَ مَعَنَا خُطَّةً لِلدَّفَاعِ عَنْ وَكْرِنَا، وَكَانَ سَبَبًا فِي
نَجَاتِنَا، وَلِذَلِكَ نَحْنُ نَحْتَفِلُ بِهِ وَنُكْرِّمُهُ.



فكرة تربوية

بعد أن تخي لأبنائك قصة الذئب المسالم...

- اسألهم: لو عَندنا جَار (أو زَميل) غير مُسلم فكيف نتعامل معه؟ وبعد أن تَستمع إليهم شارِكهم في الاستماع إلى أحد العلماء الثقات وهو يتحدَّث عن حُدود العلاقة مع غير المسلمين، وكيفية التعامل معهم.
- اخك لأبنائك كيف كان النبي ﷺ يتعامل مع الكُفَّار غير المُحاربين، وأخبرهم بما رواه البخاري عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان غلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النبي ﷺ، فمرَّضَ (هذا الغلام)، فاتاه النبي ﷺ يَعودُه، فقعدَ عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظرَ (الغلام) إلى أبيه وهو عنده، فقال (أبوه) له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلمَ (الغلام)، فخرَّجَ النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».
- أخبر أبناءك أنك ستقيم بينهم سباقًا في البحث عن حقوق الجار، وحدد لهم مدة البحث وطريقته، وساعدهم إن لزم الأمر، ثم اجتمع بهم، وشاهد نتيجة بحثهم، وكافئ كل واحدٍ منهم على قدر اجتهداه وإنجازه، ثم أخبرهم أن الجيران ثلاثة أنواع، فالجار الكافر له حقٌ واحدٌ هو حق الجوار، والجار المسلم له حقان هما: حق الجوار وحق الإسلام، والجار المسلم القريب له ثلاثة حقوق هي: حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة.
- اسأل أبناءك: مَنْ هُم المُقسِطون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]، وبعد أن تَستمع إليهم أخبرهم أن النبي ﷺ قال فيما رواه مسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ (يوم القيامة) عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ»، ثم علِّم أبناءك كيف يعدلون في قولهم وفعلهم وحكمهم، واجتهد حتى تكون قدوة لهم في العدل فيما بينهم، ومع غيرهم.

الأرنَبُ الغَرِيبُ

في يومٍ من الأيام ذهبَ فرحانُ إلى الغابةِ، وجَلَسَ في مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَهُ الْيَوْمِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَجَوَّلَ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، فَرَأَى أَرْنَبًا مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ، وَغَائِبًا عَنِ الْوَعْيِ، وَمُصَابًا بِبَعْضِ الْجُرُوحِ، فَأَخَذَهُ بِسُرْعَةٍ إِلَى مُسْتَشْفَى الْغَابَةِ، وَعَالَجَ الطَّيِّبُ جُرُوحَهُ، وَأَعْطَاهُ الْأَدْوِيَةَ الْلازِمَةَ، وَاسْتَعَادَ الْأَرْنَبُ وَعِيَهُ بِبُطْءٍ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ بِصُعُوبَةٍ، وَنَظَرَ حَوْلَهُ بِاسْتِغْرَابٍ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَنَا؟!... قَالَ فرحانُ: أَنْتِ فِي مُسْتَشْفَى الْغَابَةِ، وَيَبْدُو أَنَّكَ غَرِيبٌ عَنِ الْمَكَانِ... قَالَ الْأَرْنَبُ: نَعَمْ، فَأَنَا مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْمُجَاوِرَةِ... قَالَ الطَّيِّبُ: وَلِمَاذَا جِئْتِ إِلَى غَابَتِنَا؟!... تَتَهَدَّى الْأَرْنَبُ وَقَالَ: جِئْتُ هَرَبًا مِنَ الظُّلْمِ، وَطَلَبًا لِلْأَمَانِ... قَالَ فرحانُ: وَمَا سَبَبُ إِصَابَتِكَ بِهَذِهِ الْجُرُوحِ؟!... قَالَ الْأَرْنَبُ: لَقَدْ طَارَدَنِي حُرَّاسُ غَابَتِنَا حَتَّى يَمْنَعُونِي مِنَ الْهَرَبِ، وَهَاجَمُونِي بِقُوَّةٍ، لِكِنِّي نَجَوْتُ مِنْهُمْ بِأَعْجُوبَةٍ... قَالَ الطَّيِّبُ: حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ، وَأَتَمْنَى لَكَ إِقَامَةً سَعِيدَةً فِي غَابَتِنَا، لِكِنِّي أَشْكُ أَنَّ مَلِكَ الْغَابَةِ سَيَسْمَحُ لَكَ بِالْبَقَاءِ هُنَا... بَكَى الْأَرْنَبُ وَقَالَ: أَرْجُوكُمْ لَا تُرْجِعُونِي إِلَى غَابَتِنَا مَرَّةً أُخْرَى، فَإِنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي... قَالَ فرحانُ: لَا تَخَفْ، فَتَحْنُ سَنُسَاعِدُكَ، وَلَنْ نَتَخَلَّى عَنْكَ أَبَدًا.

وَذَهَبَ فرحانُ بِسُرْعَةٍ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ، فَسَكَتَ الْأَسَدُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْأَرْنَبَ قَادِمٌ مِنْ غَابَةِ الْأَشْرَارِ، وَهُمْ أَعْدَاءُ غَابَتِنَا، وَيُحَارِبُونَنَا مِنْذُ سِنِينَ، وَهَذَا الْأَرْنَبُ قَدْ يَكُونُ كَذَّابًا وَجَاءَ

لِلتَّجَسُّسِ عَلَيْنَا، وَلِذَلِكَ لَنْ نَسْمَحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ بَيْنَنَا.. قَالَ فَرحَانُ: إِنَّهُ أَرْنَبٌ مِسْكِينٌ، وَجِرَاحُهُ خَيْرٌ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِهِ، وَلَوْ طَرَدْنَاهُ سَنَكُونُ قَدْ ظَلَمْنَاهُ... وَظَلَّ فَرحَانُ يَتَنَاقَشُ مَعَ الْأَسَدِ حَتَّى أَقْنَعَهُ بِبَقَاءِ الْأَرْنَبِ الْغَرِيبِ، بِشَرْطِ أَنْ يَبْقَى تَحْتَ الْمُرَاقَبَةِ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَتَمَاثَلَ الْأَرْنَبُ الْغَرِيبُ لِلشِّفَاءِ، وَأَعْطَاهُ مَلِكُ الْغَابَةِ قِطْعَةً أَرْضٍ لِيَبْنِيَ فِيهَا جُحْرًا، وَعَاشَ الْأَرْنَبُ مَعَ جِيرَانِهِ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءٍ، وَأَحَبَّهُ سُكَّانُ الْغَابَةِ بِسَبَبِ حُسْنِ خُلُقِهِ وَجَمِيلِ أَفْعَالِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ فَرحَانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَلَمَّا حَضَرَ جَمِيعُ الْأَوْلَادِ قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ عَاشَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَذَاقَهُمُ الْكُفَّارُ خِلَالَهَا أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَتَحَمَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا أَلْوَانًا كَثِيرَةً مِنَ الْأَذَى، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَحَاوَلَ الْكُفَّارُ مَنَعَهُمْ مِنَ الْهِجْرَةِ لَكِنَّهُمْ فَشَلُوا، فَقَرَّرُوا الْخُرُوجَ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ طَاحِنَةٌ، كَغَزْوَةِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَالْأَحْزَابِ، وَفِي الْعَامِ السَّادِسِ مِنَ الْهِجْرَةِ تَصَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْكُفَّارِ، وَاتَّفَقَ الطَّرَفَانِ عَلَى وَقْفِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمَا عَشْرَ سَنَوَاتٍ، وَكَانَ مِنْ شُرُوطِ هَذَا الصُّلْحِ أَنَّ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُسْلِمًا، وَجَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَلْتَزِمُ بِرَدِّهِ إِلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ وَفَّى النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الشَّرْطِ، وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ مُسْلِمًا وَمُهَاجِرًا إِلَّا رَدَّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِنْ مَكَّةَ وَهِيَ مُسْلِمَةٌ، وَجَاءَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرَةً، وَكَانَتْ فِي بَدَايَةِ سِنِّ الشَّبَابِ، فَجَاءَ أَهْلُهَا وَطَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ وَفَاءً بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ، فَرَفَضَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، وَلَمْ يُرْجِعْهَا إِلَيْهِمْ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَلِمَاذَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ؟!!!.

قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ أَلَّا يُرْجَعَ الْمُهَاجِرَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ إِلَى الْكُفَّارِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَتُ مُهَاجِرَتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانِيتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ كُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: 10].

قَالَ فَرِحَانُ: إِذَا فَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ لِحِمَايَةِ الْمَرْأَةِ الْمُؤْمِنَةِ، وَدِفَاعًا عَنْهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بَنِي، فَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ لَوْ رَجَعَتْ إِلَى كُفَّارٍ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ سَيُعَذِّبُونَهَا، وَيُخَوِّفُونَهَا، وَيُكْرِهُونَهَا عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ وَالْعُودَةِ إِلَى الْكُفْرِ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَلَكِنْ يَا شَيْخَنَا أَلَا يُمَكِّنُ لِلْكُفَّارِ أَنْ يُرْسِلُوا إِحْدَى النِّسَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَجْعَلُوهَا تَدْعِي كَذِبًا أَنَّهَا مُسْلِمَةٌ؛ لِتَتَجَسَّسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؟!!!.

قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مُمَكِّنٌ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَمْتَحِنُوا مَنْ جَاءَتْ مُهَاجِرَةٌ حَتَّى يَتَأَكَّدُوا مِنْ إِيْمَانِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَتُ مُهَاجِرَتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ...﴾، فَإِنْ أَمْتَحِنُوهُنَّ وَوَجَدُوهُنَّ كَاذِبَةً فَإِنَّهُمْ يَرُدُّوهَا إِلَى الْكُفَّارِ، وَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً لَمْ يُرْجِعُوهُنَّ إِلَيْهِمْ.

ابْتَسَمَ فَرِحَانُ وَقَالَ: وَهَلْ كَانَ هَذَا الْامْتِحَانُ صَعْبًا مِثْلَ امْتِحَانَاتِ آخِرِ الْعَامِ فِي مَدَارِسِنَا؟!!!.

صَحِكَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَا يَا بَنِي.

قَالَ فَرَحَانُ: إِذَا كَيْفَ كَانَ هَذَا الْامْتِحَانُ؟

سَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: قَبْلَ أَنْ أُجِيبَ عَنْ سُؤَالِكَ لَا بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ الصَّحَابِيَّ الَّذِي اخْتَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيُقَوِّمَ بِامْتِحَانِ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ.

قَالَ فَرَحَانُ: وَمَنْ يَكُونُ يَا تُرَى؟!!

قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

قَالَ فَرَحَانُ: وَلِمَاذَا اخْتَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمِهْمَةِ؟!!

قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَى سَيِّدَنَا عُمَرَ حِكْمَةً وَعِلْمًا، وَرَزَقَهُ قُوَّةً فِي الْحَقِّ، وَالْجَمِيعُ كَانَ يَهَابُهُ وَيَخْشَاهُ، حَتَّى الشَّيْطَانُ كَانَ يَخَافُ مِنْهُ.

تَعَجَّبَ فَرَحَانُ وَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟!!!

قَالَ الشَّيْخُ: رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا لِعُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا (طَرِيقًا) إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ (طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِكَ)»، فَالشَّيْطَانُ كَانَ يَهْرُبُ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْلُكُهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-؛ خَوْفًا مِنْهُ.

صَاحَ فَرَحَانُ قَائِلًا: إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْمُمْتَحِنُ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْامْتِحَانُ؟!!!

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَقَدْ كَانَ امْتِحَانُ الْمُؤْمِنَةِ الْمُهَاجِرَةِ يَبْدَأُ بِسُؤَالِهَا عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهَا مِنْ مَكَّةَ، وَسَبَبِ قُدُومِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَتِمُّ دِرَاسَةُ حَالِهَا وَالسُّؤَالُ عَنْهَا، ثُمَّ تَحْلِفُ بِاللَّهِ أَمَامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهَا مَا خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ بُغْضًا لِأَهْلِهَا، وَلَا كُرْهًا لِزَوْجِهَا، وَلَا طَمَعًا فِي دُنْيَا، وَلَا رَغْبَةً فِي الْاِتِّقَالِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَلَا عِشْقًا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا

هَرَبًا مِنْ جَرِيمَةٍ فَعَلَتْهَا، بَلْ جَاءَتْ حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ... فَإِنْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهَا مُؤْمِنَةٌ، لَمْ يُرْجِعْهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكُفَّارِ. قَالَ فَرحَانُ: وَلَكِنْ أَلَا يُمَكِّنُ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَحْلِفَ كَذِبًا؟!!

قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَالْعَرَبُ كَانُوا يَسْتَقْبِحُونَ الْكَذِبَ، وَيَخْشَى أَحَدُهُمْ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّهُ كَذَبَ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَكَانُوا يَخَافُونَ أَنْ حَلَفُوا بِاللَّهِ كَذِبًا أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ وَيَنْزِلَ بِهِمْ عِقَابُهُ، كَمَا أَنَّهَا لَوْ كَذَبَتْ لَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأُخْبِرَهُ بِالْحَقِيقَةِ، وَلَقَدْ امْتَحَنَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أُمَّ كُلثُومَ بِنْتَ عُقْبَةَ لَمَّا جَاءَتْ مُهَاجِرَةً، وَعَلِمَ أَنَّهَا مُؤْمِنَةٌ، فَقَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يَرُدَّهَا إِلَى الْكُفَّارِ، وَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَعَاشَتْ فِي أَمَانٍ وَسَلَامٍ.

شَكَرَ فَرحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي الْأَرْزَبِ الْغَرِيبِ، وَنَدِمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَمْتَحِنْهُ قَبْلَ تَصَدِيقِهِ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَرْزَبُ جَاسُوسًا وَيُوْذِي سُكَّانَ الْغَابَةِ الطَّيِّبِينَ، وَبَحَثَ فَرحَانُ عَنْ طَرِيقَةٍ يُصَحِّحُ بِهَا خَطَأَهُ، وَقَرَّرَ أَنْ يَمْتَحِنَ الْأَرْزَبَ الْغَرِيبَ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، وَاسْتَأْذَنَ فَرحَانُ مِنْ وَالِدَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْغَابَةِ بِسُرْعَةٍ، وَاتَّفَقَ سِرًّا مَعَ الْغَزَالَةِ وَالسُّلْحَفَاءِ وَالنَّمْلَةِ أَنْ يَجْلِسُوا مَعَ الْأَرْزَبِ الْغَرِيبِ فِي أَيَّامٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَتَكَلَّمُوا مَعَهُ عَنْ غَابَةِ الْأَشْرَارِ، وَيَسْأَلُوهُ: عَنْ سَبَبِ هُرُوبِهِ مِنْ هُنَاكَ؟ وَكَيْفَ هَرَبَ؟ وَمَنْ طَارَدَهُ عِنْدَ الْهُرُوبِ؟.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ التَّقَى فَرحَانُ بِالْحَيَوَانَاتِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ زِيَارَتِهِمْ لِلأَرْزَبِ، وَعَرَفَ مِنْهُمْ مَا حَدَثَ خِلَالَ لِقَائِهِمْ بِهِ، وَاکْتَشَفَ مِنْ خِلَالِ إِجَابَاتِ

الْأَرْنبُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ أَنَّهُ يَكْذِبُ، فَقَدْ قَالَ لِلْغَزَالَةِ أَنَّهُ هَرَبَ لَيْلًا وَأَنَّ
الْأَسَدَ هُوَ مَنْ طَارَدَهُ خِلَالَ الْهَرَبِ، وَأَخْبَرَ السُّلْخَفَاةَ أَنَّهُ هَرَبَ فَجْرًا
وَأَنَّ الْفَهْدَ قَامَ مُطَارِدَتِهِ، أَمَّا التَّمْلَةُ فَقَدْ قَالَ لَهَا أَنَّهُ هَرَبَ ظَهْرًا وَأَنَّ
النَّمِرَ هُوَ مَنْ طَارَدَهُ.

وَقَرَّرَ فَرْحَانُ أَنْ يَنْتَقِلَ لِلْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْامْتِحَانِ، وَاتَّفَقَ مَعَ أَحَدِ
الْأَرَانِبِ الثَّقَاتِ أَنْ يُفْتَشَّ جُحْرَ الْأَرْنبِ الْغَرِيبِ فِي غِيَابِهِ، وَيَفْعَلَ
ذَلِكَ فِي سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ.

وَنَجَحَ الْأَرْنبُ الْأَمِينُ فِي مُهِمَّتِهِ، وَأَخْبَرَ فَرْحَانَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي جُحْرِ الْأَرْنبِ
الْغَرِيبِ نَفَقًا طَوِيلًا جِدًّا، يَصِلُ إِلَى حُدُودِ الْغَابَةِ، فَفَهِمَ فَرْحَانُ أَنَّ
الْأَرْنبَ الْغَرِيبَ يَسْتَخْدِمُ هَذَا النِّفَقَ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ إِلَى غَابَةِ الْأَشْرَارِ،
وَلِكَيْ يَتَأَكَّدَ مِنْ ذَلِكَ طَلَبَ مِنَ الْبُومَةِ أَنْ تَر_اقِبَ النَّفَقَ طَوَالَ اللَّيْلِ،
دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهَا أَحَدٌ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ جَاءَتْ الْبُومَةُ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ، فَقَدْ رَأَتْ الْأَرْنبَ
الْغَرِيبَ يَخْرُجُ مِنْ فَتْحَةِ النَّفَقِ، وَيَلْتَقِي بِثَعْلَبٍ مَكَّارٍ مِنْ غَابَةِ الْأَشْرَارِ،
وَيُخْبِرُهُ بِبَعْضِ الْأَسْرَارِ، فَذَهَبَ فَرْحَانُ فِي الْحَالِ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَأَخْبَرَهُ
أَنَّ الْأَرْنبَ الْغَرِيبَ جَاسُوسٌ وَخَائِنٌ، وَحَكَى لَهُ مَا حَدَثَ، ثُمَّ اعْتَذَرَ
فَرْحَانُ لِلْأَسَدِ عَنِ الْخَطَا الَّذِي وَقَعَ فِيهِ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَمْتَحِنَ الْغُرَبَاءَ
قَبْلَ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ وَيَثِقَ فِيهِمْ.



فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة الأرنب الغريب...

• اسألهم: عن رأيهم في الخطأ الذي ارتكبه فرحان، وطريقة معالجته له، وما رأيهم في امتحان فرحان للأرنب الغريب؟ وهل سيقوم الأسد بمعاقبة الأرنب الخائن في الحال؟ أم سيعرف منه الأسرار التي نقلها للأشرار قبل معاقبته؟ وهل يمكن أن يستغل الأرنب الغريب ويجعله ينقل أخبارًا كاذبة إلى غابة الأشرار دون أن يشعر؟ وهل ستساعد هذه الفكرة في هزيمة الأشرار؟

• اسأل أبنائك: هل ينطق اسم هذه السورة بكسر الحاء (الممتحنة) أم يفتحها (الممتحنة)؟ ثم أخبرهم أن الحالتين صحيحتان، فهي سورة الممتحنة (بكسر الحاء) وذلك وصفًا للسورة، يعني السورة التي وردَ فيها امتحان المؤمنين المهاجرين، وهي أيضًا سورة الممتحنة (بفتح الحاء) وذلك وصفًا للمرأة التي نزلت بسببها آية الامتحان، وهي أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط، وهي أول امرأة وقع عليها الامتحان، وأخير أبنائك أن هذه السورة تسمى أيضًا «سورة الامتحان».

• اسأل أبنائك: متى نحتاج إلى امتحان الآخرين؟ وبعد أن تستمع إليهم اسألهم: لو تقدم أحدهم لخطبة فتاة فكيف تختبره أهلها؟ ولو كنت صاحب شركة وتقدم أحدهم للعمل معك كيف تختبره؟ ولو رزقنا الله بجار جديد كيف نختبره؟ ولو قررت أن تتخذ أحدهم صديقًا لك فكيف تختبره؟ ولو أردت أن تضع أمانة ما عند أحدهم كيف تختبره؟

• احكِ لأبنائك ذكرياتك مع امتحانات المدرسة ويوم ظهور النتيجة، وأخبرهم برّد فعل والديك عندما يعرفان النتيجة، ثم اسأل: أبنائك عن شعورهم تجاه الامتحانات، وعلمهم كيف يتعاملون معها باطمئنان وهُدوء، وابحث عن الأشياء التي يمكن أن تقوم بها في المنزل وتجعل أيام الامتحانات أجمل.

البَغَاءُ الْمُغَامِر

ذَاتَ مَسَاءٍ اجْتَمَعَتْ أُسْرَةُ فَرْحَانَ لِيَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْعِشَاءِ، فَحَكَى لَهُمْ فَرْحَانُ بَعْضَ مُغَامَرَاتِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَصْبَحَ عُضْوًا فِي فَرِيقِ كُرَةِ الْقَدَمِ، وَشَارَكَ فِي الْمُبَارَاةِ الَّتِي أُقِيمَتْ الْيَوْمَ، وَأَحْرَزَ هَدَفًا جَمِيلًا، وَفَازَ بِلِقَبِ أَحْسَنَ لَاعِبٍ فِي الْمُبَارَاةِ، وَقَدْ يُصْبِحُ هَدَافَ دَوْرِي الْمَدَارِسِ، وَرُبَّمَا يُشَاهِدُهُ أَحَدُ الْمُدْرِبِينَ وَيَخْتَارُهُ لِلْعِبْ فِي نَادٍ كَبِيرٍ، وَيُصْبِحُ ذَاتَ يَوْمٍ لَاعِبًا مَشْهُورًا.

أَبْدَى الْجَمِيعُ إِعْجَابَهُ بِحِكَايَةِ فَرْحَانَ، وَأَخَذُوا يَسْأَلُونَهُ عَنْ تَفَاصِيلِ الْمُبَارَاةِ، وَفَجْأَةً صَاحَتْ أُمُّهُ قَائِلَةً: إِنَّ هَذِهِ الْمُبَارَاةَ تَمَّ تَصْوِيرُهَا، وَالْفِيدْيُو الْخَاصَّ بِهَا مَوْجُودٌ عَلَى مَوْقِعِ الْمَدْرَسَةِ الْإِلِكْتَرُونِيِّ... فَقَالَ الْوَالِدُ: حَسَنًا، لِنُشَاهِدَ هَذِهِ الْمُبَارَاةَ مَعًا... قَالَ فَرْحَانُ: لَا تَضِيعُوا وَقْتُكُمْ فَأَنَا قَدْ أَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ... فَاعْتَرَضَ الْجَمِيعُ عَلَى كَلَامِهِ، وَصَمَّمُوا عَلَى مُشَاهَدَةِ الْمُبَارَاةِ، فَتَنَاءَبَ فَرْحَانُ قَائِلًا: إِنَّنِي أَشْعُرُ بِالْإِرْهَاقِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَنْامَ، تُصْبِحُونَ عَلَى خَيْرٍ.

ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى غُرْفَتِهِ، وَبَدَأَتْ الْأُسْرَةُ تُشَاهِدُ الْمُبَارَاةَ، وَأَخَذُوا يَبْتَحِثُونَ عَنْ فَرْحَانَ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ، وَيَتَرَقَّبُونَ اللَّحْظَةَ الَّتِي سَيُشَاهِدُونَهُ فِيهَا وَهُوَ يُحْرِزُ الْهَدَفَ، لَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ، فَقَدْ انْتَهَتْ الْمُبَارَاةُ دُونَ أَنْ يَظْهَرَ فِيهَا فَرْحَانُ، وَهُنَا نَظَرَ الْجَمِيعُ إِلَى بَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ، فَقَالَ الْوَالِدُ: يَبْدُو أَنَّ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ فَرْحَانَ لَمْ يَكُنْ حَقِيقَةً، وَأَنَا سَأَعَالِجُ هَذِهِ الْمَشْكِلَةَ مَعَهُ!!!.

وَذَهَبَ الْوَالِدُ إِلَى غُرْفَةِ فَرْحَانَ، فَوَجَدَهُ نَائِمًا فِي سَرِيرِهِ وَهُوَ يُخْفِي وَجْهَهُ تَحْتَ الْغِطَاءِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ لَسْتَ نَائِمًا، فَاجْلِسْ حَتَّى نَتَكَلَّمَ مَعًا، وَلَا تَخَفْ... اسْتَجَابَ فَرْحَانُ لِأَبِيهِ، وَأَزَالَ الْغِطَاءَ عَنْ وَجْهِهِ، وَجَلَسَ وَهُوَ يَتَرَقَّبُ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لِمَاذَا ادَّعَيْتَ أَنَّكَ شَارَكْتَ فِي الْمُبَارَاةِ وَأَنَّكَ أَحْرَزْتَ هَدَفًا؟!... دَمَعَتْ عَيْنَا فَرْحَانَ وَقَالَ: كُنْتُ أُرِيدُكُمْ أَنْ تَفْخَرُوا بِي... قَالَ أَبُوهُ: نَحْنُ نَفْتَخِرُ بِكَ بِالْفِعْلِ يَا بُنَيَّ، فَأَنْتَ تُسَاعِدُ أُمَّكَ، وَتَتَرَفَّقُ بِأَخَوَتِكَ، وَتَجْتَهِدُ فِي دُرُوسِكَ، وَتُصَلِّي فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الْمَسْجِدِ، وَتُضِيءُ بَيْتَنَا بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

بَكَى فَرْحَانُ خَجَلًا، وَتَوَقَّعَ أَنْ يُعَاقِبَهُ أَبُوهُ، لَكِنَّهُ فُوجِئَ بِهِ يَقُولُ لَهُ: هَاتِ الْمُصْحَفَ يَا بُنَيَّ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا؟!... قَالَ أَبُوهُ: لِأَنَّ الْخَطَأَ الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ قَدْ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ هَذَا الْخَطَأُ كَبِيرٌ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟!... قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُبْغِضُ هَذَا الْفِعْلَ بُغْضًا شَدِيدًا.

أَحَسَّ فَرْحَانُ بِالنَّدَمِ، وَأَحْضَرَ الْمُصْحَفَ وَهُوَ يَتَسَاءَلُ عَنِ السُّورَةِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا هَذَا الْخَطَأُ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: اقْرَأْ يَا بُنَيَّ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الصَّفِّ... فَفَتَحَ فَرْحَانُ الْمُصْحَفَ، وَبَدَأَ يَقْرَأُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوعِينَ﴾ [الصَّف: 1 - 4].

قَرَأَ فَرْحَانُ هَذِهِ الْآيَاتِ بِتَجْوِيدٍ وَإِتْقَانٍ، فَمَدَحَهُ أَبُوهُ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ عَدَدًا مِنْ أَصْحَابِ

النَّبِيُّ ﷺ جَلَسُوا يَوْمًا مَعَ بَعْضِهِمْ، وَتَحَدَّثُوا فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَثَوَابِهَا، وَقَالُوا: لَوْ نَعْرِفُ أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ لَفَعَلْنَاهُ؛ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَرَغْبَةً فِي رِضَاهُ سُبْحَانَهُ... فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ هِيَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ. قَالَ فَرحَانُ: وَمَاذَا فَعَلُوا بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ؟

قَالَ أَبُوهُ: بَعْضُهُمْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ، وَفَعَلَ مَا يُحِبُّهُ رَبُّهُ، فَكَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الَّذِي قَالَ: لَا أَزَالُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَمُوتَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ... وَبَعْضُهُمْ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْجِهَادَ هُوَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ كَرِهَ ذَلِكَ، وَضَعَفَتْ عَزِيمَتُهُ عَنِ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَزَكَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ تُعَاتِبُهُمْ عَلَى عَدَمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

قَالَ فَرحَانُ: وَهَلْ هُنَاكَ سَبَبٌ آخِرٌ لِنُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ؟

قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَخِرُ أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَهُوَ لَمْ يَعْمَلْهُ، فيقول: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا... وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ، كَأَن يَخْرُجَ إِلَى الْجِهَادِ، وَعِنْدَمَا يَرْجِعُ يَقُولُ: لَقَدْ قَاتَلْتُ وَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْبُطُولَاتِ، وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا، فَزَكَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ تَلُومُهُمْ وَتُعَاتِبُهُمْ عَلَى افْتِخَارِهِمْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا.

سَكَتَ فَرحَانُ لِحِظَاتٍ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْآيَاتِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْأَلُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَقُولُ لَهُمْ: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ فَكَيْفَ سَيُجِيبُونَ عَنْ هَذَا السَّوْأَلِ!!!

قَالَ أَبُوهُ: هَذَا السَّوَالُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِجَابَةٍ، فَالْهَدَفُ مِنْهُ هُوَ التَّوْبِيخُ وَالْإِنْكَارُ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ؛ لَأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا إِنَّهُمْ فَعَلُوا شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ (فِي الْمَاضِي) وَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوهُ كَانَ هَذَا كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدُوا بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ (فِي الْمُسْتَقْبَلِ) ثُمَّ لَمْ يَفْعَلُوهُ كَانَ هَذَا إِخْلَافًا لِلْوَعْدِ، وَكِلَاهُمَا ذَنْبٌ كَبِيرٌ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3]؟

قَالَ أَبُوهُ: كَبُرَ مَعْنَى عَظُمَ، وَالْمَقْتُ هُوَ الْبُغْضُ الشَّدِيدُ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ بُغْضًا شَدِيدًا أَنْ تَقُولُوا أَنْكُمْ فَعَلْتُمْ شَيْئًا وَأَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ، وَأَنْ تَعِدُوا بِفِعْلِ شَيْءٍ ثُمَّ لَا تُوفُوا بِوَعْدِكُمْ، وَهَذَا بَيَانٌ لَشِدَّةِ غَضَبِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

دَمَعَتْ عَيْنَا فَرْحَانَ وَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، مِنَ الْيَوْمِ لَنْ أَفْتَحِرَ بِمَا لَمْ أَفْعَلْ، وَسَأَجْتَهِدُ فِي الْوَفَاءِ بِوَعْدِي، حَتَّى لَا أَتَعَرَّضَ يَوْمًا لِغَضَبِ رَبِّي.

حَضَنَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا بُنَيَّ، وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ تَجْتَمِعُ فِي السَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ، فَسَأَلَهُمْ: عَنْ سَبَبِ اجْتِمَاعِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْبَبْغَاءَ سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ، فَظَنَّ فَرْحَانُ أَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْبَبْغَاءَ لِيُشَاهِدُوا طَرِيقَتَهُ الْمُضْحِكَةَ فِي تَقْلِيدِ الْأَصْوَاتِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ لِيَسْتَمْتَعَ قَلِيلًا، وَبَعْدَ دَقَائِقَ وَصَلَ الْبَبْغَاءُ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْجَمِيعُ بِحِمَاسٍ، وَأَفْسَحُوا لَهُ الطَّرِيقَ بِاخْتِرَامٍ، وَصَعِدَ الْبَبْغَاءُ عَلَى مِنْصَةِ عَالِيَةٍ، فَهَذَا الْحَاضِرُونَ وَسَادَ الصَّمْتُ، فَبَدَأَ الْبَبْغَاءُ يَتَكَلَّمُ، وَقَالَ:

سَاحِي لَكُمْ الْيَوْمَ مُغَامَرَةً جَدِيدَةً وَغَرِيبَةً، لَقَدْ طَرْتُ فِي الْهَوَاءِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى غَابَةِ بَعِيدَةٍ جَدًّا، فَاسْتَقْبَلَنِي مَلِكُهَا بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ، فَقَدْ سَمِعَ عَنْ مُغَامَرَاتِي وَكَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَرَانِي، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ عِنْدَهُمْ وَحْشًا مُخِيفًا يَسْكُنُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبُحَيْرَةِ، وَلَا أَحَدٌ يُمَكِّنُهُ الْاقْتِرَابُ مِنْهُ، فَذَهَبْتُ إِلَى الْبُحَيْرَةِ فِي الْحَالِ، وَرَأَيْتُ هَذَا الْوَحْشَ، وَكَانَ رَأْسُهُ رَأْسُ خِرْتِيَتٍ، وَرَقَبَتُهُ رَقَبَةُ زَرَّافَةٍ، وَأَنْفُهُ أَنْفُ فِيلٍ، وَذَيْلُهُ ذَيْلُ كَنْعَرٍ، وَجِسْمُهُ جِسْمُ أَسَدٍ، وَلَهُ جَنَاحَا صَقْرٍ، وَقَدَمَا نِسْرٍ، وَفَمٌ تَمْسَاحٍ، فَهَجَمْتُ عَلَيْهِ دُونَ خَوْفٍ، وَرَبَطْتُ جَنَاحِيهِ بِخَيْطٍ عَنَكَبُوتٍ كَبِيرٍ حَتَّى لَا يَطِيرَ، وَقَفَزْتُ فِي الْبُحَيْرَةِ، وَقَفَزَ الْوَحْشُ وَرَائِي، فَتَمَسَّكْتُ بِأَحَدِ الْأَغْصَانِ الْعَائِمَةِ وَغَرِقَ الْوَحْشُ فِي الْمَاءِ، وَارْتَوَحَ الْجَمِيعُ مِنْ شَرِّهِ، وَهَذِهِ كَانَتْ مُغَامَرَةُ الْيَوْمِ، وَفِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ أَحْيِي لَكُمْ مُغَامَرَةً جَدِيدَةً وَعَجِيبَةً.

لَمْ يَقْتَنِعْ فَرْحَانُ بِحِكَايَةِ الْبَبْغَاءِ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ يَخْدَعُ الْحَيَوَانَاتِ وَيَكْذِبُ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّهُ لَمْ يَبْحَثْ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى لَا يَتَأَخَّرَ عَلَى وَالِدَيْهِ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ذَهَبَ فَرْحَانُ مَعَ أَبِيهِ إِلَى السَّيْرِكِ، وَهُنَاكَ شَاهَدَ بَبْغَاءَ جَمِيلًا يُؤَدِّي بَعْضَ الْحَرَكَاتِ الظَّرِيفَةِ، وَيُقَلِّدُ الْأَصْوَاتَ بِطَرِيقَةٍ لَطِيفَةٍ، فَقَالَ فَرْحَانُ فِي نَفْسِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْبَبْغَاءَ فِي مَكَانٍ مَا، لَكِنِّي لَا أَتَذَكَّرُ أَيْنَ رَأَيْتُهُ... وَانْتَهَتْ فَفَرَةُ الْبَبْغَاءِ، وَتَوَالَتْ بَعْدَهُ الْفَقَرَاتِ، وَاسْتَمْتَعَ فَرْحَانُ بِهَا، وَنَسِيَ أَمْرَ الْبَبْغَاءِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فَرْحَانُ لَزِيَارَةِ صَدِيقِهِ فِي الْمُسْتَشْفَى، فَفُوجِيَ أَنَّ هُنَاكَ بَبْغَاءَ يُقَدِّمُ بَعْضَ الْفَقَرَاتِ الْمُضْحِكَةِ لِلْمَرْضَى؛ حَتَّى يُخَفِّفَ عَنْهُمْ وَيُسْعِدَ

فُلُوبَهُمُ الْحَزِينَةَ، فَأَخَذَ فَرْحَانُ يُرَاقِبُ مَا يَحْدُثُ مِنْ بَعِيدٍ، وَلَمَّا انْتَهَى الْبَبْغَاءُ مِنْ تَقْدِيمِ فَقْرَتِهِ، اقْتَرَبَ مِنْهُ فَرْحَانُ وَقَالَ لَهُ: مَرْحَبًا أَيُّهَا الْبَبْغَاءُ الْمُغَامِر... تَلْعَنَمُ الْبَبْغَاءُ وَقَالَ: لَا بُدَّ أَنَّكَ خَلَطْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَبْغَاءٍ آخَرَ... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ عَرَفْتُكَ أَيُّهَا الْبَبْغَاءُ الْمُخَادِعُ، فَقَدْ سَمِعْتُكَ بِنَفْسِي فِي الْغَابَةِ، وَرَأَيْتُكَ بَعَيْنِي فِي السَّيْرِ... ارْتَعَدَ الْبَبْغَاءُ خَوْفًا، وَهَمَسَ قَائِلًا: أَرْجُوكَ لَا تَفْضَحْنِي، وَسَ أَخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ... قَالَ فَرْحَانُ: حَسَنًا، هَيَّا أَخْبِرْنِي بِحِكَايَتِكَ الْحَقِيقِيَّةِ.

تَنَهَّدَ الْبَبْغَاءُ ثُمَّ قَالَ: أَنَا أَعْمَلُ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ فِي السَّيْرِ وَالْمُسْتَشْفَى، وَيَوْمَ الْإِجَارَةِ أَعُودُ إِلَى بَيْتِي فِي الْغَابَةِ، وَذَاتَ يَوْمٍ سَأَلَنِي أَحَدُهُمْ عَنْ سَبَبِ غِيَابِي طَوَالَ الْأُسْبُوعِ، فَكَذَبْتُ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّي بَبْغَاءُ مُغَامِرٍ، وَحَكَيْتُ لَهُ مُغَامَرَةً وَهَمِيَّةً، فَحَاكَهَا لِأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ، وَتَكَرَّرَ الْأَمْرُ حَتَّى أَحَبَّ الْجَمِيعُ حِكَايَاتِي، وَأَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَهَا كُلَّ أُسْبُوعٍ... قَالَ فَرْحَانُ: لَكِنَّكَ تَحْكِي لَهُمْ أَشْيَاءَ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْهَا، وَهَذَا كَذِبٌ، وَأَنَا سَ أَخْبِرُهُمْ بِالْحَقِيقَةِ... بَكَى الْبَبْغَاءُ وَقَالَ: لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ سَيَطْرُدُونِي مِنَ الْغَابَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: هُنَاكَ حَلٌّ آخَرُ، أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي حِكَايَاتِكَ الْأُسْبُوعِيَّةِ، لَكِنْ بَدَلًا مِنْ مُغَامَرَاتِكَ الْوَهْمِيَّةِ، سَتَحْكِي لَهُمْ بِطُولَاتِكَ الْحَقِيقِيَّةِ، فَأَنْتَ تُسْعِدُ الصَّغَارَ وَتُسَاعِدُ الْمَرْضَى... تَرَدَّدَ الْبَبْغَاءُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: سَأَحَافِلُ.

رَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ ذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتَ تَجْتَمِعُ حَوْلَ الْبَبْغَاءِ الْمُغَامِرِ، وَهُوَ يَحْكِي لَهُمْ عَنِ الطِّفْلِ الْيَتِيمِ الَّذِي أَسْعَدَهُ، وَالْمَرِيضَ الَّذِي أَضْحَكَهُ، فَصَفَّقَ لَهُ الْجَمِيعُ بِحَرَارَةٍ، وَأَشَارَ لَهُ فَرْحَانُ بِسَعَادَةٍ.



فكرة تربية

بعد أن تخبري لأبنائك قصة الببغاء المغامر...

- أخضر ورقة وقلمًا، واكتب الأشياء الجيدة التي يقوم بها ابنك (ابنتك)، ثم أخبره أنك فخورة به لأنه يفعل هذه الأشياء الطيبة.
- اسأل أبنائك: هل أخبرك أحدكم أنه فعل شيئًا ما ثم اكتشفت أنه كذب عليك؟ وهل وعدك أحدكم بشيء ثم أخلف وعده؟ وبماذا شعرت عندها؟
- اسأل أبنائك: لماذا يقول الناس ما لا يفعلون؟ وبعد أن تستمع إليهم أخبرهم أن الناس يقولون ما لا يفعلون ليكسبوا المال، ويفتخروا أمام الآخرين، وليعجب بهم الناس، وليخدعوا الطيبين، وليعوضوا شعورهم بالنقص، وغيرها... ثم علم أبنائك ألا يصدقوا كل ما يسمعون من الآخرين ولا كل ما يقرؤون على مواقع التواصل، لأن بعض الناس يقول ما لا يفعل.
- اسأل أبنائك: ما هي أحب الأعمال إلى الله تعالى؟ وبعد أن تستمع إليهم أخبرهم أن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا يسألون النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله تعالى ليجتهدوا في القيام بها، ويفوزوا بحبة الله سبحانه، فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال فيما رواه البخاري ومسلم: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال ﷺ: «الصلاة على وقتها» قال (ابن مسعود): ثم أي؟ قال ﷺ: «بر الوالدين» قال (ابن مسعود): ثم أي؟ قال ﷺ: «الجهاد في سبيل الله»، قال (ابن مسعود): حدثني ﷺ بهن، ولو استزدته لزداني... ثم انبحث مع أبنائك في الحديث النبوي الشريف عن أحب الأعمال إلى الله تعالى، والتي تناسب أعمارهم وقدراتهم، وسجلوا هذه الأعمال في كشكول خاص، ثم شجع أبنائك على القيام ببعضها، وكُن قدوة لهم، ومن هذه الأعمال: إدخال السرور على قلب مُسلم، وذكر الله تعالى، وعمل الخير الدائم وإن قل.

ذات مساء كان فرحان يتناول طعام العشاء مع أسرته، فأخبرهم أنه سيشارك غداً في الإذاعة المدرسية، وسيقرأ القرآن في الميكروفون أمام الجميع، ويصبح أحد نجوم المدرسة... فشجعه الجميع، ودعوا له بخير، وحدثه والداه عن ذكرياتهما مع الإذاعة المدرسية، وغيرها من الأنشطة الطلابية.

وفي اليوم التالي ذهب فرحان إلى المدرسة سعيداً، وبعد ساعات رجع إلى البيت حزيناً، فسأله أمه عما حدث، فأخبرها أنه عندما أمسك الميكروفون ورأى جموع الطلاب أمامه أحس بالارتباك، وأخطأ في تلاوة القرآن، وبكى أمام الجميع، فضحكوا عليه، وظلوا يسخرون منه طوال اليوم الدراسي، ولذلك قرر ألا يشارك في الإذاعة المدرسية مرة أخرى، بسبب ما تعرض له من أذى.

حاولت أم فرحان أن تخفف عنه، لكنها لم تستطع، وذهبت إلى غرفته باكياً، وبعد فترة رجع أبوه من العمل، وعلم بما حدث لفرحان، فذهب إلى غرفته، وسلم عليه، وربت على كتفه قائلاً: لقد أخبرتني أمك بما حدث لك في المدرسة اليوم، ورغم قسوة هذا الموقف إلا أن الله تعالى كان لطيفاً بك... تعجب فرحان وقال: كيف؟!!!! قال أبوه: لو قام أحدهم بتصوير الإذاعة المدرسية اليوم، ونشرها على موقع المدرسة الإلكتروني، لشاهدها سكان البلدة جميعاً، لكن هذا لم يحدث، ولقد اتصلت بإدارة المدرسة وتأكدت من هذا الأمر بنفسي... دمت عينا فرحان وقال: الحمد لله.

مَسَحَ الْوَالِدُ دُمُوعَ ابْنِهِ الْحَبِيبِ، وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ الْحُزْنَ يَمْلَأُ قَلْبَكَ، وَهُنَاكَ أَسْئَلَةٌ كَثِيرَةٌ تَدُورُ فِي عَقْلِكَ، وَلَنْ يُرِيحَ عَقْلَكَ وَيُطَمِّئِنَ قَلْبَكَ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ... قَالَ فَرَحَانُ: كَيْفَ؟!!!... قَالَ أَبُوهُ: إِنَّ الْقُرْآنَ -يَا بُنَيَّ- فِيهِ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ هُمُومٍ وَغُمُومٍ وَأَحْزَانٍ، وَهُنَاكَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَوْ تَدَبَّرْتَهَا سَيَرْتَأَحَ قَلْبُكَ، وَيَزُولُ حُزْنُكَ... صَاحَ فَرَحَانُ قَائِلًا: وَمَا هَذِهِ الْآيَةُ يَا أَبِي؟!!!... قَالَ أَبُوهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5]...

أَخَذَ فَرَحَانُ يُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ، فَالْحُزْنُ مَا زَالَ يَمْلَأُ قَلْبِي... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ الدَّوَاءَ فِي تَدَبُّرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَيْسَ فِي قِرَاءَتِهَا فَقَطْ، فَهَيَّا بِنَا نَتَدَبَّرُهَا مَعًا...

وَسَكَتَ وَالِدُ فَرَحَانَ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْيشُونَ فِي مِصْرَ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَسْتَعْبِدُهُمْ وَيُذِيقُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيُنْقِذَهُمْ مِنْ ظُلْمِ فِرْعَوْنَ، وَبَعَدَ صِرَاعٍ طَوِيلٍ خَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ مَعَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَشَقَّ اللَّهُ لَهُمُ الْبَحْرَ فَعَبَرُوا مِنْهُ بِسَلَامٍ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَمَّا تَاهُوا فِي الصَّخْرَاءِ ظَلَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ لِيَحْمِيَهُمْ مِنَ الْحَرِّ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوَى لِيَأْكُلُوا مِنْهُ وَيَشْرَبُوا دُونَ عَمَلٍ وَلَا تَعَبٍ، وَلَمَّا أَحْسَوْا بِالْعَطَشِ أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا عِبِيدًا،

وَالسُّوَالُ الْآنَ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَفْعَلُوهُ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ؟.

قَالَ فَرْحَانُ: يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْتَرِمُوهُ وَيَشْكُرُوهُ وَيَرْفَعُوا قَدْرَهُ، فَقَدْ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ كَثِيرًا عَلَى يَدَيْهِ... قَالَ أَبُوهُ: أَحَسَنْتَ يَا بُنَيَّ، لَكِنَّهُمْ بَدَلًا مِنْ تَكْرِيمِهِ آذَوْهُ إِيْذَاءً شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُسْتَنْكِرًا: ﴿يَقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي؟!!!... قَالَ فَرْحَانُ: وَكَمْ مَرَّةً آذَوْهُ يَا أَبِي؟... قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ آذَوْهُ كَثِيرًا يَا بُنَيَّ، وَسَاحِكِي لَكَ مَوْقِفًا وَاحِدًا لِتَذْرَكَ حَجَمَ الْجَرِيمَةِ الَّتِي ارْتَكَبْتُهَا، لَقَدْ كَانَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَتَمَيَّزُ بِخُلُقِ الْحَيَاءِ وَالسَّتْرِ، فَيَسْتَحْيِي وَيَخْجَلُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ أَيْ قَبِيحٌ، وَكَانَ يَسْتُرُ جَمِيعَ بَدَنِهِ حَتَّى لَا يَظْهَرَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأَذَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجَعَلُوا يَعِيبُونَ عَلَيْهِ سَتْرَهُ هَذَا وَحَيَاءَهُ، وَأَشَاعُوا أَنَّهُ مَا سَتَرَ جَسَدَهُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ إِلَّا لِمَرَضٍ أَصَابَ جِلْدَهُ، فَبَرَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ التُّهْمَةِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّ جِسْمَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَالٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعُيُوبِ، وَأَنَّهُ يُغَطِّيهِ حَيَاءٌ وَسِتْرًا.

سَكَتَ فَرْحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مَنْ آذَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانُوا كُفَّارًا، أَمَّا مَنْ آذَانِي فَهُمْ مُسْلِمُونَ... قَالَ أَبُوهُ: لَمْ يَكُونُوا كُفَّارًا يَا بُنَيَّ، بَلْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ لَهُمْ: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَهُمْ؟... قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ صَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَضَرَبَ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، حَتَّى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَمَا آذَاهُ أَحَدُهُمْ قَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا فَعَلُوهُ بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -؟...

قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾،
يَعْنِي: فَلَمَّا أَصْرُوا عَلَى الْمَيْلِ عَنِ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى
ذَلِكَ دُونَ أَنْ تُؤَثَّرَ الْمَوَاعِظُ فِي قُلُوبِهِمْ، أَمَالَ اللَّهُ -تعالى- قُلُوبَهُمْ عَنْ قَبُولِ
الهُدَى، فَعَاشُوا فِي ضَلَالٍ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذِيقُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

شَكَرَ فَرَحَانُ أَبَاهُ، وَنَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَهُوَ يَشْعُرُ بِهُدُوءٍ وَاطْمِئْنَانٍ،
وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ كَانَ فَرَحَانُ يَتَنَاوَلُ الْعِشَاءَ مَعَ أُسْرَتِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ
شَارَكَ فِي الإِذَاعَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ الْيَوْمَ، وَتَمَّ تَصْوِيرُهَا، وَالْفِيْدْيُو الْخَاصَّ بِهَا
عَلَى مَوْقِعِ الْمَدْرَسَةِ الْإِلِكْتِرُونِيَّةِ، فَفَتَحَتْ أُمُّهُ مَوْقِعَ الْمَدْرَسَةِ بِسُرْعَةٍ،
وَشَاهَدُوا فَرَحَانُ وَهُوَ يُمَسِّكُ الْمِيَكْرُوفُونَ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَمَامَ الْجَمِيعِ
بِإِتْقَانٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَسَأُعْطِيكَ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً لِأَنَّكَ
صَبَرْتَ عَلَى الْأَذَى، وَلَمْ تَسْمَحْ لِمَنْ آذَاكَ أَنْ يَهْزِمَكَ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرَحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَّهُ الْيَوْمِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ
فِي مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، ثُمَّ أَخْرَجَ هَاتِفَهُ وَالتَّقَطَّ بَعْضُ
الصُّورِ لِلْمَنَاظِرِ الطَّبِيعِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، وَجَلَسَ يُشَاهِدُ هَذِهِ الصُّورَ فِي
سَعَادَةٍ، وَفَجْأَةً صَاحَ قَائِلًا: إِنَّ هَذِهِ الصُّورَ لَا يَظْهَرُ فِيهَا آيَةُ حَيَوَانَاتٍ أَوْ
طُيُورٍ، فَأَيْنَ ذَهَبَ الْجَمِيعُ ؟!!!! ... وَنَظَرَ فَرَحَانُ حَوْلَهُ بِاسْتِغْرَابٍ، وَبَحَثَ
هُنَا وَهُنَاكَ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا، وَفَجْأَةً رَأَى الْحِصَانَ مِنْ بَعِيدٍ يَجْرِي مُسْرِعًا،
فَنَادَى عَلَيْهِ وَسَلَّاهُ: عَنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ، فَأَخْبَرَهُ الْحِصَانُ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا لِحُضُورِ
مُحَاكِمَةِ الدُّبِّ (ظُلْمَانِ)، تَعَجَّبَ فَرَحَانُ وَتَسَاءَلَ عَمَّا فَعَلَهُ الدُّبُّ لِيَحْضُرَ
الْجَمِيعُ مُحَاكِمَتَهُ، فَصَهَلَ الْحِصَانُ وَقَالَ: لَقَدْ تَأَخَّرْتُ كَثِيرًا عَلَى الْمُحَاكِمَةِ،
وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَفْهَمَ مَا يَحْدُثُ فَتَعَالَ مَعِيَ فِي الْحَالِ.

رَكِبَ فَرَحَانُ عَلَى ظَهْرِ الْحِصَانِ وَأَنْطَلَقَا بِسُرْعَةٍ نَحْوَ مُحْكَمَةِ الْغَابَةِ، وَوَصَلَا قَبْلَ بَدَايَةِ الْمُحَاكَمَةِ بِثَوَانٍ، فَوَجَدَا الدُّبَّ يَقِفُ فِي قَفْصِ الْاِتِّهَامِ، وَالْجَمِيعُ يَجْلِسُونَ فِي هُدُوءٍ وَاحْتِرَامٍ، وَدَخَلَ الْقَاضِي وَجَلَسَ عَلَى مَنَصَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الدُّبَّ (ظَلْمَان) مُتَّهَمٌ بِإِيذَاءِ حَيْرَانِهِ، وَسَنَبْدُ بِسَمَاعِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِمْ...

فَقَالَتِ الْعُصْفُورَةُ: إِنَّ الدُّبَّ يُؤْذِي أَوْلَادِي بِمَزَاحِهِ السَّيِّئِ، فَهُوَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ كُلَّ صَبَاحٍ، وَيُمْسِكُ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَسْكُنُ عَلَيْهَا، وَيَهْزُهَا بِعُنْفٍ، فَيَبْكِي صِغَارِي وَيَصِيحُونَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، فَيَضْحَكُ الدُّبُّ فِي سَعَادَةٍ، ثُمَّ يَمْضِي بَعِيدًا.

وَقَالَ الْحِمَارُ: لَقَدْ آذَانِي الدُّبُّ بِالسُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، فَهُوَ يَتَّهَمُنِي دَائِمًا بِالْعَبَاءِ، وَكُلَّمَا رَأَانِي يُغْنِي قَائِلًا: جَاءَ الْحِمَارُ، أَغْبَى جَارَ، لَيْتَهُ رَحَلَ وَغَارَ.

وَقَالَتِ السُّلْخَفَاءُ: لَقَدْ كَانَتْ حَدِيقَةُ بَيْتِي مَلِيئَةً بِالأَشْجَارِ والأَزْهَارِ، وَكَانَ الدُّبُّ يَدْخُلُهَا لَيْلًا فَيَسْرِقُ الثَّمَارَ وَيُدْمِرُ الأَزْهَارَ، فَعَاتَبْتُهُ وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَلَّا يَفْعَلَ ذَلِكَ، فَهَدَّدَنِي وَتَوَعَّدَنِي، فَتَوَقَّفْتُ عَنْ زِرَاعَةِ الْحَدِيقَةِ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا نَتِيجَةً لِإِيذَائِهِ.

ثُمَّ تَكَلَّمَ جَمِيعُ حَيْرَانَ الدُّبِّ، وَحَكَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ الإِيذَاءِ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لَهُ، فَحَكَّمَ الْقَاضِي عَلَى ظَلْمَانِ بِالسَّجْنِ، وَهَتَفَ الْجَمِيعُ: يَحْيَا الْعَدْلَ، يَحْيَا الْعَدْلَ.

رَجَعَ فَرَحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ زَارَ الْغَابَةَ، وَعَرَفَ أَنَّ الدُّبَّ ظَلْمَانُ خَرَجَ مِنَ السَّجْنِ، وَعَادَ لِإِيذَاءِ حَيْرَانِهِ مِنْ جَدِيدٍ، فَأَمَرَ الْقَاضِي بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَسَتَتَمَّ مُحَاكَمَتُهُ بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ، فَذَهَبَ فَرَحَانُ إِلَى

قَاضِي الْغَابَةِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ السَّجْنَ لَمْ يُعَدَّلْ سُلُوكَ الدُّبِّ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ
يَحْتَاجُ إِلَى عِقَابٍ ذَكِيٍّ، كَأَن يُعَاقَبَ بِقَضَاءِ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ فِي خِدْمَةِ
جِيرَانِهِ، فَيُسْعِدُ مَنْ أَحْزَنَهُ، وَيُضْحِكُ مَنْ أَبْكَاهُ، وَيُصْلِحُ مَا أَفْسَدَتْهُ
يَدَاهُ، فَوَافَقَ الْقَاضِي عَلَى هَذِهِ الْفِكْرَةِ، وَوَعَدَ بِتَنْفِيزِهَا.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ جَاءَ فَرَحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ تُقِيمُ حَفْلًا لِتَكْرِيمِ
الدُّبِّ ظُلْمَانَ، وَسَمِعَ جِيرَانَهُ يَتَكَلَّمُونَ عَنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ
الْعُصْفُورَةُ: لَقَدْ أَصْبَحَ الدُّبُّ يَحْمِي أَبْنَائِي وَيُسَاعِدُهُمْ، وَذَاتَ يَوْمٍ
خَرَجْتُ لِلْبَحْثِ عَنِ الطَّعَامِ، وَتَعَرَّضْتُ صِغَارِي لِهُجُومِ خَطِيرٍ، فَدَافَعَ
الدُّبُّ عَنْهُمْ، وَكَادَ أَنْ يُضْحِيَ بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِهِمْ.

وَقَالَ الْحِمَارُ: لَقَدْ أَصْبَحَ الدُّبُّ يُعَامِلُنِي بِاخْتِرَامٍ، وَيُكْرِمُنِي أَمَامَ الْجَمِيعِ،
وَكُلَّمَا رَأَنِي يُغْنِي قَائِلًا: جَاءَ الْحِمَارُ، أَجْمَلُ جَارٍ، رَمَزُ الصَّبْرِ وَالْإِصْرَارِ.

وَقَالَتِ السُّلْخَفَاءُ: لَقَدْ سَاعَدَنِي الدُّبُّ فِي زِرَاعَةِ حَدِيقَةِ مَنْزِلِي، وَأَخْضَرَ لِي
أَجْمَلَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَزْهَارِ مِنَ الْغَابَةِ الْمُجَاوِرَةِ، وَأَعَادَ لِي السَّعَادَةَ مِنْ جَدِيدٍ.

وَفِي نِهَآيَةِ الْحَفْلِ وَقَفَ الدُّبُّ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَقَالَ: عِنْدَمَا حَكَمَ عَلَيَّ
الْقَاضِي مُسَاعَدَةَ الْجِيرَانِ لِمُدَّةِ شَهْرٍ، كَانَ هَذَا الْعِقَابُ بِالنَّسْبَةِ لِي أَسْوَأَ
مِنَ السَّجْنِ، وَفِي الْبِدَايَةِ كَانَتْ مُسَاعَدَتُهُمْ صَعْبَةً وَثَقِيلَةً جِدًّا عَلَى
نَفْسِي، لَكِنِّي بِمُرُورِ الْأَيَّامِ تَذَوَّقْتُ حَلَاوَةَ إِسْعَادِ الْآخَرِينَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ
فِي حَيَاتِي، وَأَحْبَبْتُ جِيرَانِي وَأَحْبَبُونِي، وَنَدِمْتُ عَلَى كُلِّ مَرَّةٍ آذَيْتُهُمْ فِيهَا،
فَارْجُو مِنْهُمْ أَنْ يُسَامِحُونِي.

فكرة تربية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة العقاب الذكي...

• اسألهم: عن رأيهم في العقاب الذي افترحه فرحان على القاضي، ثم أخبرهم أن الإسلام استخدم فكرة «العقاب بالتكليف الإيجابي» في أشياء كثيرة، منها كفارة اليمين، فمن حلف أنه سيفعل شيئاً ما، ثم لم يفعله؛ فعليه أن يقوم بأحد الأعمال النافعة ليكفر عن يمينه، وهذه الأعمال حددها الله في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ» إطعام عشرة مسكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ [المائدة: 89].

• استخدم العقاب بالتكليف الإيجابي في تعديل سلوك أبنائك ومعالجة أخطائهم، فتأمر المخطئ أن يقوم ببعض الأعمال النافعة (والمناسبة) عقاباً له، كأن تعاقب ابنك إذا شتم أخاه بأن يغسل الأطباق لمدة ثلاثة أيام، وتعاون مع زوجته (مع زوجك) في وضع قائمة بالأعمال النافعة (والمناسبة) التي يمكن تكليف الأبناء بالقيام بها عند الوقوع في بعض الأخطاء.

• تكلم مع أبنائك عن صور الإيذاء المختلفة، كالإيذاء البدني والنفسي والعاطفي وغيرها، ثم اسألهم: هل تعرضت للإيذاء يوماً؟ وبم شعرت؟ وكيف تتصرف عندما يؤذيك أحدهم؟ واستمع إليهم بهدوء، وعلمهم كيف يتعاملون مع أنواع الإيذاء المختلفة، واخك لهم تجاربك المناسبة لهم.

• أخبر أبناءك أن النبي ﷺ قال فيما رواه البخاري ومسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»، ثم اسألهم: كيف يؤذي الجار جاره؟ وهل هناك جار يؤذي بنا؟ وكيف نتعامل مع إيذاء الجيران؟ وهل نحن نؤذي جيراننا؟ وماذا نفعل إذا آذينا أحد الجيران؟

ذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ فَرحَانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّخْفِيزِ، وَلَمَّا حَضَرَ الْجَمِيعُ، وَقَفَ الشَّيْخُ وَقَالَ: هَيَّا بِنَا... قَالَ الْأَوْلَادُ: إِلَى أَيْنَ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: إِلَى الْحَدِيقَةِ، فَنَحْنُ سَنَحْفَظُ الْيَوْمَ هُنَا... فَرِحَ الْأَوْلَادُ بِالْفِكْرَةِ، وَانْطَلَقُوا مَعَ شَيْخِهِمْ فِي سَعَادَةٍ، وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى هُنَاكَ، فُوجِئُوا بِالشَّيْخِ يَقُولُ: سَنَقُومُ بِبَعْضِ التَّحْدِيَّاتِ قَبْلَ الْحِفْظِ، وَالتَّحْدِي الْأَوَّلُ هُوَ تَحْدِي الشَّمْعَةِ...

وَأَخْرَجَ الشَّيْخُ شَمْعَةً وَأَشْعَلَهَا، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُونَ إِطْفَاءَ هَذِهِ الشَّمْعَةِ بِأَفْوَاهِكُمْ؟... قَالَ الْأَوْلَادُ: نَعَمْ، بِكُلِّ سُهُولَةٍ... وَنَفَخُوا فِي الشَّمْعَةِ؛ فَانْطَفَأَتْ فِي الْحَالِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتُمْ، وَالْآنَ اسْتَعِدُّوا لِلتَّحْدِي الثَّانِي... وَأَشْعَلَ الشَّيْخُ نَارًا بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الْأَخْشَابِ، ثُمَّ قَالَ: هَيَّا أَطْفِئُوا هَذِهِ النَّارَ بِأَفْوَاهِكُمْ... فَتَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ، وَنَفَخُوا فِي النَّارِ بِشِدَّةٍ، وَنَفَخُوا وَنَفَخُوا، لَكِنَّمَا لَمْ تَنْطَفِئِ، فَمَلَأَ فَرحَانُ قَمَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ رَشَّهُ عَلَى النَّارِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ، حَتَّى انْطَفَأَتِ النَّارُ، فَصَفَّقَ لَهُ الْجَمِيعُ، وَأَثْنُوا عَلَى فِكْرَتِهِ الذَّكِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: الْآنَ مَوْعِدُنَا مَعَ التَّحْدِي الثَّالِثِ، وَهُوَ تَحْدِي الشَّمْسِ، فَأَنَا أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُطْفِئُوا نُورَ الشَّمْسِ بِأَفْوَاهِكُمْ... نَظَرَ الْجَمِيعُ لِبَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ، وَقَالُوا: هَذَا مُسْتَحِيلٌ... قَالَ الشَّيْخُ: حَاوِلُوا... فَنفَخَ الْأَوْلَادُ فِي الشَّمْسِ بِكُلِّ قُوَّةٍ دُونَ فَائِدَةٍ، وَرَشُّوَهَا بِالْمَاءِ دُونَ

نَتِيجَةً، فَأَعْلَنُوا عَجْزَهُمْ عَنْ الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمُهْمَةِ، فَابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ:
الآن يُمَكِّنُنَا أَنْ نَبْدَأَ الْحِفْظَ، هَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُوَ يَدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 7 - 9].

وَمَا أَتَقَنَّ الْأَوْلَادُ تِلَاوَةَ الْآيَاتِ قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٗ
مُحَمَّدًا ﷺ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ
هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَاتَّهَمَهُ الْكُفَّارُ أَنَّهُ كَذَّابٌ وَسَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ،
وَوَصَّفُوا الْقُرْآنَ -الذي هو كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ- بِأَنَّهُ سِحْرٌ (يَعْنِي: كَذِبٌ
وِخْدَاعٌ)، وَاخْتَلَقُوا الْأَكَاذِيبَ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَشَرِيعَتِهِ، فَكَانُوا بِذَلِكَ
أَشَدَّ النَّاسِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَلِذَلِكَ لَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ لِلْإِيمَانِ وَلَنْ يُوفِّقَهُمْ
لِلطَّاعَةِ عِقَابًا لَهُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: 7].

قَالَ فَرِحَانُ: وَمَا الَّذِي جَعَلَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ يَفْتَرُونَ كُلَّ هَذَا الْكَذِبِ؟!!

قَالَ الشَّيْخُ: سُؤَالُكَ جَمِيلٌ يَا بَنِيَّ، وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ
لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8]، فَهَدَفَهُمْ
مَنْ هَذِهِ الْأَكَاذِيبُ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ وَيُخْفُوا عَنْ النَّاسِ، وَنُورُ اللَّهِ
هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ كَالطَّائِرِ لَهُ جَنَاحَانِ، وَجَنَاحَا الْإِسْلَامِ هُمَا الْقُرْآنُ
الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ... قَالَ فَرِحَانُ: وَمَاذَا يُرِيدُونَ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ؟!!...

قَالَ الشَّيْخُ: لَأَنَّهُمْ مِثْلَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ اللَّصُوصِ كَانُوا يَسْرِقُونَ فِي الظَّلَامِ، وَفَجْأَةً ظَهَرَ مِصْبَاحٌ يُضِيءُ الْمَكَانَ، فَخَافُوا أَنْ يَنْفَضِحَ أَمْرُهُمْ، وَأَسْرَعُوا لِإِطْفَاءِ نُورِ الْمِصْبَاحِ حَتَّى يَسُودَ الظَّلَامُ وَتَتِمَّ لَهُمُ السَّرِيقَةُ، فَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مَكْرُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِلْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَحَارَبُوا النَّبِيَّ ﷺ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُمَكِّنَةٍ، وَعَمِلُوا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ الْقُرْآنِ؛ حَتَّى يَبْقَى النَّاسُ فِي ظُلَامِ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْجَهْلِ.

قَالَ فَرَحَانُ: وَهَلْ نَجَحُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؟!!

قَالَ الشَّيْخُ: لَا يَا بَنِيَّ، فَهَؤُلَاءِ يُشَبِّهُونَ مَنْ يَنْفُخُ فِي الشَّمْسِ لِطُفَيْ نُورِهَا، فَلَوْ اجْتَمَعَ كُفَّارُ الْأَرْضِ جَمِيعًا، وَنَفَخُوا فِي الشَّمْسِ، هَلْ يُطْفِئُونَ نُورَهَا؟! صَاحَ الْأَوْلَادُ جَمِيعًا، وَقَالُوا: هَذَا مُسْتَحِيلٌ!!!

قَالَ الشَّيْخُ: وَنُورُ اللَّهِ لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُطْفِئَهُ، فَاللَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ دِينِهِ، وَإِتْمَامِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، وَنَشْرِ نُورِهِ عَلَى سَائِرِ الْبِلَادِ، وَلَوْ كَرِهَ ذَلِكَ الْكَافِرُونَ، فَإِنَّهُمْ مَهْمَا فَعَلُوا لِإِطْفَاءِ نُورِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا يَا أَبْنَائِي، إِنَّكُمْ حَمَلَةٌ نُورِ الْقُرْآنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، لِذَلِكَ سَيَسْعَى كَثِيرُونَ لِطُفَيْتِ هَذَا النُّورِ فِي صُدُورِكُمْ، وَالشَّيْطَانُ سَيَسْتَخْدِمُ مَعَكُمْ حِيلًا كَثِيرَةً لِتَتْرَكُوا حِفْظَ الْقُرْآنِ، وَتُهْمِلُوا الْمُرَاجَعَةَ، وَتَتَكَاثَرُوا عَنْ قِرَاءَةِ الْوَرْدِ الْيَوْمِيِّ، وَلَا تَتَدَبَّرُوا آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَلَا تَفْهَمُوا مَعَانِيهِ، وَلَا تَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ، فَانْتَبِهُوا يَا أَبْنَائِي، وَحَافِظُوا عَلَى نُورِ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِكُمْ؛ لِيَمْلَأَ حَيَاتَكُمْ بِالْبَرَكَاتِ، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِكُمْ فِي الْجَنَّاتِ.

صَاحَ فَرحَانُ قَائِلًا: اطمئن يا شيخنا، فلن يستطيع أحد أن يطفئ نور القرآن في صدورنا... قال الشيخ: ولكن احذر يا بني، فقد رأيت بعض المجتهدين قد خدعهم الشيطان وأبعدهم عن القرآن... قال فرحان بغرور: أنا لست من هؤلاء الضعفاء، فأنا الأول في الحفظ دائماً.. قال الشيخ: تثبتك الله يا بني.

شَكَرَ الأولادُ شيخهم، وَرَجَعُوا إلى بُيُوتهم، وفي اليوم التالي حضر الجميع إلى حلقة التحفيظ، فبدأ الشيخ يختبرهم فيما حفظوه بالأمس، ولما جاء الدور على فرحان بكى وقال: أنا لم أحفظ... تعجب الشيخ وقال: لماذا؟!... قال فرحان: لقد هزمني الشيطان هذه المرة، واستخدم معي حيلة عجيبة - لم أكن أتوقعها - حتى تركت الحفظ، ولقد خطر ببالي أن أتغيب عن حلقة التحفيظ بأية حجة، لكنني قاومت نفسي، وجئت مُعْتَرِفًا بِخَطْئِي، ومن الآن لن أغتر بحفظي، ولن أسمح للشيطان أن يتزع نور القرآن من صدري، واليوم سأضع مقدار الحفظ حتى أعوض ما فاتني بالأمس... قبل الشيخ اعتذار فرحان، ودعا له بخير.

رَجَعَ فرحانُ إلى بيته، واستأذن من والديه، وذهب إلى الغابة، وجلس في مكانه المفضل، وحفظ ما عليه من القرآن، ثم انطلق يتجول بين الأشجار، فوجد زحاما شديدا أمام بيت القاضي، فسأل عن السبب، فأخبروه أن بيوتهم جميعا قد سرقت، وجاءوا ليقدموا شكوى، فأحس فرحان أن هذه السرقات وراءها لغز كبير، فاستأذن ودخل على القاضي، وسأله عما حدث، فتنهد القاضي وقال: منذ أيام انتشرت السرقة في الغابة، ولم نستطع الإمساك بالسارق... قال فرحان: هل تحدثت هذه السرقات لئلا؟... قال القاضي: نعم، فاللصوص يعملون في الظلام... قال

فرحان: إِذَا عَلَيْنَا أَنْ نُضِيَّ الغَابَةِ لَيْلًا، حَتَّى يَخَافَ اللُّصُوصُ، وَتَتَوَقَّفَ السَّرِيقَةُ... قَالَ الْقَاضِي: إِنَّ إِضَاءَةَ الغَابَةِ لَيَسَّ عَمَلًا سَهْلًا، لَكِنَّهُ قَدْ يُوقَفُ السَّرِيقَةُ، وَلِذَلِكَ سَأَعْرِضُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ عَلَى مَلِكِ الغَابَةِ فِي الْحَالِ.

رَجَعَ فرحانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ذَهَبَ إِلَى قَاضِي الغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ تَجْتَمِعُ عَلَى بَابِهِ، وَتَشْتَكِي مِنْ سَرِيقَةٍ بُيُوتَهُمْ، فَأَذْرَكَ فرحانُ أَنْ فِكْرَتَهُ قَدْ فَشِلَتْ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمِ، وَسَأَلَ عَمَّا حَدَثَ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: لَقَدْ أَشْعَلْنَا الْمَشَاعِلَ فِي طُرُقَاتِ الغَابَةِ، فَأُضَاءَ الْمَكَانُ، وَنَامَ الْجَمِيعُ فِي أَمَانٍ، وَفِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ، لَقَدْ انْطَفَأَتْ كُلُّ الْمَشَاعِلِ فَجْأَةً، وَتَمَّتِ السَّرِيقَةُ فِي الظَّلَامِ... قَالَ فرحانُ: وَهَلْ كَانَتْ هُنَاكَ رِيَاخٌ قَوِيَّةٌ؟!... قَالَ الْقَاضِي: لَا... قَالَ فرحانُ: إِذَا هُنَاكَ خَائِنٌ يُطْفِئُ الْأَنْوَارَ وَيُسَاعِدُ الْأَشْرَارَ، وَلَا بُدَّ أَنْ نَقْبِضَ عَلَيْهِ... قَالَ الْقَاضِي: كَيْفَ؟!... قَالَ فرحانُ: سَنُضِيُّ الْمَشَاعِلَ اللَّيْلَةَ، وَنَضَعُ عَدَدًا مِنَ الْفِخَاخِ وَنَذْفِئُهَا فِي الْأَرْضِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا، فَإِذَا جَاءَ الْخَائِنُ لِيُطْفِئَهَا وَقَعَ فِي الْفَخِّ... قَالَ الْقَاضِي: فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ، وَسَنُنْقِذُهَا فِي سَرِيَّةٍ تَامَةٍ.

رَجَعَ فرحانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي لِيَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْخَائِنُ، فَأَخْبَرَهُ الْقَاضِي أَنَّ الْفِكْرَةَ قَدْ فَشِلَتْ، فَأَنْوَارُ الْمَشَاعِلِ قَدْ أُطْفِئَتْ، وَلَمْ يَقَعْ أَحَدٌ فِي الْفَخِّ، وَتَمَّتِ السَّرِيقَةُ فِي الظَّلَامِ... قَالَ فرحانُ: إِذَا هَذَا الْخَائِنُ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ يَقْفِزُ عَلَى الْأَشْجَارِ، وَلِذَلِكَ سَنَصْنَعُ عَدَدًا مِنَ الشُّبَاكِ، وَنُخْفِيهَا فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَشَاعِلِ، فَإِذَا لَمَسَ الْخَائِنُ مِشْعَلًا سَقَطَتْ عَلَيْهِ إِحْدَى الشُّبَاكِ... قَالَ الْقَاضِي: حَسَنًا، سَنُجَرِّبُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ.

وفي اليوم التالي جاء فرحان إلى الغابة، فبشّره القاضي بنجاح الخطّة، وأخبره أنّ الغرّبان وقّعت في الفخ، فقال فرحان: وهل اعترفوا بجريمتهم؟... قال القاضي: لا، لقد أنكروا التّهمة، وادّعوا أنّهم كانوا يطّيرون بالقرب من المشاعل، فانطّفات رَغْمًا عنهم؛ بسبب حركة أجنتهم... قال فرحان: إنّهم يكذبون!!!!... قال القاضي: لكننا لا نملك دليلًا ضدّهم، ولذلك سأطلق سراحهم.

سكت فرحان وأخذ يفكّر ويفكّر، ثم قال: عندي خطّة تمنع السرقة وتجعلنا نُمسك اللصوص وهم يسرقون... صاح القاضي قائلاً: أخبرني بها بسرعة... قال فرحان: سنصنع خزنة كبيرة لحفظ الأشياء الثمينة، ونعلن في الغابة أنّ من يملك شيئًا غاليًا يأت به إلينا حتّى نحفظه في الخزنة، وسنقدّم هذه الخدمة مجانًا، وسنقوم بتعويض أصحاب الودائع إذا سُرقت، ثم نضئ المكان حول الخزنة بواسطة المشاعل... اعترض القاضي قائلاً: هذه الفكرة ستفشّل، فاللصوص خبراء في فتح الخزائن، والخائن سيُساعدهم في إطفاء الأنوار... ابتسم فرحان وقال: وهذا ما نريده بالضبط، فنحن سنصنع نفقًا كبيرًا أسفل الخزنة، وننقل كلّ ما فيها إلى مكان سرّي وآمن، ونصنع فخًا داخل الخزنة، وهكذا نُمسك باللصوص، ونكشف الخائن، ويعود الأمان للغابة... قال القاضي: هذه خطّة ممتازة، نسأل الله أن يكتب لها النجاح، شكرًا لك يا فرحان.



فكرة تربية

بعد أن تخبري لأبنائك قصة طيور الظلام...

- اسألهم: عن رأيهم في الخطئة التي وُضِعَها فرحان للإمساك باللصوص؟ ومن سيكون الخائن يا ترى؟ ومن هم اللصوص؟ وهل ستنتج هذه الخطئة في الإمساك بهم؟ وهل هناك خطئة أخرى لإنقاذ سگان الغابة من السرقة؟.
- استمع مع أبنائك إلى تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168]، ثم اسألهم: ما الخطوات التي يستخدمها الشيطان لِيُبْعِدَنَا عن القرآن حفظًا وفهمًا وتدبرًا وتلاوةً وعملاً؟ واستمع إليهم، وتناقش معهم، ثم اسألهم: ماذا نفعل حتى لا ينطفئ نور القرآن في صدورنا؟.
- اقرأ مع أبنائك تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْاَلِينَ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9]، ثم أخبرهم أن وعد الله بإتمام نوره ونصر رسوله ﷺ قد تحقق، فلقد أعلی الله تعالى دين الإسلام، وجعله ظاهرًا مضيئًا في كل زمان، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، ولا أن يطفئ نوره حاقِد، أما المنتسبون إليه (المسلمون) فإنهم إذا تمسكوا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه؛ فإنهم سينتصرون، أما إذا ضيّعوه، واكتفوا منه مجرد الانتساب إليه؛ فلن ينفعهم ذلك، وسيصبح إهمالهم له سببًا في تسلط الأعداء عليهم.
- أخبر أبنائك أن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول (يدعو): «يا مقلَبَ القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله، أمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال ﷺ: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 2140]، وشجّع أبنائك على حفظ هذا الدعاء، والإكثار من الدعاء به.

التَّجَارَةُ الرَّابِعَةُ

في يومٍ من الأيام ذهبَ فرحانٌ إلى حلقةِ التَّحْفِيزِ، ولَمَّا حَضَرَ الْجَمِيعُ قَالَ الشَّيْخُ: بَعْدَ قَلِيلٍ سَيَأْتِينَا ضَيْفَانِ كَرِيمَانِ، أَحَدُهُمَا تَاجِرٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، وَلَنْ نَبْدَأَ الْحِفْظَ قَبْلَ مَجِيئِهِمَا... نَظَرَ الْأَوْلَادُ إِلَى بَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ، وَتَسَاءَلُوا عَنْ سَبَبِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ، فَابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: إِنَّهَا مُفَاجَأَةٌ.

وَبَعْدَ دَقَائِقٍ وَصَلَ الضَّيْفَانِ، فَرَحَّبَ الشَّيْخُ بِهِمَا، وَأَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهُمَا، وَشَكَرَهُمَا عَلَى حُضُورِهِمَا، وَأَجْلَسَهُمَا بِجِوَارِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأَوْلَادِ وَقَالَ: يَا أَبْنَائِي، هُنَاكَ نَوْعَانِ مِنَ التَّجَارَةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَهُنَاكَ تِجَارَةٌ مَعَ اللَّهِ وَتِجَارَةٌ مَعَ النَّاسِ، وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُمَا مَهَارَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَرْبَاحٌ خَاصَّةٌ، وَيُشَرِّفُنَا الْيَوْمَ اثْنَانِ مِنْ رِجَالِ بَلَدَتِنَا الْكَرَامِ، أَحَدُهُمَا يَعْمَلُ فِي مَجَالِ التَّجَارَةِ مَعَ النَّاسِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَشْرُوعَاتِ النَّاجِحَةِ، وَالْآخَرُ قَضَى حَيَاتَهُ يُعَلِّمُ النَّاسَ أُصُولَ التَّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ النَّافِعَةِ، وَنَحْنُ سُعْدَاءُ بِزِيَارَتِهِمَا، وَنُرِيدُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْهُمَا، وَنَشْتَاقُ لِلِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِمَا، فَلْيَتَفَضَّلَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ.

شَكَرَ الضَّيْفَانِ الشَّيْخَ عَلَى اسْتِقْبَالِهِ الْجَمِيلِ وَكَلَامِهِ اللَّطِيفِ، ثُمَّ طَلَبَ الْعَالِمُ مِنَ التَّاجِرِ أَنْ يَبْدَأَ هُوَ بِالْكَلَامِ، فَاسْتَجَابَ الرَّجُلُ بِذَوْقٍ وَاحْتِرَامٍ، وَعَرَّفَ الْأَوْلَادَ بِنَفْسِهِ، وَحَكَى لَهُمْ رِحْلَتَهُ الطَّوِيلَةَ مَعَ التَّجَارَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالصُّعُوبَاتِ الَّتِي مَرَّ بِهَا، وَالْمَهَارَاتِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا، ثُمَّ تَكَلَّمَ مَعَهُمْ عَنْ

أُصُولِ التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، وَأَخْلَاقِ التَّاجِرِ النَّاجِحِ، وَكَانَ الْأَوْلَادُ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ، فَهَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ يَسْمَعُونَ فِيهَا مِثْلَ هَذِهِ التَّجَرِبَةِ الْمُثِيرَةِ.

ثُمَّ بَدَأَ الْعَالِمُ الْكَلَامَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ طُرُقِ التِّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ وَأَرْبَاحِهَا، فَقَالَ: إِنَّ التِّجَارَةَ مَعَ اللَّهِ تَكُونُ بِبَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْوَقْتِ وَالْجُهْدِ وَغَيْرِهَا فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، فَكُلُّ عِبَادَةٍ تَقُومُ بِهَا هِيَ تِجَارَةٌ مَعَ اللَّهِ، وَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ تَفْعَلُهُ هُوَ تِجَارَةٌ مَعَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَالٍ تُنْفِقُهُ فِي الْخَيْرِ هُوَ تِجَارَةٌ مَعَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ يَا أَبْنَائِي عِنْدَمَا تَجْتَهِدُونَ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَأَنْتُمْ تَتَاجَرُونَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَسَيُوفِيكُمْ أَجُورَكُمْ وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

قَالَ فَرَحَانُ: وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ التِّجَارَةِ مَعَ النَّاسِ وَالتِّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ؟

قَالَ الْعَالِمُ: هُنَاكَ فَارِقٌ كَبِيرٌ بَيْنَهُمَا يَا بُنَيَّ، فَالتِّجَارَةُ مَعَ النَّاسِ تَحْتَاجُ إِلَى أَمْوَالٍ وَمَهَارَاتٍ خَاصَّةٍ لَا يَمْلِكُهَا الْجَمِيعُ، أَمَّا التِّجَارَةُ مَعَ اللَّهِ فَكُلُّ الْمُؤْمِنِينَ يُمَكِّنُهُمُ الْقِيَامُ بِهَا كُلُّ حَسَبِ طَاقَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَتِجَارَةُ الدُّنْيَا عُرْضَةٌ لِلرَّبْحِ وَالْخَسَارَةِ، أَمَّا التِّجَارَةُ مَعَ اللَّهِ فَالرَّبْحُ فِيهَا مَضمُونٌ وَلَيْسَ فِيهَا خَسَارَةٌ أَبَدًا، وَالتِّجَارَةُ مَعَ النَّاسِ أَرْبَاحُهَا مَحْدُودَةٌ، أَمَّا التِّجَارَةُ مَعَ اللَّهِ فَأَرْبَاحُهَا عَظِيمَةٌ جِدًّا تَصِلُ أحيانًا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَتِجَارَةُ الدُّنْيَا أَرْبَاحُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطْ، أَمَّا التِّجَارَةُ مَعَ اللَّهِ فَأَرْبَاحُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالتِّجَارَةُ مَعَ النَّاسِ مَلِيئَةٌ بِالْمَشَاكِلِ وَالْخِلَافَاتِ، أَمَّا التِّجَارَةُ مَعَ اللَّهِ فَكُلُّهَا سَعَادَةٌ وَطَمَأنِينَةٌ.

وَبَعْدَ حِوَارٍ جَمِيلٍ انْصَرَفَ الصَّيْفَانِ الْكَرِيمَانِ، وَبَعْدَهَا قَالَ الشَّيْخُ: الْآنَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَبْدَأَ حِفْظَ الْيَوْمِ، هَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ يَا أَوْلَادُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُخِيفُكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَعْمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكََ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 10 - 13].

وَمَا أَتَقَنَّ الْأَوْلَادُ تِلَاوَةَ الْآيَاتِ قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ التَّجَارَةَ مَعَ اللَّهِ شَرَفٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، لِذَلِكَ بَدَأَتْ الْآيَاتُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وهذه الآية فِيهَا وَصِيَّةٌ مِّنَ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، يَدُلُّهُمْ فِيهَا عَلَى أَعْظَمِ تِجَارَةٍ، وَأَجَلٍ مَّطْلُوبٍ، وَأَعْلَىٰ مَرْغُوبٍ، إِذْ تَحْصُلُ بِهَا النِّجَاحُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْفَوْزُ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

صَاحَ فَرِحَانُ قَائِلًا: وَمَا هَذِهِ التَّجَارَةُ الْعَظِيمَةُ؟ وَكَيْفَ نُسَاهِمُ فِيهَا؟

قَالَ الشَّيْخُ: الْجَوَابُ عَنْ سُؤَالِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَعْمُونَ﴾ [الصف: 11]، فهذه التَّجَارَةُ تَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَالْجِهَادِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِنُصْرَةِ دِينِهِ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَهَلْ هُنَاكَ أَرْبَاحٌ أُخْرَىٰ لِهَذِهِ التَّجَارَةِ غَيْرَ النِّجَاحِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ؟

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، هُنَاكَ أَرْبَعَةٌ أَرْبَاحٌ أُخْرَى، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ وَوَاحِدٌ فِي الدُّنْيَا، أَمَّا أَرْبَاحُ الْآخِرَةِ فَتَجِدُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكََ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 12]، وَأَمَّا الرَّبْحُ الدُّنْيَوِيُّ فَجَاءَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 13]، فالله تَعَالَى يُعْطِي الْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ إِعْطَائِهِمْ نَعِيمَ الْآخِرَةِ، فَيَنْصُرُهُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَيَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ الْبِلَادِ وَقُلُوبَ الْعِبَادِ، فَيَكُونُ لَهُمُ النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا وَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبْنَائِي، سَأُعْلِنُ الْآنَ عَنْ مُفَاجَأَةٍ كَبِيرَةٍ وَجَمِيلَةٍ، لَقَدْ اتَّفَقْتُ مَعَ صَیْفِنَا التَّاجِرِ أَنْ تَفْتَحُوا مَشْرُوعًا تِجَارِيًّا صَغِيرًا تَحْتَ إِشْرَافِهِ؛ لِتَتَعَلَّمُوا مَهَارَاتِ التَّجَارَةِ مَعَ النَّاسِ، كَمَا أَنَّكُمْ سَتَشَارِكُونَ فِي مَشْرُوعِ إِيْمَانِي كَبِيرٍ بِمُسَاعَدَةِ صَیْفِنَا الْعَالِمِ؛ لِتَتَذَوَّقُوا حَلَاوَةَ التَّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

شَكَرَ الْأَوْلَادُ شَيْخَهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَأَخْبَرُوا آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ بِمَا حَدَثَ فِي حَلَقَةِ التَّخْفِيفِ، فَفَرِحَ الْجَمِيعُ، وَدَعَاوُا لِلشَّيْخِ وَالْعَالِمِ وَالتَّاجِرِ بِكُلِّ خَيْرٍ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْعَابَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَهُ الْيَوْمِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ فِي مَكَانِهِ الْمَفْضَلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَبَعْدَهَا ذَهَبَ إِلَى النَّهْرِ لِيَصْطَادَ بَعْضَ الْأَسْمَاكِ، وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَ الْغَزَالَ (غَفْلَانَ) وَهُوَ يَحْمِلُ كَيْسًا صَغِيرًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرْحَانُ وَقَالَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ يَا غَفْلَانُ؟... قَالَ الْغَزَالُ: لَقَدْ أَعْلَنَ الْخَرْتِيتُ (طَمْعَان) أَنَّهُ سَيَسْتَتِمِرُ أَمْوَالُ الْحَيَوَانَاتِ فِي التَّجَارَةِ، وَسَيُعْطِيهِمْ أَرْبَاحًا شَهْرِيَّةً تَصِلُ إِلَى مِائَةٍ بِالمِائَةِ، وَلَقَدْ أَعْجَبَتْنِي الْفِكْرَةُ، وَسَأُذْهَبُ إِلَيْهِ الْآنَ وَأُعْطِيهِ بَعْضَ مَا أَمْلِكُ حَتَّى يَسْتَتِمِرَهُ لِي... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا غَفْلَانُ، فَهَذِهِ أَرْبَاحُ مُسْتَحِيلَةٍ، وَوَرَاءَهَا خُدْعَةٌ كَبِيرَةٌ، وَأَخْشَى أَنْ تَضِيعَ أَمْوَالُكَ يَا صَدِيقِي.

وَوَظَلَ فَرْحَانُ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْغَزَالِ غَفْلَانٍ حَتَّى أَقْنَعَهُ بِعَدَمِ الْمُشَارَكَةِ فِي هَذِهِ التَّجَارَةِ الْوَهْمِيَّةِ، وَرَجَعَ غَفْلَانٌ إِلَى بَيْتِهِ، وَانْطَلَقَ فَرْحَانُ فِي الْغَابَةِ يُحَذِّرُ أَصْدِقَاءَهُ مِنْ خُدْعَةِ الْخَرْتِيتِ طَمْعَانَ، فَاقْتَنَعَ كَثِيرُونَ بِرَأْيِهِ، وَلَمْ يَقْتَنِعْ آخَرُونَ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ سَرِيعًا، وَجَاءَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ مَرَّةً أُخْرَى، فَرَأَى الْغَزَالَ غَفْلَانٍ يَحْمِلُ كَيْسًا كَبِيرًا وَيَنْطَلِقُ مُسْرِعًا، فَنَادَى عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ يَا غَفْلَانُ؟... قَالَ الْغَزَالُ بِلَهْجَةٍ حَزِينَةٍ: لَقَدْ خَسِرْتُ كَثِيرًا بِسَبَبِ نَصِيحَتِكَ، فَالْخَرْتِيتُ وَزَعَ الْأَرْبَاحِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا فِي مَوْعِدِهَا تَمَامًا، وَلَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ لِيَسْتَتْمِرَهُ لِي... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا غَفْلَانُ، فَالْخَرْتِيتُ وَزَعَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ حَتَّى يُصَدِّقَ الْجَمِيعُ خُدْعَتَهُ، وَيُعْطُوهُ نُقُودَهُمْ، وَعِنْدَمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ سَيَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ وَيَهْرَبُ... اغْتَرَضَ الْغَزَالُ قَائِلًا: دَعَكَ مِنْ هَذِهِ الْمَخَافِ الْكَاذِبَةِ، فَالْخَرْتِيتُ قَدْ أَثَبَّتَ لَنَا صِدْقَهُ، وَأَنَا لَنْ أَضِيعَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ مَرَّةً أُخْرَى.

وَحَاوَلَ فَرْحَانُ أَنْ يُقْنَعَ غَفْلَانُ أَلَّا يُغَامِرَ بِأَمْوَالِهِ، لَكِنْ دُونَ فَائِدَةٍ، فَرَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ حِمَايَةَ صَدِيقِهِ مِنَ الْخِدَاعِ.

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ جَاءَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَرَأَى الْغَزَالَ غَفْلَانٍ يَجْلِسُ حَزِينًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: مَاذَا بَكَ يَا صَدِيقِي؟!... بَكَى غَفْلَانُ وَقَالَ: لَيْتَنِي عَمِلْتُ بِنَصِيحَتِكَ، لَيْتَنِي سَمِعْتُ كَلَامَكَ... قَالَ فَرْحَانُ: اهْدَأْ وَأَخْبِرْنِي مَاذَا حَدَثَ... قَالَ غَفْلَانُ: لَقَدْ أُعْطِيتُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ لِلْخَرْتِيتِ طَمْعَانَ حَتَّى يَسْتَتْمِرَهُ لِي، وَفَعَلَ كَثِيرُونَ مِثْلِي، وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ تَوْزِيعِ الْأَرْبَاحِ،

ذَهَبْنَا لِنَأْخُذَ أَرْبَاحَنَا، فَأَخْبَرَنَا الْخَرْتِيتُ أَنَّهُ خَسِرَ نُقُودَنَا فِي صَفْقَةِ تِجَارِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، فَأَمْسَكْنَا بِهِ، وَأَخَذْنَاهُ إِلَى الْقَاضِي... قَالَ فَرحَانُ: وَهَلْ أَعَادَ لَكُمْ حُقُوقَكُمْ؟... قَالَ غَفْلَانُ: لَا، فَالْخَرْتِيتُ الْمَاكِرُ أَفْلَتَ بِجَرِمَتِهِ بِكُلِّ سُهُولَةٍ... تَعَجَّبَ فَرحَانُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!!... قَالَ غَفْلَانُ: لَقَدْ قَدَّمَ لِلْقَاضِي الْعُقُودَ الَّتِي وَقَّعْنَا عَلَيْهَا عِنْدَمَا أُعْطِينَاهُ نُقُودَنَا، وَمَكْتُوبٌ فِيهَا أَنَّهُ غَيْرُ مَسْئُولٍ عَنْ ضَيَاعِ النُّقُودِ، وَنَحْنُ لِلْأَسَفِ لَمْ نَقْرَأْ تِلْكَ الْعُقُودَ قَبْلَ التَّوْقِيعِ عَلَيْهَا. سَكَتَ فَرحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ اسْتَخْدَمَ الْخَرْتِيتُ مَعَكُمْ سِلَاحَ الطَّمَعِ حَتَّى تُعْطُوهُ نُقُودَكُمْ، وَنَحْنُ سَنَسْتَخْدِمُ مَعَهُ السِّلَاحَ نَفْسَهُ لِيُعِيدَ لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ.

وَذَهَبَ فَرحَانُ بِسُرْعَةٍ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَشَرَحَ لَهُ الْخُطَّةَ الَّتِي تُعِيدُ لِلْحَيَوَانَاتِ حُقُوقَهَا، وَقَالَ لَهُ: سَنُخْبِرُ الْجَمِيعَ أَنَّ الْأَسَدَ سَيُخْتَارُ وَزِيرًا جَدِيدًا، يَكُونُ مَسْئُولًا عَنْ أَمْوَالِ الْغَابَةِ وَأَمْوَالِهَا الْكَثِيرَةِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا وَأَمِينًا، وَبَعْدَ الْإِعْلَانِ يَذْهَبُ الْفِيلُ إِلَى الْخَرْتِيتِ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّ الْاِخْتِيَارَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ، لَكِنَّ الْأَسَدَ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ كَفَائَتِهِ، وَهُنَا سَيُعِيدُ الْخَرْتِيتُ مَا أَخَذَهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ؛ لِيُثَبِّتَ لِلْأَسَدِ أَنَّهُ قَوِيٌّ وَأَمِينٌ، وَيَفُوزَ بِهَذَا الْمَنْصِبِ الْكَبِيرِ، وَيَتَحَكَّمُ فِي أَمْوَالِ الْغَابَةِ كَمَا شَاءَ. وَافَقَ الْأَسَدُ عَلَى خُطَّةِ فَرحَانِ، وَبَدَأَ تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ أَعَادَ الْخَرْتِيتُ أَمْوَالَ الْحَيَوَانَاتِ بِحُجَّةِ أَنَّهُ رَبِحَ صَفْقَةً تِجَارِيَّةً كَبِيرَةً، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَتَسَلَّمَ مَنَصِبَهُ الْجَدِيدَ، فَتَمَّ الْقَبْضُ عَلَيْهِ، وَتَعَلَّمَتِ الْحَيَوَانَاتُ الدَّرْسَ.

فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة التَّجَارَةِ الرَّابِحَةِ ...

- أَخْبَرَهُمْ أَنَّ هُنَاكَ ثَلَاثَ تِجَارَاتٍ لَا يَخْسِرُ فَاعِلُهَا أَبَدًا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ۚ لِيُؤْتِيَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29، 30]، فَالَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وَيُنْفِقُونَ مِّنْ أَمْوَالِهِمْ -بِالسَّرِّ وَالْعَلَنِ- فِيمَا يُرِضِي اللَّهَ تَعَالَى، فَهَؤُلَاءِ تِجَارَتُهُمْ مَعَ اللَّهِ رَابِحَةٌ، وَلَا تَخْسِرُ وَلَا تَهْلِكُ أَبَدًا.

- شَجَّعَ أَبْنَاءَكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَرْدٌ يَوْمِيٍّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا رِبْحٌ عَظِيمٌ أَخْبَرَنَا عَنْهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِّنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (الْم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» [صحيح الترمذي للألباني ج 2 ر 2910]، وَقَالَ ﷺ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، يَقُولُ لِمَا فِيهِ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَسْهَرُ لَيْلِكَ، وَأَظْمَى هَوَاجِرِكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِن وَّرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَأَنَا لَكَ الْيَوْمَ مِن وَّرَاءِ كُلِّ تَاجِرٍ؛ فَيُعْطَى الْمُلْكُ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدُ بِشِمَالِهِ، وَيَوْضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ، أُنَى لَنَا هَذَا؟! فَيُقَالُ: بِتَعْلِيمٍ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنُ» [السلسلة الصحيحة للألباني ج 2 ر 2829].

- أَخْبِرْ ابْنَكَ (ابْنَتَكَ) بِعَمَلٍ صَالِحٍ يُتَاجَرُ بِهِ مَعَ اللَّهِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى تِجَارَةٍ؟»، قَالَ أَنْسُ: بَلَى، قَالَ ﷺ: «صِلْ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَقَرِّبْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا» [صحيح الترمذي للألباني ج 2 ر 2818].

- فَكَّرْ مَعَ أَبْنَائِكَ فِي مَشْرُوعِ تِجَارِيٍّ صَغِيرٍ تَقُومُونَ بِهِ مَعًا، وَاجْتَهِدْ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ -كَأْسَرَةٍ- عَمَلٌ صَالِحٌ تَشْتَرِكُونَ فِيهِ، وَتُتَاجَرُونَ بِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

أَصْدِقَاءُ الْفِيلِ

في يومٍ من الأيام خَرَجَ فرحانٌ مع أبيه لِشِرَاءِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، وفي الطريقِ قَابَلَ أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ أَكْمَلَ السَّيْرَ مَعَ أَبِيهِ، وَبَعْدَ دَقِيقَتَيْنِ التَّقَى فرحانٌ بِصَدِيقٍ آخَرَ، ثُمَّ قَابَلَهُ صَدِيقٌ ثَالِثٌ وَرَابِعٌ وَخَامِسٌ، وفي كُلِّ مَرَّةٍ كان فرحانٌ يَتَوَقَّفُ لِلسَّلَامِ عَلَى صَدِيقِهِ وَيَنْطَلِقُ مَعَ أَبِيهِ سَرِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: اللَّهُمَّ بَارِكْ، أَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّكَ مَشْهُورٌ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ يَا بُنَيَّ!!!... ابْتَسَمَ فرحانٌ وَقَالَ بِفَخْرٍ: إِنَّ الْجَمِيعَ -بِفَضْلِ اللَّهِ- يَعْرِفُنِي، وَيَتَمَنَّى مُصَاحَبَتِي، وَمَا رَأَيْتُهُ الْيَوْمَ - يَا أَبِي- مَا هُوَ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ جَدًّا مِنْ أَصْدِقَائِي... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، وَرَزَقَكَ الصُّحْبَةَ الصَّالِحَةَ، وَأَبْعَدَ عَنْكَ أَصْدِقَاءَ السُّوءِ.

وفي اليَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فرحانٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ سَعِيدًا، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ حَزِينًا، وَجَلَسَ صَامِتًا، فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ، فَرَفَضَ أَنْ يُخْبِرَهَا بِمَا حَدَثَ، فَعَاتَبَهُ أَبُوهُ قَائِلًا: هَلْ هكَذَا يَفْعَلُ الْمَشَاهِيرُ بِأُمَمَاتِهِمْ؟!!!... دَمَعَتْ عَيْنَا فرحانٍ وَقَالَ: لَقَدْ اكْتَشَفْتُ الْيَوْمَ أَنَّ الشُّهْرَةَ خُدْعَةٌ كَبِيرَةٌ.. قَالَ أَبُوهُ: كَيْفَ؟!!!... قَالَ فرحانٌ: لَقَدْ حَدَّثَتْ لِي مُشْكِلَةٌ فِي الْمَدْرَسَةِ، وَتَوَقَّعْتُ أَنَّ جَمِيعَ أَصْدِقَائِي سَيُسَاعِدُونِي، لَكِنَّهُمْ تَخَلَّوْا عَنِّي، وَلَمْ يَنْصُرْنِي إِلَّا اثْنَانِ فَقَطْ... رَبَّتْ أَبُوهُ عَلَى كَيْفِهِ وَقَالَ: لَا تَحْزَنْ يَا بُنَيَّ، فَإِنَّ مَا حَدَثَ مَعَكَ الْيَوْمَ طَبِيعِي جَدًّا... تَعَجَّبَ فرحانٌ وَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟!!!... قَالَ أَبُوهُ: أَحْضِرْ وَرَقَةً وَقَلِّمًا وَسَأُشْرِحُ لَكَ.

أَحْضَرَ فَرَحَانُ الْوَرَقَةَ وَالْقَلَمَ، فَرَسَمَ أَبُوهُ هَرَمًا، ثُمَّ قَالَ: الصَّدَاقَةُ يَا بُنَيَّ دَرَجَاتٌ مِثْلُ دَرَجَاتِ هَذَا الْهَرَمِ، وَكُلَّمَا ارْتَفَعْتَ الدَّرَجَةَ قَلَّ عَدَدُ الْأَصْدِقَاءِ وَزَادَتْ الصَّدَاقَةُ قُوَّةً، فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى مِنَ الصَّدَاقَةِ تَجِدُ (الزَّمِيلَ) وَهُوَ زَمِيلُكَ فِي الْمَدْرَسَةِ وَحَلَقَةِ التَّحْفِيزِ وَفِي الْعَمَلِ وَهَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ، وَفِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ (الْجَلِيسَ) وَهُوَ مَنْ تَجْلِسُ مَعَهُ، أَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّلَاثَةُ فَفِيهَا (الرَّفِيقُ) وَهُوَ الَّذِي يُرَافِقُكَ فِي

السَّفَرِ وَيُرَافِقُكَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ

وغيرها، وَفِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ يَأْتِي (الصَّاحِبُ)

وَهُوَ مَنْ تَكْثُرُ صُحْبَتُكَ لَهُ، وَفِي الدَّرَجَةِ

الْخَامِسَةِ تَجِدُ (الصَّدِيقَ) وَهُوَ الصَّاحِبُ

الصَّادِقِ فِي وُدِّهِ وَنَصِيحَتِهِ لَكَ، أَمَّا

الدَّرَجَةُ السَّادِسَةُ فَفِيهَا (الْخَلِيلُ)

وَهُوَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَخَلَّلَتْ

مَحَبَّتُكَ قَلْبَهُ، وَلَيْسَ فِي مَحَبَّتِهِ

خَلَلٌ، وَفِي الدَّرَجَةِ السَّابِعَةِ

يَأْتِي (الْقَرِينَ) وَهُوَ صَدِيقُكَ

الَّذِي لَا يُفَارِقُكَ، وَفِي الدَّرَجَةِ

الثَّامِنَةِ تَجِدُ (الْحَوَارِيَّ) وَهُوَ صَفْوَةُ أَصْحَابِكَ، الَّذِي يَسْعَى دَائِمًا فِي

نُصْرَتِكَ، وَلَا يَتَخَلَّى عَنْكَ أَبَدًا فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ، وَهَؤُلَاءِ قَلِيلٌ جَدًّا.

سَكَتَ فَرَحَانُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُسَلِّمُ

عَلَيَّ وَيَبْتَاسِمُ فِي وَجْهِهِ يُصْبِحُ صَدِيقِي، وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ زُمَلَاءِي

وَجُلَسَائِي هُمْ أَصْحَابِي، لَكِنِّي فَهِمْتُ الْآنَ مَعْنَى الصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَالْحَوَارِيِّ، شُكْرًا لَكَ يَا أَبِي.

اعْتَذَرَ فَرحَانُ لَأُمِّهِ، وَأَخَذَ هَرَمَ الصَّدَاقَةِ وَعَلَّقَهُ فِي غُرْفَتِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى
حَلَقَةِ التَّخْفِيطِ، وَبَعْدَ سَاعَةٍ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ سَعِيدًا، وَجَرَى نَحْوَ أَبِيهِ
وَحَضَنَهُ وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا: أُحِبُّكَ يَا أَبِي... قَالَ أَبُوهُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا بُنَيَّ،
وَلَكِنْ مَا سِرَّ هَذَا الْحُبِّ الْمُفَاجِئِ؟!... ابْتَسَمَ فَرحَانُ وَقَالَ: لَقَدْ حَفِظْنَا
الْيَوْمَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي
إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: 14]،
فَأَخْبَرْتُ الشَّيْخَ أَنَّنِي أَغْرِفُ مَعْنَى الْحَوَارِيِّ (مُفْرَد: الْحَوَارِيُّونَ)، وَرَسَمْتُ
هَرَمَ الصَّدَاقَةِ أَمَامَ زُمَلَائِي، فَكَافَأَنِي الشَّيْخُ، وَشَكَرَنِي الْجَمِيعُ.

ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: أَحَسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَلَكِنْ هَلْ تَعْرِفُ قِصَّةَ الْحَوَارِيِّينَ
مَعَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-؟... قَالَ فَرحَانُ: لَا، أَرَجُوكَ أَحْكُمَا لِي يَا أَبِي...
قَالَ أَبُوهُ: حَسَنًا يَا بُنَيَّ، لَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى
بَنِي إِسْرَءِيلَ، وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نُبُوتِهِ، فَكَذَّبُوهُ
وَأَذَوْهُ وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ، وَلَمَّا رَأَى عِيسَى -عَلَيْهِ
السَّلَامُ- تَضَمِيمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى الْكُفْرِ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿مَنْ
أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يَعْنِي: مَنْ يُعَاوِنُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ،
وَيُقِيمُ مَعِيَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ؟... فَأَجَابَهُ الْحَوَارِيُّونَ وَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾
يَعْنِي: نَحْنُ أَنصَارُ دِينِ اللَّهِ الَّذِينَ تَبَحَثُ عَنْهُمْ، وَنَحْنُ الَّذِينَ سَنَقِفُ
إِلَى جَانِبِكَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ... وَلَمْ يَخَافُوا رَغَمَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ.

قَالَ فِرْحَانُ: وَكَمْ كَانَ عَدَدُهُمْ؟... قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ قَرَأْتُ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا... قَالَ فِرْحَانُ: وَلِمَ إِذَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحَوَارِيِّينَ؟!!!... قَالَ أَبُوهُ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا صَفْوَةَ أَصْحَابِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَنْصَارَهُ، فَقَدْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَأَخْلَصُوا لَهُ وَلَازَمُوهُ، وَكَانُوا عَوْنًا لَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ... قَالَ فِرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟... قَالَ أَبُوهُ: قَامَ الْحَوَارِيُّونَ مَعَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ شَرْعِهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ، فَافْتَتَلْتُ الطَّائِفَتَيْنِ، فَأَيَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرَهُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ وَمُنْتَصِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَلَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ - بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ - كَمَا فَعَلَ الْحَوَارِيُّونَ؛ لِيَنْصُرَنَا اللَّهُ تَعَالَى كَمَا نَصَرَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

شَكَرَ فِرْحَانُ أَبَاهُ، وَوَعَدَهُ أَنْ يَتَّقِدِيَ بِالْحَوَارِيِّينَ وَيَنْصُرَ دِينَ اللَّهِ، وَأَوَّلَ خُطْوَةٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ سَتَكُونُ بِالاجْتِهَادِ فِي تَعَلُّمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فِرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَاتَّجَهَ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، فَوَجَدَ الْكَلْبَ وَالنَّمْلَةَ وَالْعَنْكَبُوتَ بَانِتِظَارِهِ هُنَاكَ؛ فَقَالَ لَهُمْ: خَيْرًا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْكَلْبُ: إِنَّ صَدِيقَنَا الْفِيلُ وَقَعَ فِي مُشْكَلَةٍ كَبِيرَةٍ، وَنُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُسَاعِدَهُ... قَالَ فِرْحَانُ: وَمَا هَذِهِ الْمُسْكَلَةُ؟!!!... قَالَ الْعَنْكَبُوتُ: الْأَفْضَلُ أَنْ تَسْمَعَ الْمُسْكَلَةَ مِنْ صَاحِبِهَا... قَالَ فِرْحَانُ: إِذَا هِيََا نَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ الْفِيلِ... قَالَتِ النَّمْلَةُ: سَنَذْهَبُ مَعَكَ لَكِنْ بِشَرْطٍ، سَنَنْتَظِرُ بِالْخَارِجِ، وَلَنْ نَدْخُلَ مَعَكَ... تَعَجَّبَ فِرْحَانُ وَقَالَ: لِمَ إِذَا؟!!!... قَالَ الْكَلْبُ: عِنْدَمَا تُقَابِلُ الْفِيلَ سَتَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ.

انْطَلَقَ فَرْحَانُ مَعَ الْكَلْبِ وَالنَّمْلَةِ وَالْعَنْكَبُوتِ إِلَى بَيْتِ الْفِيلِ، وَهُنَاكَ
 انْتَضَرَ الثَّلَاثَةَ خَارِجَ الْبَيْتِ، وَدَخَلَ فَرْحَانُ بِمُفْرَدِهِ، وَسَأَلَ الْفِيلَ عَمَّا حَدَثَ
 لَهُ، فَبَكَى الْفِيلُ وَقَالَ: لَقَدْ ضَاعَتْ نُقُودِي، وَفَقَدْتُ أَصْدِقَائِي، وَأَصْبَحْتُ
 فَقِيرًا وَوَحِيدًا... قَالَ فَرْحَانُ: اهْدَأْ وَأَخْبِرْنِي بِمَا حَدَثَ بِالتَّفْصِيلِ... مَسَحَ
 الْفِيلُ دُمُوعَهُ وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ غَنِيًّا وَأَمْتَلِكُ أَمْوَالًا كَثِيرَةً، وَلَدَيَّ الْكَثِيرُ
 مِنَ الْأَصْدِقَاءِ، وَفَجْأَةً سُرِقَتْ كُلُّ أَمْوَالِي، فَتَخَلَّى جَمِيعُ الْأَصْدِقَاءِ عَنِّي،
 مَا عَدَا ثَلَاثَةً هُمْ: الْكَلْبُ وَالنَّمْلَةُ وَالْعَنْكَبُوتُ، وَلَقَدْ حَاوَلَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ
 مُسَاعَدَتِي، لَكِنِّي طَرَدْتُهُمْ، وَقَطَعْتُ عِلَاقَتِي بِهِمْ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا:
 لِمَاذَا؟!... قَالَ الْفِيلُ: لِأَنَّهُمْ ضَعَفَاءُ، وَلَنْ يَنْفَعُونِي بِشَيْءٍ... قَالَ فَرْحَانُ:
 لَقَدْ أَخْطَأْتُ أَيَّهَا الْفِيلُ، فَالصَّدِيقُ الْحَقِيقِيُّ -وإنْ كَانَ ضَعِيفًا- أَفْضَلُ
 مِنْ عَشْرَاتِ الْأَصْدِقَاءِ الْمُرِيفِينَ وَإِنْ كَانُوا أَقْوِيَاءَ.

سَكَتَ الْفِيلُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي حَقِّهِمْ، وَسَاءَ ذَهَبُ إِلَى
 بُيُوتِهِمْ وَأَعْتَذِرُ لَهُمْ... قَالَ فَرْحَانُ: لَا تُتَعِبْ نَفْسَكَ، فَأَصْدِقَاؤُكَ الْأَوْفِيَاءُ
 أَمَامَ بَيْتِكَ الْآنَ، وَهُمْ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنِّي أَنْ أُسَاعِدَكَ... دَمَعَتْ عَيْنَا
 الْفِيلِ، وَخَرَجَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ، وَرَحَّبَ بِهِمْ، وَاعْتَذَرَ لَهُمْ، فَقَبِلُوا اعْتِذَارَهُ،
 وَدَخَلُوا مَعَهُ إِلَى الْبَيْتِ، وَشَكَرُوا فَرْحَانَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَبَدَأَ الْجَمِيعُ
 يُفَكِّرُونَ فِي طَرِيقَةٍ يُسَاعِدُونَ بِهَا الْفِيلَ، فَقَالَ الْكَلْبُ: أَنَا مَاهِرٌ فِي
 تَعْقُبِ الْأَثَرِ، وَيُمْكِنُنِي أَنْ أَعْرِفَ مَكَانَ الْأَمْوَالِ الْمَسْرُوقَةِ، بِشَرْطِ أَنْ أَشَمَّ
 بَعْضُهَا... صَاحَ الْفِيلُ قَائِلًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَبَعْضُ النُّقُودِ قَدْ سَقَطَتْ مِنْ
 اللَّصِّ خِلَالِ السَّرِقَةِ، وَسَاحِضِرْهَا فِي الْحَالِ.

شَمَّ الْكَلْبُ النُّقُودَ، وَانْطَلَقَ يَتَعَقَّبُ رَائِحَتَهَا، وَبَعْدَ سَاعَةٍ رَجَعَ إِلَى بَيْتِ

الفيل، فاستقبله الجميع بلهفة وسألوه عما فعل، فأخبرهم أن الرائحة
أوصلته إلى وكر الضباع، لكنه لم يستطع الاقتراب منه؛ خوفاً على
حياته... فقالت النملة: عندي فكرة، لو حملني الكلب على ظهره،
وأخذني إلى وكر الضباع، فأنا يمكنني أن أدخل دون أن يشعري أحد،
وأعرف مكان المسروقات... قال الكلب: ولكن إياك أن تقرصيني...
ضحكت النملة وقالت: لا تخف يا صديقي.

انطلق الكلب حاملاً النملة، وبعد ساعة رجعا إلى بيت الفيل، وقالت
النملة: للأسف لم أجد شيئاً، لكن الوكر فيه بئر قديم، وقد تكون
المسروقات مخبأة فيه... قال العنكبوت: الآن جاء دوري، خذوني إلى
هذا الوكر، وأنا سأنسج شبكة من الخيوط في البئر، وأنزل بكل سهولة،
وأحضر لكم الخبر اليقين.

انطلق الأصدقاء الثلاثة إلى الوكر، وبعد فترة رجعوا سعداء؛ فالعنكبوت
قد وجد المسروقات في البئر، ولما سمع الفيل ذلك ذهب بسرعة إلى
ملك الغابة، وأخبره بما حدث، فأرسل الأسد قوة كبيرة إلى وكر الضباع،
فقبضوا عليهم، وأحضروا المسروقات، ورجع الفيل غنياً كما كان، وعاد
له كثير من الأصدقاء، لكنه تعلم الدرس، وأدرك أن الكلب والنملة
والعنكبوت هم أصدقاؤه الحقيقيون.



فكرة تربوية

بعد أن تَخَيَّ لَأَبْنَائِكَ قِصَّةَ أَصْدِقَاءِ الْفِيلِ...

- اسأَلْهُمْ: كَيْفَ تَقْتَدِي بِالْحَوَارِيِّينَ؟ وَكَيْفَ نَكُونُ مَنْ أَنْصَارِ دِينِ اللَّهِ؟ وَكَيْفَ تَتَعَاوَنُ مَعًا كَأُسْرَةٍ لِنَنْصُرَ دِينَ اللَّهِ؟ وَاسْتَمِعْ إِلَيْهِمْ، وَاقْتَرَحْ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَنْصُرُونَ بِهَا دِينَ اللَّهِ، وَتُنَاسِبُ أَعْمَارَهُمْ وَقُدْرَاتِهِمْ، مِثْلُ: الْاجْتِهَادِ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمُعَامَلَةِ النَّاسِ بِأَخْلَاقٍ طَيِّبَةٍ، وَحِفْظِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَتَعَلُّمِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَالْعَمَلِ بِهَا، وَالتَّعَاوُنِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْاجْتِهَادِ فِي الْمَذَاكِرَةِ، وَإِثْقَانِ الْعَمَلِ، وَغَيْرِهَا.
- ارْسُمْ مَعَ أَبْنَائِكَ هَرَمَ الْأَصْدِقَاءِ، وَاجْعَلْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْتُبُ أَسْمَاءَ مَنْ يَعْرِفُهُمْ، ثُمَّ سَاعِدْهُ فِي تَوْزِيْعِهِمْ عَلَى دَرَجَاتِ هَرَمِ الْأَصْدِقَاءِ، لِيَعْرِفَ الزَّمِيلَ وَالْجَلِيسَ وَالصَّدِيقَ الْحَمِيمَ، وَإِذَا لَمْ يَجِدْ ابْنَكَ (ابْنَتَكَ) فِي حَيَاتِهِ أَصْدِقَاءَ وَأَخْلَاءَ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ سَيَجِدُهُمْ يَوْمًا مَا، وَشَجِّعْ أَبْنَاءَكَ أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُم بِالصَّدِيقِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يُبْعَدَ عَنْهُمْ أَصْدِقَاءُ السُّوءِ، فَالْنَبِيُّ ﷺ كَانَ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَ مِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَ مِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَ مِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ» [صحيح الجامع للألباني ح ر 1299].
- أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ»، وَقَالَ ﷺ: «الزُّبَيْرُ ابْنُ عَمَّتِي، وَحَوَارِيِّي مِنْ أُمَّتِي (يَعْنِي: خَاصَّتِي مِنْ أَصْحَابِي وَنَاصِرِي)» [صحيح الجامع للألباني ح ر 3583]، وَافْرَأْ مَعَ أَبْنَائِكَ قِصَّةَ حَيَاةِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَوْ اسْتَمِعُوا لَهَا مِنْ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ، وَابْحَثْ مَعَ أَبْنَائِكَ عَنِ الْأَفْعَالِ الَّتِي قَامَ بِهَا الزُّبَيْرُ لِيَنْصُرَ النَّبِيَّ ﷺ وَيَفُوزَ بِلَقَبِ «حَوَارِيِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وَشَجِّعْ أَبْنَاءَكَ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ فِيمَا يُنَاسِبُ سِنَهُمْ وَقُدْرَاتِهِمْ.

كَانَتْ أُخْتُ فَرْحَانَ تَمْتَلِكُ قَلَمًا مُمَيَّزًا، وَتُحِبُّهُ كَثِيرًا، وَتُحَافِظُ عَلَيْهِ بِشِدَّةٍ، وَفَجْأَةً اخْتَفَى هَذَا الْقَلَمُ، فَحَزِنَتْ الْبِنْتُ كَثِيرًا، وَجَلَسَتْ تَبْكِي، فَجَاءَتْ أُمُّهَا لِلْأُطْمِئْنَانِ عَلَيْهَا، وَبَحَثَتْ مَعَهَا عَنِ الْقَلَمِ لَكِنْ دُونَ فَائِدَةٍ، فَنَادَتْ عَلَى فَرْحَانَ وَسَأَلَتْهُ: هَلْ رَأَيْتَ قَلَمَ أُخْتِكَ؟... فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَتْ أُمُّ فَرْحَانَ تُرْتَبُ غُرْفَتَهُ، فَوَجَدَتْ الْقَلَمَ تَحْتَ وَسَادَتِهِ، وَكَانَ مَكْسُورًا، فَنَادَتْ عَلَى فَرْحَانَ، وَسَأَلَتْهُ بِحَزْمٍ: مَا هَذَا؟!!!... تَلَعَّمْ فَرْحَانُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَلَمُ أُخْتِي... قَالَتْ أُمُّهُ: وَمَاذَا يَفْعَلُ تَحْتَ وَسَادَتِكَ؟!!!... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ وَجَدْتُهُ ... قَاطَعَتْهُ أُمُّهُ قَائِلَةً: وَمَنْ الَّذِي كَسَرَهُ؟!!!... قَالَ فَرْحَانُ: لَسْتُ أَنَا... غَضِبَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: أَخْبِرْنِي بِالْحَقِيقَةِ وَإِلَّا... قَالَ فَرْحَانُ: حَسَنًا، لَقَدْ كَانَ الْقَلَمُ مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ، وَأَنَا دُسْتُ عَلَيْهِ رَغْمًا عَنِّي فَانْكَسَرَ، وَخِفْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ... قَالَتْ أُمُّهُ: اخْذِرْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ كَذَبْتَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، وَهَذِهِ لَيْسَتْ أَخْلَاقَ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، فَمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ يَتَحَلَّى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَلَا يَكْذِبُ وَلَا يَغُشُّ وَلَا يَخُونُ وَلَا... اعْتَرَضَ فَرْحَانُ قَائِلًا: حَسَنًا يَا أُمِّي، نَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْآنَ، ثُمَّ نَتَحَلَّى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ عِنْدَمَا نَكْبُرُ... قَالَتْ أُمُّهُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَالْهَدَفُ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ هُوَ تَرْكِيبُ النَّفْسِ وَتَطْهِيرُهَا مِنَ الْعُيُوبِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ إِذَا حَفِظْنَا الْآنَ ثُمَّ طَهَّرْنَا نَفُوسَنَا فِيمَا بَعْدَ؟!!!... تَنَهَّدَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: عَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا بُنَيَّ، لَا وَقْتُ عِنْدِي لِلْجِدَالِ، هَيَّا نُخْبِرْ أُخْتَكَ بِمَا حَدَثَ.

ذهبَ فرحانُ مع أمِّه، وأعطى القلمَ لأختِه، وأخبرها أنه كسره رَغماً عنه، فغَضِبَتْ أختُه وقالت: كيفَ حدثَ ذلك؟! إني أحتفظُ بهذا القلمَ في مَكْتَبِي، ولا أُخرِجُه أبداً... قالَ فرحانُ: لعلَّه وَقَعَ مِنْكَ دُونَ أَنْ تَشْعُرِي... قالتْ أختُه: هذا مُسْتَحِيل، مُسْتَحِيل... قالَ فرحانُ بلا مُبالاة: الأمرُ لا يَسْتَحِقُّ كُلَّ هذا الحُزنِ... فبَكَتْ أختُه وقالت: إِنَّهُ قَلَمِي المَفْضَل، وَكُنْتُ أَحِبُّهُ كَثِيراً.

انتهى الموقِف، وذهبَ فرحانُ إلى حلقة التَّحْفِيز، وهناك قالَ الشيخُ: اليومَ سَنَحْفَظُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُولا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]... ولَمَّا اتَّقَنَ الأولادُ تِلَاوَةَ هذه الآية، قالَ الشيخُ: لقدَ اخْتَارَ اللهُ العَرَبَ لِيُبَعَثَ فِيهِمُ النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ ﷺ لِيَكُونَ رَسُولاً إِلَى النَّاسِ جَمِيعاً، وكانَ مُعْظَمُ العَرَبِ (أُمِّيِّين) لا يَقْرَؤون ولا يَكْتُبُونَ، و(الأُمِّيِّين) جَمْعُ أُمِّي... قالَ فرحانُ: ولماذا سُمِّيَ مَنْ لا يَقْرَأ ولا يَكْتُبُ «أُمِّي»؟!... قالَ الشيخُ: لأنَّ الطِّفْلَ عِنْدَما يُولَدُ يَكُونُ جَاهِلاً بالقِراءة والكِتابَة، وَمَنْ يَكْبُرُ وَيَظَلُّ على هذا الحَالِ لا يَقْرَأ ولا يَكْتُبُ؛ يَكُونُ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ في عَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بالقِراءة والكِتابَة، ولذلك يُسَمَّى «أُمِّي».

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قالَ: وَلقدَ جَعَلَ اللهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ - في هذه الآية - ثَلَاثَةَ مَهَامَ، هِيَ: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فالْمِهْمَةُ الأولى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يَعْنِي: يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَالْمِهْمَةُ الثَّانِيَّة: ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ يَعْنِي: يُطَهِّرُهُم مِنَ الْكُفْرِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ، وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمِهْمَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿يُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿ يَغْنِي: يُعَلِّمُهُم الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ... قَالَ فَرِحَانُ: وَهَلْ هُنَاكَ فَارِقٌ بَيْنَ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَةِ آيَاتِهِ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ تَغْنِي: قِرَاءَتُهُ قِرَاءَةً مُرْتَلَّةً، أَمَّا تَعْلِيمُ الْقُرْآنِ فَتَغْنِي: بَيَانَ مَعَانِيهِ، وَشَرْحَ تَفْسِيرِهِ، وَتَوْضِيحَ أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهَا تَعْلِيمُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْفِيزُهُ. وَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ ثُمَّ قَالَ: وَالْآنَ عِنْدِي لَكُمْ مَعْلُومَةٌ وَسُؤَالٌ وَمُكَافَأَةٌ... صَاحَ الْأَوْلَادُ فِي سَعَادَةٍ وَقَالُوا: وَمَا هِيَ الْمُكَافَأَةُ؟!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: سَأُخْبِرُكُمْ بِالْمَعْلُومَةِ أَوَّلًا، لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَخِلَالِ الْبِنَاءِ دَعَا نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ لِأَهْلِ مَكَّةَ قَائِلًا: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 129]، وَلَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَأَرْسَلَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ لِيَكُونَ رَسُولًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: 2]... قَالَ الْأَوْلَادُ: هَذِهِ مَعْلُومَةٌ جَمِيلَةٌ، وَلَكِنْ مَا هِيَ الْمُكَافَأَةُ?!..

صَحِكَ الشَّيْخُ وَقَالَ: الْمُكَافَأَةُ سَتَكُونُ لِمَنْ يُجِيبُ عَنْ سُؤَالِي، وَالسُّؤَالُ هُوَ: هُنَاكَ اخْتِلَافٌ بَسِيطٌ وَجَمِيلٌ بَيْنَ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَمَا تَحَقَّقَ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ، فَمَا هَذَا الْاخْتِلَافُ؟!... تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ، وَأَخَذُوا يُقَارِنُونَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، وَفَجْأَةً صَاحَ فَرِحَانُ قَائِلًا: لَقَدْ عَرَفْتُ الْإِجَابَةَ، فإِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

أَمَّا فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قَبْلَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾... قَالَ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَهْمِيَةِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَضُرُورَةِ الْاهْتِمَامِ بِهَا مَعَ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَلَا يَكْتَمِلُ تَعَلُّمُكُمْ لِلْقُرْآنِ -يَا أَبْنَاءِ- إِلَّا بِتَزْكِيَةِ نَفُوسِكُمْ وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ.

فَازَ فَرْحَانُ بِالْجَائِزَةِ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ بِسُرْعَةٍ، وَأَخْبَرَ أُمَّهُ بِالْآيَةِ الَّتِي حَفِظَهَا الْيَوْمَ، وَأَنَّهُ تَعَلَّمَ مِنْهَا أَنَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي، بَلْ لَابُدَّ مَعَهُ مَنْ تَطْهِيرِ النَّفْسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، ثُمَّ اعْتَرَفَ فَرْحَانُ لِأُمِّهِ بِحَقِيقَةِ مَا حَدَّثَ لِلْقَلَمِ، فَهُوَ قَدْ أَخَذَهُ مِنْ غُرْفَةِ أُخْتِهِ دُونَ أَنْ تَشْعُرَ، وَانْكَسَرَ رَغْمًا عَنْهُ، وَسَيَّشْتَرِي لِأُخْتِهِ قَلَمًا آخَرَ مِنْ مَصْرُوفِهِ، وَوَعَدَ أُمَّهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ، وَأَلَّا يَكْذِبَ بَعْدَ الْيَوْمِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَفُوجِئَ بِالثَّعْلَبِ مَكَارٍ يَرْتَدِي ثِيَابَ الْأَطِبَّاءِ، وَيَمْشِي فِي خِيَلَاءٍ، فَسَلَّمَ فَرْحَانُ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا يَا مَكَارٍ، هَلْ تُمَثِّلُ فِي أَحَدِ الْأَفْلَامِ وَتَقُومُ بِدَوْرِ الطَّيِّبِ، أَمْ تُمَارِسُ عَادَتَكَ فِي خِدَاعِ الْآخَرِينَ؟!... قَالَ الثَّعْلَبُ بِفَخْرٍ: أَنَا لَمْ أَعُدْ مَكَارًا الَّذِي تَعْرِفُهُ، فَقَدْ تَرَكْتُ الْمَكْرَ وَالْخِدَاعَ، وَأَصْبَحْتُ طَالِبًا فِي أَكَادِمِيَةِ طَيِّبِ الْغَابَةِ، وَقَرِيبًا جِدًّا سَأَصْبِحُ مِنْ أَشْهَرِ الْأَطِبَّاءِ وَأَغْنَاهُمْ، وَقَدْ أَصِفُ لَكَ الدَّوَاءَ يَوْمًا مَا... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ إِحْدَى خُدَعِكَ يَا مَكَارٍ... ابْتَسَمَ الثَّعْلَبُ بِمَكْرِ وَقَالَ: إِذَا لَمْ تُصَدِّقْنِي فَادْهَبْ إِلَى طَيِّبِ الْغَابَةِ وَاسْأَلْهُ بِنَفْسِكَ.

انْطَلَقَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِ طَبِيبِ الْغَابَةِ، وَسَأَلَهُ عَمَّا قَالَهُ الثَّغْلَبُ مَكَارَ،
 فَقَالَ الطَّبِيبُ: هَذَا صَحِيحٌ، فَقَدْ افْتَتَحْتُ أَكَادِمِيَّةَ لِتَعْلِيمِ الطَّبِّ،
 وَقَدْ التَّحَقَّقَ بِهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ، وَالثَّغْلَبُ مَكَارَ مِنْ أَفْضَلِ طُلَّامِي... صَاحَ
 فَرْحَانُ قَائِلًا: إِنَّ هَذَا الثَّغْلَبَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْمَكْرَ وَالْخِدَاعَ، وَضَحَايَاهُ
 كَثِيرُونَ، وَهُوَ... قَاطَعَهُ الطَّبِيبُ قَائِلًا: هَذَا لَا يَهْمُنِي، الْمُهْمَمُ عِنْدِي أَنْ
 يَفْهَمَ الثَّغْلَبُ مَا أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ، وَيُتَقِنَ مَا أُدَرِّبُهُ عَلَيْهِ... قَالَ فَرْحَانُ:
 وَأَخْلَاقُهُ السَّيِّئَةُ أَلَنْ تُحَاوِلَ تَهْذِيبَهَا؟!... قَالَ الطَّبِيبُ: هَذِهِ لَيْسَتْ
 مَسْئُولِيَّتِي!!!... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّكَ بِذَلِكَ تَصْنَعُ طَبِيبًا فَاسِدًا... قَالَ
 الطَّبِيبُ: لَا تَخَفْ، فَالثَّغْلَبُ طَالِبٌ مُجْتَهِدٌ، وَسَأَصْنَعُ مِنْهُ طَبِيبًا مَاهِرًا.
 انْطَلَقَ فَرْحَانُ بِسُرْعَةٍ إِلَى بَيْتِ حَكِيمِ الْغَابَةِ، وَحَكَى لَهُ مَا حَدَثَ عِنْدَ
 الطَّبِيبِ، فَتَنَهَّدَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: أَنَا أَيْضًا تَكَلَّمْتُ مَعَهُ عَنْ خُطُورَةِ
 التَّعْلِيمِ دُونَ تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ، وَحَذَرْتُهُ كَثِيرًا مِنَ الثَّغْلَبِ مَكَارَ، لَكِنَّهُ
 لَمْ يَفْتَنِعْ بِكَلَامِي!!!

رَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا، وَانْقَطَعَ عَنِ الْغَابَةِ فَتَرَةً طَوِيلَةً، وَذَاتَ
 يَوْمٍ فُوجِئَ بِطَبِيبِ الْغَابَةِ يَزُورُهُ، وَيَقُولُ لَهُ: لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ مُعْتَذِرًا،
 وَطَالِبًا مُسَاعَدَتِكَ... قَالَ فَرْحَانُ: مَاذَا حَدَثَ؟!... دَمَعَتْ عَيْنَا الطَّبِيبِ
 وَقَالَ: حَدَّثَتْ جَرِيْمَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَنَا السَّبَبُ!!... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: أَيَّةُ
 جَرِيْمَةٍ؟ تَكَلَّمَ أَيُّهَا الطَّبِيبُ... تَنَهَّدَ الطَّبِيبُ وَقَالَ: لَقَدْ خَدَعَنِي الثَّغْلَبُ
 مَكَارَ، وَجَعَلَنِي أَثِقُ فِيهِ وَأُخْبِرُهُ بِكُلِّ أَسْرَارِ الْمِهْنَةِ، حَتَّى أَنَّنِي عَلَّمْتُهُ
 طَرِيقَةَ صُنْعِ الْأَمْرَاضِ وَكَيْفِيَّةِ عِلَاجِهَا، وَكَانَتْ النَّتِيجَةُ أَنَّهُ صَنَعَ هَذَا
 الْمَرَضَ وَنَشَرَهُ فِي الْغَابَةِ، وَأَنَا السَّبَبُ فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ... هُنَا وَقَفَ

فرحانُ فجأةً وقال: وهل هذا المَرَضُ مُعْدٍ؟!... قال الطبيبُ: لا تَخَفْ يا صَدِيقِي، فهذا المَرَضُ لا يَنْتَقِلُ مِنَ الْحَيَوَانِ لِلإِنْسَانِ... قال فرحانُ: حسنًا، ولماذا لَمْ تَصْنَعْ أَنْتَ دَوَاءً لهذا المَرَضِ؟!... قالَ الطبيبُ: لقد حَاوَلْتُ كَثِيرًا لَكِنِّي فَشِلْتُ، فَالْتَّغَلَبُ قَدْ صَنَعَ هذا المَرَضُ بِطَرِيقَةٍ جَدِيدَةٍ وَمَاكِرَةٍ، وهو الْوَحِيدُ الَّذِي يَمْتَلِكُ الدَّوَاءَ، وَيَبِيعُهُ لِلْحَيَوَانَاتِ مَبْلَغٍ كَبِيرٍ جَدًّا.

سَكَتَ فرحانُ عِدَّةَ دَقَائِقَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ التَّغَلَبَ يَفْعَلُ هذا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ الشُّهْرَةِ وَالثَّرْوَةِ، وَلِذَلِكَ سَنُنْشِئُ هَيْئَةً طَبِيبَةً وَهَمِيَّةً فِي إِحْدَى الْعَابَاتِ الْمُجَاوِرَةِ، وَنَنْشُرُ إِعْلَانَاتِهَا فِي غَابَتِنَا، وَنَجْعَلُ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْهَا بِانْبِهَارٍ؛ حَتَّى يَشْتَاقَ التَّغَلَبُ مَكَارَ لِلْعَمَلِ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ الطَّبِيبَةِ الْكَبِيرَةِ، وَيَتِمَّنَى أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ أَطِبَّائِهَا الْمَشْهُورِينَ... قَالَ الطَّبِيبُ: وَمَاذَا سَنَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ فرحانُ: سَيَأْتِي مَنُذُوبُ هَذِهِ الْمُؤَسَّسَةِ إِلَى التَّغَلَبِ مَكَارَ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا عَنْ قُدْرَاتِهِ الطَّبِيبَةِ الْمَذْهِلَةِ، وَأَنَّهُمْ قَرَّرُوا تَعْيِينَهُ فِي مَنْصَبٍ كَبِيرٍ، وَسَيُعْطُونَهُ ثَرْوَةً ضَخْمَةً، لَكِنْ بِشَرْطٍ وَاحِدٍ... ابْتَسَمَ الطَّبِيبُ وَقَالَ: لَقَدْ فَهِمْتُ، فَالشَّرْطُ هُوَ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِسِرِّ مَرَضِهِ الْجَدِيدِ وَطَرِيقَةِ عِلَاجِهِ، وَعِنْدَهَا نَصْنَعُ نَحْنُ الدَّوَاءَ، وَنُوزَعُهُ عَلَى الْجَمِيعِ، وَنَقْبِضُ عَلَى مَكَارَ وَنُسَلِّمَهُ لِلْقَاضِي لِيُعَاقِبَهُ... قَالَ فرحانُ: نَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ، وَالْآنَ اذْهَبْ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَأَخْبِرْهُ بِهَذِهِ الْخُطَّةِ، وَنَقْذُوهَا بِسُرْعَةٍ.

فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة الطَّيِّب مَكَار...

• اسأَلُهُم: عَنْ رَأْيِهِمْ فِي الْخَطَةِ الَّتِي وَضَعَهَا فَرْحَانٌ لِمَعْرِفَةِ عِلَاجِ الْمَرَضِ الْغَامِضِ الَّذِي انْتَشَرَ فِي الْغَابَةِ، وَهَلْ هَذِهِ الْخَطَةُ سَتَنْجَحُ؟ وَلِمَاذَا؟ وَهَلْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ خَطَةٌ أُخْرَى لِكَشْفِ وَمُعَاقِبَةِ الثُّغْلِبِ مَكَار؟.

• اسأَلُهُم: مَا الْعِبَادَاتِ الَّتِي نَقُومُ بِهَا حَتَّى نُرْزِقَ أَنْفُسَنَا وَنُطَهِّرَهَا؟ وَاسْتَمِعْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْفَرَائِضِ (صَلَاةٍ - صِيَامٍ - زَكَاةٍ - حَجٍّ) تُطَهِّرُ النَّفْسَ وَتُرْزِقُهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»، كَمَا أَنَّ الْإِكْتِسَارَ مِنَ النَّوَافِلِ (تَوَافِلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا) تَزِيدُ النَّفْسَ طَهْرًا وَنَقَاءً، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ»، وَاتَّفَقَ مَعَ أَبْنَائِكَ عَلَى بَعْضِ الْعِبَادَاتِ وَالنَّوَافِلِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَقُومُوا بِهَا مَعًا - كَأُسْرَةٍ - لِتَرْزُقِيَهُ نَفْسًا سَكْمًا، وَلِزِيَادَةِ الْحُبِّ بَيْنَكُمْ.

• اسأَلُهُم: كَيْفَ يُصْلِحُ الْإِنْسَانُ عُيُوبَ نَفْسِهِ؟ وَكَيْفَ نُسَاعِدُ بَعْضَنَا فِي إِصْلَاحِ عُيُوبِنَا؟ وَاسْتَمِعْ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ يُحِبُّ مَنْ يُخْبِرُهُ بِعُيُوبِهِ وَيَدْعُو لَهُ بِالرَّحْمَةِ، فَكَانَ يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي» [إحياء علوم الدين للغزالي 3/64]... ثُمَّ وَزَّعَ عَلَى أَبْنَائِكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَوْرَاقِ وَالْأَقْلَامِ، وَاطْلُبْ مِنْهُمْ أَنْ يَكْتُبُوا لَكَ نَصِيحَةً، وَتَقَبَّلْ رَأْيَهُمْ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ سَتَجْتَهِدُ فِي إِصْلَاحِ أَخْطَائِكَ، وَاشْكُرْهُمْ وَادْعُ لَهُمْ، ثُمَّ طَبِّقْ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مَعَ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ، وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ.

في يومٍ من الأيام ذهبَ فرحانُ إلى حلقةِ التَّحْفِيزِ، ولَمَّا حَضَرَ الجَمِيعُ قالَ الشَّيْخُ: لَكُمْ عِنْدِي مُفَاجَأَةٌ، اليَوْمَ سَأَسْمَحُ لَكُمْ بِزِيَارَةِ مَكْتَبَتِي... صَاحِ الأَوْلَادِ فِي حَمَاسٍ، وَذَهَبُوا مَعَ شَيْخِهِمْ فِي سَعَادَةٍ، وَلَقَدْ تَفَاجَّؤُوا بِحَجْمِ مَكْتَبَةِ الشَّيْخِ، فَفِيهَا كُتِبَ كَثِيرَةٌ فِي عُلُومٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَخَذَ الشَّيْخُ يُكَلِّمُهُمْ عَن تَارِيخِ هَذِهِ الْمَكْتَبَةِ، وَكَيْفَ جَمَعَ هَذِهِ الْكُتُبَ عَزْرَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَحَكَى لَهُمْ قِصَّةَ أَوَّلِ كِتَابٍ اشْتَرَاهُ، وَأَكْثَرَ كِتَابٍ انْتَفَعَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَالْكِتَابَ الَّذِي يَتَمَنَّى قِرَاءَتَهُ، وَاسْتَمَعَ الشَّيْخُ إِلَى أَسْئَلَةِ الأَوْلَادِ وَأَجَابَ عَنْهَا بِسَعَادَةٍ، ثُمَّ قَالَ: الْآنَ سَأُقِيمُ بَيْنَكُمْ سَبَاقًا فِي حَمْلِ الْكُتُبِ... نَظَرَ الأَوْلَادُ لِبَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ وَلَمْ يَفْهَمُوا شَيْئًا، فَقَالَ الشَّيْخُ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سَيَخْتَارُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْكُتُبِ، وَيَأْخُذُهَا مَعَهُ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا جَيِّدًا، وَالْفَائِزُ هُوَ مَنْ يَحْمِلُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الْكُتُبِ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَيُعِيدُهَا سَالِمَةً.

تَحَمَّسَ الأَوْلَادُ، وَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَأْخُذُ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْكُتُبِ، وَسَجَّلَ الشَّيْخُ مَا أَخَذَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَتَنَافَسَ الْجَمِيعُ فِي حَمْلِ أَكْبَرِ عَدَدٍ مِنَ الْكُتُبِ، مَا عَدَا فَرَحَانَ فَقَدْ اخْتَارَ كِتَابًا وَاحِدًا فَقَطْ، فَسَخِرَ الأَوْلَادُ مِنْهُ، وَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ هَكَذَا سَتَخْسِرُ السَّبَاقَ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ... فابْتَسَمَ وَقَالَ: لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَحْمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

رَجَعَ الْأَوْلَادُ إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ اجْتَمَعُوا فِي حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ مَرَّةً أُخْرَى، وَأَعَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْكُتُبَ الَّتِي أَخَذَهَا، فَشَكَرَهُمُ الشَّيْخُ عَلَى إِعَادَتِهَا سَالِمَةً، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا أَبْنَائِي، قَبْلَ أَنْ أُعْلِنَ الْفَائِزَ، أَخْبِرُونِي مَاذَا فَعَلْتُمْ بِالْكِتَابِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ... تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ، وَحَكَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَيْفَ أَنَّهُ حَمَلَ الْكِتَابَ مَعَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَا عَدَا وَقْتُ النَّوْمِ وَعِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَبَعْضُهُمْ تَنَاوَلَ الطَّعَامَ وَهُوَ يَحْمِلُ الْكِتَابَ لِيَفُوزَ بِالْجَائِزَةِ... قَالَ الشَّيْخُ: وَهَلْ اسْتَفَادَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ حَمْلِ الْكِتَابِ؟... صَاحَ الْأَوْلَادُ قَائِلِينَ: لَا يَا شَيْخَنَا، فَقَدْ تَعَبَتْ أَيْدِينَا، وَحُرِمْنَا مِنَ اللَّعِبِ، وَسَخِرَ النَّاسُ مِنَّا... أَمَّا فَرْحَانُ فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُ الْكِتَابَ الَّذِي حَمَلْتُهُ، وَعَرَفْتُ مَنْ خِلَالِهِ آدَابُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، وَقَرَّرْتُ أَنْ أَتَحَلَّى بِهِ! لَأَكُونَ مِمَّنْ يَحْمِلُونَ الْقُرْآنَ بِحَقٍّ... قَالَ الشَّيْخُ: وَمَا اسْمُ هَذَا الْكِتَابِ يَا بُنَيَّ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّهُ كِتَابُ «التَّبَيَّانِ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ» لِلإِمَامِ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ... قَالَ الشَّيْخُ: حَسَنًا يَا بُنَيَّ.

وَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ ثُمَّ قَالَ: الْفَائِزُ فِي هَذِهِ الْمُسَابَقَةِ هُوَ فَرْحَانُ... صَاحَ الْأَوْلَادُ مُعْتَرِضِينَ وَقَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ يَا شَيْخَنَا؟ إِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ إِلَّا كِتَابًا وَاحِدًا فَقَطْ، وَلَمْ يَتَعَبْ فِي حَمْلِ الْكِتَابِ مِثْلَنَا!!!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: الْإِجَابَةُ عَنْ سُؤَالِكُمْ فِي الْآيَةِ الَّتِي سَنَحْفَظُهَا الْيَوْمَ، هَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ جَمِيعًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5].

وَلَمَّا أَتَقَنَ الْأَوْلَادُ تِلَاوَةَ الْآيَةِ، قَالَ الشَّيْخُ: هَلْ عَرَفْتُمْ الْآنَ لِمَاذَا
أَعْطِيَتْ الْجَائِزَةُ لِزَمِيلِكُمْ فَرْحَانَ؟... قَالَ الْأَوْلَادُ: لَا، لَمْ نَعْرِفْ شَيْئًا... قَالَ
الشَّيْخُ: حَسَنًا، سَأُشْرِحُ لَكُمْ هَذِهِ الْآيَةَ، وَعِنْدَهَا سَتَفْهَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: «التَّوْرَةُ» هُوَ اسْمُ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَام-؛ لِيَكُونَ شَرِيعَةً لَهُ وَلِقَوْمِهِ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هُمْ
قَوْمُ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَام-، وَكَانَ أَنْزَالُ التَّوْرَةِ بَعْدَ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ
فِي الْبَحْرِ وَنَجَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَقَدْ بَلَغَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَام- رِسَالَةَ رَبِّهِ إِلَى
قَوْمِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ لِهَدَايَتِهِمْ، وَاخْتَصَّهِمْ
بِحَمْلِهَا تَشْرِيفًا لَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِتَعَلُّمِ التَّوْرَةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامٍ وَأَدَابٍ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

قَالَ الشَّيْخُ: اجْتَهَدَ بَعْضُهُمْ فِي تِلَاوَةِ التَّوْرَةِ وَفَهَمَهَا وَالْعَمَلَ بِمَا فِيهَا؛
فَفَازُوا بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَابْعَضُ الْآخَرِ قَرَأُوا التَّوْرَةَ وَحَفِظُوهَا،
لَكِنَّهُمْ تَرَكُوا الْعَمَلَ بِهَا، وَخَالَفُوا أَوَامِرَهَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ:
﴿مِثْلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ يَعْنِي: كُلَّفُوا الْعَمَلَ بِمَا فِيهَا وَالْقِيَامَ
بَأَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أَي: لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا وَلَمْ يُطِيعُوا مَا
أُمِرُوا بِهِ فِيهَا ﴿كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يَعْنِي: فَهُمْ يُشَبِّهُونَ
الْحِمَارَ الَّذِي يَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِهِ أَسْفَارًا مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ، فَهُوَ يَحْمِلُهَا وَلَا
يَذَرِي مَا فِيهَا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا، وَكَذَلِكَ الْيَهُودُ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ
بِهَا لِأَنَّهُمْ خَالَفُوا مَا فِيهَا، فَشَبَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -وَالْتَّوْرَةُ فِي أَيْدِيهِمْ وَلَا
يَعْمَلُونَ بِهَا- بِالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِهِ كُتُبًا وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا.

ضَحِكَ الْأَوْلَادُ وَسَخِرُوا مِنْهُمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَمِيرِ، فَالْحِمَارُ لَا قُدْرَةَ لَدَيْهِ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْفَهْمِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَهُمْ عُقُولٌ وَأَفْهَامٌ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَغْمِلُوهَا فِي فَهْمِ التَّوْرَةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا.

قَالَ الشَّيْخُ: حَسَنًا يَا أَبْنَائِي، وَلَكِنْ اخْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ!!!

تَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: وَهَلْ يُمَكِّنُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ؟!!

قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ، فَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ لَهُمْ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يَنْطَبِقُ عَلَى مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ وَلَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ.

أَحَسَّ الْأَوْلَادُ بِالْخَوْفِ وَقَالُوا: وَمَاذَا نَفْعَلُ يَا شَيْخَنَا حَتَّى لَا نَكُونَ مِثْلَهُمْ؟.

قَالَ الشَّيْخُ: اجْتَهِدُوا فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَأَنَا سَأُوزِّعُ عَلَيْكُمْ وَرَقَةً بِهَا عَشْرُ آيَاتٍ (مُتَفَرِّقَاتٍ) اخْتَرْتُهَا لَكُمْ بِعِنَايَةٍ مِنْ جُزْءِ عَمِّ وَتَبَارَكَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَخْتَارُ مِنْهَا آيَةً وَاحِدَةً، وَيَجْتَهِدُ فِي تَعْلُمِ تَفْسِيرِهَا، وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهَا، وَذَلِكَ بِمُسَاعَدَةِ وَالِدَيْهِ، وَهُنَاكَ جَوَائِزٌ لِلْجَمِيعِ عَلَى قَدْرِ اجْتِهَادِهِمْ وَإِنْجَازِهِمْ.

رَجَعَ فَرِحَانٌ إِلَى الْبَيْتِ سَعِيدًا، وَأَخْبَرَ وَالِدَيْهِ بِمَا حَدَثَ فِي حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَاخْتَارَ مَعَهُمَا الْآيَةَ الَّتِي سَيَتَعَلَّمُ تَفْسِيرَهَا وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهَا، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي انْطَلَقَ فَرِحَانٌ نَحْوَ الْغَابَةِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ فُوجِيَ بِلَوْحَةٍ كَبِيرَةٍ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا (مَرْحَبًا بِكُمْ فِي غَابَةِ الْعُلَمَاءِ)، فَظَنَّ فَرِحَانٌ أَنَّ هَذَا ضَلَّ الطَّرِيقَ وَأَنَّهُ فِي غَابَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْغَابَةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا، ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ لِحَظَاتٍ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذَا هُوَ طَرِيقُ الْغَابَةِ الَّذِي أَمْشِي فِيهِ

دَائِمًا، وَتِلْكَ هِيَ الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عِنْدَهَا، فَأَنَا إِذَا فِي الْمَكَانِ الصَّحِيحِ، فَمَا حِكَايَةُ هَذِهِ اللُّوْحَةِ الْغَرِيبَةِ؟!!!.

هَزَّ فَرَحَانُ كَتِفَيْهِ تَعَجُّبًا، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْغَابَةِ، فَرَأَى مَنْظَرًا غَرِيبًا، لَقَدْ كَانَتْ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ تَحْمِلُ كُتُبًا فَوْقَ ظُهُورِهَا، وَتَمْشِي فِي سَعَادَةٍ، فَنَادَى فَرَحَانُ عَلَى الضَّبُعِ وَسَأَلَهُ: لِمَاذَا يَحْمِلُ الْجَمِيعُ الْكُتُبَ؟!!!... فَنَظَرَ الضَّبُعُ إِلَى فَرَحَانَ بِلَا مَبَالَاةٍ ثُمَّ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ دُونَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، فَتَعَجَّبَ فَرَحَانُ مَنْ تَصْرِفِ الضَّبُعِ، وَنَادَى عَلَى الثَّعْلَبِ وَسَأَلَهُ السُّؤَالَ نَفْسَهُ، فَقَالَ الثَّعْلَبُ بِغُرُورٍ: وَمَنْ تَكُونُ أَنْتَ حَتَّى أُجِيبَ عَنْ سُؤَالِكَ؟!!!... وَتَرَكَهُ الثَّعْلَبُ وَانْصَرَفَ، فَازْدَادَ فَرَحَانُ تَعَجُّبًا، وَنَادَى عَلَى الزَّرَافَةِ وَسَأَلَهَا السُّؤَالَ نَفْسَهُ، فَهَمَسَتْ فِي أُذُنِهِ قَائِلَةً: لَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ أَحَدٌ مَا دُمْتَ لَا تَحْمِلُ كِتَابًا... وَانْصَرَفَتْ الزَّرَافَةُ.

وَقَفَ فَرَحَانُ مَصْدُومًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى حَكِيمِ الْغَابَةِ لِيَفْهَمَ مِنْهُ مَا يَحْدُثُ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ وَجَدَ الْحَكِيمَ يَجْلِسُ أَمَامَ بَيْتِهِ وَيَقْرَأُ فِي أَحَدِ الْكُتُبِ، فَتَنَهَّدَ فَرَحَانُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: حَتَّى أَنْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ؟!!!... وَاسْتَدَارَ فَرَحَانُ رَاجِعًا، فَفُوجِئَ بِالْحَكِيمِ يُنَادِي عَلَيْهِ قَائِلًا: إِلَى أَيْنَ يَا فَرَحَانُ؟!!!... لِمَاذَا تَرَحَّلَ فِي صَمْتٍ؟!!!... التَّفَتَ فَرَحَانُ نَحْوَ الْحَكِيمِ وَقَالَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ لَنْ تَتَكَلَّمَ مَعِيَ مِثْلَ الْجَمِيعِ... قَالَ الْحَكِيمُ: لَا تَحْزَنْ يَا صَدِيقِي، فَسُكَّانُ الْغَابَةِ يَتَعَرَّضُونَ لِخُدْعَةٍ كَبِيرَةٍ... قَالَ فَرَحَانُ: وَمَنْ يَخْدَعُهُمْ؟!!!... قَالَ الْحَكِيمُ: اجْلِسْ وَسَأُخْبِي لَكَ كُلَّ شَيْءٍ.

جَلَسَ فَرَحَانُ وَبَدَأَ الْحَكِيمُ يَخْبِي، فَقَالَ: مِنْذُ فَتْرَةٍ بَدَأَ الْحِمَارُ يَحْمِلُ كُتُبَ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ فِي الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ، وَكَانَ هَذَا الْعَالَمُ يُكْرِمُ الْحِمَارَ

وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ، فَتَحَسَّنَتْ حَيَاةُ الْحِمَارِ كَثِيرًا، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثَارُ النُّعْمَةِ، فَسَأَلَهُ سُكَّانُ الْغَابَةِ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ السَّرَّ فِي حَمْلِ الْكُتُبِ؛ لِأَنَّ فِيهَا أَسْرَارَ الْعِلْمِ وَالسَّعَادَةِ، فَأُعْجِبَتْ الْحَيَوَانَاتُ بِالْفِكْرَةِ، وَطَلَبُوا مِنَ الْحِمَارِ بَعْضَ الْكُتُبِ لِيَحْمِلُوهَا عَلَى ظُهُورِهِمْ حَتَّى تَتَحَسَّنَ أَحْوَالُهُمْ، فَوَافَقَ بِشَرْطٍ أَنْ يُوجِّرَهَا لَهُمْ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: وَلَكِنْ الْحَيَوَانَاتُ لَنْ تَسْتَفِيدَ شَيْئًا مِنْ حَمْلِ الْكُتُبِ... قَالَ الْحَكِيمُ: وَهَذَا مَا أَخْبَرْتُهُمْ بِهِ، فَاتَّهَمُونِي أَنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أَفُوزَ بِالسَّعَادَةِ وَحْدِي... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ الْحَكِيمُ: انْتَشَرَتْ الْفِكْرَةُ فِي الْغَابَةِ، وَأَصْبَحَ الْجَمِيعُ يَتَبَاهَوْنَ بِحَمْلِ الْكُتُبِ، وَزَادَتْ أَرْبَاحُ الْحِمَارِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَفْتَحَ مَحَلًّا لِتَأْجِيرِ الْكُتُبِ، وَحَتَّى يَضْمَنَ اسْتِمْرَارَ خُدْعَتِهِ فَقَدْ شَارَكَ مَلِكَ الْغَابَةِ فِي مَشْرُوعِهِ.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: مَا رَأَيْكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَنْ نَفْتَحَ نَحْنُ أَيْضًا مَحَلًّا لِتَأْجِيرِ الْكُتُبِ... قَاطَعَهُ الْحَكِيمُ قَائِلًا: وَهَلْ سَنَفْعَلُ مِثْلَ الْحِمَارِ وَنَخْدَعُ الْحَيَوَانَاتِ؟!... ضَحِكَ فَرْحَانُ وَقَالَ: اطْمَئِنَّ يَا صَدِيقِي، فَاِلْمَحَلَّ الَّذِي سَنَفْتَحُهُ لَنْ يَكُونَ لِتَأْجِيرِ الْكُتُبِ، بَلْ سَيَكُونُ لِتَأْجِيرِ الطَّعَامِ، وَسَنَسَمَحُ لِمَنْ يَحْمِلُ طَعَامَنَا أَنْ يَأْكُلَهُ مَجَانًّا عِنْدَمَا يَجُوع... ابْتَسَمَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَتَكْتَشِفُ الْحَيَوَانَاتُ أَنَّ حَمْلَ الطَّعَامِ أَجْمَلُ مِنْ حَمْلِ الْكُتُبِ، وَلَكِنَّا سَنُخْسِرُ الْمَالَ، وَالْأَسَدُ لَنْ يَتْرُكَنَا فِي حَالِنَا... قَالَ فَرْحَانُ: لَنْ نَخْسِرَ شَيْئًا، فَإِجَارُ حَمْلِ الطَّعَامِ سَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ ثَمَنِهِ بِقَلِيلٍ، وَالْأَسَدُ سَنَجْعَلُهُ شَرِيكًا فِي مَشْرُوعِنَا، وَهَكَذَا سَيَتْرُكُ الْجَمِيعُ حَمْلَ الْكُتُبِ، وَيُعْلِقُ الْحِمَارُ مَشْرُوعَهُ، وَتَنْتَهِي خُدْعَتُهُ، وَيَأْتِينَا مِنْ أَجْلِ حُزْمَةِ بَرَسِيمٍ مَجَانِّيَّةً.



فكرة تربوية

بعد أن تَحْيِي لأبنائك قصة غَايَةِ الْعُلَمَاء...

- اسألهم: عن رأيهم في الخُطَّة التي وَضَعَهَا فرحان لإنهاء خُدْعَةِ الْحِمَار؟ وهل سَتَنْجَح؟ وهل هُنَاكَ خُطَّة أُخْرَى أو فِكْرَةٌ أَجْمَل لِحَلِّ هذه المُشْكَلَةِ؟
- مُشَارَكَةُ زَوْجِكَ (زَوْجَتِكَ) ضَعْ بَرْنَامَجًا بَسِيطًا وَمُنَاسِبًا لِأَبْنَائِكَ لِفَهْمِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَكُلِّ فِتْرَةٍ اخْتَرِ آيَةً مِمَّا يَحْفَظُونَ، وَاسْتَمِعْ مَعَهُمْ لِتَفْسِيرِهَا، أَوْ اشْرَحْهَا لَهُمْ، وَشَارِكْهُمْ فِي الْعَمَلِ بِهَا حَسَبَ أَعْمَارِهِمْ وَقُدْرَاتِهِمْ، وَمَا أَجْمَلُ أَنْ تُسَجِّلَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي كَشْكُولٍ خَاصٍّ تُسَمِّيهِ (كَشْكُولُ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ)، وَهَذَا الْكَشْكُولُ يَكْبُرُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَيَكُونُ خَيْرَ مِيرَاثٍ تَرَكُّهُ لِأَبْنَائِكَ.
- تَكَلِّمْ مَعَ أَبْنَائِكَ عَنْ ضَرُورَةِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَاخْلُكْ لَهُمْ نَمَازِجَ مِنْ عَمَلِ الصَّحَابَةِ بِالْقُرْآنِ، وَمَا أَجْمَلُ أَنْ تُقِيمَ بَيْنَهُمْ سَبَاقًا فِي تَدَبُّرِ بَعْضِ الْآيَاتِ وَتَعَلُّمِ تَفْسِيرِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا فِيهَا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِمْ.
- اسأل أبناءك: مَا فَوَائِدُ حِفْظِ الْقُرْآنِ؟ وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِمْ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ يَجْعَلُ الصَّلَاةَ أَجْمَلَ، وَيَشْغُلُ الْوَقْتَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَزِيدُ الْحَسَنَاتِ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، لَكِنَّ الْحِفْظَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ، حَتَّى لَا نَكُونُ مِثْلَ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا.
- عِنْدَمَا يَحْفَظُ ابْنُكَ (ابْنَتُكَ) شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، ابْحَثْ مَعَهُ عَنْ مَعْنَاهِ وَتَفْسِيرِهِ، وَاسْأَلْهُ: هَلْ هُنَاكَ أَمْرٌ لِلَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ حَتَّى نَعْمَلَ بِهِ؟... وَكُرِّرْ هَذِهِ التَّجْرِبَةَ؛ حَتَّى يَتَعَوَّدَ أَبْنَاؤُكَ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا يَحْفَظُونَ.
- أَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ (يَعْنِي: عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ) لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ (يَعْنِي: فِي دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ) وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا» [صحيح أبي داود للألباني ح ر 1464]، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ صَاحِبَ الْقُرْآنِ هُوَ الْعَامِلُ بِمَا فِيهِ، وَالْمَلَاذِمُ لَهُ تِلَاوَةً وَحِفْظًا.

الزَّلْزَالُ الْكَاذِبُ

ذَاتَ مَسَاءٍ كَانَ وَالِدُ فَرْحَانَ يَجْلِسُ أَمَامَ التِّلْفَازِ، وَيَتَابَعُ أَخْبَارَ الزَّلْزَالِ الَّذِي وَقَعَ فِي إِحْدَى الْبِلَادِ، وَجَلَسَ فَرْحَانُ بِحِوَارِ أَبِيهِ، وَشَاهَدَ مَا أَحْدَثَهُ الزَّلْزَالُ مِنْ دَمَارٍ، وَرَأَى طَوَاقِمَ الْإِنْقَازِ تَبَحُّثُ عَنِ الْعَالِقِينَ تَحْتَ الْأَنْقَاضِ، وَسَيَّارَاتِ الْإِسْعَافِ تَنْقُلُ الْمَوْتَى وَالْمُصَابِينَ، وَالْحُزْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَهَذَا يَبْحَثُ عَنْ أَهْلِهِ، وَذَاكَ يَبْكِي عَلَى فَقْدَانِ أَحْبَابِهِ، وَعَرَضَتْ الْقَنَوَاتُ الْإِخْبَارِيَّةُ بَعْضَ مَقَاطِعِ الْفِيدْيُو لِلْحُظَّةِ وَقُوعِ الزَّلْزَالِ وَالَّتِي تَمَّ تَصْوِيرُهَا بِكَامِيرَاتِ الْمُرَاقَبَةِ، وَظَهَرَتْ فِيهَا الْعِمَارَاتُ وَهِيَ تَسْقُطُ فِي ثَوَانٍ، وَالْبُيُوتُ تَتَهَدَّمُ فِي لَحْظَاتٍ.

وَأَحْسَ فَرْحَانُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ، وَسَأَلَ أَبَاهُ: لِمَاذَا تَحْدُثُ الزَّلَازِلُ؟ وَلِمَاذَا لَا يَهْرَبُ النَّاسُ قَبْلَ وَقُوعِهَا؟ وَهَلْ سَيَحْدُثُ زَلْزَالٌ عِنْدَنَا؟ وَكَيْفَ نَتَصَرَّفُ عِنْدَمَا يَحْدُثُ؟ وَمَاذَا نَفْعَلُ لَوْ أَنَّهُدَمَ بَيْتُنَا؟ وَمَا مَصِيرُ مَنْ يَمُوتُ بِسَبَبِ الزَّلْزَالِ؟... وَأَجَابَ أَبُوهُ عَنْ أَسْئَلَتِهِ بِصَبْرٍ وَحِكْمَةٍ، حَتَّى هَدَأَ قَلْبُهُ وَأَحْسَّ بِالْأُطْمِئْنَانِ.

وَكَانَ فَرْحَانُ مُسْتَمْتِعًا بِالْحِوَارِ مَعَ أَبِيهِ، وَفَجْأَةً نَظَرَ أَبُوهُ فِي السَّاعَةِ وَقَالَ: لَقَدْ تَأَخَّرَ الْوَقْتُ، وَحَانَ مَوْعِدُ النَّوْمِ... قَالَ فَرْحَانُ: أَنَا أَحِبُّ الْجُلُوسَ مَعَكَ يَا أَبِي، فَلَنَجْلِسَ مَعًا وَقْتًا أَطْوَلَ.. ابْتَسَمَ وَالِدُهُ وَقَالَ: وَأَنَا أَحِبُّ الْجُلُوسَ مَعَكَ يَا بُنَيَّ، لَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَتَأَخَّرَ عَنِ الْمَدْرَسَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: خَمْسُ دَقَائِقَ أُخَرَى لَنْ تُسَبِّبَ مُشْكِلَةً... قَالَ أَبُوهُ: حَسَنًا، خَمْسُ دَقَائِقَ فَقَطْ.

مَرَّتِ الدَّقَائِقُ الْخَمْسُ سَرِيعًا، فَطَلَبَ فَرْحَانُ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالْجُلُوسِ وَقَفًّا أَطْوَلَ، فَرَفَضَ أَبُوهُ بِحَزْمٍ، وَصَمَّمَ عَلَى تَنْفِيزِ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ، فَغَضِبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لَيْتَنِي مِتُّ فِي هَذَا الزَّلْزَالِ وَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ... فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ مُشْكِلَةٌ فِي الْمَدْرَسَةِ فَأَخْبِرْنِي بِهَا حَتَّى أَسَاعِدَكَ فِي حَلِّهَا، لَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَدْعُو عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَوْتِ أَوْ تَتَمَنَّاهُ أَبَدًا، فَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرٍّ أَصَابَهُ (لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ)»... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا أَفْعَلُ إِذَا تَعَبْتُ مِنَ الْحَيَاةِ؟!... قَالَ أَبُوهُ: إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَكَثُرَتْ عَلَيْكَ الْمَصَائِبُ؛ عِنْدَهَا تَدْعُو اللَّهَ وَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»، وَهَذَا مَا عَلَّمَنَا إِيَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ.

شَكَرَ فَرْحَانُ أَبَاهُ وَذَهَبَ إِلَى النَّوْمِ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَفِي الْمَسَاءِ ذَهَبَ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ هُنَاكَ جَرَى نَحْوَ أَبِيهِ قَائِلًا: يَا أَبِي، لَقَدْ وَجَدْتُ فِي الْقُرْآنِ عَكْسَ مَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ بِالْأَمْسِ. تَعَجَّبَ أَبُوهُ وَقَالَ: اهْدَأْ يَا بُنَيَّ، وَأَخْبِرْنِي مَاذَا وَجَدْتُ!!!.

التَّقَطَ فَرْحَانُ أَنْفَاسَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي بِالْأَمْسِ -يَا أَبِي- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا أَلَّا نَتَمَنَّيَ الْمَوْتَ أَبَدًا، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ يَأْمُرُنَا أَنْ نَتَمَنَّيَ الْمَوْتَ!!!. اعْتَزَّضَ أَبُوهُ قَائِلًا: هَذَا مُسْتَحِيلٌ!!! مُسْتَحِيلٌ!!!.

قَالَ فَرْحَانُ: هَذَا مَا وَرَدَ فِي الْآيَاتِ الَّتِي حَفِظْنَاهَا الْيَوْمَ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ إِن زِعَمْتُمْ أَنكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُواْ الْوَمْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الجمعة: 6 - 8]

قال أبوه: لقد تسرعت يا بُني في فهم هذه الآيات، فاجلس حتى أشرحها لك.

جلس فرحان، فقال له أبوه: لقد كان اليهود أيام النبي ﷺ يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه، ويزعمون أن نعيم الآخرة سيكون لهم وخدمهم دون غيرهم من الناس، وهم في ذلك كاذبون، فأمر الله تعالى النبي ﷺ أن يتحداهم ويقول لهم: ﴿...يَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَتُكْمُ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: 6]، فاستجاب النبي ﷺ للأمر الرباني، وقال لليهود: لقد ادعيتكم -كذبًا- أنكم أحباء الله دون غيركم من الناس، فإن كنتم صادقين فتمنوا الموت وادعوا على أنفسكم أن تموتوا؛ حتى تفوزوا بنعيم الآخرة كما تزعمون. قال فرحان: وماذا فعل اليهود يا أبي؟ هل تمنوا الموت ليثبتوا صدقهم؟!.

قال أبوه: لا يا بُني.

قال فرحان: لماذا؟!.

قال أبوه: الإجابة يا بُني في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 7]، فهؤلاء اليهود لا يتمنون الموت أبدًا لأنهم يحبون الحياة، ويكرهون الآخرة؛ خوفًا من عقاب الله لهم على ما قدّموه من الكفر والآثام وسوء الفِعال.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا كَانَ سَيَحْدُثُ لِلْيَهُودِ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ؟.

قَالَ أَبُوهُ: لَوْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَتَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّتُهُمْ فِي الْحَالِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ فِي النَّارِ»⁽¹⁾.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟.

قَالَ أَبُوهُ: انْهَزَمَ الْيَهُودُ فِي التَّحَدِّيِّ، وَظَهَرَ كَذِبُهُمْ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿...إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8]، فَاَلْمَوْتُ الَّذِي تَهْرَبُونَ مِنْهُ -أَيُّهَا الْيَهُودَ- لَا مَفَرَّ مِنْهُ، فَسَوْفَ يَأْتِيكُمْ عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجَالِكُمْ، ثُمَّ تُرْجَعُونَ -يَوْمَ الْبَعْثِ- إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْعَلَانِيَةَ، وَالْجَهْرَ وَالْخَفَاءَ، فَيُخْبِرُكُمْ بِأَعْمَالِكُمُ السَّيِّئَةِ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا بِمَا تَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عِقَابٍ.

شَكَرَ فَرْحَانُ أَبَاهُ، وَوَعَدَهُ أَلَّا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ أَبَدًا، وَأَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي جَاءَتْ فَرْحَانَ رِسَالَةٌ مِنْ مَلِكِ الْغَابَةِ، يَطْلُبُ فِيهَا حُضُورَهُ فِي الْحَالِ، فَأَخْبَرَ فَرْحَانُ وَالِدِيهِ، وَاسْتَأْذَنَ مِنْهُمَا، وَذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ بِسُرْعَةٍ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْأَسَدِ وَجَدَ زُعَمَاءَ الْغَابَةِ يَجْتَمِعُونَ هُنَاكَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَسَلَّاهُمْ عَنْ سَبَبِ اسْتِدْعَائِهِمْ لَهُ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ، فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ: نَعْتَذِرُ عَنْ إِزْعَاجِكَ، لَكِنَّ الْأَمْرَ خَطِيرٌ وَلَا يَحْتَمِلُ التَّأْخِيرُ... قَالَ فَرْحَانُ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْفِيلُ: إِنَّ غَابَتَنَا سَيَحْدُثُ فِيهَا زَلْزَالٌ كَبِيرٌ بَعْدَ أُسْبُوعٍ، وَالْجَمِيعُ يُفَكِّرُ فِي الرَّحِيلِ، وَيَنْتَظِرُونَ

(1) السلسلة الصحيحة للألباني / 7 / 872، وتخرُّج المُسند لشعيب الأرنؤوط ج 2225 وقال: صحيح.

الْقَرَارَ الَّذِي سَنَتَّخِذُهُ الْيَوْمَ... قَالَ فَرْحَانُ: وَإِلَى أَيْنَ سَتَذْهَبُونَ؟... قَالَ النَّمِرُ: إِلَى الْغَابَةِ الْمُجَاوِرَةِ، فَاَلْمَكَانَ هُنَاكَ أَكْثَرُ رَاحَةً وَأَمَانًا.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا، لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَّبَعَ بِمَوْعِدِ حُدُوثِ الزَّلْزَالِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ زِلْزَالٍ كَبِيرٍ سَيَقَعُ فِي الْغَابَةِ بَعْدَ أُسْبُوعٍ مَا هُوَ إِلَّا خُدْعَةٌ كَبِيرَةٌ... قَالَ الْفِيلُ: إِذَا كَانَ هَذَا الزَّلْزَالُ خُدْعَةً فَمَنْ الْمُسْتَفِيدُ مِنْهَا؟!... قَالَ فَرْحَانُ: لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أُجِيبَ عَنْ هَذَا السَّوْالِ الْآنَ، أَعْطُونِي مُهْلَةً حَتَّى الْعَدِ لِأَعْرِفَ الْإِجَابَةَ... قَالَ الْأَسَدُ: حَسَنًا، سَنَجْتَمِعُ غَدًا فِي الْمَوْعِدِ نَفْسِهِ، وَنَتَّخِذُ الْقَرَارَ الْمُنَاسِبَ فِي ضَوْءِ مَا سَيَكْتَشِفُهُ لَنَا فَرْحَانُ.

انْطَلَقَ فَرْحَانُ فِي الْغَابَةِ يَبْحَثُ وَيَسْأَلُ وَيُفَكِّرُ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بَدَأَ الْاجْتِمَاعُ فِي بَيْتِ الْأَسَدِ، فَوَقَّفَ فَرْحَانُ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَقَالَ: إِنَّ الزَّلْزَالَ الْقَادِمَ مَا هُوَ إِلَّا خُدْعَةٌ مِنْ صُنْعِ الصَّيَّادِينَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا عَجَزُوا عَنْ صَيْدِ الْحَيَوَانَاتِ دَاخِلَ الْغَابَةِ، قَرَّرُوا أَنْ يَسْتَخْدِمُوا الْحِيلَةَ لِاسْتِذْرَاجِهِمْ خَارِجَهَا، وَنَشَرُوا أَخْبَارَ الزَّلْزَالِ الْكَاذِبَةِ؛ حَتَّى تَخَافَ الْحَيَوَانَاتُ وَتَخْرُجَ مِنَ الْغَابَةِ، وَعِنْدَهَا تَقَعُ فِي فِخَاخِ الصَّيَّادِينَ، وَيُمْسِكُونَهَا بِكُلِّ سُهُولَةٍ...

صَاحَ النَّمِرُ قَائِلًا: وَكَيْفَ اسْتَطَاعُوا خِدَاعَنَا جَمِيعًا؟!... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِمُسَاعَدَةِ الثَّعْلَبِ مَكَارٍ، فَقَدْ اسْتَخْدَمَ حِيلَةً مَآكِرَةً لِيُخْدَعَكُمْ... قَالَ النَّمِرُ: أَيَّةُ حِيلَةٍ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: حَتَّى يَنْجَحَ الثَّعْلَبُ فِي إِفْنَاعِكُمْ أَنَّ الزَّلْزَالَ سَيَحْدُثُ قَرِيبًا، أَخَذَ بَعْضُكُمْ إِلَى حُدُودِ الْغَابَةِ، وَجَعَلَهُمْ يَشْعُرُونَ أَنَّ الْأَرْضَ تَهْتَرُّ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ... صَاحَ الدَّبُّ

قَائِلًا: لَقَدْ فَعَلَ هَذَا مَعِيَ، وَشَعَرْتُ بِالْفِعْلِ أَنَّ الْأَرْضَ تَهْتَزُّ... قَالَ الْفَهْدُ:
وَأَنَا أَيْضًا... قَالَ التَّمْسَاحُ: وَأَنَا... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ تَفَحَّصْتُ الْمَكَانَ الَّذِي
أَخَذَكُمْ إِلَيْهِ الثَّعْلَبُ، وَاکْتَشَفْتُ أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ قِطْعَةِ خَشَبٍ كَبِيرَةٍ مُغَطَّاةٍ
بِالْحَشَائِشِ، وَمَرْبُوطَةٍ بِجِبَالٍ مَخْفِيَةٍ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَعِنْدَمَا تَقِفُونَ هُنَا
مَعَ الثَّعْلَبِ يَشُدُّ الصِّيَادُونَ الْجِبَالَ، وَيَحْدُثُ الْاهْتِزَازُ، وَتَظُنُّونَ أَنَّ الْأَرْضَ
هِيَ الَّتِي تَهْتَزُّ، وَتُصَدِّقُونَ أَنَّ الزَّلْزَالَ سَيَحْدُثُ قَرِيبًا...

زَارَ الْأَسَدُ فِي غَضَبٍ وَقَالَ: هَذَا الثَّعْلَبُ الْخَائِنُ سَنَقْبِضُ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ،
وَنَجْعَلُهُ يَعْتَرِفُ بِجَرِمَتِهِ أَمَامَ الْجَمِيعِ... قَالَ فَرْحَانُ: قَبْلَ الْقَبْضِ عَلَى
الثَّعْلَبِ، هُنَاكَ خُطْوَةٌ مُهِمَّةٌ عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِهَا... قَالَ الْأَسَدُ: مَاذَا
سَنَفْعَلُ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: إِنْ سُكَّانَ الْغَابَةِ يُصَدِّقُونَ خُدْعَةَ الزَّلْزَالَ
وَيُفَكِّرُونَ فِي الرَّحِيلِ، فَإِذَا أَقْنَعْنَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا طَيِّبًا قَبْلَ مَغَادِرَةِ
الْغَابَةِ، وَأَنْ يُسْعِدُوا بَعْضَهُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ، سَتُصْبِحُ الْغَابَةُ مَكَانًا أَجْمَلَ،
وَعِنْدَهَا نَكْشِفُ خُدْعَةَ الصِّيَادِينَ، وَنُعَاقِبُ الثَّعْلَبَ الْخَائِنَ.

صَاحَ الْجَمِيعُ قَائِلِينَ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ لَكِنْ كَيْفَ نُنْفِذُهَا؟!... قَالَ
الْأَسَدُ: سَأَقُولُ لَكُمْ كَيْفَ نُنْفِذُهَا، سَنُخْبِرُ الْحَيَوَانَاتَ أَنَّنا سَنَرْحَلُ قَبْلَ
حُدُوثِ الزَّلْزَالَ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ، وَخِلَالَ أَيَّامِنَا الْمُتَبَقِّيَةِ فِي الْغَابَةِ سَنُنْطَلِقُ
مَشْرُوعَ «الْإِحْسَانِ الْآخِرِ»، وَفِيهِ يُقُومُ كُلُّ حَيَوَانٍ بِعَمَلٍ طَيِّبٍ يُسْعِدُ
بِهِ غَيْرَهُ، ثُمَّ نَحْتَفِلُ بِمَا حَقَّقْنَاهُ مِنْ إِنْجَازَاتٍ قَبْلَ الرَّحِيلِ مُبَاشَرَةً، وَفِي
هَذَا الْاِخْتِفَالِ نُخْضِرُ الثَّعْلَبَ وَنَجْعَلُهُ يَعْتَرِفُ بِجَرِمَتِهِ أَمَامَ الْجَمِيعِ...
أَعْلَنَ الْحَاضِرُونَ مُوَافَقَتَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْخُطَّةِ، وَبَدَؤُوا تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ.

فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة الزلزال الكاذب...

- اسألهم: عن رأيهم في الخطة التي وضعتها الأسد؟ وما الأعمال الجميلة التي يمكن أن تقوم بها الحيوانات لتُسعد غيرها؟ وما الذي تتوقع أن يفعله كل من: الأسد والنمر والفهد والقرد والسلحفاة والفيل وغيرهم.
- أخبر أبناءك أن النبي ﷺ قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا» [صحيح الأدب المفرد للألباني ح ر 371، وتخريج زاد المعاد لشعيب الأرناؤوط وقال: إسناده صحيح]، يعنِي: إذا ظنَّ أحدكم ظنًّا أكيدًا أنَّ القيامةَ بأشراطها ومُوصافاتها قد قامت، وأنَّ الحياةَ الدُّنيا ستنتهي، وكانت في يده نبتةٌ صغيرةٌ مِنَ النَّخْلِ، فإنَّ اسْتَطَاعَ أن يزرعها في التُّربةِ قبل أن تقوم الساعة، فلْيَغْرِسْهَا ولا يترك عمَلَ الخيرِ.
- تكلم مع أبنائك عن حُسنِ الخاتمة، وأخبرهم أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَغْمَلَهُ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَغْمَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ» وفي رواية: «ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 2142، وصحيح الجامع ح ر 305، وتخريج المسند لشعيب الأرناؤوط ح ر 12036 وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين]، وقال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ، وَهَلْ تَذَرُونَ مَا عَسَلَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ ﷺ: يَفْتَحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِرَانَهُ، أَوْ مَنْ حَوْلَهُ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 3358، وتخريج مشكل الآثار لشعيب الأرناؤوط ح ر 2641، وقال: صحيح].
- احك لأبنائك عن حُسنِ خاتمة الصَّحابة والتَّابعين والصَّالحين، ثم اسألهم: ما العَمَلُ الصَّالح الذي يَتَمَنَّى كُلُّ مِنْكُمْ أن يَمُوتَ وهو يَفْعَلُهُ؟ وأخبرهم بما تَتَمَنَّاهُ لِنَفْسِكَ، وفكِّروا في الخُطُواتِ العَمَلِيَّةِ التي تُسَاعِدُ على تَحْقِيقِ هذه الأُمْنِيَّاتِ.

سُوقِ الْجُمُعَةِ

فِي صَبَاحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ نَادَتْ أُمُّ فَرْحَانَ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ لَهُ: أَحْضِرْ وَرَقَةً وَقَلَمًا؛ لِنَكْتُبَ احْتِيَاجَاتِ الْمَنْزِلِ مِنْ خُضْرَوَاتٍ وَقَاكِهَةٍ وَغَيْرِهَا... أَحْضِرْ فَرْحَانُ الْوَرَقَةَ وَالْقَلَمَ، وَكُتِبَ مَا أَخْبَرْتُهُ بِهِ أُمُّهُ، ثُمَّ فُوجِئَ بِهَا تَقْوِيلُ لَهُ: احْتَفِظْ بِهَذِهِ الْقَائِمَةِ مَعَكَ، وَاسْتَعِدِّ بِسُرْعَةٍ، فَسَتَذْهَبُ مَعَ أَبِيكَ إِلَى السُّوقِ... جَرَى فَرْحَانُ نَحْوَ غُرْفَتِهِ، وَارْتَدَى مَلَابِسَهُ، وَانْطَلَقَ مَعَ أَبِيهِ فِي سَعَادَةٍ، وَفِي الطَّرِيقِ نَظَرَ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: أَنَا سَعِيدٌ بِالْمَشِيِّ مَعَكَ يَا بُنَيَّ... قَالَ فَرْحَانُ: وَأَنَا أَيْضًا يَا أَبِي.

وَبَعْدَ دَقَائِقَ نَظَرَ فَرْحَانُ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ طَرِيقَ السُّوقِ، فإِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ؟!... قَالَ الْوَالِدُ: هُنَاكَ مَرْكَزُ تِجَارِي جَدِيدٍ فُتِحَ بِالْأَمْسِ، وَهُنَاكَ تَخْفِيفَاتٌ مُنَاسِبَةٌ الْإِفْتِتَاحِ، لَكِنَّا لَنْ نَشْتَرِيَ إِلَّا مَا نَحْتَاجُهُ فَقَطُّ.

وَصَلَ فَرْحَانُ مَعَ أَبِيهِ إِلَى الْمَرْكَزِ التِّجَارِيِّ الْجَدِيدِ، فَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ "سُوقِ الْجُمُعَةِ"، فَقَالَ مُتَعَجِّبًا: هَلْ يَفْتَحُ هَذَا الْمَكَانُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَطُّ؟!... قَالَ أَبُوهُ: لَا يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ مَفْتُوحٌ طَوَالَ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ... قَالَ فَرْحَانُ: فَلِمَاذَا اخْتَارُوا هَذَا الْأِسْمَ؟!... قَالَ أَبُوهُ: لَا أَذْرِي!!... قَالَ فَرْحَانُ: أَلَمْ يَجِدُوا اسْمًا آخَرَ؟! كَانُوا يُكِنُّهُمْ أَنْ يُسَمُّوهُ "سُوقِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ" أَوْ "سُوقِ الْأَيَّامِ السَّبْعَةِ" أَوْ... قَاطَعَهُ أَبُوهُ قَائِلًا: هِيََا نَشْتَرِيَ مَا نَحْتَاجُهُ حَتَّى لَا نَتَأَخَّرَ عَلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ.

دَخَلَ فِرْحَانُ مَعَ أَبِيهِ إِلَى "سُوقِ الْجُمُعَةِ"، وَكَانَ الْمَكَانُ كَبِيرًا وَفَخْمًا، وَبِهِ مَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الْخَضِرَوَاتِ وَالْفَاكِهَةِ وَاللُّحُومِ وَالْأَسْمَاكِ وَغَيْرِهَا، فَأَخَذَ الْوَالِدُ إِحْدَى عَرَبَاتِ التَّسْوِقِ، وَأَخْرَجَ فِرْحَانُ قَائِمَةَ الْمُشْتَرِيَّاتِ، وَانْطَلَقَا، وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ مِنَ الْبَحْثِ وَالتَّجَوُّلِ انْتَهَتْ الْمُهْمَّةُ بِنَجَاحٍ، وَوَقَفَ فِرْحَانُ فِي طَابُورٍ دَفَعَ النُّقُودَ لِيُحَاسِبَ عَلَى الْمُشْتَرِيَّاتِ، وَكَانَ الطَّابُورُ طَوِيلًا جِدًّا، فَنَظَرَ فِرْحَانُ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الطَّابُورَ لَنْ يَنْتَهِيَ أَبَدًا!!!... قَالَ أَبُوهُ: أَشْغَلْ نَفْسَكَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكُلَّمَا طَالَ وَقْتُ الْإِنْتِظَارِ زَادَتْ صَلَوَاتُكَ وَحَسَنَاتُكَ⁽¹⁾.

عَمِلَ فِرْحَانُ بِوَصِيَّةِ أَبِيهِ، وَبَعْدَ طَوِيلِ إِنْتِظَارٍ وَصَلَ آخِرًا إِلَى الْمُوظَّفِ الْمَسْئُولِ عَنِ الْحِسَابِ، فَأَحَسَّ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ، وَفَجْأَةً سَمِعَ أَحَدَهُمْ يَقُولُ فِي الْإِذَاعَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلسُّوقِ: نَعْتَذِرُ لِعَمَلَانَا الْكَرَامِ، لَقَدْ اقْتَرَبَتْ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ، وَسَنَتَوَقَّفُ الْآنَ عَنِ الْبَيْعِ، وَنَسْعَدُ بِاسْتِقْبَالِكُمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

غَضِبَ فِرْحَانُ وَصَاحَ قَائِلًا: هَذَا ظُلْمٌ!!!... فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: اصْبِرْ يَا بُنَيَّ، فَكُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَكُونُ أَجْمَلَ... نَظَرَ فِرْحَانُ لِلرَّجُلِ وَقَالَ: وَمَا شَأْنُكَ أَنْتَ؟!... فَنَهَرَهُ أَبُوهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَأَدَّبَ، فَاعْتَذَرَ فِرْحَانُ لِلرَّجُلِ، وَانْصَرَفَ صَامِتًا، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ رَجَعَ فِرْحَانُ مَعَ أَبِيهِ إِلَى الْمَرْكَزِ التِّجَارِيِّ، فَأَخْبَرَهُمَا أَحَدُ الْمُوظَّفِينَ أَنَّ الْمُدِيرَ يُرِيدُ رُؤْيَاهُمَا، فَذَهَبَا إِلَى مَكْتَبِهِ، وَلَمَّا رَأَاهُ فِرْحَانُ صَاحَ قَائِلًا: أَلَسْتَ أَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي نَصَحَنِي بِالصَّبْرِ وَأَنَا أَسَأْتُ الْأَدَبَ مَعَهُ؟!... قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ أَنَا، وَسَأُثْبِتُ لَكَ

(1) تكلم مع أبنائك عن فضل الصلاة على النبي ﷺ في جميع الأيام عامة وفي يوم الجمعة خاصة.

أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَكُونُ أَجْمَلًا، إِنَّ جَمِيعَ مُشْتَرِيَاتِكَ الْيَوْمَ هَدِيَّةٌ مِنَّا لَكَ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَصَاحَ قَائِلًا: وَمَنْ تَكُونُ أَنْتَ؟!... ابْتَسَمَ الرَّجُلُ فِي هُدُوءٍ وَقَالَ: أَنَا مَالِكُ هَذَا الْمَكَانِ.

شكر فرحانُ ووالده الرجلُ، واعتذرَ فرحانُ له مرَّةً أُخرى، ثم قالَ له: عِنْدِي سُؤَالٌ لَوْ تَسَمَّحُ لِي، لِمَاذَا سَمَّيْتَ هَذَا الْمَرْكَزَ التِّجَارِي "سُوقَ الْجُمُعَةِ"؟!... ابْتَسَمَ الرَّجُلُ وَقَالَ: إِنَّهَا حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ، فَاجْلِسَا حَتَّى أَحْكِيَهَا لَكُمَا.

جَلَسَ فَرْحَانُ هُوَ وَوَالِدُهُ، وَبَدَأَ الرَّجُلُ يَحْكِي حِكَايَتَهُ، فَقَالَ: أَنَا مِنْ أُسْرَةٍ فَقِيرَةٍ، وَكَانَ أَبِي -رَحِمَهُ اللَّهُ- تَاجِرًا بَسِيطًا، يَبِيعُ بَعْضَ الْخَضِرَوَاتِ وَالْفَاكِهَةِ فِي السُّوقِ، وَكَانَ يُرْسِلُنِي يَوْمِيًّا إِلَى الْكِتَابِ (حَلَقَةُ التَّحْفِيزِ)، وَعِنْدَمَا أَرْجِعُ يَسْأَلُنِي عَمَّا حَفِظْتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَاتَ يَوْمٍ أَخْبَرْتُهُ أَنَّي حَفِظْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١﴾ فَإِذَا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿[الجمعة: 9، 10]... وَلَمَّا سَمِعَ أَبِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَبْحَثَ عَنْ تَفْسِيرِهِمَا.

قَالَ فَرْحَانُ: وَلِمَاذَا بَكَى وَالِدُكَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟!... تَنَهَّدَ الرَّجُلُ وَقَالَ: فِي الْبِدَايَةِ لَمْ أَعْرِفْ سَبَبَ بُكَائِهِ، فَبَحَثْتُ عَنِ التَّفْسِيرِ كَمَا أَمَرَنِي، ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ يَنَادِي لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَيَقُولُ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ... فَاتْرُكُوا الْبَيْعَ، وَادْهَبُوا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَاسْتَمِعُوا لِحُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَذَلِكَ خَيْرٌ

لَكُمْ وَأَحْسَنَ، فَإِذَا انْتَهَتْ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فَاتَّشِرُوا فِي الْأَرْضِ بَحْثًا عَنِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَسَعْيًا فِي قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ، وَخِلَالَ بَحْثِكُمْ عَنِ الرِّزْقِ وَسَعْيِكُمْ فِي الْحَيَاةِ لَا تَنْسُوا ذِكْرَ اللَّهِ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، فَإِنَّ الْإِكْتَارَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ فَرحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَ أَبُوكَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عِنْدَمَا سَمِعَ هَذَا التَّفْسِيرَ؟!... دَمَعَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ وَقَالَ: بَكَى أَبِي كَثِيرًا، وَقَالَ: سَامِحْنِي يَا رَبِّ، فَقَدْ كُنْتُ أَبِيعُ وَقْتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَا أَمَرْتَ بِهِ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ، وَأُعَاهِدُكَ يَا رَبِّ أَنَّنِي مِنَ الْيَوْمِ لَنْ أَبِيعَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَسَأَذْكُرُكَ كَثِيرًا.

وَسَكَتَ الرَّجُلُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: وَلَقَدْ وَفَّى أَبِي بِعَهْدِهِ مَعَ اللَّهِ، وَمَا مَاتَ اشْتَغَلْتُ بِالتَّجَارَةِ بَعْدَهُ، وَمَشَيْتُ عَلَى نَهْجِهِ، فَوَجَدْتُ الْفَلَاحَ فِي الْعَمَلِ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ لَنْ رَزَقَنِي مِنْ فَضْلِهِ لَأَفْتَحَنَّ سُوقًا كَبِيرًا، وَأُسَمِّهِ «سُوقَ الْجُمُعَةِ» تَذْكِيرًا بِأَهْمِيَّةِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَتَكْرِيمًا لِأَبِي.

شَكَرَ فَرحَانُ وَوَالِدَهُ الرَّجُلَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى كَرَمِهِ وَحُسْنِ ضِيَافَتِهِ، وَدَعَا لِأَبِيهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ، فَأَخْبَرَ فَرحَانُ أُمَّهُ وَإِخْوَتَهُ بِمَا حَدَثَ لَهُ، وَحَكَى لَهُمْ قِصَّةَ سُوقِ الْجُمُعَةِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فَرحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَهُ الْيَوْمِيِّ مِنَ الْقُرْآنِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سُوقِ الْغَابَةِ لِيَشْتَرِيَ بَعْضَ الْمَوَازِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ وَجَدَ السُّوقَ قَدْ اخْتَفَى، فَلَا تَجَّارَ وَلَا زَبَّائِنَ وَلَا بَضَائِعَ، فَنَظَرَ فَرحَانُ حَوْلَهُ مُتَعَجِّبًا، وَفَجْأَةً رَأَى الْقِرْدَ التَّاجِرَ يَقْفِزُ بَيْنَ

الأشجار، فنادى عليه وسأله: أين ذهب السوق؟!... قال القردُ بلهجة حزينية: لقد أغلق منذ أيام... قال فرحان: لماذا؟!... قال القردُ: لقد قرَّرَ سبعة من أقوىاء الحيوانات أن يفتحوا سوقًا جديدًا، ووضعوا خطة مأكرة للقضاء على السوق القديم، حتى لا يكون لهم منافس، وللأسف نجحت خطتهم الخبيثة، وخسر صغار التجار أموالهم، وأغلقوا محلاتهم، ولم يعد في الغابة إلا السوق الجديد... قال فرحان: وأنت ماذا فعلت أيها القرد؟!... دمت عينا القرد وقال: لقد خسرت كل شيء وأغلقت محلي في السوق القديم، وأصبحت عاملاً في السوق الجديد بعد أن كنت تاجرًا، وهذا حال كثير من التجار الضعفاء أمثالي.

سكت فرحان لحظات ثم قال: وماذا تفعل أيها القرد لمن يفتح لك محلّك مرة أخرى ويجعلك تعود للتجارة؟!... قال القرد: سأعطيه الموز مجانًا لمدة عام... ابتسم فرحان وقال: اتفقنا... تحمس القرد وقال: وماذا ستفعل؟!... ابتسم فرحان وقال: سأذهب إلى السوق الجديد وأشتري موزًا... صاح القرد في غضب وقال: كنت أعلم أنك تسخر مني، وأنتك لن تفعل شيئًا!!!.

ومرت الأيام، وزار فرحان الغابة مرة أخرى، ومَرَّ على مكان السوق القديم، فوجده قد عاد للعمل من جديد، فالمحلات مفتوحة، والبضائع كثيرة، والتجار يبيعون في سعادة، ورأى فرحان القرد التاجر يقف في محلة ويبيع الموز بنشاط، فذهب فرحان إليه، وهناك على عودته للتجارة، وطلب منه ثلاثة كيلو موز، فوزن القرد كمية الموز المطلوبة، فأخذها فرحان وأنصرف دون أن يدفع ثمنها، فنادى عليه القرد قائلاً:

أَيْنَ النُّقُودِ؟!... ابْتَسَمَ فَرَحَانُ وَقَالَ: هَذَا الْمَوْزُ مَجَانًّا... تَعَجَّبَ الْقِرْدُ وَقَالَ: لِمَاذَا؟!... قَالَ فَرَحَانُ: لِأَنَّ هَذَا مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ... غَضِبَ الْقِرْدُ وَقَالَ: أَيُّ اتِّفَاقٍ هَذَا؟!... قَالَ فَرَحَانُ: لَقَدْ اتَّفَقْنَا إِنْ جَعَلْتُكَ تَفْتَحُ مَحَلَّكَ وَتَعُودُ لِلتَّجَارَةِ مَرَّةً أُخْرَى، أَنْ تُعْطِيَني الْمَوْزَ مَجَانًّا لِمُدَّةِ عَامٍ، وَهَآ أَنتَ تَقِفُ فِي مَحَلِّكَ وَتَبِيعُ الْمَوْزَ... وَضَعَ الْقِرْدُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ: آه لَقَدْ تَذَكَّرْتُ، لَكِنِّي لَنْ أُنْفِذَ هَذَا الْإِتِّفَاقَ إِلَّا إِذَا أَخْبَرْتَنِي كَيْفَ فَعَلْتَ ذَلِكَ، وَأَعِدُّكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَيَبْقَى سِرًّا بَيْنَنَا.

جَلَسَ فَرَحَانُ فِي مَحَلِّ الْقِرْدِ، وَبَدَأَ يَحْكِي لَهُ مَا حَدَثَ، فَقَالَ: لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلَى الْفِيلِ (أَحَدِ مُلَّاكِ السُّوقِ الْجَدِيدِ)، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ هَذَا الْمَشْرُوعَ الْكَبِيرَ يَنْقُضُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْمٌ جَمِيلٌ، وَلَنْ نَجِدَ اسْمًا أَجْمَلَ مِنْ: «سُوقِ الْفِيلِ وَشُرْكَاهُ»، فَالْمَكَانُ بِدُونِ ذِكَايِ الْفِيلِ وَحِكْمَتِهِ لَا قِيَمَةَ لَهُ... ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى النَّمِرِ وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ هَذَا السُّوقَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ اسْمٌ، وَأَجْمَلُ اسْمٍ هُوَ «سُوقِ النَّمِرِ وَشُرْكَاهُ»، فَالْمَكَانُ لَا يُسَاوِي شَيْئًا دُونَ حِمَايَةِ النَّمِرِ الْقَوِي، وَهَكَذَا فَعَلْتُ مَعَ بَاقِي الشُّرَكَاءِ السَّبْعَةِ، حَتَّى اقْتَنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّ السُّوقَ الْجَدِيدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِاسْمِهِ وَحْدَهُ، وَهَكَذَا حَدَثَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ، وَفَضَحُوا بَعْضُهُمْ، وَكَشَفُوا خِدَاعَهُمْ، وَهَدَمُوا سُوقَهُمْ، وَعَادَتْ الْحَيَاةُ لِلسُّوقِ الْقَدِيمِ.



فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة سُوقِ الْجُمُعَةِ...

- اسأَلَهُمْ: عن رأيِهِمْ في الخُطَّةِ التي وُضِعَتْها فرحانُ لإِعَادَةِ السُّوقِ القَدِيمِ إلى العَمَلِ وِرْفَعِ الظُّلَمِ عن الحيوانَاتِ الضَّعِيفَةِ؟ وهل لَدَى أَحَدِهِمْ فِكْرَةٌ أُخْرَى؟
- تَكَلَّمْ مع أبنائك عَن فَضْلِ التَّبَكُّيرِ إلى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وأخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فيما رواه البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ (واللفظُ له): «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ (مِمَّنْ يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ لِلصَّلَاةِ)، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ (صَعِدَ الْمِنْبَرَ لِيَخْطُبَ) طَوَّأُوا الصُّحُفَ، وَجَاوُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ (دَخَلَتِ الْمَلَائِكَةُ وَتَرَكَتْ كِتَابَةً مَّنْ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِيَسْتَمِعُوا إِلَى خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ)، وَمَثَلُ الْمُهْجَرِ (الْمُبَادِرِ إِلَى الصَّلَاةِ قَبْلَ النَّاسِ) كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي الْبَدَنَةَ (كَمَنْ يَتَصَدَّقُ بِجَمَلٍ)، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقْرَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْكَبْشَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَيْضَةَ».
- حَذَّرْ أَبْنَاءَكَ مِنَ التَّأَخُّرِ عَن صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَاَلنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «احْضَرُوا الذِّكْرَ (الْخُطْبَ وَدُرُوسَ الْعِلْمِ كَخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَغَيْرَهَا) وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ (اجْلِسُوا قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ وَذَلِكَ بِالْحُضُورِ مُبَكَّرًا) فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتْبَاعِدُ (يَتَأَخَّرُ) فِي الْحُضُورِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَتَّبَعِدُ عَنِ الْإِمَامِ) حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا (يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي تَأْخِيرِهِ عَن دُخُولِ الْجَنَّةِ)» [السلسلة الصحيحة للألباني ج 365، وتخريج سنن أبي داود لشعيب الأرناؤوط ج 1108، وقال: إسناده صحيح].
- حَذَّرْهُمْ مِنَ التَّكَاسُلِ عَن صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَاَلنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فيما رواه مُسْلِمٌ: «لَيَنْتَهِينَ أَقْوَامٌ عَن وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ (تَرْكِهِمْ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ)، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ (يَمْلُؤَهَا قَسْوَةً وَجَهْلًا، وَيَمْنَعُهَا لُطْفَهُ وَفَضْلَهُ)، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»، وقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوَنًا بِهَا، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ» [تخريج سنن أبي داود لشعيب الأرناؤوط ج 1052، وقال: صحيح لغيره].

الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةُ

عِنْدَمَا أَتَمَّ فَرْحَانُ حِفْظَ جُزْءِ تَبَارَكَ، فَرِحَ وَالِدَاهُ كَثِيرًا، وَقَرَّرَا أَنْ يُقِيمَا لَهُ اخْتِفَالًا كَبِيرًا، يَحْضُرُهُ كُلُّ أَطْفَالِ الْعَائِلَةِ؛ فَتَحَمَّسَ فَرْحَانُ لِلْفِكْرَةِ، وَكَتَبَ مَعَ وَالِدَيْهِ أَسْمَاءَ مَنْ سَيَحْضُرُونَ الْاِخْتِفَالَ، وَدَعَاَهُمْ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَهَّزَ الْمَلَابِسَ الَّتِي سَيَرْتَدِيهَا فِي الْحَفْلِ، وَكَتَبَ الْكَلِمَةَ الَّتِي سَيُلْقِيهَا أَمَامَ الْحَاضِرِينَ، وَأَعَدَّتْ أُمُّهُ أَشْهَى أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ إِكْرَامًا لِلزَّائِرِينَ.

وَفِي الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ حَضَرَ أَبْنَاءُ الْأَعْمَامِ وَالْعَمَّاتِ وَأَبْنَاءُ الْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ، وَامْتَلَأَ الْبَيْتُ بِالزَّائِرِينَ، وَأَحْسَّ فَرْحَانُ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ لِأَنَّهُ نَجَّمَ الْحَفْلَ، وَوَقَفَ أَمَامَ الْحَاضِرِينَ وَبَدَأَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ فَضْلِ الْقُرْآنِ، وَيَحْكِي لَهُمْ بَعْضَ الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا أَثْنَاءَ الْحِفْظِ، وَالْمَوَاقِفَ الْجَمِيلَةَ الَّتِي حَدَّثَتْ لَهُ، وَفَجْأَةً صَاحَ أَحَدُهُمْ قَائِلًا: الطَّعَامُ جَاهِزٌ... فَاِنْطَلَقَ الْجَمِيعُ نَحْوَ الْمَائِدَةِ، وَتَرَكُوا فَرْحَانَ وَاقِفًا وَحْدَهُ، فَأَحْسَّ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ لِأَنَّهُ لَمْ يُكْمِلْ كَلِمَتَهُ، وَطَوَى الْوَرَقَةَ الَّتِي كَانَ يَقْرَأُ مِنْهَا، وَرَمَاهَا بَعِيدًا.

وَشَاهَدَ وَالِدُ فَرْحَانَ ذَلِكَ، فَأَخَذَ الْوَرَقَةَ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى فَرْحَانَ وَقَالَ: لَا تَحْزَنْ يَا بُنَيَّ، فَأَنْتَ لَسْتَ أَوَّلَ مَنْ يَتْرُكُهُ النَّاسُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ (يَخْطُبُ)... بَكَى فَرْحَانُ وَقَالَ: وَهَلْ حَدَّثَ هَذَا الْمَوْقِفَ السَّيِّئَ مَعَ أَحَدٍ غَيْرِي؟!... قَالَ أَبُوهُ: بَلْ حَدَّثَ مَعَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، حَدَّثَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ!!!... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: كَيْفَ؟! وَمَتَى؟! وَلِمَاذَا؟!... أَشَارَ

أَبُوهُ نَحْوَ الْمَائِدَةِ وَقَالَ: إِذَا لَمْ نَلْحَقْ بِالطَّعَامِ، فَسَيَقْضِي عَلَيْهِ ضِيُوفُنَا الْكَرَامَ، فَهَيَّا بِنَا نَأْكُلْ، وَعِنْدَمَا يَنْتَهِي الْحَفْلُ سَأُخِي لَكَ كُلَّ شَيْءٍ.

مَسَحَ فَرحَانُ دُمُوعَهُ، وَذَهَبَ إِلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ، وَأَكْمَلَ الْحَفْلَ بِهَدُوءٍ، وَمَلَّا انْصَرَفَ الْجَمِيعُ طَلَبَ مَنْ أَبِيهِ أَنْ يَخِي لَهُ مَا حَدَّثَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُوهُ: حَسَنًا يَا بُنَيَّ، ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَاقِفًا عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ الْجُمُعَةَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَالصَّحَابَةُ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ ﷺ فِي هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ، وَفَجْأَةً سَمِعُوا صَوْتَ طُبُولٍ تُقْرَعُ، فَعَلِمُوا أَنَّ هُنَاكَ قَافِلَةً تِجَارِيَّةً قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مَعَ كُلِّ قَافِلَةٍ طُبُولٌ تُقْرَعُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ بِوُصُولِهَا، فَخَرَجَ الصَّحَابَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ بِسُرْعَةٍ لِيَلْحَقُوا بِالْقَافِلَةِ، وَيَشْتَرُوا مِنْهَا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ وَاقِفًا عَلَى الْمِنْبَرِ، وَلَمْ يَنْتَظِرُوا حَتَّى يَنْتَهِيَ ﷺ مِنَ الْخُطْبَةِ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنُوا مِنْهُ ﷺ.

صَاحَ فَرحَانُ قَائِلًا: وَهَلْ خَرَجَ الْجَمِيعُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَتَرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ وَخَدَهُ؟!.

قَالَ أَبُوهُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَقَدْ بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَتَابَعْتُمْ (انْصَرَفْتُمْ جَمِيعًا) حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ؛ لَالْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الْوَادِي نَارًا» يَعْني: لِأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْعَذَابَ عِقَابًا عَلَى مَا فَعَلْتُمُوهُ، فَكَانَ مَنْ بَقِيَ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبَبًا فِي حِمَايَةِ الْجَمِيعِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

قَالَ فَرحَانُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟.

قَالَ أَبُوهُ: نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: 11]،

وفي هذه الآية يُعَاتِبُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصَّحَابَةَ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ وهو قَائِمٌ (وَاقِفٌ) على الْمِنْبَرِ، وَذَهَبُوا إِلَى الْقَافِلَةِ التَّجَارِيَّةِ.

سَكَتَ فَرْحَانُ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْآيَةَ وَيُرَدِّدُهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ صَاحَ قَائِلًا: لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي يَا أَبِي أَنَّ الصَّحَابَةَ تَرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ الْجُمُعَةَ بِسَبَبِ الْقَافِلَةِ التَّجَارِيَّةِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَذَكِّرُ سَبَبًا آخَرَ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَوَّاخِ حَرَةً أُولَئِكَ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾، فَمَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي تَرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ بِسَبَبِهِ؟!!

ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: سُؤَالَكَ جَمِيلٌ يَا بُنَيَّ، وَلَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَعُونَ الطُّبُولَ عِنْدَمَا تَصِلُ الْقَافِلَةُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ بِقُدُومِهَا، وَعِنْدَمَا وَصَلَ صَوْتُ الطُّبُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ خَرَجَ بَعْضُ الْمُصَلِّينَ لِيَشْتَرُوا مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنَ الْقَافِلَةِ التَّجَارِيَّةِ، وَخَرَجَ الْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ أَجْلِ الْاسْتِمْتَاعِ بِالطُّبُولِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ اللُّهُو الْمُصَاحِبَةِ لِلْقَافِلَةِ، وَإِذَا كَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِتَابٌ لِمَنْ تَرَكَ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَجْلِ التَّجَارَةِ، فَإِنَّ فِيهَا تَوْبِيخًا لِمَنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِ اللُّهُو.

دَمَعَتْ عَيْنَا فَرْحَانَ وَسَكَتَ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ أَبُوهُ بِحَنَانٍ وَقَالَ: لِمَاذَا تَبْكِي يَا بُنَيَّ؟!!... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّنِي حَزِينٌ بِسَبَبِ مَا حَدَّثَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ كَيْفَ يَتْرُكُهُ الصَّحَابَةُ وَاقِفًا عَلَى الْمِنْبَرِ وَيَنْصَرِفُونَ؟!! وَكَيْفَ يَتْرُكُونَ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَذْهَبُونَ؟!! وَكَيْفَ يَتْرُكُونَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَيَرْحَلُونَ؟!!

فَحَضَنَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: لَا تَحْزَنْ يَا حَبِيبِي، فَهُنَاكَ مُفَاجَأَةٌ سَتُفْرِجُ قَلْبَكَ... قَالَ فَرْحَانُ: أَيَّةُ مُفَاجَأَةٍ؟!!... قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، مِثْلَ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ،

فَالصَّحَابَةُ -عَلَيْهِم رِضْوَانُ اللَّهِ- كَانُوا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَجْلِسُونَ لِسَمَاعِ الْخُطْبَةِ، فَلَمَّا جَاءَتْ الْقَافِلَةُ ظَنُّوا أَنَّ الْخُرُوجَ بَعْدَ الصَّلَاةِ جَائِزٌ... اعْتَرَضَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَكِنَّهُمْ تَرَكُوا خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ!!!... قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ، وَلِذَلِكَ عَاتَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَنَّةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ لِمَنْ جَلَسَ مُسْتَمِعًا لِخُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْهَا، خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التَّجَارَةِ الَّتِي يَنْفَضُونَ إِلَيْهَا، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، فَأَطِيعُوهُ لِنَتَّالُوا مَا عِنْدَهُ مِنْ خَيْرٍ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ؟... قَالَ أَبُوهُ: قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْخُطْبَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ -كَمَا نَفَعَلُ الْآنَ- وَتَعَلَّمَ الصَّحَابَةُ الدَّرْسَ؛ فَمَا تَرَكُوا خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا.

شَكَرَ فَرْحَانُ وَالِدَهُ، وَذَهَبَ إِلَى غُرْفَتِهِ، وَمَدَّدَ فِي سَرِيرِهِ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِيمَا حَدَّثَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَوْ كُنْتُ مُوجُودًا أَيَّامَ النَّبِيِّ ﷺ مَا تَرَكْتُ خُطْبَتَهُ أَبَدًا، وَمَا شَغَلَنِي عَنْهَا لَهْوٌ أَوْ تِجَارَةٌ.

وَأَغْمَضَ فَرْحَانُ عَيْنَيْهِ وَنَامَ، وَبَدَأَ يَحْلُمُ، فَرَأَى فِي الْحُلْمِ أَنَّهُ نَائِمٌ فِي ظِلِّ إِحْدَى أَشْجَارِ الْغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَتْ الْعُصْفُورَةُ وَأَيَّقَظَتْهُ قَائِلَةً: مَا هَذَا يَا فَرْحَانُ، أَنْتَ نَائِمٌ هُنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ الْجُمُعَةَ فِي مَسْجِدِ الْقَرْيَةِ الْمُجَاوِرَةِ... تَتَأَبَّ فَرْحَانُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَيْسَ وَقْتُ الْمَزَاحِ أَيُّهَا الْعُصْفُورَةُ... صَاحَتْ الْعُصْفُورَةُ قَائِلَةً: إِنِّي لَا أُمَزِحُ مَعَكَ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فَادْهَبْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَسْجِدِ... فَقَفَزَ فَرْحَانُ فِي سَعَادَةٍ وَقَالَ: هَذَا أَجْمَلُ خَبَرٍ سَمِعْتُهُ فِي حَيَاتِي.

وَانْطَلَقَ فَرحَانُ نَحْوَ مَسْجِدِ الْقَرْيَةِ، وَفِي الطَّرِيقِ مَرَّ عَلَى الْقِرْدِ التَّاجِرِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَمَشَى بِسُرْعَةٍ، فَنَادَى عَلَيْهِ الْقِرْدُ قَائِلًا: أَلَنْ تَشْتَرِيَ الْمَوْزَ الَّذِي تُحِبُّهُ؟!!... قَالَ فَرحَانُ: لَيْسَ الْآنَ، فَأَنَا فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِي... قَالَ الْقِرْدُ: وَلَكِنِّي سَأَعْرِضُ عَلَيْكَ صَفْقَةً رَابِحَةً، سَأَبِيعُ لَكَ عَشْرَةَ كِيلُو مَوْزٍ بِسِعْرِ كِيلُو وَاحِدٍ فَقَطْ... نَظَرَ إِلَيْهِ فَرحَانُ وَقَالَ: لَا بُدَّ أَنْ هَذَا مَوْزٌ سَيِّئٌ... صَاحَ الْقِرْدُ قَائِلًا: إِنَّهُ مَوْزٌ مِنَ النُّوعِ الْفَاحِرِ، وَأَنَا سَأَبِيعُهُ لَكَ بِسِعْرِ مُخَفَّفٍ لِأَنَّكَ صَدِيقِي... تَفَحَّصَ فَرحَانُ الْمَوْزَ جَيِّدًا ثُمَّ قَالَ: حَسَنًا، سَأَقْبَلُ عَرْضَكَ الْكَرِيمَ، شُكْرًا لَكَ.

أَخَذَ فَرحَانُ الْمَوْزَ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ، وَمَرَّ بِجَوَارِ النَّهْرِ، فَرَأَى الْحَيَوَانَاتِ تَجْتَمِعُ هُنَاكَ وَتَصِيحُ فِي سَعَادَةٍ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ اجْتِمَاعِهِمْ وَصِيَاحِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ هُنَاكَ سَبَاقًا كَبِيرًا فِي الْمَاءِ بَيْنَ التَّمَّاسِيحِ وَأَفْرَاسِ النَّهْرِ، وَأَنَّ السَّبَاقَ أَوْشَكَ عَلَى النِّهَايَةِ، فَوَقَفَ فَرحَانُ يُشَاهِدُ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْحَمَاسِيَّةَ.

وَانْتَهَى السَّبَاقُ، وَتَعَادَلَ الْفَرِيقَانِ، فَاِنْطَلَقَ فَرحَانُ مِنْ جَدِيدٍ نَحْوَ الْمَسْجِدِ، وَبَعْدَ بَضْعِ خُطَوَاتٍ أَوْقَفَهُ الثُّغْلُبُ قَائِلًا: عِنْدِي لُغْزٌ جَدِيدٌ لَنْ تَعْرِفَ إِجَابَتَهُ أَبَدًا... قَالَ فَرحَانُ: لَا وَقْتُ عِنْدِي لِلْأَلْغَازِ... قَالَ الثُّغْلُبُ: أَنَا أَتَحَدَّكَ، لَوْ عَرَفْتَ حَلَّ هَذَا اللَّغْزِ سَأُعْطِيكَ مُكَافَأَةً كَبِيرَةً... تَحَمَّسَ فَرحَانُ وَقَالَ: قَبِلْتُ التَّحَدِّي... ابْتَسَمَ الثُّغْلُبُ بِمَكْرٍ وَقَالَ: حَسَنًا، مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي كُلَّمَا أَخَذْتَ مِنْهُ زَادَ حَجْمُهُ؟... صَاحَ فَرحَانُ قَائِلًا: إِنَّهَا الْحُفْرَةُ، هَيَّا أُعْطِنِي الْمُكَافَأَةَ بِسُرْعَةٍ... قَالَ الثُّغْلُبُ: حَسَنًا، امْشِرْ ثَلَاثَ خُطَوَاتٍ إِلَى الْأَمَامِ وَسَتَجِدُ الْمُكَافَأَةَ تَحْتَ قَدَمَيْكَ... سَمِعَ فَرحَانُ

كَلَامِ الثُّغْلَبِ، وَمَشَى ثَلَاثَ خُطَوَاتٍ، فَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ كَانَ الثُّغْلَبُ قَدْ
أَخْفَاهَا بِجُذُوعِ الْأَشْجَارِ، وَضَحِكَ الثُّغْلَبُ قَائِلًا: لَقَدْ خَدَعْتُكَ.

خَرَجَ فَرْحَانُ مِنَ الْحُفْرَةِ، وَانْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ يَجْرِي
وَيَجْرِي حَتَّى وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ، لَكِنَّهُ وَجَدَ الْمَسْجِدَ مُغْلَقًا، وَسَمِعَ صَوْتًا
يَقُولُ لَهُ: لَقَدْ تَأَخَّرْتَ، وَلَنْ تَرَى النَّبِيَّ ﷺ الْيَوْمَ، لَكِنَّكَ إِذَا حَافَظْتَ
عَلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَأَتَيْتَ إِلَى الْمَسْجِدِ مُبَكِّرًا، وَاسْتَمَعْتَ إِلَى الْخُطْبَةِ
جَيِّدًا، فَقَدْ تَرَاهُ يَوْمًا مًا.

أَحَسَّ فَرْحَانُ بِالْحُزْنِ يَمَلَأُ قَلْبَهُ، وَبَكَى بِشِدَّةٍ، وَفَجَأَةً اسْتَيْقَظَ مِنَ
النُّومِ، فَرَأَى أُمَّهُ تَقِفُ بِجِوَارِ سَرِيرِهِ، وَتَقُولُ لَهُ: مَاذَا بَكَ يَا بُنَيَّ؟!
لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَبْكِي وَأَنْتَ نَائِمٌ!!!... مَسَحَ فَرْحَانُ دُمُوعَهُ، وَجَلَسَ، ثُمَّ
حَكَى لِأُمِّهِ الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةَ الَّتِي رَأَاهَا، فَحَضَنْتُهُ أُمُّهُ وَقَالَتْ: لَا تَحْزَنْ
يَا حَبِيبِي، فَإِذَا كُنْتَ قَدْ حُرِمْتَ مِنْ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ هَذِهِ الْمَرَّةَ،
فَهُنَاكَ أَمَلٌ أَنْ تَرَاهُ ﷺ فِي الْمَنَامِ يَوْمًا مًا، بِشَرَطِ أَنْ تَعْمَلَ بِمَا سَمِعْتَهُ
وَتَعَلَّمْتَهُ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا... تَحَمَّسَ فَرْحَانُ وَقَالَ: سَأَفْعَلُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

شَكَرَ فَرْحَانُ أُمَّهُ، وَأَحْضَرَ وَرَقَةً وَقَلَمًا، وَكَتَبَ الْوَصِيَّةَ الَّتِي سَمِعَهَا فِي
الرُّؤْيَا، ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ: مِنَ الْيَوْمِ لَنْ أَسْمَحَ لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْ يُؤْخِرَنِي عَنْ
صَلَاةِ الْجُمُعَةِ أَبَدًا، وَسَأَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ مُبَكِّرًا، وَسَأُنِصُّ لِلْخُطِيبِ جَيِّدًا.

بعد أن تحكي لأبنائك قصة الرؤيا العجيبة...

• أَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «مَنْ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قَدَّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ (الْإِمَامُ) مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفُضِّلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»، وَفِي رَوَايَةٍ لِلْإِمَامِ مُسْلِمٍ قَالَ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ (لِلْخُطِيبِ)، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى (انْشَغَلَ عَنِ الْخُطْبَةِ بِاللَّعِبِ بِحَصَا الْمَسْجِدِ أَوْ غَيْرِهِ) فَقَدْ لَغَا»، يَعْنِي: انْشَغَلَ بِمَا لَا فَايِدَةَ مِنْهُ مِنْ كَلَامٍ وَأَفْعَالٍ، فَيُحْرَمُ مِنْ ثَوَابِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ الْوَارِدِ فِي الْحَدِيثِ، وَمَنْ تَكَلَّمَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ الْجُمُعَةَ فَقَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الثَّوَابِ الْكَبِيرِ، حَتَّى لَوْ قَالَ لِمَنْ بِجَوَارِهِ: أَنْصِتْ وَاسْتَمِعْ لِلْخُطْبَةِ.

• اتَّفَقَ مَعَ أَبْنَائِكَ عَلَى بَعْضِ الْأَفْكَارِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَهْتَمُّونَ بِخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا، كَأَنْ تَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ مُبَكَّرًا وَتَجْلِسُوا قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ تَجْعَلُهُمْ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، وَتُخَصِّصُ لَهُمْ كَشْكُولًا لِكِتَابَةِ مَوْضُوعَاتِ الْخُطْبَةِ الْأُسْبُوعِيَّةِ، وَتَجْتَمِعُ مَعَهُمْ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَتُناقِشُهُمْ فِي مَوْضُوعِ الْخُطْبَةِ، وَتَسْأَلُهُمْ: مَاذَا تَعَلَّمْتُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْخُطْبَةِ؟ وَهَكَذَا.

• اجْعَلْ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ أَطْعِمَةً وَبَرَامِجَ خَاصَّةً تُسْعِدُ أَبْنَاءَكَ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ تَجْعَلُ عَلَى أَرْبَعَاءَ (تَزْرَعُ عَلَى جَدُولِ مَاءٍ صَغِيرٍ) فِي مَرْزَعَةٍ لَهَا سِلْقًا (نَبَاتِ السَّلْقِ)، فَكَانَتْ إِذَا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ تَنْزِعُ أَصُولَ السَّلْقِ، فَتَجْعَلُهُ فِي قَدْرِ، ثُمَّ تَجْعَلُ عَلَيْهِ قَبْضَةً مِنْ شَعِيرٍ تَطْحَنُهَا (وَتَطْبُخُهَا)، فَتَكُونُ أَصُولُ السَّلْقِ عَرْقَهُ (يَعْنِي: مَكَانَ اللَّحْمِ)، وَكُنَّا نَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَنَسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتَقْرُبُ ذَلِكَ الطَّعَامَ إِلَيْنَا، فَتَلْعَقُهُ (نَأْكُلُهُ)، وَكُنَّا نَتَمَنَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِبَطْعَامِهَا ذَلِكَ.

مَحْكَمَةُ الْغَابَةِ

ذات يوم ذهب فرحانُ إلى حلقة التَّحْفِيزِ مُبَكَّرًا؛ وجلسَ في مكانه المُفَضَّل، لكنَّهُ فُوجِئَ بأحدهم يَأْمُرُهُ أَنْ يَقُومَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ؛ بِحِجَّةِ أَنَّهُ حَجَزَهُ قَبْلَهُ، فَرَفَضَ فرحانُ أَنْ يَتْرُكَ مَكَانَهُ وَتَمَسَّكَ بِحَقِّهِ، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الْوَلَدِ إِلَّا أَنْ شَتَّمَهُ وَأَسَاءَ إِلَيْهِ، فَكَظَمَ فرحانُ عَيْظَهُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ شَكَاهُ إِلَيْهِ، فَنَادَى الشَّيْخُ عَلَى هَذَا الْوَلَدِ وَسَأَلَهُ: هَلْ شَتَّمْتَ زَمِيلَكَ؟!!! قَالَ الْوَلَدُ: لَا يَا شَيْخَنَا... فَأَعْتَرَضَ فرحانُ قَائِلًا: بَلْ شَتَّمْتَنِي... قَالَ الْوَلَدُ: أَقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّنِي لَمْ أَشْتُمَكَ... قَالَ فرحانُ: أَنْتَ تَكْذِبُ... قَالَ الْوَلَدُ: أَنَا لَا أَكْذِبُ، وَعِنْدِي شُهُودٌ.

وَاسْتَدْعَى الْوَلَدُ بَعْضَ زُمَلَائِهِ، فَشَهِدُوا بِبِرَاءَتِهِ، وَأَقْسَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَشْتُمْ أَحَدًا... فَبَكَى فرحانُ وَقَالَ: هَذَا ظُلْمٌ، لَقَدْ شَتَّمْتَنِي، وَهُوَ يَكْذِبُ يَا شَيْخَنَا، وَهَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ يَشْهَدُونَ الزُّورَ... فَقَالَ الشَّيْخُ: حَسَنًا، سَأَحْكُمُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الْحِفْظِ، هَيَّا اجْلِسُوا فِي أَمَاكِنِكُمْ.

جَلَسَ الْأَوْلَادُ، وَهَذَا الْجَمِيعُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: الْيَوْمَ سَنَبْدَأُ حِفْظَ سُورَةِ (الْمُنَافِقُونَ)، هَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ يَا أَوْلَادُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝۱﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝۲﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 1 - 3].

وَمَا أَتَقْنِ الْأَوْلَادُ تِلَاوَةَ الْآيَاتِ، قَالَ الشَّيْخُ: لَمَّا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَثُرَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحُوا قُوَّةَ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا، قَرَّرَ عِدَّةٌ مِنْ كُفَّارِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَخْدَعُوا الْمُسْلِمِينَ، فَأَعْلَنُوا دُخُولَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ أَمَامَ النَّاسِ، وَظَلُّوا عَلَى الْكُفْرِ فِي السِّرِّ، فَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ... قَالَ أَحَدُ الْأَوْلَادِ: وَلِمَاذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ الشَّجَاعَةَ لِمُوَاجَهَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ لِيَحْمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَيَحَافِظُوا عَلَى مَكَانَتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَارَبُوا الْمُسْلِمِينَ سِرًّا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ بِذَلِكَ يَخْدَعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ لِتَكْشِفَهُمْ، وَتُحَذِّرَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ... فَقَالَ وَلَدٌ آخَرُ: وَلِمَاذَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِسُورَةِ «الْمُنَافِقُونَ»؟!... قَالَ الشَّيْخُ: لِأَنَّهَا فَضَحَتْهُمْ، وَذَكَرَتْ صِفَاتِهِمْ الذَّمِيمَةَ، وَطَبَاعَهُمُ الْقَبِيحَةَ، وَأَفْعَالَهُمُ السَّيِّئَةَ، وَيَكَادُ حَدِيثُهَا يَكُونُ مَقْصُورًا عَلَيْهِمْ، وَعَلَى أَكَاذِبِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ.

وَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ ثُمَّ قَالَ: هَلْ يَعْرِفُ أَحَدُكُمْ حَيَوَانَ الْيَرْبُوعِ (الْجَرْبُوع)؟!... نَظَرَ الْأَوْلَادُ لِبَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ، وَقَالُوا: وَمَا عِلَاقَةُ الْجَرْبُوعِ بِالْمُنَافِقِينَ؟!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: اضْبُرُوا وَسَتَفْهَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ... فَقَالَ فَرِحَانُ: أَنَا أَعْرِفُهُ يَا شَيْخَنَا، فَهُوَ يَعِيشُ فِي جُحْرِ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَلِجُحْرِهِ فَتَحَتَانِ (بَابَانِ)، الْفَتْحَةُ الْأُولَى تَكُونُ ظَاهِرَةً لِلْجَمِيعِ، أَمَّا الْفَتْحَةُ الثَّانِيَةُ فَيُخْفِيهَا الْجَرْبُوعُ بِطَرِيقَةٍ مَآكِرَةٍ، فَهُوَ لَا يَحْفَرُهَا إِلَى نِهَائِتِهَا، بَلْ يَتْرُكُ فِي أَعْلَاهَا طَبَقَةً رَقِيقَةً مِنَ الْأَرْضِ، فَإِذَا هَاجَمَهُ أَحَدُهُمْ مِنَ الْفَتْحَةِ الظَّاهِرَةِ، دَفَعَ بِرَأْسِهِ الطَّبَقَةَ الرَّقِيقَةَ فِي الْفَتْحَةِ الْمَخْفِيَةِ وَيَخْرُجُ هَارِبًا... قَالَ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَلَقَدْ سُمِّيَ الْمُنَافِقُ مُنَافِقًا

تَشْبِيهَا بِخِدَاعِ الْجَرْبُوعِ وَبِالنَّفَقِ الَّذِي يَخْفِرُهُ، فَالْجَرْبُوعُ يَدْخُلُ مِنْ بَابٍ وَيَخْرُجُ مِنْ آخَرٍ، وَالْمُنَافِقُ يَدْخُلُ الْإِسْلَامَ مِنْ بَابٍ وَيَخْرُجُ مِنْ بَابٍ آخَرَ، وَالْجَرْبُوعُ ظَاهِرُ جُحْرِهِ أَرْضٌ وَبَاطِنُهُ حَفْرٌ، وَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَبَاطِنُهُ كُفْرٌ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ بَدَأَتْ سُورَةُ (الْمُنَافِقُونَ) بِالْحَدِيثِ عَنْ صِفَةٍ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِهِمُ الدِّمِيمَةِ، وَهِيَ الْكَذِبُ وَالْخِدَاعُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتُنَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتُنَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: 1]، فَإِذَا حَضَرَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى مَجْلِسِكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، وَقَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ... وَحَلَفُوا عَلَى ذَلِكَ، فَلَا تُصَدِّقْهُمْ؛ لَأَنَّ كَلَامَهُمْ هَذَا لَا يُؤَافِقُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ يَشْهَدُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَقَطْ وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ لَسْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى شَهَادَتِهِمْ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى صِفَةً ثَانِيَةً مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ الدِّمِيمَةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ إِذَا وَقَعُوا فِي مُشْكَلَةٍ، وَأَحْسَسُوا أَنَّ الْعِقَابَ سَيَنْزِلُ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ وَيُقْسِمُونَ كَذِبًا لِيَحْمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأَذَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: 2]، وَالْإِيْمَانُ هِيَ: جَمْعُ يَمِينٍ، وَهُوَ الْقَسَمُ وَالْحَلِفُ، وَالْجُنَّةُ هِيَ: مَا يَسْتَخْدِمُهُ الْمُقَاتِلُ لِيَحْمِيَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الضَّرَبَاتِ كَالدَّرْعِ وَغَيْرِهِ، فَالْمُنَافِقُونَ يَحْتَمُونَ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ مِنَ الْعِقَابِ، كَمَا يَحْتَمِي الْمُقَاتِلُ بِالدَّرْعِ مِنَ الضَّرَبَاتِ، وَإِذَا حَمَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ عِقَابِ الدُّنْيَا بِالْيَمِينِ الْكَاذِبِ، فَلَنْ يُفْلِتُوا مِنْ عِقَابِ الْآخِرَةِ، وَسَيَكُونُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

وسكت الشيخ لحظات ثم قال: والآن سنحكمُ في قضية فرحان، فوقف الولدُ المتهم وقال: اسمعني أولاً يا شيخنا، أنا سأقول الحقيقة، لقد شتمت فرحان، وحلفتُ كذباً لأحمي نفسي من الأذى، وأتيتُ بشهود الزور لينقذوني من العقاب، وأنا أعترف بخطي، وأستغفر ربي وأتوب إليه، ومن اليوم لن أكون مثل المنافقين الكاذبين أبداً، ولن أحلف كذباً لأنجو من العقاب.

وقال الشهود: ونحن نعتفُ بخطئنا، فقد شهدنا زوراً، وحلفنا كذباً، ومن اليوم لن نشهد إلا بالحق، ولن نقول إلا الصدق.

وقال فرحان: أما أنا فقد سامحتكم جميعاً، ومن اليوم سيسود الحب بيننا.

فقال الشيخ: بارك الله فيكم يا أولادي، هكذا يكون أهل القرآن، نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين الصادقين، وأن يحفظنا من أفعال المنافقين.

وفي اليوم التالي ذهب فرحان إلى الغابة، وجلس في مكانه المفضل عند الشجرة الكبيرة، وقرأ ورده اليوم من القرآن، وبعدها ذهب لزيارة محكمة الغابة؛ ليُشاهد القاضي وهو يحكم بين الحيوانات، ويتعلم من حكمته وذكائه.

ولما وصل فرحان إلى هناك رأى مشهداً عجيباً، فقد كانت المحكمة على غير عادتها - خالية تماماً، ولا يوجد بها أحد غير القاضي، فاقترَب فرحان منه، وسلم عليه، ثم قال: خيراً أيها القاضي، لماذا تجلس وحدك؟!... ردَّ القاضي السلام، ثم قال: لم يأت أحد إلى المحكمة اليوم!!!... قال فرحان: قد يكون اليوم إجازة... قال القاضي: لا، فاليوم

يَوْمَ عَمَلٍ طَبِيعِيٍّ... قَالَ فَرْحَانُ: لَعَلَّ الْحَيَوَانَاتِ ذَهَبَتْ إِلَى مَحْكَمَةِ أُخْرَى... قَالَ الْقَاضِي: لَا، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَحْكَمَةٌ أُخْرَى فِي غَابَتِنَا... قَالَ فَرْحَانُ: لَعَلَّ الْحَيَوَانَاتِ تَصَالَحَتْ مَعَ بَعْضِهَا، وَأَنْهَتْ الْخُصُومَةَ فِيمَا بَيْنَهُمَا... قَالَ الْقَاضِي: لَا، فَالْخِلَافَاتُ بَيْنَهُمْ كَثِيرَةٌ، وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَهُمْ عَظِيمَةٌ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: إِذَا لَمَّاذَا غَابَ الْجَمِيعُ عَنِ الْمَحْكَمَةِ الْيَوْمَ؟!... تَهَدَّدَ الْقَاضِي ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَقَدُوا الثِّقَةَ فِي الْأَحْكَامِ الَّتِي نُصْدِرُهَا... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَمَّاذَا؟!..

سَكَتَ الْقَاضِي ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْحُكْمَ فِي أَيِّ قَضِيَّةٍ يَعْتَمِدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ، هِيَ: الْقَاضِي وَالْقَانُونُ وَالشُّهُودُ، وَإِذَا اخْتَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا جَاءَ الْحُكْمُ مَعِيبًا، وَفِي غَابَتِنَا فَسَدَ الرُّكْنُ الثَّلَاثُ مِنْ أَرْكَانِ الْقَضَاءِ وَهُمْ الشُّهُودُ... قَالَ فَرْحَانُ: كَيْفَ؟!... قَالَ الْقَاضِي: لَقَدْ انْتَشَرَ شُهُودُ الزُّورِ فِي غَابَتِنَا، لِدَرَجَةٍ أَنَّ هُنَاكَ مَقْهَى بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَحْكَمَةِ يُسَمَّى «مَقْهَى شُهُودِ الزُّورِ»، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ شَاهِدَ زُورٍ فِي قَضِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْمَقْهَى، وَيُخْضِرُ أَحَدَ شُهُودِ الزُّورِ لِيَشْهَدَ بِمَا يُرِيدُ، وَهَكَذَا فَسَدَتِ الْأَحْكَامُ، وَعَمَّ الظُّلْمُ، وَفَقَدَ الْجَمِيعُ الثِّقَةَ فِي الْمَحْكَمَةِ.

تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: آهٍ مِنْ شُهُودِ الزُّورِ هَؤُلَاءِ، كَمْ كَسَرُوا قُلُوبًا، وَخَرَّبُوا بُيُوتًا، وَنَصَرُوا ظَالِمًا، وَقَهَرُوا مَظْلُومًا، وَأَحْرَزُوا ضَعِيفًا، وَأَسْعَدُوا لَيْثِيًّا، وَحَانَ الْوَقْتُ لِنُوقِفَهُمْ عِنْدَ حَدِّهِمْ... قَالَ الْقَاضِي: وَكَيْفَ سَنَفْعَلُ ذَلِكَ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: سَنَضْعُ مَعًا خُطَّةً لِلْقَضَاءِ عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ فِي الْغَابَةِ.

ظَلَّ الْقَاضِي يَتَنَاقَشُ مَعَ فَرْحَانَ وَقْتًا طَوِيلًا، ثُمَّ اتَّفَقَا عَلَى مَا يَلِي:

■ نَعْلِنُ أَنَّ الْمَحْكَمَةَ تَعَطَّلَتْ بِسَبَبِ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَإِذَا لَمْ تَعُدْ لِلْعَمَلِ خِلَالَ أَسْبُوعٍ فَإِنَّ مَلِكَ الْعَابَةِ سَيُغْلِقُهَا نِهَائِيًّا، وَهَنَا سَيَخَافُ شُهُودُ الزُّورِ؛ لِأَنَّ الْمَحْكَمَةَ إِذَا أُغْلِقَتْ سَيَفْقِدُ شُهُودُ الزُّورِ وَظِيْفَتَهُمْ، وَلَنْ يَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِمْ.

■ يُصْدِرُ الْقَاضِي قَانُونًا جَدِيدًا لِلشَّهَادَةِ، وَتَكُونُ فِيهِ عُقُوبَةٌ رَادِعَةٌ لِشَاهِدِ الزُّورِ، وَيُنْشَرُ هَذَا الْقَانُونُ فِي الْعَابَةِ، ثُمَّ تَقُومُ بَعْضُ الْحَيَوَانَاتِ بِإِقَامَةِ بَعْضِ الْقَضَايَا الْوَهْمِيَّةِ، وَيَسْتَعِينُونَ بِشُهُودِ الزُّورِ، وَيَتِمَّ كَشْفُهُمْ فِي الْمَحْكَمَةِ وَمُعَاقَبَتُهُمْ؛ حَتَّى يَخَافَ الْبَاقُونَ وَلَا يَشْهَدُوا زُورًا.

■ الْإِعْلَانُ عَنْ وَظِيفَةٍ مُمَيَّزَةٍ فِي الْمَحْكَمَةِ، وَهِيَ وَظِيفَةُ «كَاشِفِ شَاهِدِ الزُّورِ»، وَأَفْضَلُ مَنْ يَقُومُ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ هُمْ شُهُودُ الزُّورِ أَنْفُسُهُمْ، فَلَا يَكْشِفُ شَاهِدُ الزُّورِ إِلَّا شَاهِدَ زُورٍ مِثْلَهُ، وَمَنْ يَتَقَدَّمُ لِهَذِهِ الْوِظِيفَةِ يُعَادُ تَأْهِيلُهُ أَخْلَاقِيًّا وَنَفْسِيًّا، وَيُوضَعُ تَحْتَ الْاِخْتِبَارِ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَتَكُونُ هُنَاكَ عُقُوبَةٌ رَادِعَةٌ فِي حَالَةِ إِخْلَالِهِ بِمَهَامِ وَظِيفَتِهِ.

■ اخْتِيَارَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْخُبَرَاءِ الْأُمْنَاءِ لِيَقُومُوا بِتَحْوِيلِ مَقْهَى شُهُودِ الزُّورِ إِلَى مَقْهَى الصَّادِقِينَ، وَإِعْطَاؤَهُمْ كَافَّةَ الْإِمْكَانَاتِ وَالصَّلَاحِيَّاتِ الْإِلَازِمَةِ، بَحِثَ يَقُومُونَ بِإِعَادَةِ تَأْهِيلِ شُهُودِ الزُّورِ، وَإِيجَادِ فُرْصٍ عَمَلٍ مُنَاسِبَةٍ لَهُمْ، وَإِشْرَاكِهِمْ فِي تَوْعِيَةِ الصَّغَارِ بِخَطُورَةِ شَهَادَةِ الزُّورِ.



فكرة تربوية

بعد أن تخيي لأبنائك قصة مَحْكَمَةِ الْغَاثَةِ...

- اسأَلَهُمْ: عَنْ رَأْيِهِمْ فِي الْخُطَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الْقَاضِي مَعَ فَرْحَانَ لِمُحَارَبَةِ شَهَادَةِ الزُّورِ؟ وَهَلْ سَتَنْجَحُ؟ وَهَلْ لَدَى أَحَدِهِمْ فِكْرَةٌ أُخْرَى تُضَافُ لِهَذِهِ الْخُطَةِ؟ وَهَلْ تَعَرَّضَ أَحَدُهُمْ يَوْمًا لِشَهَادَةِ الزُّورِ؟ وَمَاذَا حَدَّثَ مَعَهُ؟.
- شَجَّعَ أَبْنَاءَكَ عَلَى الْبَحْثِ أَكْثَرَ عَنْ حَيَوَانَ الْيَرْبُوعِ أَوْ الْجَرْبُوعِ وَالْقِرَاءَةِ عَنْهُ، وَشَاهَدَ مَعَهُمْ بَعْضَ الْفَدْيُوهُاتِ الَّتِي تُوضِّحُ طَرِيقَةَ حَيَاتِهِ.
- كَلَّمَهُمْ عَنْ خُطُورَةِ شَهَادَةِ الزُّورِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» (يَعْنِي: أَكْظَمَ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرُهَا إِمَّا وَأَشَدُّهَا عَذَابًا)، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وَكَانَ ﷺ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، فَمَا زَالَ ﷺ يَكْرِّرُهَا حَتَّى قَالَ الْحَاضِرُونَ (فِي أَنْفُسِهِمْ): لَيْتَهُ ﷺ سَكَتَ (بِسَبَبِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ، أَوْ شَفَقَةٍ عَلَيْهِ ﷺ وَكَرَاهِيَةٍ لِمَا يُزْعِجُهُ).
- أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يُعَجِّلُ عُقُوبَةَ بَعْضِ الذُّنُوبِ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَنْتَظِرُ صَاحِبَهَا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعِقَابِ، مِثْلَ تَعْجِيلِ عُقُوبَةِ قَاطِعِ الرَّحِمِ، وَالظَّالِمِ، وَحَالِفِ الْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ (الظُّلْمِ)، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ» [صحيح الجامع للألباني ح ر 5391]، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ يَعْنِي: مَنْ يَخْلِفُ عَلَى شَيْءٍ كَاذِبًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَبِلَاقِعٍ جَمْعُ بَلَقْعٍ وَبَلَقَعَةٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَفْرُ الَّتِي لَا شَجَرَ فِيهَا، وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ حَالِفَ الْإِيمَانِ الْكَاذِبَةَ يَفْتَقِرُ، وَيَذْهَبُ مَا فِي بَيْتِهِ مِنَ الْمَالِ، أَوْ يُفَرِّقُ اللَّهُ شَمْلَهُ وَيُغَيِّرُ مَا أَعْطَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ [تاج العروس 11/30].

كَانَ فَرحَانُ عِنْدَمَا يَرْجِعُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ يَطْرُقُ الْبَابَ بِاسْتَعْجَالٍ، وَأَوَّلُ مَا تَفْتَحُ لَهُ أُمُّهُ يَصِيحُ قَائِلًا: مَاذَا سَنَأْكُلُ الْيَوْمَ؟! أَنَا جَوْعًا!!!!!!... فَتَبْتَسِمُ أُمُّهُ وَتَقُولُ: هَذَاكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ... فَيَتَنَهَّدُ فَرحَانُ وَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، مَاذَا سَنَأْكُلُ؟!... فَتَرُدُّ أُمُّهُ السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ بِمَا طَبَخَتْهُ الْيَوْمَ، وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُغَيِّرَ مَلَابِسَهُ، وَيَتَوَضَّأَ وَيَصَلِّيَ، حَتَّى تُجَهِّزَ لَهُ الطَّعَامَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ رَجَعَ فَرحَانُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ حَزِينًا، وَدَخَلَ الْبَيْتَ صَامِتًا، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: مَاذَا بَكَ يَا بُنَيَّ؟!... قَالَ فَرحَانُ: لَا شَيْءَ!!!!... قَالَتْ أُمُّهُ: أَنَا أَعْرِفُكَ جَيِّدًا يَا حَبِيبِي، هُنَاكَ شَيْءٌ يُحْزِنُكَ!!!!... دَمَعَتْ عَيْنَا فَرحَانُ وَقَالَ: صَدِيقِي خَدَعَنِي وَخَانَنِي!!!!... قَالَتْ أُمُّهُ: كَيْفَ؟!... قَالَ فَرحَانُ: لَقَدْ كُنْتُ أَثِقُ بِهِ، وَأَحْيَى لِي كُلَّ أَسْرَارِي، حَتَّى أَنَّنِي أَخْبَرْتُهُ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي أَخَافُ مِنْهَا، فَقَدْ كُنْتُ أَعْتَبِرُهُ مِثْلَ أَخِي... قَالَتْ أُمُّهُ: وَمَاذَا فَعَلَ صَدِيقُكَ هَذَا؟!... قَالَ فَرحَانُ: بِالْأَمْسِ حَدَّثَ بَيْنَنَا خِلَافٌ بَسِيطٌ، فَقَرَّرَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنِّي، وَنَشَرَ أَسْرَارِي عَلَى أَحَدِ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ (الْفَيْس بوك)!!!!... صَاحَتْ أُمُّهُ قَائِلَةً: كَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟!... هَذِهِ خِيَانَةٌ!!!!... بَكَى فَرحَانُ وَقَالَ: لَقَدْ فَضَحَنِي أَمَامَ زُمَلَائِي، وَشَوَّهَ صُورَتِي أَمَامَ الْجَمِيعِ!!!!... حَضَنْتَهُ أُمُّهُ وَقَالَتْ: لَا تَحْزَنْ يَا بُنَيَّ، فَسَيَرُفُكَ اللَّهُ بِصَدِيقٍ أَحْسَنَ مِنْهُ.

دَخَلَ فَرحَانُ غُرْفَتَهُ وَجَلَسَ صَامِتًا وَحَزِينًا، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ دَخَلَ عَلَيْهِ
أَبُوهُ وَهُوَ يَحْمِلُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْعِصِيِّ الْخَشَبِيَّةِ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، يَا بُنَيَّ، هِيََا اخْتَرْ عَصَا... نَظَرَ فَرحَانُ إِلَى أَبِيهِ
بِاسْتِغْرَابٍ، فَابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: اخْتَرْ عَصَا، وَسَتَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ... تَأَمَّلْ
فَرحَانُ الْعِصِيَّ، وَاخْتَارَ وَاحِدَةً مِنْ بَيْنِهِنَّ... فَقَالَ أَبُوهُ: الْآنَ أَخْبِرْنِي لِمَاذَا
اخْتَرْتَ هَذِهِ الْعَصَا بِالذَّاتِ؟!... قَالَ فَرحَانُ: لِأَنَّ شَكْلَهَا جَمِيلٌ... قَالَ
أَبُوهُ: إِنَّ اخْتِيَارَ الْأَصْدِقَاءِ -يَا بُنَيَّ- يُشَبِّهُ اخْتِيَارَ هَذِهِ الْعَصَا تَمَامًا!!!...
تَعَجَّبَ فَرحَانُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!... قَالَ أَبُوهُ: نَحْنُ أحيانًا نَخْتَارُ حَسَبَ
الشَّكْلِ وَالْمَظْهَرِ، وَنَنْسَى الْأَصْلَ وَالْجَوْهَرَ، فَالْعَصَا الَّتِي اخْتَرْتَهَا جَمِيلَةٌ
وَمُؤَنَّةٌ، لَكِنَّهَا ضَعِيفَةٌ وَيَسْهُلُ كَسْرُهَا، وَلَا يُمَكِّنُكَ الْاعْتِمَادُ عَلَيْهَا.

سَكَتَ فَرحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَقْصِدُ يَا أَبِي أَنِّي لَمْ أَحْسِنَ اخْتِيَارَ
صَدِيقِي هَذَا؟!... قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِي صِغَرِي
مِثْلَكَ تَمَامًا، حَتَّى حَفِظْتُ سُورَةَ (الْمُنَافِقُونَ)... قَالَ فَرحَانُ: كَيْفَ؟!...
قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ كُنْتُ اخْتَارَ الْأَصْدِقَاءَ حَسَبَ شَكْلِهِمْ وَمَظْهَرِهِمْ، وَلَا
أَفْكَرُ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، حَتَّى حَفِظْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ
تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِبُونَ
كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنُلْهِمُ اللَّهُ أُنًى يُؤْفِكُونَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: 4]،
فَهَذِهِ الْآيَةُ تَصِفُ حَالِ الْمُنَافِقِينَ أَيَّامَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَيْفَ كَانَ شَكْلُهُمْ
وَكَلَامُهُمْ، فَهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ هَيْئَاتُهُمْ وَمَنَاطِرُهُمْ؛
وَذَلِكَ لِوَسَامَتِهِمْ وَحُسْنِ خَلْقَتِهِمْ، وَإِنْ يَتَكَلَّمُوا تَسْتَمِعُ إِلَيْهِمْ بِإِنصَاتٍ
وَيُعْجِبُكَ حَدِيثُهُمْ؛ وَذَلِكَ لِفَصَاحَةِ أَلْسِنَتِهِمْ وَحَلَاوَةِ كَلَامِهِمْ... قَالَ

فرحان: إذا كانَ هذا حَالَهُمْ، فَمَا هُوَ عَيْبُهُمْ؟!... قال أبوه: عَيْبُهُمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، يُعْلِنُونَ مَحَبَّتَهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَيُخْفُونَ عَدَاوَتَهُ، يَنْصُرُونَ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ وَيُحَارِبُونَهُ فِي السِّرِّ، فَقُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَعُقُولُهُمْ فَارِغَةٌ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَأَفْعَالُهُمْ بَعِيدَةٌ عَنِ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، فَهُمْ كَالْخَشَبِ الْمُسْنَدَةِ؛ لَا نَفْعَ فِيهَا وَلَا فَائِدَةَ... قَالَ فرحان: وَمَا هِيَ «الْخَشَبُ الْمُسْنَدَةُ» يَا أَبِي؟!..

سَكَتَ وَالِدُ فرحانِ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: الْخَشَبُ مُفِيدٌ جَدًّا لِلإِنْسَانِ، وَنَحْنُ نَسْتَخْدِمُهُ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟... قَالَ فرحان: نَعَمْ، فَنَحْنُ نَصْنَعُ مِنْهُ الْأَثَاثَ، وَالشَّبَابِيكَ، وَمَشَابِكَ الْغَسِيلِ، وَبُنَيَّ بِهِ الْبُيُوتَ الْخَشَبِيَّةَ، وَنَصْنَعُ مِنْهُ الْعِصِيَّ الَّتِي يَسْتَنْدُ عَلَيْهَا كِبَارُ السَّنِّ، وَنَسْتَخْدِمُهُ فِي التَّدْفِئَةِ، وَغَيْرِهَا... قَالَ أبوه: أَحَسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَالْآنَ عِنْدَمَا أَضَعُ هَذِهِ الْعِصِيَّ الْخَشَبِيَّةَ بِجَوَارِ الْجِدَارِ، وَأَسْنُدُهَا عَلَيْهِ، وَأَتْرَكُهَا هُنَاكَ دُونَ اسْتِخْدَامِ، فَمَا فَائِدَتُهَا؟!... قَالَ فرحان: لَا فَائِدَةَ مِنْهَا!!... قَالَ أبوه: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا بُنَيَّ، وَهَذِهِ هِيَ «الْخَشَبُ الْمُسْنَدَةُ»، فَهِيَ مَسْنُودَةٌ عَلَى الْجِدَارِ، لَا فَائِدَةَ فِيهَا وَلَا نَفْعَ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الْمُتَنَافِقِينَ؛ لَا فَائِدَةَ فِيهِمْ، وَلَا نَفْعَ يَرْتَجَى مِنْ وَرَائِهِمْ.

قَالَ فرحان: وَمَا عِلَاقَةُ الْمُتَنَافِقِينَ بِاخْتِيَارِ الْأَصْدِقَاءِ يَا أَبِي؟!... قَالَ أبوه: سُؤَالُكَ جَمِيلٌ يَا بُنَيَّ، وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُمُ الْأَعْدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ﴾، يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُتَنَافِقُونَ هُمُ الْعَدُوُّ الْحَقِيقِيُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، لِأَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْحُبَّ وَيُبْطِنُونَ الْكَرَاهِيَّةَ، وَالْعَدُوُّ الظَّاهِرُ أَهْوَنُ مِنَ الْعَدُوِّ الْمَاكِرِ الْمُخَادِعِ... قَالَ فرحان: وَكَيْفَ أَحْذَرُهُمْ؟!... قَالَ أبوه: لَا

تَخْدَعُ بِشَكْلِهِمُ الْحَسَنَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَلَامِهِمُ الْجَمِيلَ، وَخُذْ حَذَرَكَ مِنْهُمْ؛
فَلَا تُصَاحِبْهُمْ، وَلَا تَأْمَنْ لَهُمْ، وَلَا تُخْبِرْهُمْ بِأَسْرَارِكَ.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: وَكَيْفَ أَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ؟!... قَالَ
أَبُوهُ: النَّفَاقُ سِرٌّ فِي الْقَلْبِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: إِذَا
كُنْتُ لَا أَعْرِفُهُمْ؛ فَكَيْفَ أَحْذَرُ مِنْهُمْ؟!... قَالَ أَبُوهُ: لَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ
ﷺ بِبَعْضِ صِفَاتِهِمْ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا فِي أَحَدِهِمْ فَاحْذَرْ مِنْهُ، وَلَا تَخْدَعْ
بِشَكْلِهِ الْوَسِيمِ وَلَا بِكَلَامِهِ الْجَمِيلِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَإِذَا اتَّصَفَ أَحَدُ
الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هَلْ يُصْبِحُ مُنَافِقًا؟!... قَالَ أَبُوهُ: لَا يَا بُنَيَّ،
فَهُوَ مُسْلِمٌ كَرِيمٌ، لَكِنْ فِيهِ خُلُقٌ ذَمِيمٌ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَا صِفَاتُ
الْمُنَافِقِينَ يَا أَبِي؟... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: لَنْ أَخْبِرَكَ بِهَا، وَابْحَثْ أَنْتَ عَنْهَا.

انْطَلَقَ فَرْحَانُ يَبْحَثُ عَنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ فِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمَّا عَرَفَهَا
مَدَحَهُ أَبُوهُ، وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَكْتَشِفُهَا، وَكَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ مَنْ يَتَّصِفُ بِهَا.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ
يَقْرَأُ وَرَدَّهُ الْيَوْمِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَعْدَهَا تَجَوَّلَ فِي الْغَابَةِ، فَوَجَدَ
الْحَيَوَانَاتِ تَجْتَمِعُ حَوْلَ الْقِطِّ مَخْدُوعٍ، وَالْجَمِيعُ يُهْنِئُهُ وَيُبَارِكُ لَهُ،
فَاقْتَرَبَ فَرْحَانُ مِنْهُمْ، وَقَالَ: خَيْرًا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْخُرُوفُ: لَقَدْ وَرِثَ
الْقِطُّ مَخْدُوعَ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَفْتَحَ مَشْرُوعًا تِجَارِيًّا
كَبِيرًا، يَخْدُمُ أَبْنَاءَ الْغَابَةِ.

بَارَكَ فَرْحَانُ لِلْقِطِّ مَخْدُوعٍ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَشْرُوعِهِ الْجَدِيدِ، فَقَالَ الْقِطُّ:
أَنَا سَأَفْتَحُ مَحَلًّا كَبِيرًا لِأَطْعِمَةَ الْحَيَوَانَاتِ... قَالَ فَرْحَانُ: هَذِهِ فِكْرَةٌ

جَمِيلَةً، وَلَكِنْ هَلْ لَدَيْكَ خِبْرَةٌ فِي التَّجَارَةِ وَالْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ؟... قَالَ الْقِطُّ:
لَا، وَلِذَلِكَ سَأُشَارِكُ أَحَدَ الْخُبَرَاءِ، وَسَيَكُونُ هُوَ الْمَسْئُولَ عَنْ إِدَارَةِ الْمَكَانِ...
قَالَ فَرْحَانُ: وَكَيْفَ سَتُخْتَارُ شَرِيكَكَ هَذَا؟... ضَحِكَ الْقِطُّ وَقَالَ بِفَخْرٍ:
لَقَدْ اخْتَرْتُهُ بِالْفِعْلِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَنْ يَكُونُ؟... قَالَ الْقِطُّ: إِنَّهُ النَّمِرُ
وَسِيمٌ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: وَلِمَازَا اخْتَرْتَهُ دُونَ غَيْرِهِ؟.

سَكَتَ الْقِطُّ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْ أَجْمَلٍ وَأَذْكَى حَيَوَانٍ فِي
الْغَابَةِ، فَلَمْ أَجِدْ أَفْضَلَ مِنَ النَّمِرِ وَسِيمٌ... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: هَذَا خَطَأٌ
كَبِيرٌ، فَالشَّرَاكَةُ النَّاجِحَةُ لَا تُبْنَى عَلَى الشَّكْلِ الْجَمِيلِ وَحُسْنِ الْمَظْهَرِ...
اعْتَرَضَ الْقِطُّ وَقَالَ: لَا يَا صَدِيقِي، هَذِهِ الشَّرَاكَةُ سَتَكُونُ نَاجِحَةً جَدًّا،
فَالنَّمِرُ سَيَجْذِبُ الزَّبَائِنَ بِشَكْلِهِ الْوَسِيمِ، وَيَجْعَلُهُمْ يَشْتَرُونَ بِأَسْلُوبِهِ
الْجَمِيلِ، وَيُدَافِعُ عَنِ الْمَحَلِّ بِكُلِّ قُوَّتِهِ.

حَاوَلَ فَرْحَانُ أَنْ يَشْرَحَ لِلْقِطِّ مَخْدُوعَ خُطُورَةِ هَذَا الْقَرَارِ، لَكِنَّ الْقِطَّ
لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهِ، وَتَمَسَّكَ بِرَأْيِهِ، فَقَالَ لَهُ فَرْحَانُ: مَا دُمْتَ مُصِرًّا عَلَى
مُشَارَكَةِ النَّمِرِ وَسِيمِ، فَلَا تُشَارِكُهُ إِلَّا بِنِصْفِ مَالِكَ، وَاحْتَفِظْ مَعَكَ
بِالنِّصْفِ الثَّانِي... قَالَ الْقِطُّ بِغُرُورٍ: سَأُفَكِّرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، شُكْرًا لَكَ.

وَمَرَّتْ فِتْرَةٌ مِنَ الزَّمَنِ، وَجَاءَ فَرْحَانُ لِيَزِيَارَةَ الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْجَمِيعَ
يَتَحَدَّثُونَ عَمَّا فَعَلَهُ النَّمِرُ الظَّالِمُ بِالْقِطِّ الْمُسْكِينِ، فَاِنْطَلَقَ فَرْحَانُ إِلَى
بَيْتِ مَخْدُوعٍ لِيَعْرِفَ مِنْهُ مَا حَدَثَ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْقِطُّ بَاكِيًا وَقَالَ: لَقَدْ
كُنْتُ مُحِقًّا يَا فَرْحَانُ، فَالنَّمِرُ خَدَعَنِي وَأَخَذَ نُقُودِي... قَالَ فَرْحَانُ:
وَكَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟!... تَهَنَّأَ الْقِطُّ وَقَالَ: قَبْلَ أَنْ نَفْتَحَ الْمَحَلَّ طَلَبَ

النَّمِر مَنِّي أَنْ أُخْبِرَ الْجَمِيعَ أَنَّ الْمَشْرُوعَ مِلْكُهُ، حَتَّى يَسْتَطِيعَ حِمَايَتَهُ،
فَالْجَمِيعُ يَهَابُ قُوَّتَهُ... قَالَ فَرحَانُ: وَأَنْتَ مَاذَا فَعَلْتَ؟!... دَمَعَتْ
عَيْنَا الْقِطِّ وَقَالَ: فَعَلْتُ مَا طَلَبَهُ مِنِّي، وَأَخْبَرْتُ الْجَمِيعَ أَنَّي بَعْتُ
الْمَحَلَّ لِلنَّمِر... قَالَ فَرحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟... قَالَ الْقِطُّ: بَعْدَ
الافْتِتَاحِ وَنَجَاحِ الْمَشْرُوعِ، طَرَدَنِي النَّمِرُ مِنَ الْمَحَلِّ أَمَامَ الْجَمِيعِ، بِحُجَّةِ
أَنَّي عَامِلٌ مُهْمِلٌ، وَلَا أَصْلَحُ لِلْعَمَلِ عِنْدَهُ... صَاحَ فَرحَانُ قَائِلًا: وَمَاذَا
لَا تَشْكُوهُ لِلْقَاضِي؟!... بَكَى الْقِطُّ وَقَالَ: لَقَدْ شَكَّوْتُهُ بِالْفِعْلِ، لَكِنِّي
خَسِرْتُ الْقَضِيَّةَ، فَالْجَمِيعُ شَهِدُوا أَنَّي بَعْتُ الْمَحَلَّ لِلنَّمِرِ، وَهَكَذَا
ضَاعَتْ نُقُودِي، وَلَا يُمَكِّنُنِي اسْتِعَادَتُهَا بِالْقُوَّةِ وَلَا بِالْقَانُونِ.

وَسَكَتَ الْقِطُّ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّنِي عَمِلْتُ بِنَصِيحَتِكَ،
وَاحْتَفَظْتُ بِنِصْفِ النُّقُودِ، وَلَمْ أُعْطِهَا لِلنَّمِرِ... رَدَّ فَرحَانُ قَائِلًا: الْحَمْدُ
لِلَّهِ، وَمَاذَا تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَ بِهَذِهِ النُّقُودِ؟!... قَالَ الْقِطُّ: سَأَفْتَحُ مَحَلًّا آخَرَ،
وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ الدَّرْسَ، فَلَنْ أُنْخَدِعَ بِالْمُظْهَرِ الْحَسَنِ وَلَا بِالْكَلَامِ الْجَمِيلِ...
ابْتَسَمَ فَرحَانُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ أَيُّهَا الْقِطُّ، وَهُنَاكَ خَمْسُ صِفَاتٍ يَجِبُ
أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهَا عِنْدَ الْاِخْتِيَارِ، وَهِيَ: الْكَذِبُ فِي الْحَدِيثِ، وَإِخْلَافُ الْوَعْدِ،
وَخِيَانَةُ الْأَمَانَةِ، وَعَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالْفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ... قَالَ الْقِطُّ:
أَطْمَئِنِّ يَا صَدِيقِي، فَلَنْ أُشَارِكَ أَحَدَهُمْ فِي التَّجَارَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُخْتَبِرَهُ فِي
هَذِهِ الصِّفَاتِ الْخَمْسِ، وَإِذَا نَجَحَ فِي الْاِخْتِبَارِ سَأَخْذُ الضَّمَانَاتِ الْكَافِيَةَ
الَّتِي تَحْفَظُ حَقِّي، وَتَحْمِينِي مِنَ الْخِدَاعِ.

فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة القِطِّ مَحْدُوع...

• أَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ بَعْضَ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ ﷺ: «فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ (عَلَامَاتُ الْمُنَافِقِ) ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ»، وَقَالَ ﷺ: «فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَتْ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا (يَتْرُكَهَا): إِذَا أُؤْتِيَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ... ثُمَّ شَجَعَ أَبْنَاءَكَ عَلَى مُرَاجَعَةِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، لِيَعْرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِنْ كَانَتْ فِيهِ صِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّيِّئَةِ أَمْ لَا، وَيُفَكِّرُ كَيْفَ يَتَخَلَّصُ مِنْهَا، وَقَدِّمْ لَهُمُ الْمُسَاعَدَةَ وَالْمَشُورَةَ الَّتِي يَحْتَاجُونَهَا.

• احْكِ لَهُمْ بَعْضَ مَوَاقِفِ أَصْدِقَائِكَ فِي مَرَاحِلِ عُمْرِكَ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمَا الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ خَلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ، ثُمَّ اسْأَلَهُمْ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّمَلَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ؟ وَمَا أَنْوَاعُ الْأَصْدِقَاءِ؟ وَبَعْدَ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِمْ اجْعَلْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْتُبُ قَائِمَةً بِأَصْدِقَائِهِ، وَيُقِيمُهُمْ تَبَعًا لِلصِّفَاتِ الْخَمْسِ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ.

• أَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ، فَمَرَّ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، فَقَالَ ﷺ لِلْحَاضِرِينَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» (مَا رَأَيْتُمْ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟)، قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، فَسَكَتَ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَلَّا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَلَّا يُشْفَعَ، وَإِنْ قَالَ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا (الْفَقِيرُ) خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا (الْغَنِيِّ)» [صحيح البخاري ح ر 5091]، فِقِيمَةُ الْإِنْسَانِ لَيْسَتْ بِمَالِهِ وَلَا جَاهِهِ وَلَا سُلْطَانِهِ، إِنَّمَا هِيَ بِصَلَاحِهِ وَمَقَامِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي تَفْضِيلَ كُلِّ فَقِيرٍ عَلَى كُلِّ غَنِيٍّ؛ فَالتَّفَاضُلُ يَكُونُ بِالذِّينِ وَالتَّقْوَى، وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ.

المُبْدِعُونَ الصَّغَار

في يومٍ من الأيام اسْتَلَمَ والدُ فرحان الراتبَ الشهري، ولَمَّا رَجَعَ إلى البيت جلسَ يُوزَعُ النُّقُودَ على احتِياجَاتِ الأسرة، وكانت أم فرحان تُشَارِكُهُ في هذه المهمة، وفرحان يجلسُ مَعَهُمَا وَيَسْتَمِعُ إِلَيْهِمَا، وَفَجْأَةً صَاحَ والدُ فرحان قَائِلًا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، الراتبُ لَنْ يَكْفِيَ... فقالت أم فرحان: لا تَحْزَنْ، سَنَجِدُ حَلًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وأخذَ الوالدان يُفَكِّرَانِ في طريقةٍ لِتَقْلِيلِ المَصْرُوفَاتِ، وَرَاجَعَا جَمِيعَ الاحتِياجَاتِ، حَتَّى وَجَدَا بَعْضَ الحُلُولِ لِتَخْفِيزِ النِّفَقَاتِ، وَلاحَظَ الوالدُ أَنَّ فرحان صَامِتٌ على غَيْرِ عَادَتِهِ، فنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: لَا أَسْكَتَ اللَّهُ لَكَ صَوْتًا يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا لَا تُشَارِكُنَا الحَدِيثَ؟!... قَالَ فرحانُ: هذه الأُمُورُ تَخُصُّ الكِبَارَ، وَلَا شَأْنَ لِي بِهَا... قَالَ والده: لَا يَا بُنَيَّ، هذه الأُمُورُ تَخُصُّنا جَمِيعًا، وَنُرِيدُ أَنْ نَعْرِفَ رَأْيَكَ... قَالَ فرحانُ: لَيْسَ لِي رَأْيٌ... قَالَ والده: لِمَاذَا؟!... قَالَ فرحانُ: لِأَنِّي صَغِيرٌ... فَقَالَ والده: يَا بُنَيَّ، قُلْ رَأْيَكَ وَلَا تَسْتَصْغِرْ نَفْسَكَ.

وَسَكَتَ والدُ فرحان ثَوَانِيًّا ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَعْرِفُ الفَتَى الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَكْرِ المُنَافِقِينَ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ يُصَدِّقُ كَلَامَهُ؟... قَالَ فرحانُ: لَا أَعْرِفُهُ، مَنْ هُوَ يَا أَبِي؟!... ابْتَسَمَ والده وقال: سَأُحْكِي لَكَ حِكَايَتَهُ.

اعْتَدَلَ والدُ فرحان في جِلْسَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: كَانَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَتًى صَغِيرًا وَيَتِيمًا، وَمَعَ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ يُشَارِكَ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي

غَزْوَةُ أَحَدَ (3هـ)، فَأَشْفَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ وَرَدَّهُ لِصِغَرِ سِنِّهِ، وَكَانَ ﷺ يَرُدُّ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا مِنَ الشَّبَابِ، وَلَمَّا جَاءَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ (5هـ) أَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِزَيْدٍ بِالْخُرُوجِ مَعَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ غَزْوَةٍ يُشَارِكُ فِيهَا زَيْدٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ نَحْوَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ طَمَعًا فِي الْغَنِيمَةِ، وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ غَانِمِينَ، وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ حَدَثَ خِلَافٌ بَيْنَ أَحَدِ الْمُهَاجِرِينَ وَآخَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَضَرَبَ الْمُهَاجِرِيُّ الْأَنْصَارِيَّ، وَنَادَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَوْمِهِ لِيَنْصُرُوهُ، وَسَمِعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، وَوَادَّ الْفِتْنَةَ فِي مَهْدِهَا.

قَالَ فَرَحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟

قَالَ وَالِدُهُ: ذَهَبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَلُولَ -زَعِيمِ الْمُنَافِقِينَ- وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَّثَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَقَالَ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ مَعَهُ: لَا تُتَفَقَّهُوا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَيُزْكَوْهُ وَحْدَهُ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.

قَالَ فَرَحَانُ: وَمَا مَعْنَى كَلَامِهِ هَذَا يَا أَبِي!!

قَالَ وَالِدُهُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَرَى أَنَّ النَّاسَ فِي الْمَدِينَةِ فَرِيقَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَعَزُّ وَأَقْوَى، وَالْآخَرُ أَذَلُّ وَأَضْعَفُ، وَيَقْصِدُ بِالْفَرِيقِ الْأَعَزِّ نَفْسَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَبِالْفَرِيقِ الْأَذَلِّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،

فكَأَنَّهُ يَقُولُ: عِنْدَمَا نَعُودُ مِنْ هَذِهِ الْعَزْوَةِ، لِيُخْرِجَنَّ فَرِيقُنَا الْأَعَزُّ فَرِيقَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَذَلَّ وَيَطْرُدَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ.

صَاحَ فَرِحَانُ قَائِلًا: أَخْزَاهُ اللَّهُ، وَهَلْ نَجَحَ هَذَا الْمُنَافِقُ فِي تَنْفِيزِ تِلْكَ الْجَرِيمَةِ؟!.

قَالَ وَالِدُهُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَقَدْ سَمِعَهُ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ الْخَطِيرَ... فَأَخْبَرَ زَيْدٌ عَمَّهُ، فَاُنْطَلَقَ عَمَّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَهُ زَيْدٌ، فَاسْتَدْعَى النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا وَسَمِعَ مِنْهُ مَا حَدَّثَ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَسَلَّطَهُمْ عَلَيْهِمْ عَمَّا سَمِعَهُ زَيْدٌ مِنْهُمْ، فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا قَالُوا، وَاجْتَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي الْقَسَمِ أَنَّهُ مَا فَعَلَ ذَلِكَ... فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَذَّبَ زَيْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَعَجَّبَ فَرِحَانُ وَقَالَ: وَمَاذَا حَدَّثَ لِزَيْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ؟!

قَالَ وَالِدُهُ: لَقَدْ غَضِبَ عَمَّهُ جَدًّا، وَعَاتَبَهُ قَائِلًا: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَقَّتَكَ (وَكْرِهَكَ)؟!... يَقُولُ زَيْدٌ: فَأَصَابَنِي غَمٌّ لَمْ يُصْبِنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ) قَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنْ الْهَمِّ (طَاطَأْتُ رَأْسِي وَخَفَضْتُهَا خَجَلًا مِمَّا حَدَّثَ)، إِذْ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَّكَ أُذُنِي (فَرَكَهَا بِيَدِهِ بِرَفْقٍ وَمَحَبَّةٍ) وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ، فَمَا كَانَ يَسْرُنِي أَنْ لِي بِهَا الْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحَقَّنِي فَقَالَ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، إِلَّا أَنَّهُ عَرَّكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبْشِرْ (يَعْنِي بِالْخَيْرِ).

ابْتَسَمَ فَرِحَانُ وَقَالَ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا أَبِي؟.

قَالَ وَالِدُهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ (الْمُنَافِقُونَ) تَفْضُحُ كَذِبَهُمْ وَمَكْرَهُمْ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى زَيْدٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ».. وَاسْتَدْعَى النَّبِيُّ ﷺ الْمُنَافِقِينَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ مِمَّا قَالُوهُ، فَأَمَّا لَوْ رُؤُوسَهُمْ إِعْرَاضًا وَاسْتِكْبَارًا عَنْ اسْتِغْفَارِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ، وَسَجَّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَوْقِفَهُمْ هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝ يَقُولُونَ لِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الْمُنَافِقُونَ: 5 - 8﴾.

شَكَرَ فَرِحَانُ وَالِدَهُ، وَوَعَدَهُ أَلَّا يَسْتَصْغِرَ نَفْسَهُ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَأَنْ يُسَاهِمَ بِإِجَابِيَّةٍ فِي حَلِّ الْمَشَاكِلِ الْأَسْرِيَّةِ، وَأَلَّا يَتَهَرَّبَ أَبَدًا مِنْ تَحْمُلِ الْمَسْئُولِيَّةِ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرِحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَهُنَاكَ لَاحَظَ أَمْرًا غَرِيبًا، لَقَدْ كَانَ الْمَكَانُ خَالِيًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورِ، فَتَعَجَّبَ فَرِحَانُ مِنْ ذَلِكَ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ بَيْتِ الْحَكِيمِ لِيَعْرِفَ مِنْهُ أَيْنَ ذَهَبَ الْجَمِيعُ، وَفِي الطَّرِيقِ مَرَّ عَلَى سَاحَةِ الْغَابَةِ الْكَبِيرَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً هُنَاكَ، وَالْأَسَدُ يَقِفُ أَمَامَهُمْ، فَاقْتَرَبَ فَرِحَانُ مِنْهُمْ، وَسَمِعَهُمْ يُنَاقِشُونَ مُشْكِلَةَ الْجِسْرِ الَّذِي يَمُرُّ فَوْقَ النَّهْرِ، وَيَرْبِطُ شَرْقَ الْغَابَةِ بِغَرْبِهَا، فَهَذَا الْجِسْرُ قَدِيمٌ وَلَمْ يَعُدْ يَتَحَمَّلُ وَزْنَ الْحَيَوَانَاتِ الضَّخْمَةِ، كَمَا تَحْدُثُ

عليه الكثير من المشاجرات، فسكان الشرق يريدون العبور إلى الغرب أولاً، وسكان الغرب يريدون الأمر نفسه، والفريقان يعبران في الوقت نفسه، ويلتقيان في منتصف الجسر، ولا يفسح أحدهما للآخر، وينتهي الأمر بالشجار بينهما، وهذا يتكرر كل صباح ومساء.

وبعد نقاش طويل لم تتوصل الحيوانات إلى حل، وكاد الاجتماع أن يتحول إلى مشاجرة، فكل فريق يتهم الآخر أنه سبب المشكلة، وفجأة زار الأسد بقوة، وصاح قائلاً: لقد جاء صديقنا فرحان، ونرجو أن يساعدنا في حل هذه الأزمة.

ورحب الأسد بفرحان، ودعاه للجلوس بجواره، وسأله عن رأيه في مشكلة الجسر، فنظر فرحان حوله ثم قال: لقد لاحظت أن هذا الاجتماع لا يحضره إلا كبار الحيوانات، فأين ذهبت الحيوانات الصغيرة؟!... قال الأسد: لقد أبعدناهم حتى لا يفسدوا مجلسنا... قال فرحان: حسناً، ولماذا لا تسألوهم عن رأيهم في هذه المشكلة؟!... ضحك الحاضرون من كلام فرحان وسخروا منه قائلين: إذا كان كبار فشلوا في حل هذه الأزمة، فهل ينجح الصغار في حلها؟!.

سكت فرحان لحظات ثم قال: لقد كنتم ذات يوم صغاراً وأصبحتم اليوم كباراً، وصغار اليوم هم كبار الغد، فعلموهم تحمل المسؤولية، وشاركوهم في مناقشة مشاكل الغابة، وستجدون منهم ما يسركم... ضحك القرد وقال ساخراً: نعم سنجد ما يسرنا ويضحكنا، فالصغار لا عقل لهم... فضحك الجميع.

تَحَمَّلَ فرحانُ هذه السُّخْرِيَّةَ، وانتَظَرَ حتَّى انْتَهَى الجَمِيعُ مِنْ كَلَامِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَتَحَدَّكُمْ جَمِيعًا، فهذه المُشْكِلَةُ سَيَحْلُهَا الصَّغَارُ إِنْ شَاءَ الله، ولذلك أَطْلُبُ مِنْ مَلِكِ الغَابَةِ أَنْ نَعْقِدَ لَهُمْ اجْتِمَاعًا خَاصًّا، وَنَسْتَمِعُ إِلَى رَأْيِهِمْ.

أَعْلَنَ الأسدُّ مُوَافَقَتَهُ عَلَى هذه الفِكرَةِ، فَاجْتَمَعَ فرحانُ مَعَ صِغَارِ الحيواناتِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مُشْكِلَةَ الجِسْرِ، وَبَعْدَ نِقَاشٍ طَوِيلٍ، قَالَ القِرْدُ الصَّغِيرُ: عَلَى الأشْجَارِ يَقْفِزُ الجَمِيعُ بِسَلَامٍ وَأَمَانٍ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ كَثَرَةِ الأغْصَانِ، فَلَوْ كَثُرَتِ الجُجُورُ، سَتَنْتَهِي مُشْكِلَةُ العُجُورِ... فَقَالَتِ النَّمْلَةُ الصَّغِيرَةُ: هَذَا كَلَامٌ جَمِيلٌ، لَكِنَّا لَا نَحْتَاجُ إِلَى جُجُورٍ كَثِيرَةٍ، بَلْ يَكْفِينَا جِسْرٌ وَاحِدٌ جَدِيدٌ، فَيَكُونُ هُنَاكَ جِسْرَانِ؛ جِسْرٌ لِلذَّاهِبِينَ، وَجِسْرٌ آخَرُ لِلآيِينَ، وَهَكَذَا تَنْتَهِي مُشْكِلَةُ الفَرِيقَيْنِ... وَقَالَ الأَرْنَبُ الصَّغِيرُ: لَوْ حَفَرْنَا نَفَقًا كَبِيرًا تَحْتَ النَّهْرِ، سَتَعْبُرُ مِنْهُ الحيواناتُ ثَقِيلَةً الأَوْزَانِ، وَيَبْقَى الجِسْرُ بِأَمَانٍ.

شَكَرَ فرحانُ صِغَارَ الحيواناتِ، وَحَمَلَ أَفْكَارَهُمْ إِلَى مَلِكِ الغَابَةِ، فَدَرَسَهَا الأسدُّ بِعِنَايَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِبِنَاءِ جِسْرٍ جَدِيدٍ فَوْقَ النَّهْرِ وَحَفَرِ نَفَقٍ كَبِيرٍ تَحْتَهُ، وَهَكَذَا انْتَهَتْ مُشْكِلَةُ الجِسْرِ القَدِيمِ، وَأَذْرَكَ الكِبَارُ قِيَمَةَ الاسْتِمَاعِ إِلَى آرَاءِ الصَّغَارِ.



فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة المبدعين الصغار...

• اسألهم: عن رأيهم في افتراحات صغار الحيوانات لحل مشكلة الجسر القديم، وهل هناك أفكار أخرى لحل هذه المشكلة؟ وشاورهم في بعض مشاكل الأسرة التي تناسب سنهم، وشجعهم على إبداء رأيهم.

• احك لأبنائك بعض الإنجازات التي حققها صغار الصحابة رضي الله عنهم، فالنبي ﷺ اختار زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ليكتب له الرسائل إلى اليهود ويترجم له رسائلهم، وكان زيد في الحادية عشرة من عمره، وأسامة بن زيد -رضي الله عنه- عينه النبي ﷺ قائدا لجيش المسلمين وعمره 17 سنة، والنبي ﷺ اختار أبا محذورة -رضي الله عنه- مؤذنا للمسجد الحرام وعمره 16 سنة، وقد كان من أجمل الناس صوتا.

• شاور أبناءك في بعض الأمور الأسرية التي تناسب أعمارهم، وشجعهم أن يقولوا رأيهم، وخذ بأرائهم الجيدة، فقد روى البخاري أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال يوما لأصحاب النبي ﷺ: «فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: 266]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم (فسبب غضب عمر -رضي الله عنه- أن إجاباتهم تحتمل معرفتهم أو عدم معرفتهم، فأراد منهم توضيح مرادهم)، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: (هذه الآية) ضربت مثلاً لعملي، قال عمر: أي عملي؟ قال ابن عباس: لعملي، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»، فعمر -رضي الله عنه- شجع ابن عباس على أن يقول رأيه في حضور الكبار، وقال له: «قل ولا تحقر نفسك» يعني: قل رأيك، ولا تستعز نفسك.

سُبُورَةُ الْإِنْجَازَاتِ

ذَاتَ مَسَاءٍ رَجَعَ وَالِدُ فَرْحَانَ مِنَ الْعَمَلِ، وَهُوَ يَحْمِلُ -شَيْئًا مَّا- فِي يَدِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُ فَرْحَانُ فِي شَوْقٍ، وَقَبَّلَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا هَذَا يَا أَبِي؟!... قَالَ أَبُوهُ: هَذِهِ سُبُورَةُ الْإِنْجَازَاتِ، وَهِيَ هَدِيَّةٌ لَكَ... تَعْجَبُ فَرْحَانُ وَقَالَ: مَاذَا سَأَفْعَلُ بِهَا؟!... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: دَعْنِي أَجْلِسُ وَأَلْتَقِطُ أَنْفَاسِي، وَسَأُشْرِحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ.

جَلَسَ الْوَالِدُ فِي الصَّالَةِ، وَشَرِبَ كُوبَ الْمَاءِ الَّذِي أَحْضَرَهُ لَهُ فَرْحَانُ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُورَةُ سَتُعَلِّقُهَا فِي غُرْفَتِكَ، وَكُلَّ صَبَاحٍ تَكْتُبُ عَلَيْهَا الْمَهَامَ الَّتِي سَتُنْفِذُهَا خِلَالَ الْيَوْمِ، وَفِي الْمَسَاءِ نَرَى مَا الَّذِي أَنْجَزْتَهُ مِنْهَا، وَكُلَّمَا زَادَتْ الْإِنْجَازَاتُ كَثُرَتْ الْمُكَافَأَاتُ.

شَكَرَ فَرْحَانُ وَالِدَهُ، وَأَخَذَ السُّبُورَةَ وَعَلَّقَهَا فِي غُرْفَتِهِ، ثُمَّ نَامَ فِي سَعَادَةٍ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ اسْتَيْقَظَ فَرْحَانُ نَشِيطًا، وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ تَنَاوَلَ الْإِفْطَارَ مَعَ أُسْرَتِهِ، وَبَعْدَهَا قَالَ لَهُ أَبُوهُ: هَيَّا أَخْبِرْنِي بِالْمَهَامِ الَّتِي سَتُنْجِزُهَا الْيَوْمَ... قَالَ فَرْحَانُ: سَأُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأَحْفَظُ الْقُرْآنَ، وَأُسَاعِدُ أُمِّي، وَأُذَكِّرُ دُرُوسِي، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ أَبُوهُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، هَيَّا اكْتُبْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَى السُّبُورَةِ.

كَتَبَ فَرْحَانُ مَهَامَ الْيَوْمِ عَلَى السُّبُورَةِ، وَوَعَدَ أَبَاهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَنْفِيزِهَا، وَمَرَّ الْيَوْمُ سَرِيعًا، وَفِي الْمَسَاءِ سَأَلَ الْوَالِدُ فَرْحَانَ: مَا الَّذِي أَنْجَزْتَهُ الْيَوْمَ

يَا بُنَيَّ؟... تَلَعَّثَ فرحانُ وقال: للأسف، لَمْ أُنجِزْ إِلَّا مَهْمَةً وَاحِدَةً وَهِيَ الصَّلَاةُ... تَعَجَّبَ أبوه وقال: ما الذي فَعَلْتَهُ طَوَالَ الْيَوْمِ؟!!... سَكَتَ فرحانُ خَجَلًا وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: لَقَدْ ظَلَلْتُ طَوَالَ الْيَوْمِ أَذْكَرُهُ بِالْوَاجِبَاتِ الَّتِي عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ تَلَهَّى بِلَعِبِ الْكُرَّةِ عَنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَانْشَغَلَ بِمُشَاهَدَةِ التِّلْفِيزِيُونِ عَنْ مُسَاعَدَتِي، وَالْهَتَهُ الْأَلْعَابُ الْإِلِكْتُرُونِيَّةَ عَنْ الْمَذَاكِرَةِ.

سَكَتَ وَالِدُ فرحانِ ثَوَانِي، ثُمَّ قَالَ: آه يَا بُنَيَّ، لَقَدْ فَعَلْتَ مَا نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقُونَ... خَافَ فرحانُ وَصَاحَ قَائِلًا: وَمَا الَّذِي فَعَلْتَهُ؟ أَخْبِرْنِي يَا أَبِي!!... أُمَسَّكَ الْوَالِدُ بِالْمُصْحَفِ، وَفَتَحَهُ عَلَى سُورَةِ (الْمُنَافِقُونَ)، وَأَعْطَاهُ لِفَرَحَانَ وَقَالَ: اقْرَأِ الْآيَةَ رَقْمَ تِسْعَةٍ... أَخَذَ فرحانُ الْمُصْحَفَ، وَبَدَأَ يَقْرَأُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

وَلَمَّا انْتَهَى فرحانُ مِنَ التَّلَاوَةِ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا شَيْءٌ عَجِيبٌ يَا أَبِي!!!... قَالَ أبوه: مَا هُوَ؟!!... قَالَ فرحان: الْآيَاتُ السَّابِقَةُ كُلُّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلِمَاذَا يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي سُورَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ؟!!... قَالَ وَالِدُهُ: سُؤَالَكَ جَمِيلٌ يَا بُنَيَّ، وَالْخِطَابُ هُنَا لِلْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَحْذَرُوا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، وَيَتَجَنَّبُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَالْمُنَافِقُونَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا.

وَسَكَتَ وَالِدُ فرحانِ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَشْغَلَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمَنْ

يَفْعَلْ ذَلِكَ وَتُلْهِهِ أَمْوَالُهُ وَأَوْلَادُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
لِلسَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ فَرِحَانُ: وَمَا الْمَقْصُودُ بِـ «ذِكْرِ اللَّهِ» يَا أَبِي؟

قَالَ وَالِدُهُ: ذِكْرُ اللَّهِ -يَا بُنَيَّ- يَشْمَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ الَّتِي أَمَرَنَا اللَّهُ
بِهَا؛ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا، فَيَكُونُ
هُنَاكَ ذِكْرٌ بِاللِّسَانِ كِتْلَاوَةَ الْقُرْآنِ وَتَرْدِيدَ الْأَذْكَارِ، وَذِكْرٌ بِالْعَقْلِ كَالْتَفَكُّرِ
فِي خَلْقِ اللَّهِ وَالتَّفَكُّيرِ فِي مَا يُرْضِيهِ، وَذِكْرٌ بِالْبَدَنِ كَمُسَاعَدَةِ الضَّعْفَاءِ
وَالسَّعْيِ فِي مَا يُرْضِي اللَّهَ، وَهَكَذَا.

قَالَ فَرِحَانُ: عِنْدِي سُؤَالٌ آخَرُ؛ هُنَاكَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تُلْهِي الْمُؤْمِنَ عَنْ
طَاعَةِ اللَّهِ، فَلِمَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ فَقَطْ فِي هَذِهِ
الآيَةِ؟... قَالَ أَبُوهُ: هَذِهِ مُلَاحَظَةٌ جَمِيلَةٌ، وَسَاجِبٌ عَنْ سُؤَالِكَ بَعْدَ
صَلَاةِ الْعِشَاءِ... صَاحَ فَرِحَانُ قَائِلًا: أَرْجُوكَ يَا أَبِي، أَجِبْ عَنْ سُؤَالِي الْآنَ،
أَرْجُووووكَ... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَا تَشْغَلْنِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

ذَهَبَ فَرِحَانُ مَعَ أَبِيهِ إِلَى الْمَسْجِدِ صَامِتًا، وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ قَالَ:
سَأُخْبِرُكَ بِسِرٍّ يَا أَبِي، أَنَا أَحِبُّ الْجُلُوسَ مَعَكَ كَثِيرًا، وَعِنْدَمَا نَكُونُ مَعًا
وَأَسْمَعُ الْأَذَانَ فَإِنِّي أَشْعُرُ بِالْحُزْنِ؛ لِأَنَّكَ سَتَتْرَكُنِي وَتَذْهَبُ لِلصَّلَاةِ،
وَلَقَدْ فَهِمْتُ الْيَوْمَ لِمَ إِذَا تَفَعَّلَ ذَلِكَ، وَأَعِدُّكَ أَنِّي لَنْ أُلْهِيكَ أَبَدًا عَنْ
طَاعَةِ اللَّهِ... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا حَبِيبِي، وَلَا تَنْسَ
أَنِّي عِنْدَمَا أَتْرُكَكَ مِنْ أَجْلِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، وَيُبَارِكُ فِيكَ،
وَيُعْطِيَنِي الْقُوَّةَ عَلَى إِسْعَادِكَ، وَيَزِيدُ مِنْ صَبْرِي عَلَيْكَ.

وَوَضَعَ الْوَالِدُ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ فَرْحَانَ بِحُبٍّ وَحَنَانٍ، ثُمَّ قَالَ: الْآنَ سَأُجِيبُ عَنْ سُؤْالِكَ، لَقَدْ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ بِتَوْجِيهِ النَّهْيِ عَنِ الْاِسْتِغَالِ بِهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْأَمْوَالَ يَكْثُرُ إِقْبَالُ النَّاسِ عَلَى اكْتِسَابِهَا وَإِمَائِهَا وَكَنْزِهَا، كَمَا أَنَّ الْاِنْتِشَالَ بِالْأَبْنَاءِ وَتَلْبِيَةِ اِحْتِيَاجَاتِهِمْ وَاللَّعِبَ مَعَهُمْ مُحَبَّبٌ لِلْوَالِدَيْنِ وَقَدْ يَشْغَلُهُمَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَتْ هُنَاكَ أَشْيَاءُ أُخْرَى (أَقْلَ أَهَمِّيَّة) قَدْ تُلْهِى الْمُؤْمِنَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ النَّهْيَ عَنْهَا أَوْلَى، وَالْوَعِيدُ عَلَيْهَا أَشَدُّ، فَلَا تَنْشَغِلْ يَا بُنَيَّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ بِاللَّعِبِ وَمُشَاهَدَةِ التَّلِفِيزِيُونِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى لَا تَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا نَكْسَبَ الْمَالَ وَلَا نَهْتَمَّ بِالْأَبْنَاءِ؟... قَالَ أَبُوهُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَالْمُسْلِمُ إِذَا اِسْتَغْلَلَ بِجَمْعِ الْمَالِ وَبِرِعَايَةِ الْأَوْلَادِ، دُونَ أَنْ يُلْهِيَهُ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا الْاِسْتِغَالَ لَا يَكُونُ مَذْمُومًا، بَلْ يَكُونُ مَرَضِيًّا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى... قَالَ فَرْحَانُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَبِي، وَأَعَاهِدَكَ أَنِّي سَأَعْمَلُ بِهِذِهِ الْآيَةِ، وَلَنْ أَسْمَحَ لِشَيْءٍ أَنْ يَشْغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ الْمَفْضَلِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَقَرَأَ وَرَدَّهُ الْيَوْمِيَّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى طَبِيبِ الْغَابَةِ؛ لِيَسْأَلَهُ عَنِ الْفَوَائِدِ الصَّحِيَّةِ لِبَعْضِ النَّبَاتَاتِ الطَّيِّبَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الطَّبِيبُ بِسَعَادَةٍ، وَأَجَابَ عَنْ أَسْئَلَتِهِ بِأَمَانَةٍ، فَشَكَرَهُ فَرْحَانُ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْاِنْصِرَافِ، فَقَالَ لَهُ الطَّبِيبُ: قَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ هُنَاكَ مُهِمَّةٌ عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِهَا... قَالَ فَرْحَانُ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الطَّبِيبُ: إِنَّ الْفِيلَ رَبْحَانٌ مَرِيضٌ، وَيُرِيدُ رُؤْيَتَكَ... تَحَمَّسَ فَرْحَانُ وَقَالَ: هَلْ سَأَفْحَصُ الْفِيلَ وَأَصِفُ لَهُ الدَّوَاءَ بَدَلًا مِنْكَ؟!... ضَحِكَ الطَّبِيبُ وَقَالَ:

لا، فالطب مهنة تحتاج إلى دراسة طويلة وخبرة كبيرة، وليس معنى أنك سألتني بعض الأسئلة الطبية أنك أصبحت طبيباً، وأنا قد فحصت الفيل وأعطيته الدواء المناسب، وهو يريدك في أمر آخر.

انطلق فرحان إلى بيت الفيل ربحان، فوجده بانتظاره، فسلم فرحان عليه، ودعا له بخير، فشكره الفيل على زيارته، ثم قال له: لقد طلبت رؤيتك يا فرحان حتى أستشيرك في أمر مهم... قال فرحان: خيراً إن شاء الله... قال الفيل: أنت تعلم أنني أمتلك تجارة كبيرة، وإنني أخشى إذا مت الآن أن تضيع... قاطعه فرحان قائلاً: أطال الله عمرك... قال الفيل: مهما طال العمر فالموت سيأتي لا محالة، وحتى لا تضيع تجارتني بعد موتي، فقد قررت أن أختار أحد أبنائي ليكمل المهمة من بعدي... قال فرحان: هذه فكرة جميلة، فأين هي المشكلة؟... قال الفيل: لقد رزقني الله بعدد من الأبناء، ولا أعرف أيهم سينجح في إدارة التجارة من بعدي... تعجب فرحان وقال: ألم تدر بهم على تحمل المسؤولية وتجهزهم لهذه المهمة منذ صغرهم؟!... دمعت عينا الفيل وقال: للأسف لم أفعل، فقد ألهمتني دوامة الحياة، ونسيت أنني سأرحل عنهم يوماً ما.

سكت فرحان لحظات ثم قال: احك لي أيها الفيل كيف بدأت التجارة؟ وما المواقف الصعبة التي تعرضت لها؟ وما الذي جعلك تنجح في تجارتك؟... قاطعه الفيل قائلاً: هل هذا وقت الحكايات؟!... قال فرحان: إن حكايتك هذه ستجعلني أعرف الصفات المطلوبة فيمن سيدير تجارتك من بعدك.

أَخَذَ الْفِيلُ يَحْيَى رِحْلَتَهُ الطَّوِيلَةَ مُنْذُ كَانَ عَامِلًا بَسِيطًا فِي السُّوقِ،
حَتَّى أَصْبَحَ كَبِيرَ التُّجَّارِ، وَلَمَّا انْتَهَى مِنَ الْحِكَايَةِ قَالَ لَهُ فِرْحَانُ: الْآنَ
أُخْبِرْنِي بِسِرِّ نَجَاحِكَ... تَنَهَّدَ الْفِيلُ وَقَالَ: إِنَّ الْحَيَاةَ مَلِيئَةٌ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي
تَلْهِي الْمُجْتَهِدَ عَنْ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ، وَأَنَا لَمْ أَسْمَحْ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْهِينِي عَنْ
تِجَارَتِي أَبَدًا... قَالَ فِرْحَانُ: هَذِهِ إِذَا أَهَمُّ صِفَةٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فِيمَنْ
يُدِيرُ تِجَارَتَكَ مِنْ بَعْدِكَ.

سَكَتَ الْفِيلُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: وَكَيْفَ سَنَعْرِفُ مَنْ تَتَوَقَّرُ فِيهِ هَذِهِ
الصِّفَةُ؟!... قَالَ فِرْحَانُ: سَنُكَلِّفُ أَبْنَاءَكَ بِبَعْضِ الْمَهَامِ، وَنَرَى مَنْ سَيَنْجَحُ فِي
الْقِيَامِ بِهَا، وَمَنْ مِنْهُمْ سَيَتَلَهَّى عَنْهَا... قَالَ الْفِيلُ: وَمَا الْمَهَامُ الَّتِي سَنُكَلِّفُهُمْ
بِهَا؟!... قَالَ فِرْحَانُ: الْمِهْمَةُ الْأُولَى سَتَكُونُ مُقَابَلَةَ أَحَدِ التُّجَّارِ قَبْلَ الْفَجْرِ،
وَنَرَى مَنْ يُضْحِي بِرَاحَتِهِ مِنْ أَجْلِ تِجَارَتِهِ، وَمَنْ يَتَلَهَّى بِالنُّومِ... ابْتَسَمَ
الْفِيلُ وَقَالَ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ، فَمَا هِيَ الْمِهْمَةُ الثَّانِيَّةُ؟!... قَالَ فِرْحَانُ:
سَنُكَلِّفُ أَبْنَاءَكَ بِجَمْعِ عَيْنَاتٍ مِنَ الْحَشَائِشِ الَّتِي تُحِبُّ الْفِيلَةُ أَكْلَهَا،
وَنَرَى مَنْ سَيُنْجِزُ الْمِهْمَةَ، وَمَنْ يَنْشَغِلُ بِبَطْنِهِ وَيَتَلَهَّى بِالْأَكْلِ... صَاحَ
الْفِيلُ قَائِلًا: جَمِيسِيل... قَالَ فِرْحَانُ: الْمِهْمَةُ الثَّلَاثَةُ سَتَكُونُ بَيْعَ بَعْضِ
الْمُنْتَجَاتِ بِجِوَارِ النَّهْرِ وَقَتِ الظُّهَيْرَةِ، حَيْثُ تَشْتَدُّ الْحَرَارَةُ وَيَحُلُو النَّزُولُ
فِي النَّهْرِ، وَنَرَى مَنْ سَيُؤَدِّي مِهْمَتَهُ، وَمَنْ سَيَتَلَهَّى عَنْهَا بِاللَّعِبِ فِي الْمَاءِ.
وَأَقْتَرَحَ فِرْحَانُ عَشْرَ مَهَامٍ، وَافَقَ الْفِيلُ عَلَيْهَا كُلَّهَا، وَبَدَأَ تَنْفِيذَهَا فِي
الْحَالِ، لِيَعْرِفَ مَنْ سَيُدِيرُ تِجَارَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

فكرة تربوية

بعد أن تخيي لأبنائك قصة سُبُورَةِ الإنجَازَاتِ...

• اسأَلْهُمْ: ما الأشياء التي تُلْهي عن الصَّلَاة؟ المَذَاكِرَةُ؟ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَحِفْظُهُ؟ وماذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَتَغَلَّبَ عَلَى هَذِهِ الْمُلْهِياتِ؟... وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمَعَ إِلَيْهِمْ أَخْبِرْهُمْ أَنَّ هُنَاكَ عِدَّةَ طُرُقٍ تُسَاعِدُ عَلَى تَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ، وَتَقْلِلُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُلْهِياتِ، مِنْهَا: تَحْدِيدُ وَقْتٍ ثَابِتٍ لِلْأَعْمَالِ، كَقِرَاءَةِ الْأَذْكَارِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَقَبْلَ الْمَغْرَبِ، وَحِفْظُ الْقُرْآنِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَهَكَذَا... وَجَعَلِ الْإِنْجَازَ دَائِمًا قَبْلَ التَّرْفِيهِ، فَلَا تَقُلْ: سَأَلَعِبُ ثُمَّ أَذَاكِرُ، فَالْعَبُّ قَدْ يُلْهِيكُ وَيَجْعَلُ الْمَذَاكِرَةَ ثَقِيلَةً عَلَى النَّفْسِ، وَلَكِنْ قُلْ: سَأُذَاكِرُ ثُمَّ أَلْعَبُ، وَلَا تَقُلْ: سَأُشَاهِدُ التِّلْفِيزِيُونَ ثُمَّ أَحْفَظُ، فَالتِّلْفِيزِيُونَ قَدْ يُلْهِيكُ وَيُنْسِيكَ الْحِفْظُ، وَلَكِنْ قُلْ: الْإِنْجَازُ قَبْلَ التَّرْفِيهِ... وَلَا تُؤَجِّلْ عَمَلَ الْيَوْمِ إِلَى الْغَدِ، وَغَيْرَهَا.

• نَفَّذْ مَعَهُمْ فِكْرَةَ سُبُورَةِ الْإِنْجَازَاتِ ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ إِحْصَارَ سُبُورَةٍ فَلْيَكْتُبْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَائِكَ قَائِمَةً إِنْجَازَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ فِي وَرَقَةٍ، وَلْتَكُنْ الْمَهَامُ وَاقِعِيَّةً وَمُنَاسِبَةً، وَفِي الْمَسَاءِ اسأَلْهُمْ عَنْ إِنْجَازَاتِهِمْ، وَكَافِئْهُمْ عَلَى قَدْرِ اجْتِهَادِهِمْ، وَكَرِّرْ هَذِهِ الْفِكْرَةَ يَوْمِيًّا لِفَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، حَتَّى تُصَبِّحَ عَادَةً فِي حَيَاتِهِمْ.

• أَخْبِرْهُمْ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ، النَّوْعُ الْأَوَّلُ: ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ أَمْرِهِ، فَنَفْعَلُ مَا أَمَرَنَا بِهِ مِنْ طَاعَاتٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ﴾ [الْأَعْلَى: 14، 15]، وَالنَّوْعُ الثَّانِي: ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ نَهْيِهِ، فَتَتْرُكُ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [النَّازِعَاتِ: 40، 41]، وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ: ذِكْرُ اللَّهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَ بِي شَفَاتِهِ» [صحيح ابن ماجة للألباني ح ر 3074، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ، وَيَكُونُ سُبْحَانَهُ مَعَ مَنْ يَذْكُرُهُ بِحِفْظِهِ وَهِدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ].

الْأُمْنِيَّةُ الْآخِرَةُ

في يوم من الأيام فُوجئَ فرحان بوالده يقول له: اسْتَعِدَّ يَا بُنَيَّ، فَسَنَخْرُجُ بَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقَ، وَهُنَاكَ مُفَاجَأَةٌ جَمِيلَةٌ بَانْتِظَارِكَ... تَحَمَّسَ فرحانُ، وَقَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ، وَجَرَى نَحْوَ غُرْفَتِهِ، وَارْتَدَّى مَلَابِسَهُ بِسُرْعَةٍ، وَانْطَلَقَ مَعَ أَبِيهِ فِي سَعَادَةٍ.

وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ فرحانُ أَبَاهُ: أَيْنَ سَنَذْهَبُ؟... ابْتَسَمَ وَالِدُهُ وَقَالَ: إِلَى مَكَانِ الْمُفَاجَأَةِ... قَالَ فرحانُ: وَهَلْ سَنَمُشِي كَثِيرًا؟... قَالَ وَالِدُهُ: كُلَّمَا مَشَيْنَا أَكْثَرَ كَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ أَجْمَلَ... سَكَتَ فرحانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: وَمَا هِيَ هَذِهِ الْمُفَاجَأَةُ؟... قَالَ وَالِدُهُ: سَتَعْرِفُ عِنْدَمَا تَرَاهَا... قَالَ فرحانُ: هَلْ هِيَ مُفَاجَأَةٌ كَبِيرَةٌ أَمْ صَغِيرَةٌ؟!!... ابْتَسَمَ وَالِدُهُ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَا تَسْأَلْنِي عَنِ الْمُفَاجَأَةِ مَرَّةٍ أُخْرَى، وَاصْبِرْ... قَالَ فرحانُ: حَسَنًا، سَأَصْبِرُ، سَأَصْبِرُ!!!.

وَمَشَى فرحانُ بِضَعِّ خُطَوَاتٍ ثُمَّ قَالَ: هَلْ مَكَانُ الْمُفَاجَأَةِ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ؟... فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ: أَلَمْ تَخْبِرْنِي أَنَّكَ سَتَصْبِرُ؟!! لَوْ سَأَلْتَنِي عَنِ الْمُفَاجَأَةِ مَرَّةٍ أُخْرَى سَأَتَوَقَّفُ عَنِ الْمَشْيِ لِمُدَّةِ دَقِيقَتَيْنِ، وَلَنْ أُجِيبَ عَنْ سُؤَالِكَ، وَلَوْ تَكَرَّرَ هَذَا الْأَمْرُ وَسَأَلْتَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سَأَلْغِي الْمُفَاجَأَةَ نِهَائِيًّا، هَلْ سَمِعْتَنِي يَا بُنَيَّ؟!!... قَالَ فرحانُ: نَعَمْ يَا أَبِي، وَأَعِدْكَ أَنَّنِي لَنْ أَسْأَلَ عَنِ الْمُفَاجَأَةِ مَرَّةٍ أُخْرَى!!!.

انْطَلَقَ فرحانُ مَعَ أَبِيهِ مِنْ جَدِيدٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصُمْتَ أَكْثَرَ مِنْ دَقِيقَةٍ، وَبَعْدَهَا صَاحَ قَائِلًا: هَلْ اقْتَرَبْنَا مِنْ مَكَانِ الْمُفَاجَأَةِ؟...

فَتَوَقَّفَ أَبُوهُ عَنِ السَّيْرِ، وَوَقَفَ مَكَانَهُ لِمُدَّةٍ دَقِيقَتَيْنِ، فَأَذْرَكَ فَرْحَانَ أَنْ أَبَاهُ سَيُفْقَدُ وَعَيْدَهُ، فَفَرَّرَ أَنْ يَصُمْتَ تَمَامًا؛ حَتَّى لَا يَتَأَخَّرَ عَنِ الْمَفْاجَأَةِ، وَلَا يَتَسَبَّبَ فِي ضَيَاعِهَا.

وَانْطَلَقَ الْأَبُ وَابْنُهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ نَجَحَ فَرْحَانُ فِي التَّزَامِ الصَّمْتِ، وَفَجْأَةً تَوَقَّفَ وَالِدُهُ أَمَامَ إِحْدَى مَاكِينَاتِ الصَّرَافِ الْآلِيِّ، وَأَخْرَجَ الْبِطَاقَةَ الْإِلِكْتُرُونِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِهِ، وَأَعْطَاهَا لِفَرْحَانَ وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ كَبُرَتْ يَا بُنَيَّ، وَحَانَ الْوَقْتُ لِتَسْتَخْدِمَ بَطَاقَةَ الصَّرَافِ الْآلِيِّ، وَالْيَوْمَ سَتُسَاعِدُنِي فِي قَبْضِ الرَّاتِبِ الشَّهْرِيِّ... قَفَزَ فَرْحَانُ فِي سَعَادَةٍ، وَأَخَذَ الْبِطَاقَةَ بِحِمَاسٍ، وَسَحَبَ النُّقُودَ مُسَاعِدَةً أَبِيهِ، ثُمَّ رَأَى امْرَأَةً عَجُوزًا تَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَمُدُّ يَدَهَا وَتَسْأَلُ النَّاسَ أَنْ يُعْطَوْهَا صَدَقَةً، فَطَلَبَ فَرْحَانُ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يُعْطِيَهَا بَعْضَ النُّقُودِ، فَنَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: هَيَّا بِنَا يَا بُنَيَّ، وَسَأُشْرَحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الطَّرِيقِ.

مَشَى فَرْحَانُ مَعَ أَبِيهِ، وَبَعْدَ بَضْعِ خُطَوَاتٍ قَالَ: يَا أَبِي، لِمَاذَا لَمْ تُعْطِ صَدَقَةً لِلْمَرْأَةِ الْمُسْكِينَةِ؟!... قَالَ أَبُوهُ: لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَتَّخِذُ مِنَ التَّسَوُّلِ مِهْنَةً، وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ قَدْ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهُمْ... قَالَ فَرْحَانُ: يُمَكِّنُنَا أَنْ نُعْطِيَهَا مَبْلَغًا بَسِيطًا جَدًّا، وَلَا نَرُدَّ يَدَهَا خَائِبَةً، فَهِيَ امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ فِي السَّنِّ... قَالَ أَبُوهُ: لَا تَكُنْ سَاذِجًا يَا بُنَيَّ، وَلَا تَتَّصِدَّقْ إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ... قَالَ فَرْحَانُ: هَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنِّي لَوْ تَصَدَّقْتُ عَلَى إِنْسَانٍ لَا يَسْتَحِقُّ الصَّدَقَةَ فَلَنْ يَتَقَبَّلَهَا اللَّهُ مِنِّي؟!... قَالَ أَبُوهُ بِحِدَّةٍ: لَا أَغْرِفُ، وَلَكِنِّي لَنْ أُعْطِيَ شَيْئًا لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ!!!

رَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى الْبَيْتِ حَزِينًا، وَجَلَسَ فِي غُرْفَتِهِ صَامِتًا، وَبَعْدَ دَقَائِقٍ
فُوجِئَ بِأَبِيهِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ، وَيُعْطِيهِ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ، وَيَقُولُ لَهُ:
سَنَذْهَبُ الْآنَ إِلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْكِينَةِ، وَنُعْطِيهَا هَذِهِ الصَّدَقَةَ، هَيَّا بِنَا...
تَحَمَّسَ فَرْحَانُ، وَحَصَّنَ أَبَاهُ فِي سَعَادَةٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فِي نَشَاطٍ، وَأَعْطَى
فَرْحَانُ الصَّدَقَةَ لِلْمَرْأَةِ الْمُسْكِينَةِ، فَدَعَتْ لَهُ بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: بَارَكَ
اللَّهُ فِيكَ يَا حَبِيبِي، فَقَدْ سَاعَدْتَنِي عَلَى الصَّدَقَةِ، وَلَكَ عِنْدِي مُكَافَأَةٌ،
سَنَتَنَاوَلُ الْمُثَلَّجَاتِ الَّتِي تُحِبُّهَا.

وَبَيْنَمَا كَانَ فَرْحَانُ يَتَنَاوَلُ الْمُثَلَّجَاتِ (الآيس كريم)، نَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ:
عِنْدِي سُؤَالٌ يَا أَبِي، مَا الَّذِي جَعَلَكَ تُغَيِّرُ رَأْيَكَ وَتَتَصَدَّقُ عَلَى الْمَرْأَةِ
الْمُسْكِينَةِ؟!... تَنَهَّدَ أَبُوهُ وَقَالَ: سَأُخْبِرُكَ يَا بُنَيَّ، لَمَّا رَجَعْنَا إِلَى الْبَيْتِ
كَانَتْ أُمُّكَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَسَمِعْتُهَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا
رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10]... فَتَأَثَّرْتُ بِهَذِهِ
الآيَةِ، وَخِفْتُ أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ فَأُنْذَمَ لِأَنِّي رَفَضْتُ الصَّدَقَةَ، وَقَرَّرْتُ
أَنْ أَرْجِعَ إِلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْكِينَةِ وَأَتَصَدَّقَ عَلَيْهَا، فَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ آخِرُ
صَدَقَةٍ فِي حَيَاتِي... دَمَعَتْ عَيْنَا فَرْحَانَ وَقَالَ: أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ يَا أَبِي...
فَحَضَنَهُ أَبُوهُ وَقَالَ: حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، وَجَعَلَكَ عَوْنًا لِي عَلَى طَاعَتِهِ.

وَسَادَ الصَّمْتُ لَحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ الْوَالِدُ: يَا بُنَيَّ، عِنْدِي سُؤَالٌ لَوْ عَرَفْتَهُ
سَأُعْطِيكَ مُكَافَأَةً... مَسَحَ فَرْحَانُ دُمُوعَهُ وَقَالَ بِحِمَاسٍ: حَسَنًا يَا أَبِي،
مَا هُوَ السُّؤَالُ؟... قَالَ وَالِدُهُ: مَا الْأُمْنِيَّةُ الَّتِي يَتَمَنَّاهَا الْمُؤْمِنُ عِنْدَ
الْمَوْتِ؟!... سَكَتَ فَرْحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: سَيَتَمَنَّى أَنْ يَتَصَدَّقَ... ابْتَسَمَ

أَبُوهُ وَقَالَ: أَحَسَنْتَ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَمَا يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ يَتَمَنَّى أَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ مَوْتَهُ، وَلَوْ وَقْتًا قَصِيرًا جَدًّا؛ حَتَّى يَتَصَدَّقَ وَيَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ الْأَتْقِيَاءِ.

نَظَرَ فَرِحَانُ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: وَهَلْ يُحَقِّقُ اللَّهُ تَعَالَى أُمْنِيَّةَ الْمُؤْمِنِ وَيُؤَخَّرَ مَوْتَهُ حَتَّى يَتَصَدَّقَ؟!... قَالَ أَبُوهُ: الْإِجَابَةُ جَاءَتْ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِيهَا: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 11]، فَاللَّهُ تَعَالَى لَنْ يُؤَخَّرَ نَفْسًا مِنَ النَّفُوسِ إِذَا جَاءَ وَقْتُ مَوْتِهَا، وَلَنْ يُمَدَّ فِي أَجْلِهَا إِذَا انْتَهَى عُمْرُهَا الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لَهَا، فَالْمَوْتُ إِذَا نَزَلَ فَلَا رُجُوعَ بَعْدَهُ إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا، وَلِذَلِكَ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَانَا فِي طُرُقِ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِنَا الْمَمَاتُ، وَعِنْدَهَا لَنْ تَنْفَعَنَا الْأُمْنِيَّاتُ. شَكَرَ فَرِحَانُ أَبَاهُ، وَقَرَّرَ أَنْ يُنْفِقَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَجْتَهِدَ فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيَعْمَلَ عَلَى تَحْقِيقِ الْأُمْنِيَّاتِ، قَبْلَ الْمَمَاتِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي عِلِمَ فَرِحَانُ أَنَّ الْأَسَدَ نَبَّهَانَ مَلِكَ الْغَابَةِ قَدْ مَاتَ، وَتَوَلَّى الْحُكْمَ بَعْدَهُ الْأَسَدُ ذُكْوَانُ، وَيُرِيدُ مُقَابَلَتَهُ فِي الْحَالِ، فَاِنْطَلَقَ فَرِحَانُ إِلَى الْغَابَةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَأْذَنَ مِنَ وَالِدَيْهِ، فَأَحْسَنَ الْأَسَدُ ذُكْوَانُ اسْتِقْبَالَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ ذُكَايِكَ وَحِكْمَتِكَ، وَأُرِيدُ مُسَاعَدَتَكَ... قَالَ فَرِحَانُ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ!!!... قَالَ الْأَسَدُ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ أَفْضَلَ مَلِكٍ حَكَمَ هَذِهِ الْغَابَةَ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟

سَكَتَ فَرِحَانُ ثَوَانِي، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ أُمْنِيَّةٌ جَمِيلَةٌ، وَحَتَّى تَنْجَحَ فِي تَحْقِيقِهَا عَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْأُمْنِيَّاتِ الْأَخِيرَةِ، وَتَجْتَهِدَ فِي تَنْفِيدِهَا... تَعَجَّبَ الْأَسَدُ وَقَالَ: وَمَا هِيَ الْأُمْنِيَّاتُ الْأَخِيرَةُ؟ وَأَيْنَ أَجِدُهَا؟!... قَالَ فَرِحَانُ: كُلُّ حَيَوَانٍ

فِي آخِرِ حَيَاتِهِ يَتَمَنَّى لَوْ تَأَخَّرَ مَوْتُهُ لِيُحَقِّقَ أُمْنِيَّةً مَا، وَهَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ تَكُونُ صَادِقَةً وَنَافِعَةً، فَلَمْ يَعُدْ فِي الْعُمْرِ وَقْتُ لِلْكَذِبِ وَالْخِدَاعِ، فَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا عَظِيمًا؛ فَابْحَثْ عَنِ الْأُمْنِيَّاتِ الْآخِرَةِ لِزُعَمَاءِ الْغَابَةِ السَّابِقِينَ، وَاجْتَهِدْ فِي تَحْقِيقِهَا... قَالَ الْأَسَدُ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ، شُكْرًا لَكَ يَا صَدِيقِي.

رَجَعَ فِرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَانْقَطَعَ عَنْ زِيَارَةِ الْغَابَةِ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسَدِ ذِكْوَانِ، فَاسْتَأْذَنَ مِنَ وَالِدَيْهِ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ الْغَابَةِ لِيَعْرِفَ مَا حَدَثَ فِي غِيَابِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْجَمِيعُ بِسَعَادَةٍ، وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مَلِكَ الْغَابَةِ يَبْحَثُ عَنْهُ، فَذَهَبَ فِرْحَانُ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَأَى الْأَسَدَ رَحَّبَ بِهِ وَأَحْسَنَ اسْتِقْبَالَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ تَذَكَّرُ يَا صَدِيقِي مَا نَصَحْتَنِي بِهِ مُنْذُ عَامٍ؟!!!... قَالَ فِرْحَانُ: نَعَمْ، وَأَنَا أَشْتَاقُ لِمَعْرِفَةِ مَا حَدَثَ... قَالَ الْأَسَدُ: سَأُخَذُّكَ فِي جَوْلَةٍ لَتَرَى النَتِيجَةَ بِنَفْسِكَ.

انْطَلَقَ فِرْحَانُ مَعَ الْأَسَدِ ذِكْوَانِ، فَوَجَدَ الْغَابَةَ قَدْ تَطَوَّرَتْ كَثِيرًا وَأَصْبَحَتْ أَجْمَلَ، وَسُكَّانُهَا يَعْيشُونَ فِي سَعَادَةٍ، فَصَاحَ فِرْحَانُ قَائِلًا: كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ذِكْوَانِ؟!!!... ابْتَسَمَ الْأَسَدُ وَقَالَ: لَقَدْ عَمِلْتُ بِنَصِيحَتِكَ، وَجَمَعْتُ أُمْنِيَّاتِ زُعَمَاءِ الْغَابَةِ الَّتِي مَنُّوْهَا قَبْلَ مَوْتِهِمْ، وَوَضَعْتُ خُطَّةً لَتَحْقِيقِهَا، وَوَزَعْتُ الْأَدْوَارَ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَأَعْطَيْتُهُمُ الْجَوَائِزَ وَالْمَكَافَآتِ، فَكَانَ مَا رَأَيْتُهُ الْيَوْمَ مِنْ إِنْجَازَاتٍ... قَالَ فِرْحَانُ: أَخْبِرْنِي بَبَعْضِ هَذِهِ الْأُمْنِيَّاتِ، وَكَيْفَ تَحَقَّقَتْ!!!.

سَكَتَ الْأَسَدُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْأَسَدَ نَبَّهَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَظْلَمْ أَحَدًا، فَأَمَرْتُ الْقَاضِيَ أَنْ يَضَعَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْقَوَانِينِ لِحِمَايَةِ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةِ مِنَ الظُّلْمِ، وَاحْتَرَمْتُ هَذِهِ الْقَوَانِينِ، وَطَبَّقْتُهَا عَلَى الْجَمِيعِ.

وَعَلِمْتُ أَنَّ مَلَكَ النَّحْلِ قَبْلَ مَوْتِهَا تَمَنَّتْ أَنْ تَمْتَلِيَ الْغَابَةَ بِالزُّهُورِ؛
حَتَّى يَشْبَعَ سُكَّانُ مَمْلَكَتِهَا مِنَ الرَّحِيقِ، فَأَمَرْتُ بِزِرَاعَةِ أَجْمَلِ الْوُرُودِ
وَالْأَزْهَارِ، فَفَرِحَ النَّحْلُ كَثِيرًا، وَأَنْتَجَ لَنَا عَسَلًا وَفِيرًا.

أَمَّا زَعِيمُ الْفِيلَةِ فَقَدْ مَاتَ أَثْنَاءَ الْهَجْرَةِ فِي مَوْسَمِ الْجَفَافِ، وَقَبْلَ مَوْتِهِ تَمَنَّى
أَنْ يَتَوَقَّرَ الْمَاءُ فِي غَابَتِنَا طَوَالَ الْعَامِ، فَأَعْلَنْتُ أَنَّنَا سَنَصْنَعُ بُحَيْرَةً كَبِيرَةً لِتَخْزِينِ
مِيَاهِ الْأَمْطَارِ، فَتَحَمَّسَ الْجَمِيعُ لِلْمَشْرُوعِ، وَأَنْجَزُوهُ رَغْمَ التَّعَبِ وَالْجُوعِ.

وَزَعِيمَةُ النَّمْلِ قَبْلَ مَوْتِهَا تَمَنَّتْ لَوْ أَنَّهَا عَلِمَتْ الْجَمِيعَ الْإِدْخَارَ، لِتَحْمِيهِمْ
مِنَ الْأَخْطَارِ، فَفَرَّزْتُ بِنَاءَ مَخَازِنَ كَبِيرَةٍ لِتَخْزِينِ الْحُبُوبِ وَالثَّمَارِ، تَحْتَ
إِشْرَافِ الْخُبَرَاءِ الْأَخْيَارِ، وَشَجَّعْتُ سُكَّانَ الْغَابَةِ عَلَى التَّوْفِيرِ وَالْإِسْتِثْمَارِ.

أَمَّا زَعِيمُ الْقُرُودِ فَقَدْ أُصِيبَ بِمَرَضٍ خَطِيرٍ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِلَاجًا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ
السَّفَرَ إِلَى إِحْدَى الْغَابَاتِ الْبَعِيدَةِ لِيُعَالَجَ هُنَاكَ، فَتَمَنَّى قَبْلَ مَوْتِهِ أَنْ
تَتَوَقَّرَ جَمِيعُ الْأَدْوِيَةِ فِي غَابَتِنَا، فَأَمَرْتُ طَبِيبَ الْغَابَةِ أَنْ يَتَعََاوَنَ مَعَ الشَّعَابِينَ
وَالْعَقَّارِبِ، وَيَصْنَعَ كُلَّ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي نَحْتَاجُهَا، وَوَقَّرْتُ لَهُمْ كُلَّ الْإِمْكَانَاتِ
الْلازِمَةِ، حَتَّى أَصْبَحْنَا نَمْتَلِكُ جَمِيعَ الْأَدْوِيَةِ، وَنُصَدِّرُهَا لِلْغَابَاتِ الْمُجَاوِرَةِ.

وَضَلَّ الْأَسَدُ يَتَكَلَّمُ عَنْ أُمْنِيَّاتِ زُعَمَاءِ الْغَابَةِ الَّتِي حَقَّقَهَا، ثُمَّ قَالَ:
وَالْيَوْمَ سَأَجْمَعُ أُمْنِيَّاتِ ضُعَفَاءِ الْغَابَةِ، وَأَجْتَهِدُ فِي تَحْقِيقِهَا، لِيَعِيشَ
الْجَمِيعُ فِي سَعَادَةٍ.



فكرة تربية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة الأُمْنِيَةِ الأخيرة...

• اسأَلْهُمْ: ما الأُمْنِيَّاتُ التي تَحْلُمُونَ بِتَحْقِيقِهَا في المُسْتَقْبَل القريب والبعيد؟ واستمع إِلَيْهِمْ جيداً، وفكّر معهم في خطوات عَمَلِيَّة لِتَحْقِيقِ هذه الأُمْنِيَّات، ثمّ كلّمْهُمْ عن أُمْنِيَّاتِكَ التي مَنَنْتَها في صِغَرِكَ، وما تَحَقَّقَ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ، وأخبرْهُمْ بِمَا تَتَمَنَّاهُ الآن، واسأَلْهُمْ: هل هناك أُمْنِيَّاتُ (جَمَاعِيَّة) نَحْلُمُ بها كَأُسْرَةٍ؟ وَضَعْ معهم خُطَّةً لِتَحْقِيقِ الأُمْنِيَّاتِ الأُسْرِيَّة.

• اسأَلْ أبنَاءَكَ: لِمَاذَا تَتَصَدَّق؟ وما أَفْضَلُ أنواعِ الصَّدَقَةِ؟ وَمَنْ لا يَمْلِكُ المال هل يُمكنُهُ أَنْ يَتَصَدَّق؟ وهل يُمكن للفقير أَنْ يَسْبِقَ الغَنِيِّ في الصَّدَقَاتِ؟ وما هي الصَّدَقَةُ الجَارِيَّة؟ وهل هناك ثوابٌ خاصٌّ للصَّدَقَةِ على الأقارب الفقراء؟ ثمّ تكلّمْ مَعَهُمْ عن فَضْلِ الصَّدَقَةِ، وساعِدْهُمْ في الإجابة عن الأسئلة السابقة، وأخبرْهُمْ أَنْ إخراجَ الصَّدَقَاتِ يَمْحُو الذُّنُوبَ والخطايا كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ ويَمْحُها فالنبي ﷺ يقول: «والصَّدَقَةُ تَطْفِئُ الخطيئةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 614]، ويوم القيامة تأتي الصَّدَقَةُ كأنّها مَظْلَلَةٌ تَحْمِي صَاحِبَهَا من الحرِّ، ويظلُّ المؤمنُ واقِفاً في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتى يَنْتَهِيَ الحِسَابُ، فقد قال ﷺ: «كُلُّ امرئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ (يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حتى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 872].

• أخبرِ أبنَاءَكَ أَنَّ هناك طريقة يَزِيدُ بها الإنسانُ في عُمُرِهِ، فالنبي ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ له في عُمُرِهِ، وَيُزَادَ في رِزْقِهِ، فَلْيَبْرِّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 2488، وتخريج المسند لشعيب الأرناؤوط ح ر 13811، وقال: صحيح]، وَزِيَادَةُ العُمُرِ تَعْنِي البركةَ فيه، فيَحَقِّقْ في عُمُرٍ قَصِيرٍ من الطَّاعَاتِ والإنجَازَاتِ مَا يَحْتَاجُ إلى عُمُرٍ طَوِيلٍ، وَيَبْقَى ذِكْرُهُ الطَّيِّبُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

سَبَاقُ الْجَمَالِ

في يوم من الأيام شاهدَ فرحانُ إعلانًا لأحدِ العُطور، فانبهرَ بِشَكلِ بَطلِ الإعلان، وتأثَّرَ بِطَريقةِ كَلامِهِ، وَتَسْرِيحَةِ شَعْرِهِ، وَأَلْوَانِ مَلَابِسِهِ، وَبَيَاضِ أَسْنَانِهِ، وَبَعْدَهَا وَقَفَ فرحانُ أَمَامَ المِراةِ يَتَأَمَّلُ شَكلَهُ، وَأَخَذَ يُقَارِنُ نَفْسَهُ بِالْبَطلِ الَّذِي رآه، وَكَانَتِ النَتِيجَةُ أَنَّهُ فَقَدَ الثِّقَّةَ فِي نَفْسِهِ، وَكَرِهَ شَكلَهُ، وَمَلَأَ الحُزْنَ قَلْبَهُ، وَتَسَاءَلَ قَائِلًا: لِمَاذَا لَمْ يَخْلُقْنِي اللهُ جَمِيلًا؟!!!.

وَبَيْنَمَا كَانَ فرحانُ غَارِقًا فِي التَّفَكِيرِ نَادَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ، وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ مَوْعِدَ الشَّيْخِ قَدْ اقْتَرَبَ، فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَانْتَزَعَ نَفْسَهُ مِنْ دَوَّامَةِ الْأَفْكَارِ الحَزِينَةِ، وَانْطَلَقَ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَهُنَاكَ قَالَ الشَّيْخُ: الْيَوْمَ سَنَبْدَأُ حِفْظَ سُورَةِ التَّغَابُنِ، هَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ يَا أَوْلَادِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التَّغَابُنُ: 1-3].

وَبَعْدَ التَّلَاوَةِ أَحْضَرَ الشَّيْخُ الطَّيْنَ الصَّلْصَالَ، وَوَضَعَهُ أَمَامَ الْأَوْلَادِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: لِيَصْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ الشَّكْلَ الَّذِي يُحِبُّهُ، وَيَعْرِضُهُ أَمَامَ زُمَلَائِهِ، وَيَأْخُذُهُ هَدِيَّةً... تَحْمَسُ الْأَوْلَادُ لِلْفِكْرَةِ، وَبَدَؤُوا الْعَمَلَ فِي سَعَادَةٍ، وَصَنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُرِيدُ، فَصَنَعُوا: سَيَّارَةً، وَتَهْنِئَةً، وَوَرْدَةً، وَنَخْلَةً،

وَحُرُوفٍ، وَفِيلٍ، وَزَرَافَةٍ، وَمَنْزِلٍ، وَشَجَرَةٍ، وَغَيْرَهَا... وَوَقَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمَامَ زَمَلَانِهِ وَعَرَضَ إِنْتَاجَهُ، ثُمَّ احْتَفَظُوا بِمَا صَنَعُوهُ، وَشَكَرُوا الشَّيْخَ عَلَى هَذِهِ الْفَقْرَةِ التَّرْفِيَّةِ الْجَمِيلَةِ، فَابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: هَذِهِ التَّجَرِبَةُ لَمْ تَكُنْ لِلتَّرْفِيهِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلتَّعْلِيمِ...

وَسَكَتَ الشَّيْخُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ اجْتَهِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَتَّى يَصْنَعَ شَيْئًا مُتَمَيِّزًا، وَأَحْسَنَ عَمَلَهُ لِيَكُونَ جَمِيلًا، فَمَا بِالْكُمِّ بِمَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ؟!!! كَيْفَ سَيَكُونُ؟!!!... قَالَ الْأَوْلَادُ جَمِيعًا: سَيَكُونُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ مَنْ صُنِعَ اللَّهُ تَعَالَى... قَالَ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتُمْ، وَهَذَا مَا حَدَّثَ عِنْدَمَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ الصُّورِ وَأَكْمَلَهَا وَأَبْدَعَهَا وَأَجْمَلَهَا، وَالْإِنْسَانُ هُوَ أَحْسَنُ الْمَخْلُوقَاتِ صُورَةً وَأَبْهَاهَا مَنَظَرًا، لَكِنَّ هَذَا الْحُسْنَ يَخْتَلِفُ مِنْ إِنْسَانٍ لآخر، فَالْحُسْنُ وَالْجَمَالُ مُوزَّعٌ عَلَى النَّاسِ بِدَرَجَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ...

وَأَخْضَرَ الشَّيْخُ لَوْحَةً كَبِيرَةً، وَرَسَمَ عَلَيْهَا سُلَّمًا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا هُوَ «سُلَّمُ الْجَمَالِ»، فَجَمَالَ النَّاسِ دَرَجَاتٍ مِثْلَ دَرَجَاتِ هَذَا السُّلَّمِ تَمَامًا، إِذَا ارْتَفَعَتْ الدَّرَجَةُ زَادَ الْجَمَالُ، وَإِذَا انْخَفَضَتْ قَلَّ الْجَمَالُ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنَّا فِي إِحْدَى دَرَجَاتِ الْجَمَالِ، وَجَعَلَ فَوْقَهُ دَرَجَاتٍ؛ فِيهَا نَاسٌ أَكْثَرُ مِنْهُ جَمَالًا، وَجَعَلَ أَسْفَلَ مِنْهُ دَرَجَاتٍ؛ فِيهَا نَاسٌ أَقَلُّ مِنْهُ جَمَالًا.

قَالَ فَرِحَانُ: وَلِمَاذَا جَعَلَ اللَّهُ جَمَالَ النَّاسِ دَرَجَاتٍ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: سُؤَالُكَ جَمِيلٌ يَا بُنَيَّ، وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا

ءَاتَكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[الأنعام: 165]﴾، فإلله تعالى رَفَعَ بَعْضَكُمْ -أيها الناس- فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ فِي الْمَالِ وَالصَّحَّةِ وَالْجَمَالِ والقُوَّةِ وغيرها، لِيُخْتَبِرَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَالْفَائِزُ فِي هَذَا الْاِخْتِبَارِ مَنْ يَرْضَى وَيَصْبِرُ وَيَشْكُرُ.

قَالَ فرحان: لَكِنَّا قَدْ نَشْعُرُ بِالْحُزْنِ عِنْدَمَا نَرَى أَحَدًا أَجْمَلَ مِنَّا!!!... قَالَ الشيخ: وهذا الحُزْنُ لَهُ دَوَاءٌ، وَسَأَكْتُبُهُ لَكَ... وَكُتِبَ الشَّيْخُ الدَّوَاءُ فِي وَرَقَةٍ، وَأَعْطَاهَا لِفَرْحَانَ، فَقَرَأَهَا بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ قَالَ: مَا هَذَا يَا شَيْخَنَا؟! أَيْنَ الدَّوَاءُ؟! أَنْتَ لَمْ تَكْتُبْ إِلَّا حَدِيثَيْنِ لِلنَّبِيِّ ﷺ... قَالَ الشيخ: وهذا هو عِلَاجُ الْحُزْنِ يَا بُنَيَّ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ (فِي الرِّزْقِ وَالْمَالِ وَالصَّحَّةِ وَالْجَمَالِ وَغَيْرِهَا)، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا (أَلَّا تَحْتَقِرُوا) نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»، فَالْعَمَلُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يُعَالِجُ الْحُزْنَ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ، وَيَجْعَلَكَ تَشْعُرُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، أَمَّا إِذَا نَظَرْتَ يَوْمًا لِمَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْكَ، وَشَعَرْتَ بِالْحُزْنِ، فَعِلَاجُكَ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»، يَغْنِي عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْكَ، وَتَشْعُرُ بِالْحُزْنِ، فَاَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَقْلُ مِنْكَ جَمَالًا؛ لِتَشْعُرَ بِالرِّضَا وَالسَّعَادَةِ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ أَخْرَجَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأُورَاقِ، وَوَرَّعَهَا عَلَى الْأَوْلَادِ، وَقَالَ: هَذِهِ وَصِيَّةٌ لَوْ عَمِلْتُمْ بِهَا سَتُصْبِحُونَ سَعْدَاءَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَرَأَ الْأَوْلَادُ الْوَصِيَّةَ بِحِمَاسٍ، ثُمَّ نَظَرُوا لِبَعْضِهِمْ بِاسْتِغْرَابٍ، وَقَالُوا: نَحْنُ لَمْ نَفْهَمْ شَيْئًا!!!... فَقَالَ الشَّيْخُ: تَأَمَّلُوا مَعِيَ قَوْلَهُ

تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [التَّغَابُن: 3] ، وَهَذَا تَلَا حِطُّونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ خَلْقَ النَّاسِ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ، وَبَعْدَهَا مُبَاشَرَةً قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ يَغْنِي: إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيُجَازِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ... فَبَعْدَ ذِكْرِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا جَاءَ التَّذْكِيرُ بِمَصِيرِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ حَتَّى لَا نَهْتَمَّ بِالصُّورَةِ وَنُهْمِلَ الْمَصِيرَ، وَالشَّيْطَانُ -يَا أَبْنَائِي- يَسْعَى جَاهِدًا لِيَجْعَلَنَا نَنَشْغِلَ بِجَمَالِنَا وَنَنْسَى مَصِيرَنَا؛ حَتَّى نَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، لِذَلِكَ كَانَتْ وَصِيَّتِي لَكُمْ: «لَا تَجْعَلُوا الصُّورَةَ تُنْسِيَكُمْ الْمَصِيرَ».

شَكَرَ فَرْحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ سَعِيدًا، وَقَرَّرَ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعَمَلِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ لِيُعَالَجَ أَحْزَانَهُ، وَلَا يَنْشَغِلَ بِالصُّورَةِ عَنِ الْمَصِيرِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ يَقْرَأُ وَرَدَّهُ الْيَوْمِي مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَبَعْدَهَا ذَهَبَ لِمُزَارَعَةِ الْحَكِيمِ الْغَابَةِ فِي بَيْتِهِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً هُنَاكَ، وَرَأَى الْحَكِيمَ قَادِمًا مِنْ بَعِيدٍ فَصَاحَ قَائِلًا: أَبْشُرُوا، هَذَا قَدْ جَاءَ فَرْحَانُ، وَسَيُسَاعِدُنَا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- فِي حَلِّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ...

صَاحَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي حَمَاسٍ، وَاسْتَقْبَلَتْ فَرْحَانُ فِي سَعَادَةٍ، فَحَيَّاهُمْ بِتَوَاضُعٍ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْحَكِيمِ قَائِلًا: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْحَكِيمُ: بِالْأَمْسِ رَأَى الْأَسَدُ وَجْهَهُ فِي مَاءِ الْبُحَيْرَةِ، وَقَارَنَ نَفْسَهُ بِسُكَّانِ الْغَابَةِ مِنْ حَوْلِهِ، وَأَحَسَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَجْمَلُ مِنْهُ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي

لأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ أَجْمَلُ مَنْ مَلِكِ الْغَابَةِ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: وَمَاذَا فَعَلَ
الْأَسَدُ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ الْحَكِيمُ: فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ فُوجِئْنَا بِإِعْلَانَاتٍ
كَثِيرَةٍ تَمَلُّ الْأَشْجَارَ، مَكْتُوبٍ فِيهَا: لَقَدْ شَاهَدَ مَلِكُ الْغَابَةِ الْحَيَوَانَاتِ
الْجَمِيلَةَ تُسَيِّءُ التَّصَرُّفَ، وَرَأَى أَنَّ الْحَيَاةَ بِدُونِهِمْ سَتَكُونُ أَجْمَلُ، وَلِذَلِكَ
قَرَّرَ طَرْدَهُمْ مِنَ الْغَابَةِ، وَلِأَنَّهُ مَلِكُ رَحِيمٍ فَإِنَّهُ يُعْطِي كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ
وَالطُّيُورِ الْجَمِيلَةَ مُهْلَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِتُغَادِرَ الْمَكَانَ، وَإِلَّا سَيَقْتُلُهَا... صَاحَ
فَرْحَانُ قَائِلًا: لَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ شَيْءٍ، لَقَدْ قَرَّرَ الْأَسَدُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ
الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ الْجَمِيلَةِ؛ لِيَكُونَ هُوَ أَجْمَلُ حَيَوَانٍ فِي الْغَابَةِ!!!.

وَسَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَكِنْ مَنْ هِيَ الْحَيَوَانَاتُ وَالطُّيُورُ الْجَمِيلَةُ
الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَنْهَا هَذَا الْإِعْلَانُ؟!... قَالَ الْحَكِيمُ: لَا نَذْرِي، فَالْأَسَدُ لَمْ يُخْبِرْ
أَحَدًا مَنْ تَكُونُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ وَالطُّيُورُ، وَلَمْ يُوضَّحْ ذَلِكَ فِي الْإِعْلَانِ،
وَلِذَلِكَ دَبَّ الرُّعْبُ فِي نُفُوسِ الْجَمِيعِ، وَأَصْبَحُوا خَائِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

نَظَرَ فَرْحَانُ حَوْلَهُ بَاسْتِغْرَابٍ ثُمَّ قَالَ: الطَّاوُوسُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَخَافَ
عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ جَمِيلٌ، وَكَذَلِكَ الْبَيْغَاءُ، لَكِنْ لِمَاذَا يَخَافُ الْحِمَارُ وَالْفِيلُ
وَالسُّلْحَفَاءُ وَالتَّمَسَّاحُ وَالنَّعَامَةُ وَالزَّرَافَةُ وَالْبُومَةُ؟! هَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
أَجْمَلُ مِنَ الْأَسَدِ؟!... صَاحَ الْجَمِيعُ اعْتِرَاضًا عَلَى كَلَامِ فَرْحَانَ، وَنَهَقَ
الْحِمَارُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَصَبْرِي جَمِيلٌ، وَأَتَحَمَّلُ الْعَمَلَ الثَّقِيلَ... وَقَالَ
الْفِيلُ: وَأَنَا خُرْطُومِي طَوِيلٌ، وَلَيْسَ لَهُ مِثِيلٌ... وَقَالَتِ السُّلْحَفَاءُ: وَأَنَا
بَيْتِي أَجْمَلُ الْبُيُوتِ، وَبِدُونِهِ سَأَهْلِكُ وَأَمُوتُ... وَقَالَ التَّمَسَّاحُ: وَأَنَا
جِلْدِي لَيْسَ لَهُ مِثِيلٌ، وَيُصْنَعُ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ جَمِيلٍ... وَقَالَتِ النَّعَامَةُ:
أَمَّا أَنَا فَرِيشِي النَّاعِمُ يَحْلُمُ بِهِ كُلُّ نَائِمٍ... وَقَالَتِ الزَّرَافَةُ: وَأَنَا رَقَبَتِي

الْجَمِيلَةَ تُعْطِينِي أَجْمَلَ زِينَةٍ... وَقَالَتْ الْبُومَةُ: وَأَنَا نَظَرِي الْقَوِيَّ
يَجْعَلُنِي أَرَى فِي الظَّلَامِ كُلِّ خَفِيٍّ...

سَكَتَ فَرْحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: أَعْتَذِرُ لَكُمْ جَمِيعًا فَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي حَقِّكُمْ،
وَلَقَدْ عَرَفْتُ الْآنَ سِرَّ خَوْفِكُمْ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَنْظُرُ لِلْجَمَالِ الَّذِي
يَمْلِكُهُ، وَلَا يَنْظُرُ لِجَمَالِ الْآخَرِينَ، وَلَقَدْ جَاءَتْنِي فِكْرَةٌ تَجْعَلُ الْأَسَدَ
يُلْغِي قَرَارَهُ الظَّالِم... صَاحَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي حَمَاسٍ وَسَأَلُوا فَرْحَانَ عَنْ
هَذِهِ الْفِكْرَةِ؟ فَقَالَ: نُقِيمُ فِي الْغَابَةِ سَبَاقًا لِلْجَمَالِ لِنَعْرِفَ مَنْ سَيُغَادِرُ
الْمَكَانَ، وَيَتِمُّ الِاخْتِيَارُ عَنْ طَرِيقِ التَّصْوِيتِ، وَنَتَّفِقُ مَعَ الْجَمِيعِ أَنْ
يَخْتَارُوا زَوْجَةَ الْأَسَدِ وَأَوْلَادَهُ، لِيَفُوزُوا بِلَقَبِ أَجْمَلِ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ،
وَطَبْعًا لَنْ يَسْتَطِيعَ الْأَسَدُ طَرْدَهُمْ، وَعِنْدَهَا يَتَرَجَّعُ عَنْ قَرَارِهِ.

صَاحَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي سَعَادَةٍ، فَقَدْ أَعْجَبَتْهُمْ الْفِكْرَةُ، لَكِنَّ الْفِيلَ صَاحَ
قَائِلًا: وَإِذَا فَشِلَتْ هَذِهِ الْخَطَّةُ، مَاذَا سَنَفْعَلُ؟!... قَالَ الْحَكِيمُ: إِذَا لَمْ
تَنْجَحْ فِكْرَةُ فَرْحَانَ، نَرْحَلُ كُلُّنَا عَنِ الْغَابَةِ، وَنَتْرُكُ الْأَسَدَ وَحْدَهُ، وَهُوَ
لَنْ يَسْتَطِيعَ الْعَيْشَ بِمُفْرَدِهِ، وَعِنْدَهَا يَعْرِفُ أَنَّ الْجَمَالَ لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ
فِي الْحَيَاةِ، وَيَقْبَلُ فِكْرَةَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ، وَيَتَرَجَّأَنَّ أَنَّ
نَعُودَ لِلْغَابَةِ... صَاحَتِ الْحَيَوَانَاتُ وَقَالَتْ: هَذِهِ أَيْضًا فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ،
وَسَنُنْفِذُهَا إِذَا لَمْ تَنْجَحْ خُطَّةُ فَرْحَانَ.

مكتبة

t.me/soramnqraa

فكرة تربية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة سِبَاقِ الْجَمَالِ...

- اسأَلَهُمْ: عن رأيهم في الخطة التي وضَعَهَا فرحان؟ والفِكرة التي اقترحَهَا حكيم الغابة؟ وهل عندَ أحَدِهِم فكرة أخرى وخطة أَفْضَل؟
- تكلّم مع أبنائك عن جَمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وكيف سيكونُ شكلُ الْمُؤْمِنِينَ فيها، فالنبي ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سيكونُ: على نُسخَةِ آدَمَ (في الطول والقوة)، وَصُورَةِ يوسُفَ (في الجَمَالِ والحُسْنِ)، و قَلْبِ أَيُوبَ (في الرِّضَا والطمأنينة) [السلسلة الصحيحة للألباني ح ر 2512، وصحيح الترغيب ح ر 3701]، ويُوسُفَ -عليه السلام- قَدْ أُعْطَاهُ اللَّهُ نِصْفَ الحُسْنِ، وَوَزَعَ النِّصْفَ الثاني على البَشَرِ جميعًا [أنظر: صحيح مسلم ح ر 162].
- اسأَلْ أبنَاءَكَ: كيف نزيدُ جَمالَنا؟ وبعدَ أن تَسْتَمِعَ إليهم أَخْبِرْهُمْ أَنَّ هُنَاكَ سُنَنًا نَبَوِيَّةَ كَثِيرَةٍ تَزِيدُنَا جَمَالًا، منها الاغتِسَالُ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، لقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومُسلم: «حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»، ومنها تَنْظِيفُ الفَمِ بالسَّوَاكِ، لقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومُسلم: «لَوْ لَا أَنَّ أَشَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، (وفي رواية: عَلَى أُمَّتِي)؛ لَأَمَرْتُهُمُ بالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»... وابْحَثْ مع أبنائك عن بَقِيَّةِ سُنَنِ الْجَمَالِ، وَشَجِّعْهُمْ على العمل بها، وَكُنْ قدوةً لهم.
- أَخْبِرْ أبنَاءَكَ أَنَّ الْجَمَالَ نَوْعَانِ: جَمَالُ الظَّاهِرِ في الشَّكْلِ والصُّورَةِ والملبَسِ وغيرها، وَجَمَالُ البَاطِنِ بِالْعِلْمِ والعقلِ والعَمَلِ الصَّالِحِ والخُلُقِ الجَمِيلِ، وهذا هو مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ مَنْ عَبَدَهُ وَمَوْضِعَ مَحَبَّتِهِ، فالنبي ﷺ يَقُولُ فيما رواه مُسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، ثم أَخْبِرْ أبنَاءَكَ أَنَّكَ سَتَقِيمُ بينهم سِبَاقًا في جَمَالِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقَدِّمْ لَهُم أَجْمَلَ جَوَائِزَ وكافئِ الجميعَ على قَدْرِ إِنْجَازِهِمْ.

الْخُذْعَةُ الْكُبْرَى

ذات يوم ذهب فرحانُ إلى حلقة التحفيظ، وقضى هناك وقتًا جميلًا في صُحْبَةِ الْقُرْآن، ولمَّا حَانَ وَقْتُ الانْصِرَافِ قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَوْلَادَ، غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - سَتَكُونُ هُنَاكَ مُفَاجَأَةً، لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يَحْفَظَ الْجَمِيعُ جَيِّدًا.

تَحَمَّسَ الْأَوْلَادُ لِلْفِكْرَةِ، وَتَعَاهَدُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الْحِفْظِ، وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي حَضَرَ الْجَمِيعُ سُعْدَاءَ، فَقَدْ حَفِظُوا جَيِّدًا وَيُرِيدُونَ مَعْرِفَةَ الْمُفَاجَأَةِ، وَلَمَّا تَأَكَّدَ الشَّيْخُ مِنْ حِفْظِهِمْ، قَالَ لَهُمْ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، وَالْآنَ هَيَّا بِنَا... قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: إِلَى النَّادِي... قَالُوا: وَمَاذَا سَنَفْعَلُ هُنَاكَ يَا شَيْخَنَا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: هَذِهِ هِيَ الْمُفَاجَأَةُ، فَحْنُ سَنَحْفَظُ الْقُرْآنَ هُنَاكَ.

انْطَلَقَ الْأَوْلَادُ مَعَ شَيْخِهِمْ، وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى النَّادِي قَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: قَبْلَ الْحِفْظِ سَتَلْعَبُونَ كُرَّةَ الْقَدَمِ... صَاحَ الْأَوْلَادُ فِي سَعَادَةٍ، وَقَسَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ، وَنَزَلُوا الْمَلْعَبَ فِي نَشَاطٍ، لَكِنَّهُمْ فُوجِئُوا بِشَيْءٍ غَرِيبٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَكَانٌ لِتَسْدِيدِ الْأَهْدَافِ، فَسَأَلُوا الشَّيْخَ: أَيْنَ مَرْمَى الْفَرِيقَيْنِ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: سَتَلْعَبُونَ بِدُونِهِمَا... اغْتَرَضَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: الْمَرْمَى أَهَمُّ جُزْءٍ فِي مَلْعَبِ كُرَّةِ الْقَدَمِ، فَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي تُحْتَسَبُ فِيهِ الْأَهْدَافُ، فَكَيْفَ نَلْعَبُ بِدُونِهِ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: الْأَمْرُ بَسِيطٌ، لَا تَحْسِبُوا الْأَهْدَافَ... قَالُوا: وَأَيْنَ سَيَقِفُ حَارِسُ الْمَرْمَى؟!... قَالَ الشَّيْخُ: فِي أَيِّ

مَكَان... قالوا: وَأَيْنَ نَصُوبُ الْكُرَّةِ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: صَوِّبُوهَا حَيْثُ شِئْتُمْ... قالوا: وَكَيْفَ نَعْرِفُ الْفَائِزَ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فَائِزٌ وَلَا خَاسِرٌ، وَالْآنَ هَيَّا ابْدُؤُوا الْمُبَارَاةَ قَبْلَ أَنْ أُغَيِّرَ رَأْيِي!!!.

بَدَأَتِ الْمُبَارَاةَ، وَانْطَلَقَ الْأَوْلَادُ يَجْرُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَيَرْكُلُونَ الْكُرَّةَ لِلْأَمَامِ وَالْخَلْفِ، وَسَادَتْ بَيْنَهُمْ حَالَةٌ مِنَ التَّخَبُّطِ، وَصَارَ بَعْضُهُمْ يَضْحَكُ سَاحِرًا، وَالْآخَرُ يَصْرُخُ غَاضِبًا، وَالثَّلَاثُ يُشِيرُ بِيَدَيْهِ مُتَعَجِّبًا، وَبَعْدَ دَقَائِقَ رَكَلُوا الْكُرَّةَ بَعِيدًا وَتَوَقَّفُوا عَنِ اللَّعِبِ، فَصَاحَ الشَّيْخُ قَائِلًا: لِمَاذَا تَوَقَّفْتُمْ يَا أَوْلَادَ؟!! هَيَّا اكْمِلُوا الْمُبَارَاةَ!!!... فَقَالُوا: وَأَيْنَ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ؟!!! إِنَّا نَجْرِي فِي الْمَلْعَبِ بِلَا هَدَفٍ، وَنَرْكُلُ الْكُرَّةَ بِلَا نَتِيجَةٍ، وَنَتَنَافَسُ عَلَى لَا شَيْءٍ... ضَحِكَ الشَّيْخُ وَقَالَ: صَدَقْتُمْ، فَمَنْ يَرَاكُمْ مَنْ بَعِيدَ يَظُنُّ أَنَّكُمْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْحَمَقَى وَالْمُعْظَلِينَ... تَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: هَلْ تَسْخَرُ مِنَّا يَا شَيْخَنَا وَأَنْتَ مَنْ فَعَلْتَ هَذَا بِنَا؟!!!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: هَيَّا بِنَا نَجْلِسْ، وَسَأُشْرِحُ لَكُمْ كُلَّ شَيْءٍ.

جَلَسَ الْأَوْلَادُ تَحْتَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ، فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ: لِمَاذَا رَفَضْتُمْ إِكْمَالَ الْمُبَارَاةِ؟!!!... قَالَ الْأَوْلَادُ: لِأَنَّهَا كَانَتْ بِلَا هَدَفٍ وَلَا نَتِيجَةٍ... قَالَ الشَّيْخُ: هَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ لِابْدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ هَدَفٌ؟... قَالَ الْأَوْلَادُ: نَعَمْ، فَنَحْنُ نَأْكُلُ لِلنَّغْذَى أَجْسَامَنَا، وَنَأْخُذُ الدَّوَاءَ لِنُعَالِجَ أَمْرَاضَنَا، وَنَنَامُ لِنُرِيحَ أَجْسَامَنَا، وَنَقْرَأُ لِلنَّغْذَى عُقُولَنَا، وَنَفْلَحُ لِنَزْرَعَ لِيَخْصُدَ الثَّمَارَ، وَالتَّاجِرُ يَبِيعُ لِيَرَبِّحَ الْمَالَ، وَالْأَبُ يَعْمَلُ لِيُنْفِقَ عَلَى أَبْنَائِهِ، وَالْأُمُّ تَطْبُخُ لِتُطْعِمَ أَبْنَاءَهَا، وَهَكَذَا.

سَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ لَهُ هَدَفٌ وَنَتِيجَةٌ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ عَبَثٌ بِلَا هَدَفٍ؟! وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ بِلَا نَتِيجَةٍ؛ فَلَا يُحَاسِبُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ؟!... قَالَ الْأَوْلَادُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ... قَالَ الشَّيْخُ: لَكِنْ هُنَاكَ مَنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ... قَالَ الْأَوْلَادُ: وَمَنْ هَذَا الْمَجْنُونُ؟! أَخْبِرْنَا يَا شَيْخَنَا... قَالَ الشَّيْخُ: سَتَعْرِفُونَهُ مِنْ خِلَالِ الْآيَاتِ الَّتِي سَنَحْفَظُهَا الْيَوْمَ.

وبدأ الشيخ يقرأ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿الْمَيَاتُكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۖ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 5-7].

وبعد تلاوة الآيات قال الشيخ: هل عرفتُم الآن مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يُحَاسَبَ بَعْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَفْعَالِهِ؟!... قَالَ الْأَوْلَادُ: لَا، لَمْ نَعْرِفْ... فَقَاطَعَهُمْ فَرَحَانٌ قَائِلًا: لَكِنِّي عَرَفْتُ، إِنَّهُمْ الْكُفَّارُ... قَالَ الشَّيْخُ: وَكَيْفَ عَرَفْتُ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ؟!... تَلَعَثَ فَرَحَانٌ ثُمَّ قَالَ بِطَرِيقَةٍ مَرَحَةٍ: الْآيَاتُ كُلُّهَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الْكُفَّارِ، فَلَبُدَّ أَنَّهُمْ هُمْ!!!... ضَحِكَ الْأَوْلَادُ، وَضَحِكَ الشَّيْخُ، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُونِي جَيِّدًا يَا أَبْنَائِي...

هذه الآيات نَزَلَتْ تُخَاطِبُ كُفَّارَ مَكَّةَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ خَبَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ، إِذْ حَلَّ بِهِمْ سُوءُ عَاقِبَةٍ كُفِّرَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ أَلِيمٌ مُّوجِعٌ، وذلك العذاب الذي أَصَابَهُمْ كَانَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ
لِلرُّسُلِ الَّذِينَ جَاؤُوهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوتِهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ.

قَالَ فَرحَانُ: وماذا فَعَلَ الْكُفَّارُ عندما سَمِعُوا هذه الْآيَاتِ؟... قَالَ
الشيخُ: عَانَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا، وَادَّعُوا بِاطِلَالٍ أَنَّ الْمَوْتَ هُوَ النِّهَايَةُ، وَأَنَّهُمْ
لَنْ يَخْرُجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَنْ يُحَاسَبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ... قَالَ
فرحانُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟!! هَلْ يَخْلُقُنَا اللهُ تَعَالَى ثُمَّ يَتْرُكُنَا هَكَذَا؟!! وَأَيْنَ
يَذْهَبُ الظَّالِمُ وَالْمَظْلُومُ؟ وَكَيْفَ يَتَسَاوَى الْمُحْسِنُ مَعَ الْمُسِيءِ؟!! هَذَا
مُسْتَحِيلٌ!! مُسْتَحِيلٌ!!!... قَالَ الشيخُ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ
تَعَالَى نَبِيَّهٗ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُقْسِمَ لِلْكَفَّارِ بِرَبِّهِ عَلَى أَنَّهُمْ سَيُبْعَثُونَ
أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَيُحَاسَبُونَ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ
كُلُّهُ (الْبَعْثُ وَالْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ) أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

وَسَكَتَ الشيخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: هَيَّا أَكْمِلُوا الْمُبَارَاةَ... فَاعْتَرَضَ الْأَوْلَادُ وَصَاحُوا
قَائِلِينَ: لَا، لَنْ نَخْدِعَ مَرَّةً أُخْرَى!!!... ضَحِكَ الشيخُ وَقَالَ: اطْمَئِنُّوا، فَهَذِهِ
الْمَرَّةَ سَيَكُونُ هُنَاكَ مَرْمَى لِتَسْجِيلِ الْأَهْدَافِ، وَسَنَعْرِفُ الْفَائِزَ وَالْخَاسِرَ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْإِعْلَانَاتِ تَمَلُّاً الْأَشْجَارِ،
وَتُبَشَّرُ الْجَمِيعَ بِافْتِتَاحِ نَادِ رِيَاظِي لِلْحَيَوَانَاتِ، وَتَدْعُوهُمْ لِلِاشْتِرَاكِ فِيهِ،
فَتَعَجَّبَ فَرحَانُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا الرِّيَاضَاتِ الَّتِي سَتُمَارِسُهَا الْحَيَوَانَاتُ؟!!
وَمَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْغَرِيبَةِ؟!! وَمَا الَّذِي سَيَسْتَفِيدُهُ مِنْهَا؟!!

وَبَيْنَمَا فَرحَانُ غَارِقٌ فِي أَفْكَارِهِ، مَرَّ بِهِ الْفِيلُ، وَقَالَ لَهُ مَا زَحَا: هَلْ
تُفَكِّرُ أَنْتَ أَيْضًا فِي الانْضِمَامِ لِهَذَا النَّادِي؟!!... ضَحِكَ فَرحَانُ وَقَالَ:

لَا أَيُّهَا الْفِيلُ، فَأَنَا إِنْسَانٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ... قَالَ الْفِيلُ: حَفِظَكَ اللَّهُ يَا صَدِيقِي، وَلَكِنْ مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا النَّادِي؟!... قَالَ فَرْحَانُ: أَشْعُرُ أَنَّ وَرَاءَهُ سِرًّا كَبِيرًا!!!... ضَحِكَ الْفِيلُ وَقَالَ: هَذَا نَادٍ رِیَاضِي، وَلَيْسَ فِيهِ سِرٌّ كَبِيرٌ وَلَا صَغِيرٌ... قَالَ فَرْحَانُ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْهَدَفَ مِنْ هَذَا النَّادِي؟!... قَالَ الْفِيلُ: لَا أَعْرِفُ!!! رُبَّمَا يَكُونُ بِلَا هَدَفٍ... قَالَ فَرْحَانُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ!!! فَكُلُّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَهُ هَدَفٌ... قَالَ الْفِيلُ: وَلِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ الْهَدَفِ مِنْ إِنْشَاءِ هَذَا النَّادِي?... قَالَ فَرْحَانُ: لِأَعْرِفَ هَلْ هُوَ مَشْرُوعٌ مُفِيدٌ وَنَافِعٌ، أَمْ خُدْعَةٌ يَقُومُ بِهَا أَحَدُهُمْ... قَالَ الْفِيلُ: مَا دَامَ الْأَمْرُ بِهَذِهِ الْأَهَمِّيَّةِ، فَهَيَّا بِنَا نَسْأَلُ سُكَّانَ الْغَابَةِ؛ لَعَلَّ أَحَدَهُمْ يَعْرِفُ الْإِجَابَةَ.

رَكِبَ فَرْحَانُ عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ، وَانْطَلَقَ يَسْأَلُ الْحَيَوَانَاتِ عَنْ سَبَبِ إِنْشَاءِ النَّادِي وَالْهَدَفِ مِنْهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ إِجَابَةً، فَذَهَبَ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ، وَسَأَلَهُ عَنْ فَائِدَةِ نَادِي الْحَيَوَانَاتِ وَالْهَدَفِ مِنْهُ، فَابْتَسَمَ الْأَسَدُ وَقَالَ: النَّادِي الرِّیَاضِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَدَفٍ، فَهُوَ مَكَانٌ لِلْعِبِّ وَالتَّرْفِيهِ... قَالَ فَرْحَانُ: حَتَّى اللَّعْبِ وَالتَّرْفِيهِ لِأَبَدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ هَدَفٌ... قَالَ الْأَسَدُ: لَقَدْ أَخْبَرَنِي الصَّيَّادُونَ أَنَّكَ سَتُفْسِدُ هَذَا الْمَشْرُوعَ الْكَبِيرَ، وَأَنَا لَمْ أَصَدِّقْهُمْ، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ... قَالَ فَرْحَانُ مُتَعَجِّبًا: وَمَا عِلَاقَةُ الصَّيَّادِينَ بِهَذَا النَّادِي؟!... قَالَ الْأَسَدُ: إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الْفِكْرَةِ، كَمَا أَنَّهُمْ تَبَرَّعُوا بِنَاءِ النَّادِي وَتَجْهِيزِهِ؛ حَتَّى تَكُونَ غَابَتُنَا أَجْمَلُ، وَسُكَّانُهَا أَسْعَدُ... قَالَ فَرْحَانُ: وَكَيْفَ تُصَدِّقُ أَنَّ الصَّيَّادِينَ يُرِيدُونَ مَصْلَحَةَ الْحَيَوَانَاتِ؟!... زَارَ الْأَسَدُ فِي غَضَبٍ وَقَالَ: لَا تُتَعَبْ نَفْسَكَ، فَالنَّادِي سَيُقَامُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَزَّضَ عَلَيْهِ، وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَّا نَرَكَ فِي غَابَتِنَا هَذِهِ الْأَيَّامَ.

غَادَرَ فَرَحَانُ الْغَابَةَ حَزِينًا، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ فُوجِيَ بِالْفِيلِ يَزُورُهُ فِي بَيْتِهِ، وَيَدْعُوهُ لِمُقَابَلَةِ الْأَسَدِ، فَقَالَ فَرَحَانُ مُتَعَجِّبًا: وَمَاذَا يُرِيدُ بَعْدَ أَنْ طَرَدَنِي مِنَ الْغَابَةِ؟!... قَالَ الْفِيلُ: لَقَدْ اكْتَشَفَ أَنَّكَ كُنْتَ مُحِقًّا... قَالَ فَرَحَانُ: كَيْفَ؟!... قَالَ الْفِيلُ: لَقَدْ كَشَفَ الصَّيَادُونَ عَنْ وَجْهِهِمُ الْقَبِيحَ، وَأَجْبَرُوا أَعْضَاءَ النَّادِي عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي سِبَاقَاتٍ خَطِيرَةٍ، فَتَأَدَّتِ الْحَيَوَانَاتُ وَأَخَذُوا هُمُ الْأَرْبَاحَ وَالْمُكَافَأَاتِ، وَمُنْذُ أَيَّامٍ أُصِيبَ الثَّوْرُ نَطَّاحٍ إِصَابَاتٍ بَلِيغَةٍ أَثْنَاءَ مُشَارَكَتِهِ فِي مُصَارَعَةِ الثَّيْرَانِ، فَتَرَكَهُ الصَّيَادُونَ لِلْمَوْتِ، وَاتَّضَحَ أَنَّ هَدَفَهُمْ لَمْ يَكُنْ إِسْعَادَ الْحَيَوَانَاتِ كَمَا زَعَمُوا... قَالَ فَرَحَانُ: إِذَا فَلْيُغْلَقِ الْأَسَدُ هَذَا النَّادِي وَيَطْرُدِ الصَّيَادِينَ... قَالَ الْفِيلُ: لَا يَسْتَطِيعُ، لِأَنَّ الصَّيَادِينَ اشْتَرَطُوا فِي الْعَقْدِ أَنْ يَدْفَعَ لَهُمْ مَلِكُ الْغَابَةِ مَبْلَغًا كَبِيرًا جِدًّا إِذَا أُغْلِقَ النَّادِي دُونَ مُوَافَقَتِهِمْ، وَالْأَسَدُ مُلْزَمٌ بِهَذَا الشَّرْطِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَنْفِيزَهُ، وَلِذَلِكَ يَطْلُبُ مُسَاعَدَتَكَ... قَالَ فَرَحَانُ: وَأَنَا لَنْ آتِي مَعَكَ!!... قَالَ الْفِيلُ: هَلْ تَتَخَلَّى عَنَّا؟!... قَالَ فَرَحَانُ: أَنَا لَا أَتَخَلَّى عَنْ أَصْدِقَائِي أَبَدًا، لَكِنِّي سَأُخْبِرُكَ كَيْفَ تُغْلِقُونَ هَذَا النَّادِي دُونَ خَسَائِرٍ، وَلَنْ أَزُورَ الْغَابَةَ إِلَّا بَعْدَ نَجَاحِكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَسَكَتَ فَرَحَانُ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: سَيَظِلُّ النَّادِي مَفْتُوحًا، وَسَتُشَارِكُ الْحَيَوَانَاتُ فِي جَمِيعِ الْمُسَابَقَاتِ، لَكِنَّهَا سَتَتَعَمَّدُ الْخَسَارَةَ دُونَ أَنْ تَتَأَدَّى، وَهَكَذَا يَخْسِرُ الصَّيَادُونَ، وَيُغْلِقُونَ النَّادِي بِأَيْدِيهِمْ... صَاحَ الْفِيلُ قَائِلًا: سَأُخْبِرُ الْأَسَدَ بِهَذِهِ الْخَطَّةِ فِي الْحَالِ، وَأَتَمْنَى أَنْ أَرَكَ فِي الْغَابَةِ قَرِيبًا، مَعَ السَّلَامَةِ يَا صَدِيقِي.



فكرة تربوية

بعد أن تخبري لأبنائك قصة الخُذعةِ الكُبرى...

• اسألهم: عن رأيهم في الخطّة التي وضَعَهَا فرحان لإغلاق النّادي ، وكيف سيواجهها الصيادون؟ وهل ستَنجَح هذه الخطّة؟ وماذا سيفعل الأسد عند نَجَاحِها؟ وماذا سيحدث لو فَشِلَتْ خطة فرحان؟ وهل هناك طريقة أخرى لإنقاذ الحيوانات من خُذعة الصيادين؟.

• أخبرِ أبنَاءَكَ أَنَّ الله تعالى أمرَ النبي ﷺ ثلاثَ مرّات أن يُقسِمَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ على البعث والحِساب يوم القيامة، المرّة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَسَتُنْشِئُونَكُمْ أَحْقَ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: 53]، والمرّة الثانية في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 3]، والمرّة الثالثة في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْذَبَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7].

• اسألِ أبنَاءَكَ: ما فائدة البعث والحِساب؟ وماذا سيفعل الناس لو لم يكن هناك بعث ولا حِساب؟ وكيف ستكون الحياة؟.

• أخبرِ أبنَاءَكَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رضي الله عنه- رأى غِلْمَانًا أَوْ فِتْيَانًا نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا (بالسَّهَام)، فقال أنس: «نَهَى النبي ﷺ أَنْ تُصَبَّرَ الْبَهَائِمُ» رواه البخاري، وصَبَّرَ الْبَهَائِمُ مَعْنَاهُ: حَبَسَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ لَتُقْتَلَ بِالتَّصْوِيبِ وَغَيْرِهِ، وروى الإمام مُسْلِمٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رضي الله عنهما- مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ (بالسَّهَام)، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»، يَعْنِي: مَنْ يَتَّخِذُ الْحَيَوَانَ الْحَيَّ هَدَفًا يُصَوِّبُ عَلَيْهِ.

في يومٍ من الأيام ذهبَ فرحانٌ إلى حلقة التحفيظ، ولمّا حضرَ جميعُ الأولادِ قالَ الشيخُ: سَنَذْهَبُ الآنَ إلى السُّوقِ... تَعَجَّبَ الجميعُ وقالوا: ماذا سَنَفْعَلُ في السُّوقِ؟!... قالَ الشيخُ: سَنَحْفَظُ اليومَ هُناكَ!!!!... نظرَ الأولادُ لِبَعْضِهِم بِاسْتِغْرَابٍ، وتَسَاءَلُوا فيما بَيْنَهُم: ما علاقة حِفْظِ القرآنِ بالسُّوقِ؟! وأَيْنَ سَنَجْلِسُ هُناك؟! وكيفَ سَنَحْفَظُ؟!... فَقَاطَعَهُمُ الشيخُ قائلاً: هَيَّا بِنَا حَتَّى لَا نَتَأَخَّرَ.

انطلقَ الجميعُ إلى السُّوقِ، ولمّا وَصَلُوا إلى هُناك قالَ الشيخُ: أريدُ أنْ أَشْتَرِيَ تَفَاحًا، فهَيَّا نَسْأَلُ عَنْ سِعْرِهِ... وَمَرَّ الشيخُ على تَجَّارِ التَّفَاحِ -وَاحِدًا وَاحِدًا- وَسَأَلَهُمْ عَنْ ثَمَنِهِ، ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ أَحَدِهِمْ، وَقَرَّرَ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ التَّفَاحَ، وَبَعْدَ أَنْ وَزَنَ الْبَائِعُ الْكَمِيَّةَ الْمَطْلُوبَةَ أَعْطَاهُ الشيخُ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ، فاعْتَرَضَ الْبَائِعُ قائلاً: هَذَا أَقَلُّ مِنْ ثَمَنِ التَّفَاحِ بِكَثِيرٍ... قالَ الشيخُ: هَذَا مَبْلَغٌ جَيِّدٌ يَا رَجُلَ، وَهَذَا التَّفَاحُ لَيْسَ فَاخِرًا، وَأَنْتَ جَدِيدٌ فِي السُّوقِ وَلَيْسَ لَدَيْكَ خِبْرَةٌ بِالْأَسْعَارِ... وَظَلَّ الشيخُ يُجَادِلُ الْبَائِعَ حَتَّى وافقَ على بَيْعِ التَّفَاحِ بِنِصْفِ الثَّمَنِ.

كَانَ الأولادُ يُشَاهِدُونَ فِي صَمْتٍ، وَلَمَّا تَمَّتِ الصَّفَقَةُ أَخَذَهُمُ الشيخُ إلى حَدِيقَةٍ قَرِيبَةٍ وَجَلَسُوا هُناك، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَفَاحَةً، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَأْكُلُوهَا إِلَّا عِنْدَمَا يَأْذَنَ لَهُمْ، ثُمَّ ابْتَسَمَ الشيخُ وقالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ كَيْفَ

اشْتَرَيْتُ التَّفَاحَ؟... صَاحَ الْأَوْلَادُ فِي حَمَاسٍ: نَعَمْ يَا شَيْخَنَا، فَقَدْ اشْتَرَيْتَ التَّفَاحَ الْفَاحِرَ بِنِصْفِ الثَّمَنِ... قَالَ الشَّيْخُ: يَا أَبْنَائِي، إِنَّ الدَّهَابَ إِلَى السُّوقِ يَحْتَاجُ إِلَى ذِكَاءٍ، وَالشِّرَاءُ يَحْتَاجُ إِلَى مَكْرٍ وَدَهَاءٍ... فَأَعْتَرَضَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَكِنَّ مَا حَدَّثَ حَرَامٌ يَا شَيْخَنَا!!!... قَالَ الشَّيْخُ: لِمَاذَا يَا بُنَيَّ؟! فَاِنَّا لَمْ أَسْتَخْدِمْ إِلَّا ذَكَائِي فَقَطْ!!!... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ تَعَلَّمْنَا فِي سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ أَلَّا نَسْتَخْدِمَ ذَكَاءَنَا فِي الْخِدَاعِ أَثْنَاءَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ“(1)!!!... قَالَ الشَّيْخُ: لَكِنِّي لَمْ أَخْذَعْ أَحَدًا فِي الْمِيزَانِ!!!... قَالَ فَرْحَانُ: وَلَكِنَّكَ خَدَعْتَ الْبَائِعَ فِي سَعْرِ بَضَاعَتِهِ، وَأَخَذْتَ التَّفَاحَ مِنْهُ بِنِصْفِ ثَمَنِهِ!!!.

وَبَعْدَ حِوَارٍ طَوِيلٍ أَعَادَ فَرْحَانُ التَّفَاحَةَ إِلَى الشَّيْخِ، وَقَالَ: أَنَا لَنْ أَكُلَ حَرَامًا!!!... وَسَادَتْ لِحْظَاتٌ مِنَ الصَّمْتِ، وَنَظَرَ الْجَمِيعُ إِلَى فَرْحَانَ بِاسْتِغْرَابٍ، وَفَجْأَةً ابْتَسَمَ الشَّيْخُ قَائِلًا: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، فَاِنَّا اسْتَخْدَمْتُ مَعَ الْبَائِعِ نَوْعًا مِنَ الْخِدَاعِ يُسَمَّى الْغُبْنَ، وَهُوَ حَرَامٌ... تَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: وَمَا مَعْنَى الْغُبْنِ يَا شَيْخَنَا؟... قَالَ الشَّيْخُ: الْغُبْنُ هُوَ الْخِدَاعُ فِي ثَمَنِ السِّلْعَةِ، فَتَخْدَعُ الْبَائِعَ وَتَشْتَرِي مِنْهُ السِّلْعَةَ بِأَقْلَ مِنْ ثَمَنِهَا بِكَثِيرٍ؛ لِتَكْسِبَ أَنْتَ وَيَخْسَرَ الْبَائِعُ، أَوْ تَخْدَعُ الْمُشْتَرِيَ وَتَبِيعَهُ السِّلْعَةَ بِأَعْلَى مِنْ ثَمَنِهَا بِكَثِيرٍ، لِتَكْسِبَ أَنْتَ وَيَخْسَرَ الْمُشْتَرِيَ، وَهَذَا هُوَ الْغُبْنُ الْمُحَرَّمُ يَا أَبْنَائِي.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحْظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: اطْمَئِنُّوا يَا أَوْلَادَ، فَشَيْخُكُمْ -بِفَضْلِ اللَّهِ- لَا يَأْكُلُ حَرَامًا، وَمَا حَدَّثَ مَعَ بَائِعِ التَّفَاحِ كَانَ مَثَلِيَّةً رَتَّبْتُهَا مَعَهُ بِالْأَمْسِ؛ حَتَّى تَفْهَمُوا الْآيَاتِ الَّتِي سَنَحْفَظُهَا الْيَوْمَ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ الْيَوْمَ الْجَمْعُ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا

(1) انظر: حكايات فرحان مع القرآن - جُزْءٌ عَمَّ - قِصَّةُ «الْحِمَارِ طَافِيْفٍ».

يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ [التغابن: ٩، ١٠]... فالتَّغَابُنُ يَا أَبْنَائِي اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالْإِنْسَ وَالْجِنَّ، وَأَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ، وَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَ كُلِّ عَبْدٍ وَعَمَلِهِ، وَبَيْنَ كُلِّ نَبِيٍّ وَأُمَّتِهِ، وَبَيْنَ كُلِّ ظَالِمٍ وَمَظْلُومٍ؛ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

قَالَ فَرحَانُ: وَلِمَاذَا سُمِّيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ «يَوْمُ التَّغَابُنِ»؟!... قَالَ الشَّيْخُ: يَا بُنَيَّ، هَذِهِ الدُّنْيَا يَحْدُثُ فِيهَا غُبْنٌ كَثِيرٌ، فَيَرْبَحُ أَحَدُهُمْ وَيَخْسِرُ آخَرُ، لَكِنَّ الرِّبْحَ الْحَقِيقِيَّ وَالْخَسَارَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَرْبَحُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَدْخُلُونَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَهَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا فَوْزَ بَعْدَهُ، وَيَخْسِرُ الْكُفَّارُ وَيَدْخُلُونَ النَّارَ، وَيَمَكُثُونَ فِيهَا أَبَدًا، وَهَذَا هُوَ بِئْسَ الْمَصِيرُ؛ لِأَنَّ النَّارَ جَمَعَتْ كُلَّ بُؤْسٍ وَشِدَّةٍ، وَشَقَاءٍ وَعَذَابٍ.

وَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى فَرحَانٍ وَقَالَ: سَأَضْرِبُ لَكَ مِثَالًا يُوضِّحُ الْمَعْنَى أَكْثَرَ، الظَّالِمُ وَالْمَظْلُومُ فِي الدُّنْيَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمَا تَغَابُنٌ، فَالظَّالِمُ يَغْنِي الْمَظْلُومَ وَيَأْخُذُ حَقَّهُ، وَهَكَذَا يَفُوزُ الظَّالِمُ وَيَخْسِرُ الْمَظْلُومُ، لَكِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ نِهَآيَةَ الْحِكَايَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَحْدُثُ الْغُبْنُ الْحَقِيقِي، فَيَرْبَحُ الْمَظْلُومُ وَيَخْسِرُ الظَّالِمُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِيَوْمِ التَّغَابُنِ.

ابْتَسَمَ فَرَحَانُ وَقَالَ: هَذَا مِثَالُ جَمِيلٍ يَا شَيْخَنَا، فَهَلْ هُنَاكَ مِثَالٌ آخَرَ؟... قَالَ الشَّيْخُ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، فَالْكَافِرُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ يَغْنُمُ الْمُؤْمِنَ، فَيَفُوزُ بِبَعْضِ اللَّذَاتِ وَيَخْسِرُهَا الْمُؤْمِنَ، لَكِنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَفُوزُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَإِلَى الْأَبَدِ، وَيَخْسِرُ الْكَافِرُ كُلَّ شَيْءٍ وَإِلَى الْأَبَدِ، فَاللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنَازِلَ، مَنَزَلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنَزَلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا دَخَلَ الْكَافِرُ النَّارَ بَقِيَ مَكَانُهُ فِي الْجَنَّةِ فَارْعَا، فَيَأْخُذُهُ الْمُؤْمِنُ وَيَتَنَعَّمُ بِهِ، وَإِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ الْجَنَّةَ بَقِيَ مَكَانُهُ فِي النَّارِ فَارْعَا، فَيَأْخُذُهُ الْكَافِرُ وَيُعَذِّبُ فِيهِ، وَعِنْدَهَا يَحْدُثُ لِلْكَافِرِ الْغُبْنُ الْأَلِيمُ؛ لِأَنَّهُ اسْتَبَدَلَ مَكَانًا فِي الْجَنَّةِ، بِمَكَانٍ فِي النَّارِ، وَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ وَقَالَ: هَيَّا أَجْمَعُوا التَّفَاحَ وَأَحْضِرُوهُ إِلَيَّ... صَاحَ الْأَوْلَادُ: أَلَنْ نَأْكُلَهُ يَا شَيْخَنَا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: لَا، سَأَعْطِيهِ كُلَّهُ لِفَرَحَانَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي اغْتَرَضَ عَلَى الْغُبْنِ، وَرَفَضَ أَكْلَ الْحَرَامِ.

شَكَرَ فَرَحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ سَعِيدًا، وَأَعْطَى التَّفَاحَ لِوَالِدَيْهِ، وَحَكَى لَهُمَا مَا حَدَثَ، فَشَكَرَاهُ، وَكَافَاهُ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ فَرَحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْعُصْفُورَةَ تَقِفُ عَلَى الْغُصْنِ حَزِينَةً، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ حُزْنِهَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَا الْعُصْفُورَةِ وَقَالَتْ: لَقَدْ ظَلَلْتُ طَوَالَ النَّهَارِ أَجْمَعُ الْحُبُوبَ مِنَ الْحُقُولِ، وَلَمَّا بَعَثَهَا لِلْقَرْدِ غُبُونٌ، لَمْ يُعْطِنِي إِلَّا مَبْلَغًا قَلِيلًا جَدًّا!!!!... قَالَ فَرَحَانُ: لَا تَبْكِي أَيْتُهَا الْعُصْفُورَةُ، فَغَدًا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- تَجْمَعِينَ حُبُوبًا أَكْثَرَ، وَتَبِيعِينَهَا بِمَبْلَغٍ أَكْبَرَ.

وَمَشَى فَرحَانُ فِي طَرِيقِهِ، فَوَجَدَ الْبَبْغَاءَ يَجْلِسُ فِي الْعُشِّ حَزِينًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ، فَتَنَهَّدَ الْبَبْغَاءُ وَقَالَ: لَقَدْ كُنْتُ الْيَوْمَ مَرِيضًا، وَلَمْ
أَجِدْ فِي الْعُشِّ مَا أَكُلُهُ، فَاشْتَرَيْتُ بَعْضَ الْحُبُوبِ مِنَ الْقِرْدِ غُبُونٍ، فَبَاعَهَا
لِي بِثَمَنِ كَبِيرٍ جَدًّا!!!!... قَالَ فَرحَانُ: لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْغُرَابُ، فَعَدًّا -إِنْ شَاءَ
اللَّهُ- سَتَكُونُ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ، وَتَطِيرُ حَيْثُمَا تَشَاءُ، وَتَأْكُلُ مِنَ الْغَابَةِ مَجَانًّا.

وَمَرَّ فَرحَانُ عَلَى الْبُحَيْرَةِ، فَوَجَدَ الْبَجْعَةَ تَجْلِسُ حَزِينَةً، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا
وَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ حُزْنِهَا، فَقَالَتْ: لَمْ أَصْطَدِ الْيَوْمَ إِلَّا سَمَكَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ،
وَبِعْتُهُمَا لِلْقِرْدِ غُبُونٍ، فَدَفَعَ لِي ثَمَنَ سَمَكَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَخَذَ الثَّانِيَةَ مَجَانًّا...
قَالَ فَرحَانُ: لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْبَجْعَةُ، فَعَدًّا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- تَصْطَادِينَ
سَمَكًا أَكْبَرَ، وَتَكْسِبِينَ نَفُودًا أَكْثَرَ.

وَمَشَى فَرحَانُ قَلِيلًا، فَوَجَدَ الْبَطَّةَ تَجْلِسُ حَزِينَةً، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا عَنْ
سَبَبِ حُزْنِهَا، فَقَالَتْ: ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ طَلَبَتْ مِنِّي سَمَكَةً، وَلَمْ أَسْتَطِعْ صَيْدَهَا
مِنَ الْبُحَيْرَةِ، فَذَهَبْتُ إِلَى الْقِرْدِ غُبُونٍ لِأَشْتَرِيَ مِنْهُ سَمَكَةً، فَطَلَبَ مَبْلَغًا
كَبِيرًا ثَمَنًا لَهَا، فَلَمْ أَسْتَطِعْ شِرَاءَهَا!!!!... قَالَ فَرحَانُ: لَا تَبْكِي أَيُّهَا الْبَطَّةُ،
فَعَدًّا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- تَصْطَادِينَ الْكَثِيرَ مِنَ السَّمَكِ، وَتُعْطِيهِ لَابْنَتِكَ الْحَبِيبَةِ.

وَأَكْمَلَ فَرحَانُ طَرِيقَهُ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ وَجَدَ الْحِمَارَ يَقِفُ بَاكِيًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ، فَتَهَقَّ الْحِمَارُ وَقَالَ: إِنَّنِي أَبْكِي بِسَبَبِ ظُلْمِ الْقِرْدِ
غُبُونٍ، فَقَدْ عَمِلْتُ عِنْدَهُ طَوَالَ النَّهَارِ، فَأَعْطَانِي نِصْفَ الْأَجْرِ فَقَطْ، بِحُجَّةٍ
أَنَّنِي لَمْ أَقْمِ بِكُلِّ الْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ... قَالَ فَرحَانُ: لَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْحِمَارُ،
فَعَدًّا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- تَعْمَلُ بِشَكْلِ أَفْضَلِ، وَتَحْصُلُ عَلَى أَجْرِ أَكْبَرَ.

ومشى فرحان بضَعِ خُطَوَاتٍ، وقالَ في نَفْسِهِ: مَنْ هَذَا الْقِرْدُ غَبُونُ الَّذِي يَمْلَأُ الغَابَةَ حُزْنًا؟!!! سأَذْهَبُ إِلَى حَكِيمِ الغَابَةِ لأُفْهَمَ مِنْهُ هَذَا اللُّغْزَ... واستَقْبَلَ الحَكِيمُ فرحانَ بِتَرْحَابٍ شَدِيدٍ، وَحَكَى لَهُ حِكَايَةَ الْقِرْدِ غَبُونُ، فَقَالَ: إِنَّ غَبُونُ يَمْتَلِكُ الكَثِيرَ مِنَ المَحَلَّاتِ، وَيُتَاجَرُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ، لَكِنَّهُ يَظْلِمُ الحَيَوَانَاتِ، فَيَشْتَرِي الْأَشْيَاءَ مِنْهُمْ بِنِصْفِ ثَمَنِهَا، وَيَبِيعُهَا لَهُمْ بِضِعْفِ الثَّمَنِ... قَالَ فرحانُ: وَلِمَاذَا لَا يَتَعَامَلُونَ مَعَ تَاجِرٍ آخَرَ؟!!!... تَنَهَّدَ الحَكِيمُ وَقَالَ: لَا يُوجَدُ فِي الغَابَةِ تَاجِرٌ غَيْرُهُ!!! فَالْحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا فَقِيرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَفْتَحَ مَحَلًّا صَغِيرًا، وَإِذَا نَجَحَ أَحَدُهُمْ فِي ذَلِكَ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ مُنَافَسَةَ الْقِرْدِ غَبُونُ.

سَكَتَ فرحانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: وَهَلْ هُنَاكَ أَحَدٌ عِنْدَهُ خِبْرَةٌ فِي التَّجَارَةِ؟!!!... قَالَ الحَكِيمُ: الْقِرْدُ صَلْحُونُ عَمِلَ فِتْرَةً عِنْدَ غَبُونُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ شَرِيكًا فِي ظُلْمِهِ... صَاحَ فرحانُ قَائِلًا: إِذَا الْقِرْدُ صَلْحُونُ يَفْتَحُ دُكَّانًا... قَالَ الحَكِيمُ: كَيْفَ وَهُوَ حَيَوَانٌ فَقِيرٌ جَدًّا؟!!!... قَالَ فرحانُ: سَنَجْمَعُ ثَمَنَ الدُّكَّانِ مِنْ حَيَوَانَاتِ الغَابَةِ، وَنَفْتَحُهُ لِلْقِرْدِ صَلْحُونُ، فَيَكُونُ الدُّكَّانُ مِلْكًا لِلْجَمِيعِ، وَيَقُومُ الْقِرْدُ صَلْحُونُ بِإِدَارَتِهِ... ابْتَسَمَ الحَكِيمُ وَقَالَ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ، وَسَنُنْقِذُهَا فِي الْحَالِ.

وَفَتَحَ الْقِرْدُ صَلْحُونُ دُكَّانًا صَغِيرًا، فَسَخِرَ مِنْهُ غَبُونُ، لَكِنَّ الْأَيَّامَ كَانَتْ تُحْبِي لَهُ مُفَاجَأَةً كَبِيرَةً، فَقَدْ نَجَحَ صَلْحُونُ وَكَبُرَتْ تِجَارَتُهُ، وَفَقَدَ الْقِرْدُ غَبُونُ كُلَّ زَبَائِنِهِ، وَعَرَضَ مَحَلَّاتِهِ لِلْبَيْعِ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ صَلْحُونُ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ أَنْفَقَ غَبُونُ كُلَّ أَمْوَالِهِ، وَاضْطَرَّ لِلْعَمَلِ عِنْدَ الْقِرْدِ صَلْحُونُ، لَكِنْ بِشَرْطٍ أَلَّا يَظْلِمَ أَحَدًا أَوْ يَخُونُ.

فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة القرد غبون...

● احكِ لهم بعض المواقف التي تعرّضت لها في السوق، ولا يُمكنك أن تنساها، ثم خذهم إلى السوق، واجعلهم يُشاركون في عملية الشراء، وعلمهم كيفية اختيار السلعة، والسؤال عن ثمنها، وكيفية اكتشاف الغبن والخداع.

● استمع مع أبنائك لشرح أحد العلماء الثقات لقول النبي ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»، ثم فكر مع أبنائك في كيفية العمل بهذا الحديث الشريف.

● أخبر أبنائك أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه البخاري ومسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعَدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

● أخبر أبنائك أن النبي ﷺ قال لأصحابه فيما رواه مسلم: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قالوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

● اجعل أبنائك يبحثون عن معنى قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»، ثم استمع إليهم، واتفق معهم على خطوات عملية لاستغلال الصحة والفراغ في الخيرات.

الدَّوَاءُ الْغَرِيبُ

ذَاتَ يَوْمٍ اجْتَمَعَ الأولادُ في حلقة التحفيظ، وكانَ فرحانُ يجلسُ صامتًا وحزينًا، فقالَ له الشيخُ: ماذا بكِ يا بُنَيَّ؟!... دَمَعَتْ عَيْنَا فرحانَ ولمْ يتكلَّم، فقالَ زميلُهُ: إِنَّهُ حزينٌ بسببِ ما حَدَثَ له، فَقَدْ تَعَثَّرَ في الطريق، وَقُطِعَ ثَوْبُهُ، وَضَاعَ قَلَمُهُ... قَالَ الشيخُ: لَا تَحْزَنْ يا بُنَيَّ، فالحياءُ مليئةٌ بالمصائبِ والأحزانِ، وتَهُونُ بالصَّبْرِ والإيمانِ... بَكَى فرحانُ وقال: لَقَدْ مَرَّ عَشْرَاتِ النَّاسِ بِسَلامٍ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، فَلَمَّاذَا تَعَثَّرْتُ فِيهِ أَنَا؟! ولَمَّاذَا حَدَّثْتُ هَذِهِ الْمُصِيبَةَ لي وَلَمْ تَحْدِثْ لِأَحَدٍ غَيْرِي؟!... قَالَ الشيخُ: عِنْدِي فِكْرَةٌ سَتُجِيبُ عَنْ سُؤْالِكَ...

وَنَظَرَ الشيخُ إِلَى الأولادِ وَقَالَ: لِيُخْبِرْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِآخِرِ مُصِيبَةٍ حَدَّثَتْ لَهُ... تَحَمَّسَ الأولادُ لِلْفِكْرَةِ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ ضَاعَتْ نُقُودِي... وَقَالَ آخَرُ: مَاتَ جَدِّي... وَقَالَ ثَالِثٌ: سُرِقَتْ دَرَجَاتِي... وَقَالَ رَابِعٌ: مَرَضَتْ أُمِّي... وَقَالَ خَامِسٌ: كُسِرَتْ قَدَمِي... وَلَمَّا انْتَهَى الْجَمِيعُ مِنْ ذِكْرِ مَصَائِبِهِمْ قَالَ فرحانُ: لَقَدْ فَهِمْتُ يَا شَيْخَنَا، فَالْمَصَائِبُ تَحْدُثُ لِلْجَمِيعِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مُصِيبَتُهُ الْخَاصَّةُ، وَلَكِنْ عِنْدِي سُؤْالٌ؛ لَمَّاذَا تَحْدُثُ الْمَصَائِبُ؟!... قَالَ الشيخُ: الْإِجَابَةُ عَنْ سُؤْالِكَ يَا بُنَيَّ فِي الْآيَاتِ الَّتِي سَنَحْفَظُهَا الْيَوْمَ...

وَبَدَأَ الشيخُ يَقْرَأُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿التغابن: 11 - 13﴾... وَبَعْدَ تِلَاوَةِ الْآيَاتِ قَالَ فَرْحَانُ: أَيْنَ هِيَ إِجَابَةُ السَّوَالِ يَا شَيْخَنَا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: الْإِجَابَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فَمَا مِنْ مُصِيبَةٍ تَحْدُثُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِئَتِهِ، وَمَا أَصَابَ أَحَدًا مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ... قَالَ فَرْحَانُ: سَامِحْنِي يَا شَيْخَنَا، أَنَا لَمْ أَفْهَمْ!!!.

سَكَتَ الشَّيْخُ لَحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: يَا أَوْلَادِ، اذْهَبُوا إِلَى الْخَارِجِ، وَاطْرُقُوا الْبَابَ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ، وَلَا تَدْخُلُوا حَتَّى آذَنَ لَكُمْ... أَطَاعَ الْأَوْلَادُ شَيْخَهُمْ، وَفَعَلُوا مَا طَلَبَهُ مِنْهُمْ، فَأَذَنَ الشَّيْخُ لِبَعْضِهِمْ بِالْدُخُولِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لِلْآخَرِينَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى فَرْحَانَ وَقَالَ: إِنَّ الْإِذْنَ يَغْنِي السَّمَاحَ بِفِعْلِ شَيْءٍ مَا، فَكَمَا لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْبَيْتِ إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقَعُ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ إِلَّا بِإِذْنِ مَالِكِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَمَا مَنَعْتُ أَنَا الْبَعْضَ مِنْ دُخُولِ الْبَيْتِ وَلَمْ آذَنَ لَهُ، فَهُنَاكَ مَصَائِبٌ لَا يَأْذَنُ اللَّهُ بِهَا، وَيَمْنَعُ حُدُوثَهَا، وَيَصْرِفُهَا عَنَّا رَحْمَةً بِنَا؟!...

سَكَتَ فَرْحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: لَكِنْ بَعْضُ الْمَصَائِبِ تَكُونُ مُؤْلِمَةً وَقَاسِيَةً، فَلَمَّاذَا يَأْذَنُ اللَّهُ بِحُدُوثِهَا؟!... ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: هَلْ يَسْمَحُ أَبُوكَ بِحُدُوثِ شَيْءٍ يَضُرُّكَ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: لَا، مُسْتَحِيلٌ... قَالَ الشَّيْخُ: لَكِنْ أَبَاكَ يَأْذَنُ لِي بِتَأْدِيكِ، وَيَسْمَحُ لِلْمُعَلِّمِ بِعِقَابِكَ، وَيَأْذَنُ لِلطَّيِّبِ بِعِلَاجِكَ وَإِجْرَاءِ الْعَمَلِيَّاتِ الْجِرَاحِيَّةِ لَكَ... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّ أَبِي يَفْعَلُ ذَلِكَ لِمَصْلَحَتِي... قَالَ الشَّيْخُ: وَاللَّهُ تَعَالَى يَا بُنَيَّ لَا يَأْذَنُ بِالْمُصِيبَةِ إِلَّا

لِمَنْفَعَةِ الْعِبَادِ، فَكُلُّ مُصِيبَةٍ وَقَعَتْ أَذِنَ اللَّهِ بِهَا، وَكُلُّ مُصِيبَةٍ أَذِنَ اللَّهُ بِهَا وَقَعَتْ لِحِكْمَةٍ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ كُلُّهَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ.

سَكَتَ الشَّيْخُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبْنَائِي، عِنْدَمَا يَمْرُضُ أَحَدُنَا يَتَنَاوَلُ الدَّوَاءَ رَغْبَةً فِي الشُّفَاءِ، لَكِنْ بَعْضُ الْأَمْرَاضِ لَا تَعَالِجُهَا الْأَدْوِيَّةُ، وَإِنَّمَا تَعَالِجُهَا الْمَصَائِبُ!!!... تَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوا: كَيْفَ تَكُونُ الْمُصِيبَةُ دَوَاءً؟!... قَالَ الشَّيْخُ: عِنْدَمَا يُصَابُ الْمُؤْمِنُ بِمَرَضِ الْعَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، تَأْتِيهِ مُصِيبَةٌ تَجْعَلُهُ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَعِنْدَمَا يُصَابُ الْعَبْدُ بِمَرَضِ الْكِبَرِ، فَإِنَّ الْمُصِيبَةَ تَجْعَلُهُ يَتَوَاضَعُ وَيَعْرِفُ قَدْرَهُ، وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ قَلْبُ الْمُسْلِمِ بِالْدُنْيَا وَيَنْسَى الْآخِرَةَ، تَأْتِيهِ مُصِيبَةٌ لِيُذَكِّرَكَ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَيَعْلَمَ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَعِنْدَمَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ ذَنْبًا وَيَقَعُ فِي مَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ الْمُصِيبَةَ تُكَفِّرُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ وَمَحُو عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَعِنْدَمَا يَقْصُرَ الْمُسْلِمُ فِي الطَّاعَاتِ، تَأْتِيهِ مُصِيبَةٌ تَرْفَعُ لَهُ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّاتِ.

قَالَ فَرِحَانُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا شَيْخَنَا، فَقَدْ ارْتَاحَتْ عُقُولُنَا، وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُنَا، لَكِنْ بَقِيَ عِنْدِي سُؤَالٌ؛ مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَتَلَقَّى الْمُصِيبَةَ بِهَدْوٍ وَطَمَآنِينَةٍ؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: سُؤَالُكَ جَمِيلٌ يَا بُنَيَّ، وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَالتَّسْلِيمِ بِأَمْرِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَيَهْدِيهِ لِأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَحْوَالِ، فَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ؛ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ؛ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،

إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

شَكَرَ فَرْحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الصَّبْرَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَالتَّيَّابَاتِ عِنْدَ الشَّدَةِ، وَالرِّضَا بِمَا قَضَاهُ سُبْحَانَهُ وَقَدَّرَهُ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ تَضَعُ عَلَى أَجْسَامِهَا مَسْحُوقًا أَبْيَضَ اللَّوْنِ وَتَمْشِي فِي صَمْتٍ، فَتَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَحَاوَلَ أَنْ يَعْرِفَ سِرَّ هَذَا الْمَسْحُوقِ الْغَرِيبِ الَّذِي يَضَعُهُ الْجَمِيعُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُجِيبُ عَنْ سُؤَالِهِ، إِذْ رَفَضَ الْجَمِيعُ التَّكَلَّمَ مَعَهُ، فَاِنْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ إِلَى طَيْبِ الْغَابَةِ لِيَفْهَمَ مِنْهُ مَا يَحْدُثُ، فَاسْتَقْبَلَهُ الطَّيِّبُ بِحَقَاوَةٍ، وَقَالَ لَهُ: مَرْحَبًا يَا صَدِيقِي، تَفَضَّلْ بِالْجُلُوسِ... قَالَ فَرْحَانُ: لَنْ أَجْلِسَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَعْرِفَ مَا الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْغَابَةِ... تَهَدَّى الطَّيِّبُ وَقَالَ: إِنَّهَا حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ، فَاجْلِسْ حَتَّى أَحْكِيهَا لَكَ مِنَ الْبَدَايَةِ.

جَلَسَ فَرْحَانُ، وَبَدَأَ الطَّيِّبُ الْحِكَايَةَ، فَقَالَ: مُنْذُ فَتْرَةٍ حَدَّثْتُ مَصَائِبَ كَثِيرَةً فِي الْغَابَةِ، وَكَانَ لِلْجَمِيعِ نَصِيبٌ مِنْهَا، فَكَثُرَتِ السَّرِيقَاتِ، وَانْتَشَرَتِ الْحَرَائِقُ، وَقُطِعَتِ الْأَشْجَارُ، وَفَسَدَتِ الثَّمَارُ، وَفَقَدَ الْجَمِيعُ الْأَمَانَ، وَانْتَشَرَ الْخَوْفُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفَجْأَةً أَعْلَنَ الدَّبُّ خَدْعُونَ أَنَّهُ اكْتَشَفَ دَوَاءً يُعَالِجُ الْأَحْزَانَ، وَيَمْنَعُ الْمَصَائِبَ فِي كُلِّ مَكَانٍ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ الطَّيِّبُ: ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الدَّبِّ خَدْعُونَ، وَطَلَبُوا دَوَاءَهُ الْغَرِيبَ، فَبَاعَهُ لَهُمْ، وَأَوْصَاهُمْ بِوَضْعِهِ عَلَى أَجْسَامِهِمْ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ، وَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ تَوَقَّفَتِ الْمَصَائِبُ وَهَدَأَتِ الْغَابَةُ... قَالَ

فرحان: لقد فَهِمْتُ الآنَ مَا حَدَثَ، وأنا على يَقِينٍ أَنَّ هذا الدَّوَاءَ ما هو إلا خُدْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ هذا الدَّبِّ المَآكِرِ... قَالَ الطَّبِيبُ: وهذا ما أَخْبَرْتُ بِهِ الحَيَوَانَاتِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُونِي.

سَكَتَ فرحانُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: اسْمَعْنِي جَيِّدًا أَيُّهَا الطَّبِيبُ، خُذْ عَيْنَتَهُ مِنْ هذا الدَّوَاءِ الغَرِيبِ، وَقُمْ بِدِرَاسَتِهَا وَتَحْلِيلِهَا، وَغَدًا نَلْتَقِي إِنْ شَاءَ الله...

مَرَّ اليَوْمَ سَرِيعًا، وَفِي اليَوْمِ التَّالِي حَضَرَ فرحانُ إِلَى بَيْتِ طَبِيبِ الغَابَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الطَّبِيبُ قَائِلًا: أَبْشِرْ يَا صَدِيقِي... تَحَمَّسَ فرحانُ وَقَالَ: هَلْ انْتَهَيْتَ مِنْ تَحْلِيلِ الدَّوَاءِ؟!... ابْتَسَمَ الطَّبِيبُ وَقَالَ: نَعَمْ، وَهِيَ النَّتِيجَةُ... وَأَعْطَاهُ الطَّبِيبُ رَغِيفًا مِنَ الخُبْزِ، فَتَعَجَّبَ فرحانُ وَقَالَ: مَا هَذَا أَيُّهَا الطَّبِيبُ؟ هَلْ تَمَزَّحُ مَعِي؟!... ابْتَسَمَ الطَّبِيبُ وَقَالَ: لَا يَا صَدِيقِي، هَذِهِ هِيَ النَّتِيجَةُ، فَالدَّوَاءُ الغَرِيبُ مَا هُوَ إِلَّا دَقِيقٌ، وَلَقَدْ صَنَعْتُ مِنْهُ هَذَا الرِّغِيفَ!!!... ابْتَسَمَ فرحانُ وَقَالَ: الآنَ تَأَكَّدْتُ شُكُوكُنَا، وَحَانَ وَقْتُ الخُطْوَةِ التَّالِيَةِ... قَالَ الطَّبِيبُ: وَمَاذَا سَنَفْعَلُ؟... قَالَ فرحانُ: سَنُخْبِرُ مَلِكَ الغَابَةِ بِالنَّتِيجَةِ الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا، وَنَضَعُ مَعَهُ خُطَّةً لِكَشْفِ الدَّبِّ خُدْعُون... تَحَمَّسَ الطَّبِيبُ وَقَالَ: هَيَّا بِنَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ حَالًا.

ذَهَبَ فرحانُ مَعَ طَبِيبِ الغَابَةِ إِلَى الأسدِ، وَأَخْبَرَاهُ بِمَا حَدَثَ، فَرَأَى الأسدُ وَقَالَ: إِذَا فَكَّلُ المَصَائِبِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي الغَابَةِ قَدْ فَعَلَهَا الدَّبُّ خُدْعُون؛ حَتَّى تَخَافَ الحَيَوَانَاتِ وَتَشْتَرِيَ دَوَاءَهُ المَزْعُومَ، سَأَمُرُّ بِالقَبْضِ عَلَيْهِ فِي الحَالِ... اغْتَرَضَ فرحانُ وَقَالَ: قَبْلَ القَبْضِ عَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ نَكْشِفَهُ أَمَامَ الجَمِيعِ... قَالَ الأسدُ: وَكَيْفَ سَنَفْعَلُ ذَلِكَ؟!... قَالَ فرحانُ:

سَخْتَارُ حَيَوَانًا نَثِقُ فِيهِ، وَنُخِرُهُ بِالنَّتِيجَةِ الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا، وَنَجْعَلُهُ يُغْلِنُ أَمَامَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ سَيَتَوَقَّفُ عَنْ شِرَاءِ دَوَاءِ الْمَصَائِبِ، وَطَبْعًا لَنْ يَتْرَكَهُ الدَّبُّ خَدْعُونَ فِي حَالِهِ، وَسَيَأْمُرُ أَعْوَانَهُ بِإِذَائِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ عِبْرَةً لِّغَيْرِهِ، لَكِنَّا سَنَصْنَعُ لَهُمْ فَحًّا، وَنَقْبِضُ عَلَيْهِمْ، وَنَجْعَلُهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِجَرِيمَتِهِمْ... قَالَ الْأَسَدُ: وَعِنْدَهَا نَقْبِضُ عَلَى زَعِيمِهِمْ خَدْعُونَ... قَالَ فَرَحَانُ: لَا يَا مَلِكَ الْغَابَةِ، فَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَكْشِفَ كَذِبَ الدَّبِّ وَخِدَاعَهُ أَمَامَ الْجَمِيعِ... تَعَجَّبَ الْأَسَدُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَى أَعْوَانِ خَدْعُونَ، سَنُدَبِّرُ لَهُ عَدَدًا مِنَ الْمَصَائِبِ دُونَ أَنْ نُؤْذِيَهُ، وَنُثَبِّتُ لِلْجَمِيعِ أَنَّ دَوَاءَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ، ثُمَّ نَقْبِضُ عَلَيْهِ، وَنَجْعَلُهُ يُعْتَرِفُ بِجَرِيمَتِهِ أَمَامَ سُكَّانِ الْغَابَةِ... قَالَ الْأَسَدُ: هَذِهِ خَطَّةٌ جَيِّدَةٌ، وَسَنَبْدَأُ تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ، شُكْرًا لَكَ يَا فَرَحَانُ.



فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة الدَّواءِ الغريب...

- اسألهم: عن رأيهم فيما فعله الدبّ خدعون، وهل ستَنجَحُ خطة فرحان في كَشْفِ كَذِبِ الدبّ وخِدَاعِهِ؟ وماذا سيحدث لو قَسَلَتْ هذه الخطة؟ وهل عند أحدِهِم فكرة أخرى لإنقاذِ الحيوانات من خدعة الدبّ الماكِرة؟.
- اسأل أبناءك: ما فوائد المَصائب؟ واستمع إليهم ثم أخبرهم أن النبي ﷺ قال فيما رواه البخاري: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٌّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». ثم اجعلهم يبحثون عن فوائد المَصائب، وكافئهم على قَدْرِ اجتهادِهِم.
- أخبر أبناءك أن المؤمن لا يَتَمَنَّى المَصائب، بل يسأل الله العافية منها، فعن العباس بن عبدالمطلب -رضي الله عنه- قال: قلت يا رسول الله، علّمني شيئاً أسأله الله، قال ﷺ: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، فمكثت أَيْاماً ثم جئتُ فقلت: يا رسول الله، علّمني شيئاً أسأله الله، فقال ﷺ لي: «يا عباس، يا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 3514].
- أخبر أبناءك أن الإيمان بالقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرُّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، فالنبي ﷺ لما سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ قال فيما رواه مُسْلِمٌ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ».
- أخبر أبناءك أن من السنّة أن ندعو الله تعالى أن يرزقنا الرضا بكلّ ما قَضَاهُ سبحانه وقَدَرَهُ، فَتَتَلَقَّاهُ بِصَبْرٍ وَطَمَإِينَةٍ، فقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ» [تخريج العواصم من القواصم لشعيب الأرناؤوط 5/186 وقال: إسناده صحيح، وتخريج كتاب السنة للألباني ح ر 427 وقال: إسناده صحيح]، وَشَجَّعَ أَبْنَاءَكَ عَلَى حِفْظِ هَذَا الدَّعَاءِ.

في يوم من الأيام ذهب فرحان إلى شَيْخِهِ نَشِيطاً وسعيداً، وبعد ساعة رجعَ إلى البيتِ باكياً وحزيناً، وقالَ لأبيه: لَنْ أَذْهَبَ إلى حلقة التحفيظ بعدَ اليوم... تَعَجَّبَ والده وقالَ: لماذا يا بُنَيَّ؟! هل عاقَبَكَ الشيخ؟!... قال فرحان: لا... قال والده: هل تَجِدُ صُعُوبَةً في الحِفْظ؟!... قال فرحان: لا... قال والده: هل آذَاكَ أَحَدُ الأولاد؟!... قال فرحان: لا... قال والده: هل حدثتُ لك مُشْكِلةٌ في الطريق؟!... قال فرحان: لا... قال والده: إذاً لماذا تُريدُ أَنْ تَتْرُكَ حلقة التحفيظ؟!... تَرَدَّدَ فرحانُ ثَوَانِي ثُمَّ قال: لأنَّ القرآنَ فيه أخطاء!!!.

سَكَتَ وَالِدُ فرحانَ لِحَظَاتٍ لِيَسْتَوْعِبَ هذه الكَلِمَات، ثُمَّ قال: هذا مُسْتَحِيلٌ يا بُنَيَّ، فالقرآنُ كلامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ... قال فرحان: لكنَّ الآياتِ التي حَفِظْنَاهَا اليومَ تَجْعَلُ الأبَّ يَكْذِبُ زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهُ... قال أبوه: مُسْتَحِيلٌ، فالقرآنُ كُلُّهُ حُبٌّ وَرَحْمَةٌ، اجْلِسْ يا بُنَيَّ وأخْبِرْنِي بِمَا حَفِظْتَهُ اليومَ... جلسَ فرحانُ وبدأ يَقْرَأُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْوَاجَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ... فقال أبوه بِحَزْمٍ وَجِدَّةٍ: حَسْبُكَ، كَفَى يا بُنَيَّ... اسْتَغْرَبَ فرحانُ وقال: ماذا حَدَثَ يا أُمِّي؟!... قال أبوه: أَحْضِرْ ورقةً وقلمًا، وسَأُخْبِرُكَ بكلِّ شَيْءٍ!!!.

أَحْضَرَ فرحانُ الورقةَ والقلمَ، فقال أبوه: اكْتُبِ الآيةَ التي حَفِظْتَهَا اليومَ... أَمْسَكَ فرحانُ القلمَ وكتبَ الآيةَ، فقال أبوه: الآنَ أَحْضِرْ

المُصْحَفَ واكْتُبَ الْآيَةَ مِنْهُ كَمَا هِيَ بِالضُّبِطِ... فَتَحَ فَرْحَانُ الْمُصْحَفَ وَكَتَبَ الْآيَةَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: هَيَّا نُقَارِنُ بَيْنَ مَا كَتَبْتَهُ مِنْ حِفْظِكَ، وَمَا كَتَبْتَهُ مِنَ الْمُصْحَفِ... أَطَاعَ فَرْحَانُ أَبَاهُ، وَبَدَأَ يُقَارِنُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ كَلِمَةً كَلِمَةً، وَفَجْأَةً صَاحَ قَائِلًا: لَقَدْ نَسِيتُ كَلِمَةً (مِنْ)، فَالَلَهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: 14]... قَالَ أَبُوهُ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مُهِمَّةٌ جَدًّا جَدًّا... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا؟!... قَالَ أَبُوهُ: إِنَّ كَلِمَةً (مِنْ) هُنَا تَعْنِي (بَعْضُ)، فَالْآيَةُ مَعْنَاهَا: إِنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ، وَلَوْ حَذَفْنَا كَلِمَةَ (مِنْ) فَالْمَعْنَى سَيَكُونُ: إِنَّ كُلَّ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ يَا بُنَيَّ!!!... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَقَدْ أَخْطَأْتُ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

وَسَكَتَ فَرْحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: وَلَكِنْ يَا أَبِي كَيْفَ يَكُونُ (بَعْضُ) الْأَبْنَاءِ أَعْدَاءَ لِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ؟!... قَالَ أَبُوهُ: هَذَا سُؤَالٌ جَمِيلٌ، وَسَاجِبٌ عَنْهُ بِحِكَايَةٍ... وَبَدَأَ وَالِدُ فَرْحَانَ يَحْكِي، فَقَالَ: فِي بَدَايَةِ الْإِسْلَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ يُلَاقُونَ مِنَ الْكُفَّارِ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ، وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الصَّبْرِ جَاءَ الْأَمْرُ الرَّبَّانِيَّ بِالهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَارَادُوا أَنْ يَلْحَقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ، لَكِنْ زَوَّجَاتِهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ رَفَضُوا ذَلِكَ، وَضَغَطُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبْقُوا فِي مَكَّةَ؛ فَأَطَاعُوا زَوَّجَاتِهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَلَمْ يُهَاجِرُوا... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ أَبُوهُ: ظَلَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى

الْمَدِينَةَ، فَوَجَدُوا مَنْ سَبَقُوهُمْ فِي الْهَجْرَةِ قَدْ تَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ أَكْثَرَ مِنْهُمْ، بِسَبَبِ صُحْبَتِهِمُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَحَزَنُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ، وَنَدِمُوا عَلَى تَأْخِرِهِمْ فِي الْهَجْرَةِ، وَقَرَّرُوا أَنْ يُعَاقِبُوا زَوْجَاتِهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا السَّبَبَ فِي تَأْخِرِهِمْ وَخَسَارَتِهِمْ... قَالَ فَرْحَانُ: وَكَيْفَ عَاقِبُوهُمْ؟!... قَالَ أَبُوهُ: لَمْ يُعَاقِبُوهُمْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: 14]، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ بَعْضَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ يَكُونُونَ أَعْدَاءَ إِذَا مَنَعُوا مَنْ طَاعَةَ أَوْ تَسَبَّبُوا فِي مَعْصِيَةٍ، وَأَمَرَ تَعَالَى بِالْحَذَرِ مِنْهُمْ وَعَدَمِ الِاسْتِجَابَةِ لَهُمْ، وَشَجَعَ سُبْحَانَهُ عَلَى مُسَامَحَتِهِمْ، فَمَنْ عَفَا عَنْهُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ صَفَحَ عَنْهُمْ صَفَحَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ غَفَرَ لَهُمْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ؛ وَعَمَلًا بِهِذِهِ الْآيَةُ قَرَّرَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِي الْهَجْرَةِ أَنْ يُسَامِحُوا زَوْجَاتِهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ، وَلَا يُعَاقِبُوهُمْ.

صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: مَا أَجْمَلَ هَذَا الْقُرْآنَ يَا أَبِي، إِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ، وَمِثْلُ الْبُيُوتِ مَحَبَّةً وَسَلَامًا، وَأُعَاهِدُكَ أَنَّنِي لَنْ أَتْرُكَ حِفْظَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا بُنَيَّ، وَالْآنَ سَأُكَلِّفُكَ بِمِهْمَةٍ قُرْآنِيَّةٍ... تَحَمَّسَ فَرْحَانُ وَقَالَ: أَنَا جَاهِزٌ يَا أَبِي... قَالَ أَبُوهُ: سَتَبَحَثُ فِيمَا تَحْفَظُهُ مِنْ قُرْآنٍ عَنْ كَلِمَاتِ (الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْمَغْفِرَةِ)، وَتَرَى هَلْ جَاءَتْ مُجْتَمِعَةً فِي سُورَةٍ أُخْرَى أَمْ لَا... قَالَ فَرْحَانُ: حَسَنًا يَا أَبِي، وَسَابِقًا فِي الْحَالِ.

فَتَحَ فَرْحَانُ الْمُصْحَفَ، وَأَخَذَ يَبْحَثُ وَيَبْحَثُ، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مِنَ الْعَمَلِ ذَهَبَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: لَمْ أَجِدْ شَيْئًا.. ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، فَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ (الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَالْمَغْفِرَةُ) لَمْ تَأْتِ فِي

القرآن الكريم مُجْتَمَعَةً إِلَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: لِمَاذَا؟!... قَالَ
أَبُوهُ: لِأَنَّ الْأُسْرَةَ لَا تَكُونُ سَعِيدَةً إِلَّا بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْمَغْفِرَةِ... قَالَ
فَرْحَانُ: وَلَكِنْ يَا أَبِي أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؟... قَالَ
الْوَالِدُ: لَا يَا بُنَيَّ، فَالْعَفْوُ مَعْنَاهُ: تَرِكَ الْمُعَاقِبَةَ عَلَى الْخَطِئِ مَعَ اللُّومِ
وَالتَّوْبِيخِ، وَالصَّفْحُ مَعْنَاهُ: تَرِكَ الْمُعَاتَبَةَ عَلَى الْخَطِئِ مَعَ تَرِكَ الْمُعَاقِبَةَ،
وَالْمَغْفِرَةِ مَعْنَاهَا: سَتَرُ الْخَطِئِ وَعَدَمُ إِشَاعَتِهِ.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَهِمْتُ الْآنَ سَبَبَ رِفْقِكَ وَتَسَامُحِكَ
يَا أَبِي، فَأَنْتَ دَائِمًا تَتَعَامَلُ مَعَ أَخْطَانِنَا بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ؛ حَتَّى يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكَ وَيُسَامِحَكَ... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: لَنْ تَخْدَعَنِي بِكَلَامِكَ الْجَمِيلِ
هَذَا يَا حَبِيبِي، فَهُنَاكَ أَخْطَاءٌ لَا تَمُرُّ دُونَ عِتَابٍ وَتَوْبِيخٍ وَعِقَابٍ!!...
فَضَحِكَ فَرْحَانُ، وَضَحِكَ وَالِدُهُ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْفَهْدَ يَجْلِسُ بَاكِئًا
وَحَزِينًا، فَسَأَلَهُ فَرْحَانُ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ، فَمَسَحَ الْفَهْدُ دُمُوعَهُ وَقَالَ: لَا
شَيْءَ، يَبْدُو أَنَّ شَيْئًا دَخَلَ فِي عَيْنِي... قَالَ فَرْحَانُ: لَا تَخْجَلْ يَا صَدِيقِي،
فَالْبُكَاءُ لَيْسَ لِلضُّعْفَاءِ فَقَطْ، فَالْأَقْوِيَاءُ أَيْضًا يَبْكُونَ... تَلَعَّثَ الْفَهْدُ
وَقَالَ: وَلِمَاذَا سَأَبَنِي؟!... قَالَ فَرْحَانُ: لِأَنَّ هُنَاكَ مَا يُحْزِنُكَ، وَلَوْ شَارَكَتَهُ
مَعِيَ فَقَدْ أَسَاعِدَكَ... سَكَتَ الْفَهْدُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: حَسَنًا، سَأُخْبِرُكَ.

وَتَنَهَّدَ الْفَهْدُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي يَلُومُونَنِي لِأَنِّي فَقِيرٌ، وَلَا
أَسْتَطِيعُ شِرَاءَ كُلِّ مَا يَطْلُبُونَ، وَهَذَا يُشْعِرُنِي بِالْعَجْزِ وَالْفَشْلِ، وَلَقَدْ
قَرَّرْتُ أَنْ أُوقِفَ هَذِهِ الْمَهْرَكةَ... قَالَ فَرْحَانُ: مَاذَا سَتَفْعَلُ؟!... قَالَ

الفهد: سَأَسْرِقُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِي... تَعَجَّبَ فَرَحَانُ وَقَالَ: أَلَمْ تَجِدْ حَلًّا آخَرَ؟!... قَالَ الْفَهْدُ: لَيْسَ هُنَاكَ حَلٌّ آخَرٌ؛ لِأَبَدٍ أَنْ أُسْرِقَ حَتَّى أُسْعِدَ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي... قَالَ فَرَحَانُ: لَنْ تَسْتَطِيعَ إِسْعَادَهُمْ أَبَدًا؛ فَطَلَبَاتُهُمْ لَنْ تَنْتَهِيَ... قَالَ الْفَهْدُ: لَا مُشْكَلَةٌ، فَأَنَا الْمَسْوُولُ عَنْ تَوْفِيرِ احتِيَاجَاتِهِمْ... قَالَ فَرَحَانُ: لَيْسَتْ كُلُّ الطَّلَبَاتِ احتِيَاجَاتٍ... قَالَ الْفَهْدُ: هَذَا لَيْسَ وَقْتُ الْكَلَامِ، أَخْبِرْنِي كَيْفَ تُسَاعِدُنِي، هَلْ سَتَسْرِقُ مَعِيَ?!!!

نَظَرَ فَرَحَانُ إِلَى الْفَهْدِ بِاسْتِغْرَابٍ، ثُمَّ قَالَ: لَنْ أُسْرِقَ مَعَكَ، بَلْ سَأُخْبِرُ قَاضِيَ الْغَابَةِ أَنَّكَ سَت... قَاطَعَهُ الْفَهْدُ قَائِلًا: هَلْ سَتُبْلَغُ عَنِّي?!... قَالَ فَرَحَانُ: لَا يَا صَدِيقِي، بَلْ سَأَطْلُبُ مِنَ الْقَاضِي أَنْ يَسْمَحَ لَكَ بِقَضَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي سِجْنِ الْغَابَةِ... تَعَجَّبَ الْفَهْدُ وَقَالَ: هَلْ سَأَسْرِقُ مِنَ اللُّصُوصِ وَالْمُجْرِمِينَ هُنَاكَ?!... ضَحِكَ فَرَحَانُ وَقَالَ: لَا، لَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، بَلْ سَتَقْضِي هُنَاكَ يَوْمًا وَاحِدًا، لَتَرَى أَحْوَالَ السِّجْنِ بِنَفْسِكَ، وَتُفَكِّرَ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ تَسْرِقَ?!!!

وَبَعْدَ نِقَاشٍ طَوِيلٍ وَافَقَ الْفَهْدُ، وَقَضَى يَوْمًا فِي السِّجْنِ، ثُمَّ قَابَلَ فَرَحَانَ وَحَكَى لَهُ مَا رَأَاهُ هُنَاكَ، فَسَأَلَهُ فَرَحَانُ: هَلْ شَاهَدْتَ أَبَاءَ دَخَلُوا السِّجْنَ بِسَبَبِ ابْنَائِهِمْ?... تَلَعَثَ الْفَهْدُ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَلَنْ أَكُونَ مِثْلَهُمْ... صَاحَ فَرَحَانُ قَائِلًا: أَحْسَنْتَ، وَمَاذَا سَتَفْعَلُ?!... قَالَ الْفَهْدُ: سَأَسْرِقُ بِذِكَاةٍ، وَلَنْ أَدْخُلَ السِّجْنَ أَبَدًا، وَإِنَّ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي يَسْتَحِقُّونَ التَّضْحِيَةَ مِنْ أَجْلِهِمْ.

سَكَتَ فَرَحَانُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: سَأُنَبِّئُكَ أَنَّ زَوْجَتَكَ وَأَوْلَادَكَ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ تَسْرِقَ مِنْ أَجْلِهِمْ... قَالَ الْفَهْدُ: مُسْتَحِيلٌ، فَرَزَوْجَتِي

وأولادي طيبون... قال فرحان: حسنًا، سأحضر أشياء كثيرة وجميلة، وأنت تسرقها مني (طبعًا سأسامحك)، ثم تأخذ هذه الأشياء إلى زوجتك وأولادك، وتُخبرهم أنك سرقتها، فإن فرحوا بها؛ فعليك أن تحذر منهم، وإن رفضوها كراهيةً للحرام وخوفًا عليك؛ فساعتها نفكر في حل يرضيهم ولا يؤذيك.

وافق الفهد وأخذ الأشياء من فرحان، وغاب عنه عدة ساعات ثم رجع إليه باكيًا، فسأله فرحان عن سبب بكائه، فقال الفهد: لقد فرحت زوجتي وأولادي بالمسروقات، وطلبوا مني أن أسرق أكثر... قال فرحان: وأنت ماذا ستفعل؟!... قال الفهد: سأسرق من أجلهم، فزوجتي وأولادي طيبون!!!.

كظم فرحان غيظه ثم قال: قبل أن تسرق هناك اختبار أخير، سنجعل القاضي يدخلك السجن بحجة السرقة، ونرى ماذا ستفعل زوجتك وأولادك... قال الفهد: إنهم طيبون، ولن يتركوني أبدًا... قال فرحان في تحدٍ: سوف نرى!!!.

دخل الفهد السجن، وبعد أيام أعلن القاضي براءته، فخرج من السجن حزينًا؛ فقد تخلّى عنه زوجته وأولاده، ولم يسألوا عنه، وأخبروا الجميع أنهم يتبرؤون منه، ففهم الفهد حقيقتهم، وقرّر أن يطردهم جميعًا من بيته، لكن فرحان طلب منه أن يعفو عنهم، ويؤدّبهم بحكمة، ويتعامل معهم بحذر.

فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة الفَهْدِ الْفَقِيرِ...

• اسألهم: ما المَعَاصِي التي قد يَقْعُ فيها الوالدان من أَجْلِ الأَبْنَاء؟ وما الطَّاعَات التي رُبَّمَا يَتْرَكُهَا الوالدان بسبب الأَبْنَاء؟... واسْتَمِعْ إليهم، ثم أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الأولاد قد يَجْعَلُونَ أَحَدَ الوالدين يَقْطَع الرِّجَمَ أو يَسْرِقُ أو يَكْذِبُ أو يَظْلِمُ أو يَعْشُشُ أو يأكل الرِّبَا أو يأخذ حَقَّ إِخْوَتِهِ في المِيرَاثِ أو غيرها، وقد يُقْصِر الوالدان في الصَّلَاةِ وتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وِبِرِّ الوالدين وَصِلَةِ الرِّجَمِ وغيرها من أَجْلِ الأَبْنَاء... ثم اسأل أبنائك: ما الطَّاعَات التي نَتَشَارَكُ فيها؟ وكيف نزيدها؟ وما المَعَاصِي التي نُسَاعِدُ بَعْضُنَا في الإِبْتِعَادِ عنها؟ وما الطَّاعَات التي يُمكنكم أن تُسَاعِدُونِي على أدائها؟ مثل بِرِّ والِدَيْيَ وغيرها.

• أَخْبِرْ أبنائك أَنَّ الله تعالى لما تَكَلَّمَ عن عِدَاوَةِ الأَبْنَاءِ ذَكَرَ كَلِمَةً "مِنْ" للتَّبَعِيزِ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدْوًا لَكُمْ﴾ [التغابن: 14]؛ لِأَنَّ الأَبْنَاءَ لَيْسُوا كُلُّهُمْ أَعْدَاءُ، أَمَّا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15]، لَمْ يَذْكُرْ سُبْحَانَهُ كَلِمَةً "مِنْ"؛ لِأَنَّ الأَبْنَاءَ كُلُّهُمْ فِتْنَةٌ وَاخْتِبَارٌ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ؛ لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ أَثَرِ طَاعَتَهُ عَلَى طَاعَةِ غَيْرِهِ، وَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ.

• تَكَلَّمَ مع أولادك عن فَضْلِ النِّفَقَةِ على الزَّوْجَةِ والأَوْلَادِ والإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يقول فيما رواه البخاري ومسلم: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا (يعني: يُرِيدُ بَتْلِكَ النِّفَقَةِ وَجْهَ اللَّهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ)، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً».

• اسأل أبنائك: كيف تُسَاعِدُ والِدَيْكَ على دُخُولِ الْجَنَّةِ؟ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ، فيقول: أَنَّى هَذَا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك» [صحيح ابن ماجة للألباني 3/214].

الْحَمَامَةُ الْحَزِينَةُ

ذَاتَ يَوْمٍ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: الْيَوْمَ سَنَحْفِظُ سُورَةَ الطَّلَاقِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَا مَعْنَى الطَّلَاقِ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: هُوَ انْفِصَالُ الزَّوْجَيْنِ عَنْ بَعْضِهِمَا، وَإِنْهَاؤُهُ عَقْدَ الزَّوْاجِ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَهُمَا... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ يَخُصُّ الْكِبَارَ، أَمَا نَحْنُ قَدْ دَعَوْنَا نَتَزَوَّجَ أَوَّلًا وَبَعْدَ ذَلِكَ نُنْفَكُّ فِي الطَّلَاقِ... ضَحِكَ الشَّيْخُ، وَضَحِكَ الْأَوْلَادُ، وَظَنُّوا أَنَّ فَرْحَانَ يَمْزَحُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، إِذْ رَفَضَ حِفْظَ سُورَةِ الطَّلَاقِ، وَانْصَرَفَ فِي الْحَالِ...

تَعَجَّبَ الشَّيْخُ مِمَّا فَعَلَهُ فَرْحَانُ، وَغَضِبَ لِأَنَّهُ ذَهَبَ دُونَ اسْتِئْذَانٍ، لَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَبَدَأَ بَرْنَامَجَ التَّحْفِيزِ، وَفَجْأَةً رَجَعَ فَرْحَانُ مَرَّةً أُخْرَى، وَاعْتَذَرَ لِلشَّيْخِ عَمَّا حَدَثَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاهِزٌ لِحِفْظِ سُورَةِ الطَّلَاقِ، فَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَيْهِ بَاسْتِغْرَابٍ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي أَوَّلًا مَا الَّذِي جَعَلَكَ تُغَيِّرُ رَأْيَكَ؟.

سَكَتَ فَرْحَانُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ اكْتَشَفْتُ أَنَّنِي بِحَاجَةٍ إِلَى حِفْظِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَدْ حَدَثَ طَلَاقٌ فِي أُسْرَتِنَا... قَالَ أَحَدُ الْأَوْلَادِ: هَلْ طَلَّقَ أَبُوكَ أُمَّكَ؟!... صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَبِي وَأُمِّي بِخَيْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَهُمَا تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَعِيشَانِ بِمُودَّةٍ وَرَحْمَةٍ... فَقَالَ وَلَدٌ آخَرُ: وَمَنْ الَّذِي تَطَلَّقَ فِي أُسْرَتِكُمْ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: إِنَّهَا خَالَتِي، طَلَّقَهَا زَوْجَهَا، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَحْفِظَ سُورَةَ الطَّلَاقِ لِأَفْهَمَ مَا يَحْدُثُ... قَالَ الشَّيْخُ: حَسَنًا يَا بُنَيَّ، وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَتْرَكَ حَلَقَةَ التَّحْفِيزِ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ اسْتِئْذَانٍ.

وبدا الشيخ يقرأ والأولاد يُردّدون خلفه، أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطَّلَاق: 1].

وبعد أن اتقن الأولاد التلاوة، قال الشيخ: مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ أَنَّهُ جَعَلَ لِلْبَيْتِ الْمُسْلِمِ قَوَانِينَ وَقَوَاعِدَ يَسِيرُ عَلَيْهَا الزَّوْجَانِ؛ لِتَعِيشَ الْأُسْرَةُ فِي هُدًى وَسَكِينَةٍ وَسَعَادَةٍ، فَإِذَا كَثُرَتِ الْمَشَاكِلُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَاسْتَحَالَتِ الْعِشْرَةُ بَيْنَهُمَا، وَطَلَّقَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَرْأَةَ بِأَنْ تَنْتَظِرَ مُدَّةَ زَمَانٍ دُونَ زَوَاجٍ بَآخِرٍ، وَهَذِهِ الْمُدَّةُ تُسَمَّى فِتْرَةَ الْعِدَّةِ، وَهِيَ مَاخُودَةٌ مِنَ الْعِدَدِ، يَغْنِي فِتْرَةَ زَمَانٍ نَعْدَهَا وَنَحْسِبَهَا، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطَّلَاق: 1]... قال فرحان: وَمَا الْحِكْمَةُ مِنْ فِتْرَةِ الْعِدَّةِ هَذِهِ يَا شَيْخُنَا؟ وَلِمَاذَا تَنْتَظِرُ الْمَرْأَةُ هَذِهِ الْفِتْرَةَ بَعْدَ طَلَاقِهَا؟!!!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ فِتْرَةَ الْعِدَّةِ لَهَا حِكْمٌ كَثِيرٌ، مِنْهَا أَنَّ الزَّوْجَ قَدْ يُدْرِكُ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي حَقِّ زَوْجَتِهِ، فَيَتَرَجَّعُ عَنِ الطَّلَاقِ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ الْمُطْلَقَةُ قَدْ تُرَاجِعُ نَفْسَهَا وَتُعَالِجُ خَطَايَاهَا، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ حِفَاطٌ عَلَى الْأُسْرَةِ وَتَصْحِيحٌ لِمَسَارِهَا.

قال فرحان: لَكِنَّ الطَّلَاقَ فِيهِ ظُلْمٌ، فَالْمَرْأَةُ عِنْدَمَا يُطْلَقُهَا زَوْجُهَا تَتْرَكَ بَيْتَهَا فَجَاءَ، وَتَذْهَبُ إِلَى بَيْتٍ آخَرَ كَسِيرَةٍ حَزِينَةٍ... قَالَ الشَّيْخُ: وَهَذَا الظُّلْمُ قَدْ نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَمَرْنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَتَّقِيَ

الله ولا نَظْلِمُ المرأةَ المَطلقة، فلا نُخْرِجُهَا مِنْ بَيْتِهَا ولا تَخْرُجُ هِيَ مِنْهُ إِلَّا إِذَا فَعَلْتُ ذَنْبًا كَبِيرًا جَدًّا، فَطُوال فِترَةِ العِدَّةِ تَبْقَى المرأةُ المَطلقةُ فِي بَيْتِهَا عَزِيزَةً كَرِيمَةً، ولا تَتْرُكُ بَيْتَهَا ولا يُخْرِجُهَا مِنْهُ أَحَدٌ، وَهَذَا عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ...﴾ [الطَّلَاق: 1]... قال فرحان: وماذا يحدثُ لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ؟... قال الشيخ: يا بُنَيَّ، هَذِهِ حُدُودُ اللَّهِ وَأَحْكَامُهُ، وَمَنْ يَتْرُكُهَا ولا يَلْتَزِمُ بِهَا فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِتَعْرِيزِهَا لِغَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَهَذَا مَا حَذَرْنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿...وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطَّلَاق: 1].

سَكَتَ فرحان لحظات، ثم وَقَفَ فجأةً وقال: ائْذَنْ لِي يا شَيْخُنَا، فَهُنَاكَ مُصِيبَةٌ، وَلا بُدَّ أَنْ أُذَكِّرَكُمَا قَبْلَ أَنْ تَحْدِثَ... تَعَجَّبَ الشيخُ مِنْ كَلامِ فرحان، وَحاوَلَ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ ما يَحْدِثُ، لَكِنْ فرحان أَلَحَّ فِي الاسْتِثْناءِ، فَسَمَحَ لَهُ الشيخُ بِالانْصِرَافِ.

وَفِي اليَوْمِ التَّالِي حَضَرَ فرحانُ إِلَى حَلِقَةِ التَّحْفِيزِ سَعِيدًا، وَأَعْطَى لِلشيخِ كَيْسًا مِنَ الحَلْوَى، وَطَلَبَ مِنْهُ تَوْزِيعَها عَلَى الأولادِ، فَقَالَ الشيخُ: أَخْبِرْنِي أَوَّلًا ماذَا فَعَلْتَ فِي مُصِيبَةِ الأُمْسِ؟! وما سِرُّ هَذِهِ الحَلْوَى؟!... ابْتَسَمَ فرحان وقال: سَأُشْرِحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ يا شَيْخُنَا، إِنَّ خالَتِي لما طَلَقَها زَوْجَها لَمْ تَجْلِسْ فِي بَيْتِها وَجاءَتْ إِلَى بَيْتِنَا، وَلَمَّا حَفِظْتُ أَوَّلَ آيَةٍ مِنْ سُوْرَةِ الطَّلَاقِ وَفَهِمْتُها، أَدْرَكْتُ أَنَّ خالَتِي لما تَرَكَتْ بَيْتَها تَعَدَّتْ حُدُودَ اللَّهِ، وَعَرَضَتْ نَفْسَها لِغَضَبِهِ جَلَّ جَلالُهُ، فَخِفتُ عَلَيْها وَقَرَّرتُ أَنْ أُنْقِذَها

من هذه المصيبة، ولذلك تركتُ حلقة التحفيظ بالأمس، وذهبتُ إليها بسرعة، وأخبرتُها بخطورة ما فعلتُ... قال الشيخ: أَحَسَنْتَ يَا بُنَيَّ، وماذا حدثَ بعد ذلك؟!... قال فرحان: اتَّصَلْتُ خالتي بأحد العلماء الثقات وتأكَّدْتُ من كلامي، ثم تَشَاوَرْتُ مع أبي وأمي، وَرَجَعْتُ معهما إلى بيتها، وَلَمَّا عَلِمَ زَوْجُهَا سَبَبَ رُجُوعِهَا، أَخْبَرَهَا أَنَّ مَنْ تَلْتَزِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ لَا يُمَكِّنُ التَّفْرِيطَ فِيهَا، وَاعْتَذَرَ لَهَا عَمَّا فَعَلَ، وَرَجَعَا لِبَعْضِهِمَا مَرَّةً أُخْرَى، وَاحْتَفَلَ الْجَمِيعُ بِذَلِكَ، وَأَعْطُونِي هَذِهِ الْحُلُوى لِأَوْرَعِهَا عَلَى زَمَلَائِي فِي حَلْقَةِ التَّحْفِيزِ.

فَرِحَ الشَّيْخُ بِمَا فَعَلَهُ فَرْحَانُ، وَقَرَّرَ أَنْ يُعْطِيَهُ مَكَافَأَةً خَاصَةً؛ لِأَنَّهُ اجْتَهَدَ فِي الْعَمَلِ بِمَا حَفِظَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ وَزَعَ الْحُلُوى عَلَى الْأَوْلَادِ. وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَمَامَةَ تَقِفَ بِأَكِيَّةٍ وَحَزِينَةً، فَسَأَلَهَا عَنْ سَبَبِ بُكَائِهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا حَزِينَةٌ لِأَنَّ زَوْجَهَا لَمْ يَعُدْ يُحِبُّهَا.

قَالَ فَرْحَانُ: أَهْدَيْتُهَا الْحَمَامَةَ، وَأَخْبَرْتَنِي بِالْقِصَّةِ مِنَ الْبَدَايَةِ... تَنَهَّدَتِ الْحَمَامَةُ وَقَالَتْ: لَقَدْ كَانَ زَوْجِي يُحِبُّنِي وَيُكْرِمُنِي، وَظَلَلْنَا عَلَى هَذَا الْحَالِ مُدَّةً طَوِيلَةً، لَكِنَّهُ بِالْأَمْسِ رَأَى أَقْفًا عَلَى أَحَدِ الْأَغْصَانِ، فَلَمْ يَقِفْ بِجَوَارِي كَعَادَتِهِ، وَوَقَفَ بَعِيدًا عَلَى غُصْنٍ أُخَرَ، وَبَعْدَهَا رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ بَعْضَ الْحُبُوبِ وَخَدَهُ، وَلَمْ يَقْتَسِمْهَا مَعِيَ كَمَا يَفْعَلُ دَائِمًا، وَفِي الْمَسَاءِ أَرَدْتُ التَّحَدُّثَ مَعَهُ مِثْلَ كُلِّ لَيْلَةٍ، فَأَمَرَنِي بِالسَّكُوتِ وَنَامَ فِي صَمْتٍ.

قال فرحان: إنها تَصْرُفَات غريبة حقًا، وماذا حدث بعد ذلك؟!...
قالت الحمامة: اسْتَيْقَظْتُ في الصباح فلم أجدْهُ في العُشِّ، فجلستُ
أُبْكِي، وَسَمِعَني جارنا الغُراب، فَسَأَلَنِي عن سببِ بُكَائِي، فَأخْبَرْتُهُ بما
حدث، فقال: إن الأمر واضح كالشَّمْس، إنَّ زوجك يَكْرهُك، ولا يُريدُك
معه في البيت... ولَمَّا أَخْبَرَنِي الغرابُ بذلك قرَّرتُ أن أترك العُشَّ وأرحل.

نظر فرحان إلى الحمامة وقال: لقد أخطأتِ أيتها الحمامة عندما أَسَأْتَ
الظنَّ بزواجك الحبيب، وَلَمْ تَسْأَلِيهِ عن سَبَبِ أَفْعَالِهِ الغريبة، وأخطأتِ
عندما حَكَيْتِ أسرار بيتك لِجَارِك، وعندما رَحَلْتَ عن البيت دُونَ عِلْمِ
زَوْجِك... بكت الحمامة وقالت: لقد فَعَلْتُ ذلك رَغْمًا عَنِّي!!!.

سَكَتَ فرحان لحظاتٍ ثم ابتسم وقال: وماذا تَفْعَلِينَ إذا أَثَبْتُ لَكِ
أنَّ زوجك ما زال يُحِبُّكَ... قالت الحمامة في لهْفَةٍ: وكيف ستفعل
ذلك؟!.. قال فرحان: اسْمَعِينِي جِدًّا، سَتَرَقُودِينَ الآن على الأرض كأنَّكِ
مَرِيضَةٌ، وأنا سأَحْمِلُكَ وَأُنْطَلِقُ في الغابة بِسُرْعَةٍ، وفي الطريق سأُخْبِرُ
الجميعَ أنني وَجَدْتُكَ مُلْقَاةً على الأرض ولا تتكَلِّمين، وأُني سأخذك إلى
الطبيب... قالت الحمامة: وماذا سيحدثُ بعد ذلك؟!... قال فرحان:
سَتُخْبِرُ الطيورُ بَعْضَهَا بما حدثَ لَكِ، وَيَصِلُ الْخَبْرُ إلى زوجك، وإن كان
يُحِبُّكَ سيأتي سَرِيعًا لِرؤُوتِكَ.

فَرِحَتْ الحمامة بالفكرة، وَنَامَتْ على الأرض بِسُرْعَةٍ، فَحَمَلَهَا فرحان
إلى بيت الطبيب، وَأَخْبَرَهُ بِخُطَّتِهِ مع الحمامة، فشارك الطبيب فيها
مَهَارَةً، وانتشرَ الْخَبْرُ في الغابة، وجاءتُ الطيور من كُلِّ مكانٍ للاطمئنان

على الحمامة، لكن زَوْجها لم يَأْتِ، فنظرتُ إلى فرحان وقالت: لقد أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ يَكْرَهُنِي... قال فرحان: لا تَتَسَرَّعِي فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ، فَرُبَّمَا لَمْ يَصِلْهُ الْخَبَرُ، أَوْ أَنَّهُ...

وَلَمْ يُكْمِلْ فَرْحَانُ كَلَامَهُ، فَقَدْ جَاءَ زَوْجُ الْحَمَامَةِ، وَاقْتَرَبَ مِنْهَا وَالِدْمُوعَ تَتَفَرَّقُ فِي عَيْنَيْهِ، وَسَلَّاهَا عَنْ حَالِهَا، وَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ ذَهَبَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرَ لِيَجْمَعَ الْحُبُوبَ الَّتِي تُحِبُّهَا، وَلَمَّا رَجَعَ لَمْ يَجِدْهَا فِي الْعُشِّ، وَأَخْبَرَهُ الْغَرَابُ أَنَّهَا قَدْ رَحَلَتْ، فَاْنْطَلَقَ يَبْحَثُ عَنْهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَقَرَّرَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَى الْعُشِّ بِدُونِهَا، وَلَمَّا سَمِعَ خَبَرَ مَرَضِهَا جَاءَ عَلَى الْفَوْرِ... فَقَالَتْ لَهُ الْحَمَامَةُ: لَكُنْ أَفْعَالُكَ بِالْأَمْسِ كَانَتْ غَرِيبَةً، فَأَنْتَ لَمْ تَقِفْ مَعِي عَلَى الْغُصْنِ، وَأَكَلْتَ وَحْدَكَ، وَنَمْتُ دُونَ أَنْ تَتَكَلَّمَ مَعِي... قَالَ لَهَا زَوْجُهَا: إِنِّي لَمْ أَقِفْ مَعَكَ عَلَى الْغُصْنِ لِأَنَّهُ كَانَ مَكْسُورًا؛ وَخَشِيتُ أَنْ يَقَعَ وَيُصِيبَكَ مَكْرُوهٌ، وَلَمْ أَدْعُكَ لِتَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ مَعِي لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَيِّدًا؛ وَخَشِيتُ أَنْ يَتَسَبَّبَ فِي مَرَضِكَ، وَنَمْتُ دُونَ أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَكَ لِأَنَّ جَارَنَا الْغُرَابَ كَانَ يَتَجَسَّسُ عَلَيْنَا، وَعَلِمْتُ مِنْ بَعْضِ الطَّيُورِ أَنَّهُ يَطْمَعُ فِي عُشِّنَا، لِأَنَّهُ يَقَعُ فِي مَكَانٍ مُتَمَيِّزٍ عَلَى الشَّجَرَةِ.

هَذَا صَاحَ فَرْحَانَ قَائِلًا: لَقَدْ فَهِمْتُ الْآنَ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّ الْغُرَابَ فَرَّقَ بَيْنَكُمَا لِأَخْذِ عُشِّكُمَا، وَلَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ بَعْدَ رَحِيلِكُمَا، وَلَنْ تَسْتَطِيعَا إِخْرَاجَهُ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ، فَهَيَّا نَفْكَرْ مَعًا كَيْفَ تُخْرِجَاهُ مِنْ بَيْتِكُمَا بِذِكَاةٍ وَحِكْمَةٍ!!؟.



فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة الْحَمَامَةِ الْحَزِينَةِ...

- اسألهم: عن رأيهم في الخطبة التي وضعها فرحان لإثبات أن زَوْجَ الحمامة لا يكرهها، وأن الغراب قد خدَع الحمامة، ثم اسألهم: كيف نُخْرِجُ الغرابَ من عُشِّ الحمام بذكاء وحكمة؟! وكيف نُعاقبه على جريمته؟.
- اسأل أبناءك: ما أكثر شيء يُفَرِّجُ به الشيطان؟ وبعد أن تستمع إليهم أخبرهم أن أكثر شيء يُفَرِّجُ الشيطان هو التفريق بين الزوج وزوجته، فقد قال النبي ﷺ فيما رواه مُسلم: «إِنَّ إبْلِسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَنْعَثُ سَرَايَاهُ (لإغواء الناس ثم يعودون إليه، ويُخبره كل واحدٍ منهم بالمعصية التي نجح في إيقاع ابن آدم فيها)، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزَلَةً (أقربهم من إبليس) أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً (وإغواء لابن آدم)، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ (إبليس): مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ (يعني: جَعَلْتُهُ يُطَلِّقُهَا)، فَيُذْنِيهِ مِنْهُ (يُقَرِّبُهُ إبليسُ منه) وَيَقُولُ (له): نِعْمَ أَنْتَ (وَيَمْدَحُهُ إعجابًا بما فعله)».
- أخبر أبناءك أن الشيطان له هدفان في البيت المسلم، الهدف الأول هو التفريق بين الزوج وزوجته، والهدف الثاني هو إفسادُ العلاقة بين الإخوة، واحك لهم قصة يوسف -عليه السلام- مع إخوته، وكيف أنه فهم أن الشيطان هو سبب إساءة إخوته له، فقد قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَتْ هَذَا تَآوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ فَدَجَّلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: 100]، ثم اسأل أبناءك: كيف تَهْزِمُ الشيطان ونُحَافِظُ على علاقتنا بإخوتنا؟ وكيف نَحُلُّ مشاكلنا مع بعضنا؟ وكيف ننام كل ليلة ونحن مُتَحَابِّين؟.

ذات يوم أعلنت المدرسة عن رحلة طلابية متميزة، وأمهلته مَنْ يريد الاشتراك ثلاثة أيام لتسديد الرسوم، فتحمس فرحان كثيرًا، واتفق مع أصدقائه أن يشتركوا جميعًا في هذه الرحلة، لكن والد فرحان لم يُوافق، ورفض أن يُعطيه النقود، فأحس فرحان بحزنٍ شديدٍ، وأغلق عليه باب غرفته وجلس يبكي، وبعد دقائق مسح دُموعه، ووقف وهو يقول: هذه الرحلة لن تفوتني أبدًا!!!.

وخرج فرحان من غرفته في صمت، وتسلل إلى غرفة والديه، وأخذ من جيب أبيه مبلغًا من المال، وخرج دون أن يشعر به أحد، وخبأ النقود في غرفته، وقفز في سعادة لأنه سيتمكن أخيرًا من الاشتراك في الرحلة.

وبعد ساعةٍ حان موعد فرحان مع شيخه، فانطلق إلى حلقة التحفيظ، وهناك قال الشيخ: اليوم سنكمل حفظ سورة الطلاق، هيا ردّوا معي يا أولاد؛ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةٌ

أَشْهَرُ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ [الطلاق: 2-5].

ولما أثقن الأولاد التلاوة، قال الشيخ: في هذه الآيات خمس مكافآت لمن يتق الله، فالله تعالى يجعل له مخرجاً من كل ضيق وكرب وشدة، ويرزقه من حيث لا يحتسب ولا يخطر على باله، ويجعل له من أمره يسراً؛ فييسر له كل عسير وصعب، ويكفر عنه سيئاته فيمحوها ويغفرها له، ويعظم له أجراً فيضاعف له الثواب في الآخرة ويدخله الجنة.

قال فرحان: وما معنى التقوى يا شيخنا؟!... قال الشيخ: التقوى من الوقاية، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه من الأخطار، فقائد الدراجة النارية يضع فوق رأسه خوذة ليحميها من الاصطدام، والطبيب يرتدي قفازاً ليحمي نفسه من العدوى، والعامل في المصنع يلبس نظارة ليحمي عينيه من الإصابة، أما المؤمن فهو يتقي الله ربه ويحمي نفسه من غضبه تعالى وعقابه.

قال فرحان: وكيف أتقي الله يا شيخنا؟!... قال الشيخ: سؤالك جميل يا بُني، تتقي الله بأن تخاف من غضبه تعالى، وتحمي نفسك من عقابه جلّ جلاله، وذلك بأن تفعل ما أمرك الله به من طاعات، وتترك ما نهاك عنه من معاصي.

شكر فرحان شيخه، وانصرف من حلقة التحفيظ وقد عزم أن يتقي الله تعالى؛ حتى يفوز بالمكافآت الخمس التي وعد الله بها المتقين،

وَقَرَّرَ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ سَيَفْعَلُهُ هُوَ إِعَادَةُ الْمَالِ لِأَبِيهِ؛ حَتَّى يَحْمِيَ نَفْسَهُ
مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ.

وَرَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى الْبَيْتِ بِسُرْعَةٍ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ غُرْفَتِهِ، وَأَخَذَ النُّقُودَ الَّتِي
سَرَقَهَا، وَتَسَلَّلَ إِلَى غُرْفَةِ وَالِدَيْهِ، وَوَضَعَ النُّقُودَ فِي مَكَانِهَا، وَاسْتَدَارَ لِيَخْرُجَ
مِنَ الْغُرْفَةِ، فَفُوجِئَ بِأَبِيهِ يَقِفُ أَمَامَهُ، وَقَبَّلَ أَنْ يَسْأَلَهُ أَبُوهَ عَمَّا يَحْدُثُ،
حَتَّى لَهُ فَرْحَانُ الْقِصَّةَ مِنَ الْبَدَايَةِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَعَادَ النُّقُودَ الَّتِي سَرَقَهَا
خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَظَلَّ أَبُوهُ يَسْتَمِعُ لَهُ بِهَدُوءٍ حَتَّى انْتَهَى
مِنْ كَلَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: حَسَنًا يَا بُنَيَّ، غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَجَعَلَكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَاعْتَدَرَ لَزَمَلَائِهِ عَنِ الْمُشَارَكَةِ
فِي الرَّحْلَةِ، وَفِي مُنْتَصَفِ الْيَوْمِ الدَّرَاسِيِّ فُوجِئَ فَرْحَانُ بِمَنْ يُخْبِرُهُ أَنَّ
وَالِدَهُ عِنْدَ مُدِيرِ الْمَدْرَسَةِ، وَيُرِيدُ رُؤْيَيْتَهُ هُنَاكَ، فَتَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ: إِنَّ أَبِي لَمْ يُخْبِرْنِي أَنَّهُ سَيَأْتِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ الْيَوْمَ، فَيَا تَرَى لِمَاذَا جَاءَ؟
هَلْ جَاءَ يَشْكُونِي لِأَنِّي سَرَقْتُ؟! أَمْ جَاءَ بِسَبَبِ مُشْكَلَةٍ أُخْرَى؟!!!.

وَأَحْسَّ فَرْحَانُ بِالْخَوْفِ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ الْغَرِيبَةِ، وَمَشَى نَحْوَ غُرْفَةِ
مُدِيرِ الْمَدْرَسَةِ مُتَثَقِّلًا، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَاكَ فُوجِئَ بِالْمُدِيرِ يَقُولُ لَهُ:
لَقَدْ جَاءَ وَالِدُكَ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْكَ، وَلِيَشْتَرِكَ لَكَ فِي رَحْلَةِ الْمَدْرَسَةِ... وَلَمْ
يُصَدِّقْ فَرْحَانُ مَا سَمِعَهُ، وَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ بَاسْتِغْرَابٍ، فَابْتَسَمَ أَبُوهُ وَأَوْمَأَ
بِرَأْسِهِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ مُدِيرُ الْمَدْرَسَةِ صَحِيحٌ، فَارْتَمَى فَرْحَانُ فِي حُضْنِ أَبِيهِ،
وَبَكَى، وَشَكَرَ أَبَاهُ، وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى لِأَنَّهُ جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

وفي اليوم التالي ذهبَ فرحان إلى الغابة، فوجدَ إعلانًا مُعلَّقًا على الأشجار، مَكْتُوبًا فيه: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ شَرِيكًا فِي مَزْرَعَتِي وَبَيْتِي وَمَالِي وَبِئْرِ الْمَاءِ وَثَمَارِ الْمَزْرَعَةِ، فَلْيَعْتَزُّ عَلَى الْمِفْتَاحِ الضَّائِعِ، وَلَنْ يُسَمَحَ بِدُخُولِ الْمَزْرَعَةِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْمِفْتَاحِ إِلَّا لِمَنْ يُشَارِكُ فِي الْحَصَادِ.

قرأ فرحانُ الإعلان، ثم ذهبَ إلى بيت حَكِيم الغابة، فاستَقْبَلَهُ الحَكِيمُ قائلاً: أنا أعرفُ سببَ زيارتك اليوم يا صديقي، فقد جِئْتَ لِتَعْرِفَ قِصَّةَ الإعلان الذي يَمْلَأُ الغابةَ، أليسَ كذلك؟!... ابتسم فرحان وقال: نعم أَيُّهَا الحَكِيمُ، فهذا إعلان غريبٌ جدًّا، ولا بُدَّ أَنْ وراءَهُ لُغْزًا كَبِيرًا!!!.

ضَحِكَ الحَكِيمُ وقال: اجْلِسْ يا صديقي، وسأُحْكِي لَكَ الحِكَايَةَ مِنَ الْبَدَايَةِ... وسَكَتَ الحَكِيمُ لِحِظَاتٍ، ثم قال: مُنْذُ عِدَّةٍ أَشْهُرُ أَعْلَنَ الْحِمَارُ أَنَّ مِفْتَاحَ بَيْتِهِ قَدْ ضَاعَ فِي الْمَزْرَعَةِ الْمَهْجُورَةِ الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ أَبِيهِ، وَأَنَّهُ سَيَبْحَثُ عَنِ الْمِفْتَاحِ خِلَالِ تَنْظِيفِ الْمَزْرَعَةِ، وَمَنْ يُشَارِكُهُ فِي الْعَمَلِ وَيَجِدُ الْمِفْتَاحَ سَيَكُونُ شَرِيكًا لَهُ فِي بَيْتِهِ وَيَأْخُذُ نِصْفَهُ، فَتَحَمَّسَ الْجَمِيعُ لِلْفِكْرَةِ، وَشَارَكُوا فِي تَنْظِيفِ الْمَزْرَعَةِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا الْمِفْتَاحَ.

قال فرحان: وماذا حدثَ بعد ذلك؟!!!!.

قال الحَكِيمُ: بعد عِدَّةٍ أَيَّامٍ، أَعْلَنَ الْحِمَارُ أَنَّهُ سَيَقُومُ بِحَرْثِ الْمَزْرَعَةِ وَتَجْهِيزِهَا لِلزَّرْعَةِ، وَسَيَبْحَثُ عَنِ الْمِفْتَاحِ الضَّائِعِ، وَمَنْ يُسَاعِدُهُ فِي الْعَمَلِ وَيَجِدُ الْمِفْتَاحَ سَيَكُونُ شَرِيكًا لَهُ فِي بَيْتِهِ وَمَزْرَعَتِهِ، وَيَأْخُذُ نِصْفَهُمَا، فاندَفَعَ سُكَّانُ الْغَابَةِ لِلْعَمَلِ مَعَهُ طَمَعًا فِي نِصْفِ الْبَيْتِ وَالْمَزْرَعَةِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْتَزُّوا عَلَى الْمِفْتَاحِ.

قال فرحان: وماذا فعل الحِمَار بعد ذلك؟ أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الْحَكِيم!!

قال الحكيم: بعد فترة أَعْلَنَ الحِمَارُ أَنه سيقوم بزراعة المزرعة، وَسَيَسْمَحُ لِمَن يزرع معه بِالْبَحْثِ عَنِ مِفْتَاحِ بَيْتِهِ الضَّائِعِ، وَمَنْ يَجده سَيَكُونُ لَهُ نِصْفُ بَيْتِهِ وَمَزْرَعَتِهِ وَنُقُودُهُ، وَذهبَ كَثِيرُونَ لِلزَّراعةِ معه، وَبَحَثُوا عَنِ الْمِفْتَاحِ، لَكِنَّهُمْ...

قَاطَعَهُ فَرَحَانُ قَائِلًا: لَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا الْمِفْتَاحَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!!

قال الحكيم: هَذَا مَا حَدَثَ بِالْفِعْلِ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ أَعْلَنَ الحِمَارُ أَنه سَيَقُومُ بِسَقْيِ الزَّرْعِ وَرِعَايَةِ الْأَشْجَارِ، وَمَنْ يُسَاعِدُهُ سَيَسْمَحُ لَهُ بِالْبَحْثِ عَنِ الْمِفْتَاحِ الضَّائِعِ، وَمَنْ يَجِدُهُ سَيَكُونُ لَهُ نِصْفُ بَيْتِهِ وَمَزْرَعَتِهِ وَنُقُودُهُ وَنِصْفُ بَيْتِ الْمَاءِ.

ضَحِكَ فَرَحَانُ وَقَالَ: وَطَبْعًا مَنْ ذَهَبُوا لَمْ يَعْثُرُوا عَلَى شَيْءٍ، ثُمَّ أَعْلَنَ الحِمَارُ الْيَوْمَ أَنَّ مَنْ يُشَارِكُهُ فِي حَصَادِ الْمَزْرَعَةِ وَيَعْثُرُ عَلَى الْمِفْتَاحِ، سَيَفُوزُ بِنِصْفِ بَيْتِهِ وَمَزْرَعَتِهِ وَنُقُودِهِ وَنِصْفِ بَيْتِ الْمَاءِ وَنِصْفِ مَحْصُولِ الثَّمَارِ، وَأَنَا أَتَوَقَّعُ أَنَّ مَنْ سَيَذْهَبُ لِلْعَمَلِ مَعَهُ لَنْ يَجِدَ الْمِفْتَاحَ الضَّائِعَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ فِيهَا خُدْعَةٌ كَبِيرَةٌ، وَأَنَا سَأَكْشِفُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَسَكَتَ فَرَحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ يَسْكُنُ الحِمَارُ؟.. قَالَ الْحَكِيمُ: إِنَّ بَيْتَهُ مُغْلَقٌ مِنْذُ أَنْ ضَاعَ الْمِفْتَاحُ، وَهُوَ يَسْكُنُ فِي حَظِيرَةٍ بِجَوَارِهِ... قَالَ فَرَحَانُ: حَسَنًا، أَنَا أَشُكُّ أَنَّ الحِمَارَ يَدْخُلُ بَيْتَهُ لَيْلًا، وَأَنَّهُ يُخَبِّئُ الْمِفْتَاحَ فِي مَكَانٍ مَا، وَلِذَلِكَ سَأَطْلُبُ مِنَ الْعَصْفُورَةِ مُرَاقَبَتَهُ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَحَانَ يَوْمُ الْحَصَادِ، فَذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى مَزْرَعَةِ الْحِمَارِ لِلْمِشَارَكَةِ فِي جُمْعِ الثَّمَارِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْمِفْتَاحِ، وَكَانَ فَرْحَانُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَلَقَدْ شَارَكَ فِي الْعَمَلِ وَالْبَحْثِ بِنَشَاطٍ، وَلَمَّا انْتَهَى الْحَصَادُ صَاحَ فَرْحَانُ قَائِلًا: لَقَدْ وَجَدْتُ الْمِفْتَاحَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ... فَأَحَاطَ الْجَمِيعُ بِهِ، وَشَاهَدُوا الْمِفْتَاحَ مَعَهُ، أَمَّا الْحِمَارُ فَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ بَاسْتِغْرَابٍ وَقَالَ: مُسْتَحِيلٌ، مُسْتَحِيلٌ، هَذَا لَيْسَ مِفْتَاحَ بَيْتِي!!!... فَاِبْتَسَمَ فَرْحَانُ وَقَالَ: أَنَا لَنْ أَخُذَ مَكَافَأَةً لَيْسَتْ مِنْ حَقِّي، هَيَّا بِنَا إِلَى بَيْتِ الْحِمَارِ لِنَتَّأَكَّدَ أَنَّ هَذَا مِفْتَاحَ بَيْتِهِ الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ!!!.

وَانْطَلَقَ الْجَمِيعُ إِلَى بَيْتِ الْحِمَارِ، وَفَتَحَ فَرْحَانُ الْبَابَ أَمَامَهُمْ، فَصَاحُوا قَائِلِينَ: الْجَائِزَةُ مِنْ حَقِّ فَرْحَانَ... وَبَكَى الْحِمَارُ قَائِلًا: هَذَا مُسْتَحِيلٌ!!! كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ؟!!!... فَاقْتَرَبَ فَرْحَانُ مِنْهُ وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا: لَقَدْ رَاقَبْنَاكَ أَيَّهَا الْحِمَارُ وَكَشَفْنَا خُدْعَتَكَ، وَأَخَذْنَا الْمِفْتَاحَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي خَبَأْتَهُ فِيهِ، وَالْآنَ إِمَّا أَنْ تَعْتَرِفَ بِجَرِيمَتِكَ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَأَتَنَازُلَ لَكَ عَنِ الْجَائِزَةِ، أَوْ أَخُذَ نِصْفَ مَا تَمْلِكُ.

نَظَرَ الْحِمَارُ حَوْلَهُ فِي ذُھُولٍ، ثُمَّ اعْتَرَفَ بِجَرِيمَتِهِ لِيُنْقِذَ أَمْلَاكَه، فَأَمْسَكَتْ بِهِ الْحَيَوَانَاتُ، وَقَادُوهُ إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي، وَقَدَّمُوا لَهُ شُكْوَاهُمْ، فَدَافَعَ الْحِمَارُ عَنْ نَفْسِهِ قَائِلًا: لَقَدْ كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنِّي لِأَنِّي حِمَارٌ وَيَصِفُونَنِي بِالْغَبَاءِ، فَقَرَّرْتُ أَنْ أُثَبِّتَ لَهُمْ أَنَّنِي أَذْكِي مِنْهُمْ جَمِيعًا!!!... وَاسْتَمَعَ الْقَاضِي لِلْجَمِيعِ ثُمَّ أَعْلَنَ حُكْمَهُ؛ فَأَمَرَ الْحِمَارَ أَنْ يَدْفَعَ لِلْحَيَوَانَاتِ أَجْرَ عَمَلِهِمْ مَعَهُ، ثُمَّ أَمَرَ الْحَيَوَانَاتَ أَنْ يَرُدُّوا لِلْحِمَارِ نِصْفَ الْأَجْرِ؛ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى سُخْرِيَّتِهِمْ مِنْهُ.

فكرة تربوية

مكتبة

t.me/soramnqraa

بعد أن تُحكي لأبنائك قصة المُكَافآت الخَمْس...

- اسألهم: ما الفرق بين المكافآت الحقيقية والجوائز الوهميّة؟ وكيف نُفرّق بينهما؟ ولماذا يُقدّم أحدهم مكافأة وهميّة؟ وما رأيك في الجوائز التي تُعرض في الإعلانات وغيرها؟ وما أجمل مكافأة تلقّيَتها في حياتك؟ وما المكافأة التي تحلم بها؟ وشارك أبنائك النقاش والحوار.
- اشترك مع أبنائك في تصميم لوحة لمكافآت التقوى الخمس، مع كتابة الآيات بخط جميل، والعمل في جو من المرح.
- اشترك مع زوجتك (زَوْجك) في وضع برنامج خاص بالمكافآت في بيتك، بحيث تكون المكافآت هادفة وتربويّة ومُفيدة، واتَّفَق مع أبنائك على مكافآت خاصّة على إنجازات مُحدّدة تريد تحقيقها.
- اسأل أبنائك: ما المخاطر التي تُحيط بنا؟ وكيف نحمي أنفسنا منها؟ وبعد الاستماع إليهم أخبرهم أن أكبر خطر يواجهه الإنسان هو دخول النار، ولذلك أمرنا الله تعالى أن نحمي أنفسنا وأهلنا منها، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، ثم اسألهم: كيف نتقي النار ونحمي أنفسنا من عذابها؟ وأخبرهم أن النبي ﷺ قال فيما رواه البخاري: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ قُرَّةٍ».
- بِشَرِّ أبنائك بقول النبي ﷺ فيما رواه مُسلم: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبُّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ (سبحانه) أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ (تعالى): ارْقُبُوهُ (راقبوه وشاهدوا ما سيفعل)، فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْقُبُوهُ (سَيِّئَةً) بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْقُبُوهُ لَهُ حَسَنَةً، إِمَّا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ» يعني: ترك المعصية التي نوى فعلها من أجلّي، فَتُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ لَأَنَّهُ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَاتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى.

الْجَمَلُ الْبَخِيلُ

في يوم من الأيام رجَعَ والدُ فرحان من العمل مُتَعَبًا، وجلسَ في الصَّالَةِ يَسْتَرِيح قَلِيلًا، فَجَرَى فرحانُ نَحْوَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ يَا أَبِي، لَقَدْ كُنْتُ بَانْتِظَارِكَ مِنْذُ الصَّبَاح... قَالَ أَبُوهُ: خَيْرًا يَا حَبِيبِي... قَالَ فرحان: أريدُ شِراءَ بَعْضِ الْأَشْيَاء... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: أَلَا يُمكنُ تَأْجِيلُ هَذِهِ الْأَشْيَاء حَتَّى أُغَيِّرَ مَلَابِيسِي وَاتَنَاوِلُ الطَّعَامَ؟!... سَكَتَ فرحانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ بِلَهْجَةٍ حَزِينَةٍ: حَسَنًا يَا أَبِي، كَمَا تُريدُ!!!.

وَهَمَّ فرحانُ بِالْإِنْصِرَافِ، فَأَمْسَكَ أَبُوهُ يَدَهُ بِحَنَانٍ وَقَالَ: انْتَظِرْ يَا بُنَيَّ، لَا تَذْهَبْ وَأَنْتَ حَزِينٌ، هَيَّا أَخْبِرْنِي بِمَا تُريدُ... تَحَمَّسَ فرحانُ، وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ وَرَقَةً كَبِيرَةً وَأَعْطَاهَا لِأَبِيهِ، فَتَعَجَّبَ أَبُوهُ وَقَالَ: مَا هَذَا؟!... قَالَ فرحان: هَذِهِ قَائِمَةُ الْأَشْيَاء الَّتِي أريدُهَا... نَظَرَ أَبُوهُ فِي الْوَرَقَةِ وَقَرَأَ مَا فِيهَا، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي جَيْبِهِ، وَقَالَ: مِنْ عِيُونِي يَا حَبِيبِي... قَالَ فرحان: شُكْرًا لَكَ يَا أَبِي، وَمَتَى سَتُحْضِرُهَا لِي؟!... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: أَعِدْكَ أَنَّنِي سَأَجْتَهِدُ فِي شِرَائِهَا خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْعَشْرِ الْقَادِمَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ!!!... نَظَرَ فرحانُ إِلَى أَبِيهِ بَاسْتِغْرَابٍ وَقَالَ: عَشْرَ سَنَوَاتٍ؟! لِمَاذَا؟!... إِنَّنِي أريدُ هَذِهِ الْأَشْيَاء الْآنَ... فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: هَذِهِ أَشْيَاء كَثِيرَةٌ وَبَاهِظَةٌ الثَّمَنُ، وَأَنَا لَا أملكُ الْمَالَ الْكَافِيَ لِشِرَائِهَا، سَامِحْنِي يَا بُنَيَّ.

لَمْ يَسْكُتْ فَرْحَانُ رَغَمَ اعْتِذَارِ أَبِيهِ، وَأَلَحَّ فِي طَلَبِ مَا يُرِيدُ، لَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَنْجَحْ، فَغَضِبَ فَرْحَانُ وَقَالَ لِأَبِيهِ: إِذَا كُنْتُ لَا تَمْلِكُ الْمَالَ، فَلِمَ إِذَا أَنْجَبْتَنِي؟!... ابْتَسَمَ أَبُوهُ وَقَالَ: وَهَلِ الزَّوْاجُ وَالْإِنْجَابُ لِلْأَغْنِيَاءِ فَقَطْ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: أَنَا لَا أَقْصِدُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَى الْأَبِ أَنْ يَشْتَرِيَ لِأَبْنَائِهِ كُلِّ مَا يَطْلُبُونَ... فَقَالَ أَبُوهُ: هَذَا تَفْكِيرٌ خَاطِئٌ يَا بُنَيَّ، فَالْأَبُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى، لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِيَ شَيْئًا لِأَوْلَادِهِ، فَلَا يَشْتَرِيَ لَهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، وَيَجْتَهِدُ فِي شِرَاءِ مَا يَنْفَعُهُمْ، حَسَبَ قُدْرَاتِهِ الْمَالِيَّةِ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ كَمْ يَحْزَنُ الْأَبُ (وَالْأُمُّ) عِنْدَمَا يَرْفُضُ طَلِبًا صَغِيرًا لِأَحَدِ أَبْنَائِهِ، لَكِنَّهَا الْأَمَانَةُ وَالْمَسْئُورِيَّةُ وَالْقُدْرَاتُ الْمَالِيَّةُ يَا بُنَيَّ!!!

لَمْ يَقْتَنِعْ فَرْحَانُ بِكَلَامِ أَبِيهِ، وَانْصَرَفَ غَاضِبًا، وَأَغْلَقَ بَابَ غُرْفَتِهِ بِعُنفٍ، وَجَلَسَ حَزِينًا، وَبَعْدَ دَقَائِقٍ تَذَكَّرَ فَرْحَانُ مَوْعِدَهُ مَعَ شَيْخِهِ، فَارْتَدَّى مَلَابِسَهُ بِسُرْعَةٍ، وَانْطَلَقَ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَهُنَاكَ قَالَ الشَّيْخُ: الْيَوْمَ سَنَحْفَظُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

وَسَكَتَ الشَّيْخُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى - فِي هَذِهِ الْآيَةِ - قَانُونًا لِلْإِنْفَاقِ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ، لَوْ عَمِلَ بِهِ النَّاسُ لَعَاشُوا فِي سَعَادَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾، فَمَنْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَغْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَرَزَقَهُ الْمَالَ الْوَفِيرَ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ، وَلَا يَبْخُلَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ وَغَيْرِهَا مِنَ النَّفَقَاتِ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَالْأَبُ الْفَقِيرُ كَيْفَ يُنْفِقُ عَلَى أَوْلَادِهِ?!..

قَالَ الشَّيْخُ: الْأَبُ الْفَقِيرُ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقَهُ ضَيْقًا وَقَلِيلًا وَجَعَلَهُ فَقِيرًا، عَلَيْهِ أَنْ يُنْفِقَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ وَالْمَالِ، فَيُنْفِقَ عَلَيْهِمْ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ، وَيُعْطِيهِمْ حَسَبَ قُدْرَتِهِ.

قَالَ فَرَحَانُ: لَكِنَّ الْأَبَ الْفَقِيرَ لَا يَسْتَطِيعُ شِرَاءَ كُلِّ مَا يَطْلُبُهُ أَوْلَادُهُ، وَهَذَا يُخْزِنُهُمْ، فَهَلْ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْفَقِيرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ الْمَالِي فِي حَقِّ أُنْبَائِهِ؟

قَالَ الشَّيْخُ: سُؤْالُكَ جَمِيلٌ يَا بُنَيَّ، وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ الْفَقِيرَ بِالْإِنْفَاقِ كَمَا يُكَلِّفُ الْغَنِيَّ، وَلَا يُحَاسِبُ الْفَقِيرَ كَمَا يُحَاسِبُ الْغَنِيَّ، فَتَكْلِيفُ كُلِّ إِنْسَانٍ وَحِسَابُهُ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ رِزْقٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى الْكَسْبِ، وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ رِسَالَتَانِ؛ الرَّسَالَةُ الْأُولَى: لِلأَبِ الْفَقِيرِ حَتَّى لَا يَخْزَنَ عِنْدَمَا يَعْجَزُ عَنْ تَلْبِيَةِ طَلِبَاتِ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ، مَا دَامَ لَمْ يَقْصُرْ فِي الْعَمَلِ وَالْاجْتِهَادِ مِنْ أَجْلِهِمْ، وَالرَّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ: لِرُؤُوحَةِ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ وَأَوْلَادِهِ حَتَّى يَتَرَفَّقُوا بِهِ، وَلَا يُكَلِّفُوهُ فَوْقَ مَقْدَرَتِهِ، وَلَا يُحْمَلُوهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ.

دَمَعَتْ عَيْنَا فَرَحَانَ لَمَّا سَمِعَ الرِّسَالََةَ الثَّانِيَةَ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ الْأَدَبَ مَعَ أَبِيهِ وَأَخْطَأَ فِي حَقِّهِ، وَأَدْرَكَ كَمْ كَانَ أَبُوهُ كَرِيمًا مَعَهُ إِذْ أَحْسَنَ الِاسْتِمَاعَ إِلَى طَلِبَاتِهِ، وَاعْتَذَرَ عَنْهَا بِرَفْقٍ، وَصَبَرَ عَلَيْهِ لَمَّا غَضِبَ، وَنَدِمَ فَرَحَانُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَقَرَّرَ أَنْ يُصَحِّحَ خَطَأَهُ، وَيُسْعِدَ أَبَاهُ كَمَا أَحْزَنَتْهُ.

وبعد انتهاء حلقة التحفيظ رجع فرحان إلى بيته، ودخل غُرْفَتَهُ، وخرج منها بعد دقائق، وذهب إلى أبيه، وقَبَّلَ يَدَهُ، وأعطاه وَرَقَةً كبيرة، فابْتَسَمَ أَبُوهُ وقال: ما هذا يا بُنَيَّ؟ هل كَتَبْتَ قَائِمَةَ طَلَبَاتٍ أخرى؟!!!!... قال فرحان: لا يَا أباي، هذه قَائِمَةُ اعْتِذَارَاتٍ وَتَنَازُلَاتٍ وَمُسَاعَدَاتٍ... تَعَجَّبَ أَبُوهُ وقال: ماذا تَعْنِي؟!!!!... قال فرحان: لقد كتبت في هذه الورقة اعْتِذَارًا عَنْ طُلُبَاتِي الكثيرة وَسُوءِ أدَبِي، وذكرت بعض الأشياء التي يُمكنني الاستِغْنَاءُ عنها لأُخَفِّفَ عَنْكَ بعضَ النِّفَقَاتِ، وَكَتَبْتُ الأَعْمَالَ التي يُمكنني مُسَاعَدَتِكَ بها على صُعُوبَةِ الحَيَاةِ.

دَمَعَتْ عَيْنَا والد فرحان، وَحَضَنَهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ، وقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي بَابِنِ مِثْلِكَ، وَأَبَشَّرَكَ يَا بُنَيَّ ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

وفي اليوم التالي ذهب فرحان إلى الغابة، وذهب لزيارة القاضي في بيته، فَفَرِحَ القاضي بِزِيَارَتِهِ، وقال: لَقَدْ جِئْتَ فِي وَقْتِكَ يَا فرحان، فأنا أريدُ مُسَاعَدَتَكَ فِي حَلِّ إِحْدَى الْقَضَايَا... قال فرحان: أنا جَاهِزٌ دَوْمًا لِلْمُسَاعَدَةِ، ما هذه الْقَضِيَّةُ؟... قال القاضي: إنها قَضِيَّةٌ مَرْفُوعَةٌ ضِدَّ الْجَمَلِ، رَفَعَهَا جِيرَانُهُ وَأَصْحَابُهُ... قال فرحان: وهل ظَلَمَهُمُ الْجَمَلُ في شيء؟!!!!... قال القاضي: بل ظَلَمَ أَوْلَادَهُ، فهو لا يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ كَمَا يَجِبُ، ولا يُعْطِيهِمْ إِلَّا القليل... قال فرحان: ولماذا لم يَشْكُوهُ أَوْلَادُهُ؟!!!!... قال القاضي: لا يُريدُونَ إِيْذَاءَ آبِيهِمْ رَغَمَ ظُلْمِهِ لَهُمْ، ولذلك يَسْعَى الْجَمِيعُ لِمُسَاعَدَتِهِمْ.

صاح فرحان قائلًا: ولماذا لم تَحْكَمْ على هذا الجمل وتُنْقِذَ أَبْنَاءَهُ؟!!!!... ابْتَسَمَ القاضي وقال: القضية لَيْسَتْ بهذه السُّهُولة... تعجَّبَ فرحان

وقال: لماذا؟!... قال القاضي: سأخبرك بكل شيء، هذا الجمل ليس بخيلاً على أولاده بماله، ولكنه بخيل بجهده واجتهاده... قال فرحان: كيف؟!... قال القاضي: إنه كسول، يعمل يوماً وينام عشرة، وما يكسبه يعطيه لأبنائه لكنه لا يكفيهم... قال فرحان: ولماذا لا تأمره أن يعمل ويجتهد، وتهدده بالسجن؟!... ضحك القاضي وقال: كيف أهدده بشيء يحبه؟! ففي السجن سينام كما يشاء، ويأكل دون عمل، ويرتاح من شكاوى أبنائه، ولا تنس أن سجن الجمل سيحرم أولاده من القليل الذي يعطيه لهم... قال فرحان: هذه القضية ليست سهلة حقاً، ويجب أن نحلها بالحيلة والذكاء وليس بالسجن والعقاب.

وسكت فرحان لحظات ثم قال: لقد وجدتها، سنعلن في الغابة عن مسابقة كبرى، لا يشترك فيها إلا الآباء، والفائز بالمركز الأول يحصل على جائزة تكفيه للإنفاق على أسرته لمدة عام... قال القاضي: ولماذا اخترت هذه الجائزة؟!... قال فرحان: حتى نشجع الجمل على المشاركة في المسابقة، فهو سيظن أن هذه الجائزة ستضمن له الراحة لمدة عام... قال القاضي: إننا بهذه الطريقة نساعده الجمل على الكسل... قال فرحان: بل نشجعه على العمل... تعجب القاضي وقال: كيف؟!... ابتسم فرحان وقال: سأشرح لك كل شيء.

وسكت فرحان لحظات ثم قال: هذه المسابقة ستشمل عدة سباقات متنوعة، وستكون كلها في مجالات يتفوق فيها الجمل، وتساعد على العمل، فالسباق الأول سيكون في حمل الأثقال، والسباق الثاني في السير لمسافات طويلة، والسباق الثالث في الصبر على الجوع والعطش،

والرابع في تَحْمُل ظُروف الجَو الصَّعْبَةِ، والخامس سيكون في الـ...
قاطع القاضي فرحان قائلاً: وما الهدف من هذه السِّبَاقَات؟... قال
فرحان: الهدف منها أن يَفُوزَ الجَمَلُ فيها كُلِّهَا، ويُدْرِك من خِلالِهَا أنه
قَادِرٌ على العَمَل والكَسْب... قال القاضي: ولتَفْرِض أننا نَجْحَنَا في ذلك
وفازَ الجَمَلُ، فكيف سَنَجْعَلُهُ يَعْمَلُ؟!!!.

قال فرحان: الجائزة التي سَيَحْصُلُ عليها الجَمَلُ ستَجْعَلُهُ يَعْمَلُ،
فالجائزة الكُبرى ما هي إلا وظيفَة مُنَاسِبَة له، وفي مكانٍ يُحِبُّهُ، وبأجرٍ
كَبِيرٍ... ابْتَسَمَ القاضي وقال: وهكذا يُنْفِقُ الجَمَلُ على أولاده، ويَدَّخِرُ
لِلْمُسْتَقْبَلِ، ويتغيَّرُ حالُ أُسْرَتِهِ إلى الأَفْضَلِ، لَكِنِّي سَأُضِيفُ شرطاً واحداً
يَضْمَنُ لَنَا أَلَّا يَتَهَرَّبَ الجَمَلُ مِنْ هذه الوَظيفَةِ، وهو أن الفَازَ بالجائزة
الكُبرى لا يَحِقُّ لَهُ التَّنَازُلُ عنها، وإنْ حَدَثَ وتنازَلَ فإنه يُعَاقَبُ بالعمل
مُدَّةِ عامٍ دُونَ أَجْرٍ، وَيُحْرَمُ مِنَ النَّوْمِ والراحَةِ، لأنَّهُ أَضَاعَ مَجْهُودَاتِ
القَائِمِينَ على السِّبَاقِ والمُشَارِكِينَ فِيهِ... ضَحِكَ فرحانُ وقال: هذه فِكْرَةٌ
جَمِيلَةٌ، وستَجْعَلُ الجَمَلُ يَقْبَلُ الوَظيفَةَ... فقالَ القاضي: بَلْ خُطَّتْكَ هي
الأَجْمَلُ، وسنبدأُ تَنْفِيذَهَا في الحالِ، ونَدْعُو اللهَ أَنْ يَكْتُبَ لَهَا النِّجَاحَ.



فكرة تربوية

بعد أن تَخَيَّي لأبنائك قصة الجَمَلِ البَخِيلِ...

- اسأَلْهُمْ: عن رَأْيِهِم في الخِطَّة التي وضَعَهَا فرحان لِتَشْجِيعِ الجَمَلِ على العمل من أَجلِ أولاده؟ وهل تَتَوَقَّع أنها ستَنجَح؟ وهل عندك خِطَّة أخرى لِإِقْناعِ الجَمَلِ بضرورة العمل؟.
- اسأَلْ أبنَاءَكَ: ما أَجْمَلُ طريقة لِاسْتِقْبَالِ الأب (والأم) عند عودته من العمل؟ وكيف نَطْلُب ما نُريدُ بطريقة مُهَذَّبَةٍ وَذَكِيَّة؟ وكيف نَتَصَرَّفُ عندما يرفض الأب (الأم) ما نُريدُ؟ وكيف نَشْكُرُهُ عندما يَسْتَجِيب؟... واسْتَمِعْ لأبنائك، واحك لهم ذكرياتك وأخبرهم كيف كانت طلباتك من والديك.
- فَكِّرْ مع أبنائك في تَطْبِيقِ فكرة قَائِمَةِ التَّنَازُلَاتِ والمُسَاعَدَاتِ، فَكُلِّ وَاحِدٍ يَكْتُبُ قائمة بما يُمكنه الاسْتِغْنَاءُ عنه من الأشياءِ، وقَائِمَةٌ أُخْرَى بالأعمال التي يمكنه القيام بها مُسَاعَدَةً وَالِدَيْهِ، وَشَجِّعْهُمْ على العمل ببعض مُقْتَرَحَاتِهِمْ، وكافئ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ على قَدْرِ اجْتِهَادِهِ.
- تَحَدَّثْ مع أبنائك عن فَضْلِ الإنْفَاقِ على الأهل، فالنبي ﷺ يقولُ فيما رواه البخاري ومُسلم (واللفظ له): «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً (صغيرة أو كبيرة)، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا (يُرِيدُ بِهَا رِضَا الله وَيَحْتَسِبُ ثَوَابَهَا عنده سبحانه)، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً (يُثَابُ على هذه النفقة مثل ثَوَابِ الصَّدَقَةِ)»، وَكَمَا أَنَّ فِي الإنْفَاقِ على الأولاد ثَوَابًا كبيرًا، فَإِنَّ فِي تَضْيِيعِهِمْ إِثْمًا عَظِيمًا.
- أَخْبِرْ أبنَاءَكَ أَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا نَظَرَ لِلْغَنِيِّ وَحَاوَلَ أَنْ يُنْفِقَ مِثْلَهُ، فَإِنَّ هَذَا سَيُوقِعُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْطَاءِ وَالْمَشَاكِلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فيما رواه مُسلم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ (في الرِّزْقِ والمَالِ والصَّحَّةِ)، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ (أَحَقُّ) أَلَّا تَزْدَرُوا (أَلَّا تَحْتَقِرُوا) نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ».

ذات يوم ذهب فرحانُ لزيارة جَدِّه، وقضى معه عِدَّةَ أَيَّامٍ، وشاهدَ أَعْمَالَ الْخَيْرِ التي يقومُ بها؛ فَجَدُّهُ مُتَمَيِّزٌ جَدًّا فِي الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ، فَتَرَاهُ دَائِمًا يَسْعَى فِي كِفَالَةِ الْيَتِيمِ، وَإِطْعَامِ الْجَائِعِ، وَمُسَاعَدَةِ الْمُحْتَاجِ، وَمُسَانَدَةِ الضَّعِيفِ، وَإِعَانَةِ الْفَقِيرِ، وغيرها من مَجَالَاتِ الْعَطَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، كَمَا يُسَاهِمُ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ، وَيُسَاعِدُ فِي حَلِّ مَشَاكِلِ النَّاسِ.

وَمَرَّتْ أَيَّامُ الزِّيَارَةِ سَرِيعًا، وَقَبْلَ أَنْ يَعُودَ فَرَحَانُ إِلَى بَيْتِهِ قَالَ لِجَدِّهِ: أَنَا مُعْجَبٌ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ التي تقومُ بها يَا جَدِّي، وَأَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ مِثْلَكَ عِنْدَمَا أَكْبُرُ... قَالَ الْجَدُّ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا حَفِيدِي الْحَبِيبِ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلِي الْآنَ... قَالَ فَرَحَانُ: كَيْفَ؟!!!... قَالَ الْجَدُّ: شَارِكْ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ التي تُتَاسَبُ سِنُّكَ، وَسَاعِدِ النَّاسَ حَسَبَ قُدْرَتِكَ، وَبُحُورُ الْأَيَّامِ أَنْتَ سَتَكْبُرُ وَسَتَكْبُرُ أَعْمَالُ الْخَيْرِ مَعَكَ... قَالَ فَرَحَانُ: سَأَفْعَلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَكِنِّي خِلَالِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ لَاحَظْتُ شَيْئًا عَجِيبًا، وَأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ... قَالَ الْجَدُّ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ!!!.

سَكَتَ فَرَحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ كَثِيرًا مَا تُرَدِّدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]، فَمَعَ كُلَّ شَكْوَى تَسْمَعُهَا، وَكُلَّ أَرْزَمَةٍ تُفَكِّرُ فِيهَا، وَكُلَّ فَقِيرٍ تُسَاعِدُهُ، وَكُلَّ مُحْتَاجٍ تُعْطِيهِ، وَكُلَّ مُشْكِلَةٍ تُشَارِكُ فِي حَلِّهَا، تَقُولُ: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وَلَقَدْ سَمِعْتُكَ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ - فِي

اليوم الواحد- عَشْرَ مَرَّاتٍ، فلماذا تَفْعَلُ ذلك؟!... تَنهَّدَ الجَدُّ وقال: إنها حكاية طويلة يا حَبِيبِي... قَالَ فرحان: احْكِهَا لي يا جَدِّي، أَرْجُووُوكَ.

سَكَتَ الجَدُّ لِحَظَاتٍ كَأَنَّهُ يَسْتَرجِعُ أَحْدَاثَ المَاضِي، ثمَّ قال: لَقَدْ عِشْتُ طُفولةً صَعْبَةً جِدًّا، فَقَدْ كُنْتُ يَتِيمًا وفَقِيرًا ووَحِيدًا، وفي أَحَدِ الأَيَّامِ مَرَرْنَا بِأَزْمَةٍ مَالِيَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَلَمْ نَجِدْ مَا نَشْتَرِي بِهِ الطَّعَامَ، وَيَوْمَهَا بَكَيتُ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ، كَمَا بَكَيتُ حُزْنًا عَلَى أُمِّي المِسْكِينَةِ، وفي هَذَا اليَوْمِ فَعَلْتُ أُمِّي شَيْئًا عَجِيبًا، لَقَدْ أَصَرَّتْ عَلَى ذَهَابِي إِلَى الكُتَّابِ (حلقة التحفيظ)، وَقَالَتْ كَلِمَةً لَا يُمكنُنِي أَنْ أنْسَاهَا أَبَدًا، قَالَتْ: يَوْمٌ بَلَا قُرْآنَ؛ لَا يُحْتَسَبُ مِنْ عُمُرِ الإنسانِ.

تَعَجَّبَ فَرَحَانُ وَقَالَ: وَهَلْ أَطَعْتُ أُمَّكَ يَوْمَهَا وَذَهَبْتُ إِلَى الكُتَّابِ؟!..

قَالَ الجَدُّ: نَعَمْ، ذَهَبْتُ إِلَى الكُتَّابِ رَغْمًا عَنِّي، وَأَطَعْتُ أُمِّي حَتَّى لَا أَزِيدَهَا حُزْنًا فَوْقَ حُزْنِهَا، وَيَوْمَهَا حَفِظْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ. وَمَن قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]، وَقَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ فِيهَا بَشَارَةٌ لِلْمُعْسِرِينَ أَنَّ اللَّهَ سَيُزِيلُ عَنْهُمْ الشَّدَّةَ وَيَرْفَعُ عَنْهُمْ المَشَقَّةَ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ اليُسْرَ بَعْدَ العُسْرِ، وَالسَّعَةَ بَعْدَ الضِّيقِ، وَالغِنَى بَعْدَ الفَقْرِ، لِمَن شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

قَالَ فرحانُ: وطَبْعًا كَلَامُ الشَّيْخِ أَعْطَاكَ الأَمَلَ يَا جَدِّي، وَجَعَلَكَ تُحِبُّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾... قَالَ الجَدُّ: هَذَا لَمْ يَحْدُثْ لِلْأَسَفِ، فَقَدْ كُنْتُ يَوْمَهَا يَائِسًا وَجَائِعًا وَحَزِينًا، وَظَنَنْتُ أَنَّ هَذِهِ

الْبَشَارَةَ لَنْ تَتَحَقَّقَ مَعَنَا، وَأَنَّ الْعُسْرَ الَّذِي نَعِيشُهُ لَنْ يَنْتَهِيَ أَبَدًا،
لَكِنَّ مَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ.

تَحَمَّسَ فَرحَانُ وَقَالَ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ أَخْبِرْنِي يَا جَدِّي!!!

دَمَعَتْ عَيْنَا الْجَدِّ وَقَالَ: بَعْدَ الْكِتَابِ (حلقة التحفيظ) رَجَعْتُ إِلَى
الْبَيْتِ، فَفُوجِئْتُ بِأُمِّي تَسْتَقْبِلُنِي بِسَعَادَةٍ وَتَقُولُ: أَبْشِرْ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ
جَاءَ الْفَرْجُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... وَأَخْبَرْتَنِي أَنَّ أَبِي كَانَ لَهُ دَيْنٌ كَبِيرٌ عِنْدَ
أَحَدِهِمْ، وَقَدْ سَدَّدَهُ لَنَا الْيَوْمَ، ثُمَّ بَكَتْ أُمِّي مِنَ الْفَرَحِ، وَبَكَيْتُ أَنَا
أَيْضًا لَكِنَّ مِنَ الْحُزْنِ!!!...

تَعَجَّبَ فَرحَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا تَحْزَنُ يَا جَدِّي فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْجَمِيلِ؟!!!

قَالَ الْجَدُّ: لَقَدْ تَذَكَّرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾،
وَنَدِمْتُ لِأَنَّنِي لَمْ أَحْسِنِ الظَّنَّ بِرَبِّي، وَقَرَّرْتُ بَعْدَهَا أَنْ أُلَاحِظَ أَثَرَ هَذِهِ
الآيَةِ فِي حَيَاتِي، وَأَكْتُبَ ذَلِكَ فِي كَشْكُولٍ خَاصٍّ.

قَالَ فَرحَانُ: وَمَاذَا كَتَبْتَ فِي هَذَا الْكَشْكُولِ؟!! أَخْبِرْنِي يَا جَدِّي!!!

قَالَ الْجَدُّ: كَتَبْتُ فِيهِ كُلَّ عُسْرٍ (شِدَّةٍ وَضِيقٍ) مَرَرْتُ بِهِ، وَهَلْ جَاءَ بَعْدَهُ
يُسْرٌ وَفَرْجٌ أَمْ لَا، وَظَلَلْتُ عَلَى هَذَا الْحَالِ سَنَوَاتٍ، حَتَّى كَتَبْتُ مِائَاتَ الْمَوَاقِفِ
الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَأَذْرَكْتُ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَلُطْفَهُ
وَإِحْسَانَهُ يُحِيطُ بِنَا دَائِمًا، لَكِنَّا نَسْتَعْجِلُ وَنَيَاسُ وَلَا نُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّنَا،
وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ خِلَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ أَنَّ الْيُسْرَ قَدْ يَأْتِي بَعْدَ الْعُسْرِ مُبَاشَرَةً،
وَقَدْ يَتَأَخَّرُ، وَرَبَّمَا يَكُونُ مَوْعِدُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ.

سَكَتَ فَرَحَانٌ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَهِمْتُ الْآنَ سَبَبَ مَحَبَّتِكَ لِهَذِهِ
الْآيَةِ يَا جَدِّي، فَأَنْتَ قَدْ رَأَيْتَ أَثَرَهَا الْجَمِيلَ فِي حَيَاتِكَ... ابْتَسَمَ الْجَدُّ
وَقَالَ: هَذَا صَحِيحٌ يَا فَرَحَانُ، فَهَذِهِ الْآيَةُ أَضَاءَتْ حَيَاتِي بِنُورِ الْإِيمَانِ،
وَهِيَ سَبَبُ مَحَبَّتِي لِلْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ، فَمِنْ خِلَالِهِ أَشَجَّعُ النَّاسَ عَلَى
حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَهْمَا تَأَخَّرَ الْفَرْجُ، وَأَسَاعِدُهُمْ -بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ-
عَلَى الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾... دَمَعَتْ عَيْنَا
فَرَحَانَ، وَحَضَنَ جَدُّهُ فِي سَعَادَةٍ، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا: أَنَا فَخُورٌ بِكَ
يَا جَدِّي، وَسَأَكُونُ مِثْلَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

انْتَهَتْ الزِّيَارَةُ الْجَمِيلَةُ، وَرَجَعَ فَرَحَانٌ إِلَى بَيْتِهِ، فَفُوجِئَ بِحَكِيمِ الْغَابَةِ
يَنْتَظِرُهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: خَيْرًا أَيُّهَا الْحَكِيمُ!!! ماذا حدث؟!... قَالَ
الْحَكِيمُ: أَدْرِكُنَا يَا صَدِيقِي، هُنَاكَ مُصِيبَةٌ كَبِيرَةٌ سَتَحْدُثُ فِي الْغَابَةِ، وَلَا نَدْرِي
كَيْفَ مَنَعُهَا... قَالَ فَرَحَانُ: وَمَا هَذِهِ الْمُصِيبَةُ؟ تَكَلَّمْ أَيُّهَا الْحَكِيمُ... تَنَهَّدَ
الْحَكِيمُ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ قَرَّرَتِ الْحَيَوَانَاتُ أَنْ تَتْرَكَ الْغَابَةَ، وَتَذْهَبَ لِلْعَيْشِ
فِي حَدِيقَةِ الْحَيَوَانِ... تَعَجَّبَ فَرَحَانُ وَقَالَ: وَلِمَاذَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟!... قَالَ
الْحَكِيمُ: لِأَنَّ أَحَدَهُمْ سَرَقَ مِنْهُمْ أَجْمَلَ شَيْءٍ فِي حَيَاتِهِمْ... قَالَ فَرَحَانُ: وَمَا
الَّذِي سَرَقَهُ هَذَا اللَّصُّ؟!... قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ سَرَقَ مِنْهُمْ الْأَمَلَ!!!

سَكَتَ فَرَحَانٌ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: أَنَا لَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا... قَالَ الْحَكِيمُ:
سَأُشْرِحُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ، لَقَدْ كَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ تَعِيشُ فِي سَعَادَةٍ، وَتَجْتَهِدُ فِي
حَلِّ مَشَاكِلِ الْغَابَةِ، وَفَجْأَةً تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَبَدَوْا يَكْرَهُونَ حَيَاتَهُمْ،
وَفَقَدُوا الْأَمَلَ فِي إِصْلَاحِ غَابَتِهِمْ، وَقَرَّرُوا الرِّجِيلَ عَنْهَا، وَأَصْبَحَ الْجَمِيعُ
يُرَدِّدُ عِبَارَةً وَاحِدَةً هِيَ: لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَمَلٌ...

قال فرحان: هذا أمرٌ عجيبٌ حقًا، ولا يحدث في يومٍ وليّلة.. قال الحكيم: ماذا تقصد؟!... قال فرحان: هذا الأمر فيه خدعة كبيرة، ويجب أن نعرف مَنْ يقف وراءها... قال الحكيم: وكيف سنعرفه؟!... قال فرحان: ابحث دائمًا عن المُستفيد يا صديقي، فإذا عرفنا مَنْ سيستفيد من رحيل الحيوانات عن الغابة، سنعرف مَنْ يُدبرُ لهم هذه المكيّدة... سكت الحكيم لحظاتٍ ثم قال: المُستفيد الوحيد من هذه المصيبة هم الصيادون، فقد فشّلوا في صيد الحيوانات وبيعها لحديقة الحيوان، وهذه الحيلة ستجعل الحيوانات تذهب إليهم بإرادتها... صاح فرحان قائلًا: أحسنت أيّها الحكيم، ولابد أن الصيادين استخدموا أحدهم ليجعل الحيوانات تكره الغابة، ويفقدوا الأمل في إصلاحها، ويقتنعهم بالرحيل عنها، والذهاب إلى حديقة الحيوان... قال الحكيم: ومن يتجرأ على القيام بهذه الخيانة؟!... قال فرحان: سنعرف ذلك من خلال مراقبة الصيادين... قال الحكيم: دَعْ هذا الأمر لي، فأنا أعرف مَنْ يقوم بهذه المهمة على خير وجه.

وفي اليوم التالي جاء حَكِيمُ الغابة لزيارة فرحان، وهذه المرّة كان يحمّل أخبارًا جيّدة، فقد عرف مَنْ يكون سارقُ الأمل الذي تعاوَن مع الصيادين وخان أهل غابته، إنّه الثعلب المكار، ولما سمع فرحان هذا الخبر تحمّس كثيرًا وقال: الآن يُمكننا أن نكشف الخائن، ونعيد الأمل لسكان الغابة، ونقتنعهم بعدم الرحيل عنها... صاح الحكيم قائلًا: هذا مُستحيل؟!... فنظر فرحان إليه باستغرابٍ وقال: هل سرقوا الأمل منك أنت أيضًا؟!... تلغثم الحكيم وقال: أنا فقط أشعر أن هذه

مُهْمَّة صَعْبَةٌ... فَقَالَ فَرَحَانُ: وَنَحْنُ رِجَالُ الْمَهَامِّ الصَّعْبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ،
وَالآن اسْمَعْنِي جَيِّدًا أَيُّهَا الْحَكِيم...

وَبَدَأَ فَرَحَانُ يَشْرَحُ خَطَّتَهُ، فَقَالَ: سَنُعْلِنُ فِي الْغَابَةِ أَنَّنَا سَنُقِيمُ حَدِيقَةً
حَيَوَانٍ عَالَمِيَّةً، وَذَلِكَ فِي مَكَانٍ مُتَمَيِّزٍ عَلَى النَّهْرِ، وَمَنْ يُسَاهِمُ فِي
بِنَائِهَا سَيَكُونُ أَحَدَ سُكَّانِهَا، وَيُصْبِحُ شَرِيكًا فِي مَلِكِيَّتِهَا، وَنُقَدِّمُ الْمُمَيِّزَاتِ
الَّتِي تُشَجِّعُ الْجَمِيعَ عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِي هَذَا الْمَشْرُوعِ... قَالَ الْحَكِيمُ:
وَمَا الْهَدَفُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: هُنَاكَ عِدَّةُ أَهْدَافٍ، فَهَذَا
الْمَشْرُوعُ الْكَبِيرُ سَيَشْغَلُ الْحَيَوَانَاتِ عَنِ الْكَلَامِ عَنِ سَلْبِيَّاتِ الْغَابَةِ،
وَيُعْطِيهِمُ الْأَمَلَ فِي إِصْلَاحِهَا، وَيُقْنِعُهُمْ بِعَدَمِ الرَّحِيلِ عَنْهَا، وَيَكْشِفُ
الْخَائِنَ... تَعَجَّبَ الْحَكِيمُ وَقَالَ: كَيْفَ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: عِنْدَمَا تَجِدُ
الْحَيَوَانَاتِ فُرْصَةً لِلْعَيْشِ فِي حَدِيقَةِ حَيَوَانٍ يَمْلِكُونَهَا، لَنْ يَذْهَبُوا إِلَى
حَدِيقَةِ حَيَوَانٍ أُخْرَى، وَهَكَذَا تَفْشَلُ خَطَّةُ الصَّيَادِينَ... صَاحَ الْحَكِيمُ
قَائِلًا: هَذِهِ فِكْرَةٌ مُمْتَازَةٌ... قَالَ فَرَحَانُ: لَكِنَّ الصَّيَادِينَ لَنْ يَسْتَسْلِمُوا
بِسُهُولَةٍ، وَسَيَعْمَلُوا عَلَى إِفْشَالِ مَشْرُوعِنَا، وَغَالِبًا سَيَجْعَلُونَ الثَّغْلَبَ
الْمَكَّارَ يُدْمِرُ مَا نَقُومُ بِبِنَائِهِ... قَالَ الْحَكِيمُ: وَنَحْنُ مَاذَا سَنَفْعَلُ؟!...
قَالَ فَرَحَانُ: سَنَرَاقِبُ الثَّغْلَبَ جَيِّدًا، وَنَقْبِضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُومُ بِجَرِمَتِهِ،
وَنُجْبِرُهُ عَلَى الْاعْتِرَافِ أَمَامَ الْجَمِيعِ بِخِيَانَتِهِ، وَهَكَذَا تَفْهَمُ الْحَيَوَانَاتُ
الْخُدْعَةَ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي إِصْلَاحِ الْغَابَةِ، وَلَا يَرَحَلُونَ عَنْهَا أَبَدًا... ابْتَسَمَ
الْحَكِيمُ قَائِلًا: هَذِهِ خَطَّةٌ ذَكِيَّةٌ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكْتُبَ لَهَا النِّجَاحَ.



فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة سارق الأمل...

- أسألهم: عن رأيهم في الخطة التي وضعتها فرحان لإعادة الأمل وكشف الخائن، وهل هذه الخطة ستنتج أم ستفشل؟ ولماذا؟ وهل عند أحدهم خطة أخرى لكشف خدعة الصيادين ومعاقة الثعلب المكار؟.
- احكِ لأبنائك بعض مواقف العُسر والشدة التي مرّت بك في حياتك، وكيف جاء اليُسْر والفرج بعدها، ومتى جاء الفرج؟ وكيف؟ واسألهم: عن مواقف العُسر التي مرّت بهم -مهما كانت بسيطة- وكيف جاء اليُسْر بعدها.
- أخبر أبناءك أن التفاؤل والأمل من حُسن الظن بالله تعالى، فالنبي ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي؛ إِنَّ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ» [السلسلة الصحيحة للألباني 4/225، وتخريج صحيح ابن حبان لشعيب الأرنؤوط ح ر 639، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم].
- أخبر أبناءك أن النبي ﷺ كان يُحِبُّ التفاؤل وَيَكْرَهُ التَّشاؤْمَ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأَلُ الْحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ (التَّشاؤْمَ)» [صحيح ابن ماجة للألباني ح ر 2864]، واحكِ لهم بعض المواقف الصعبة التي مرّ بها النبي ﷺ، وكيف تفاءل ﷺ فيها وتمسك بالأمل مع الاجتهاد والعمل، كما حدث في الهجرة وغزوة الأحزاب وغيرها.
- شجّع أبنائك على تطبيق فكرة كشكول العُسر واليُسْر، وساعدهم في كتابة كل عُسْر يمرّ بهم وما يأتي بعده من يُسر، وفي الأزمان بشّرهم دائماً، وردّد قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].
- شجّع أبناءك على العطاء، وبشّرهم بقول النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

في يوم من الأيام رجَعَ فرحانُ من المدرسة، وسألَ أمَّهُ عن الطَّعامِ، فأخبرتهُ أنَّها طبَّختَ الدَّجاجَ المشويَّ الذي يُحبُّه، فقَفَزَ فرحانُ في سَعَادَةٍ، وشكَّرَ أمَّهُ، وأخبرها أنَّه جَوَّعَانٌ وسيأْكُلُ الآنَ، فطلبتُ منه أمُّه أن يَنْتَظِرَ أباهُ وإخوتهَ حتى يأكلَ معهم، فاعترضَ فرحانُ قائلاً: أنا جَوَّعاً!!!!!!، ولا يُمكنني الانتِظارَ!!!... قالتُ أمُّه: حسناً يا بُنَيَّ، الأكلُ جاهِزٌ في المَطْبَخِ، اذهبْ وتناولْ طعامَكَ الآنَ، وخُذْ نصيبَكَ فقط من الدَّجاجةِ، واتركُ الباقي للآخرين.

انطلقَ فرحانُ نحو المَطْبَخِ، وغَسَلَ يَدَيْهِ بِسُرْعَةٍ، وأكلَ في سَعَادَةٍ، ثم ذهبَ إلى عُرْفَتِهِ، وبعدَ ساعةٍ حضرَ والدُ فرحان وإخوتهُ، وجلسوا يتناولون الطَّعامَ، وفتحتُ الأمُّ صِنِيَّةَ الدَّجاجِ المشويِّ لتوزَّعهُ عليهم، لكنَّها لم تجدْ شيئاً، فقد اختفتِ الدَّجاجةُ، ولم يبقَ منها سوى العِظامِ. تَعَجَّبَ الجميعُ ممَّا حَدَثَ، ونظَّروا لِبَعْضِهِمْ باستِغرابٍ، فقالتُ الأمُّ: لقد كانت الدَّجاجةُ هنا، أينَ ذهبتْ؟!... وسكَّتْ لحَظَاتٍ ثمَّ قالتُ: الإجابةُ عن هذا السَّؤالِ سَنَجِدُهَا عِنْدَ فرحان!!!.

ونادتُ على فرحان في الحال، وسألتهُ عن الدَّجاجةِ، فقال: أنا لا أعْرِفُ يا أمِّي، فقد أخذتُ نصيبي منها فقط، وتركتُ الباقي كما هو... قالتُ له أمُّه بحزم: يا بُنَيَّ، لم يَدْخُلْ أحدٌ غيرَكَ المَطْبَخِ، فأينَ ذهبتِ الدَّجاجةُ؟!...!!!

نظرَ فرحانُ حَوْلَهُ ثُمَّ صاحَ قائلاً: لقد تَذَكَّرْتُ، هُنَاكَ عُصْفُورَةٌ دَخَلَتْ
مِنَ الشُّرْفَةِ، وَفَتَحَتِ الصَّيْنِيَّةَ، وَأَكَلَتِ الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ طَارَتْ.

غَضِبَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ لَهُ بِحِدَّةٍ: كَيْفَ تَدْخُلُ الْعُصْفُورَةُ الْبَيْتَ وَالشُّرْفَةَ
مُغْلَقَةً؟! وَكَيْفَ تَرْفَعُ غِطَاءَ الصَّيْنِيَّةِ؟! وَكَيْفَ تَأْكُلُ دَجَاجَةً أَكْبَرَ
مَنْ حَجْمِهَا؟!... تلعثم فرحان وقال: أنا لا أعرفُ!!!... قالت أُمُّهُ: إِنَّ
الْعَصَافِيرَ لَا تَأْكُلُ اللَّحُومَ، فَمَنْ الَّذِي قَضَمَ اللَّحْمَ وَتَرَكَ لَنَا الْعِظَامَ?!...

وَبَعْدَ نِقَاشٍ طَوِيلٍ قَرَّرَ فرحانُ أَنْ يَعْتَرِفَ بِالْحَقِيقَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ أَكَلْتُ
الدَّجَاجَةَ كُلَّهَا يَا أُمِّي!!!... وَهُنَا صَاحُ إِخْوَتِهِ فِي غَضَبٍ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَبُوهُ فِي
عِتَابٍ، وَقَالَتْ أُمُّهُ: لَقَدْ أَكَلْتَ حَقَّ الْآخَرِينَ وَكَذَبْتَ عَلَيْنَا، لَذَلِكَ سَأُعَاقِبُكَ
بَأَنْ تَدْفَعَ مَنَ الدَّجَاجَةَ مِنْ نُفُودِكَ، وَتَغْسِلَ الْأُطْبَاقَ عِقَابًا لَكَ عَلَى الْكَذِبِ.

اغْتَرَضَ فرحانُ وَصَاحَ قائلاً: هَذَا ظُلْمٌ يَا أُمِّي... قالت أُمُّهُ: بَلْ هُوَ
رَحْمَةٌ يَا بُنَيَّ... قَالَ فرحانُ مُتَعَجِّبًا: وَكَيْفَ يَكُونُ الْعِقَابُ رَحْمَةً?...
قَالَتْ أُمُّهُ: إِنَّ عِقَابِي هَذَا سَيُشْعِرُكَ بِخُطُورَةِ أَكْلِ حُقُوقِ الْآخَرِينَ،
وَيُسَاعِدُكَ عَلَى تَرْكِ الْكَذِبِ، وَيُعَلِّمُكَ أَنْ تَعْمَلَ الصَّالِحَاتِ لِتَمَحُو مَا
فَعَلْتَهُ مِنْ سَيِّئَاتٍ، وَيَجْعَلَ حِسَابَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسِيرًا، كَمَا أَنَّ عِقَابِي
هَذَا سَيُخَمِّمُكَ مِنْ ظُلْمِ إِخْوَتِكَ، فَلَنْ يَأْكُلَ أَحَدُهُمْ حَقَّكَ بَعْدَ أَنْ رَأَى
عَاقِبَةَ ظُلْمِكَ لَهُمْ... قَالَ فِي تَحَدٍّ وَعِنَادٍ: هَذَا عِقَابٌ قَاسٍ، وَلَنْ أُنْفِذَهُ
أَبَدًا... فَغَضِبَتْ أُمُّهُ، وَكَادَتْ أَنْ تَبْطِشَ بِهِ، فَتَدْخُلَ أَبُوهُ قائلاً: اسْمَعْ
يَا وَلَدِ، لَقَدْ اقْتَرَبَ مَوْعِدُ الشَّيْخِ، فَهَيَّا اذْهَبْ حَتَّى لَا تَتَأَخَّرَ، وَعِنْدَمَا
تَرْجِعَ سَيَكُونُ لَنَا حِوَارٌ آخَرٌ.

ذَهَبَ فَرَحَانُ إِلَى حَلَقَةِ التَّحْفِيزِ، وَهُنَاكَ قَالَ الشَّيْخُ: هَيَّا رَدُّوْا مَعِيَ يَا أَوْلَادِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَقِبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِبَابَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ وَمَن يُّؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ٨ - ١١].

وَمَا أَتَقَنَّ الْأَوْلَادُ تِلَاوَةَ الْآيَاتِ، قَالَ الشَّيْخُ: كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى -عَبْرَ التَّارِيخِ- عَصَى أَهْلُهَا أَمْرَ اللَّهِ وَ أَمْرَ رُسُلِهِ، وَتَمَادَوْا فِي طُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَحَاسَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ -فِي الدُّنْيَا- حِسَابًا شَدِيْدًا، وَعَذَبَهُمْ عَذَابًا عَظِيْمًا مُنْكَرًا، فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيْحًا مُّهْلِكَةً، وَمِنْهُمْ مَن خَسَفَ بِهِ الْأَرْضُ، وَمِنْهُمْ مَن أَهْلَكَهُ بِالْغَرَقِ، فَتَالُوا جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ، وَكَانَتْ نِهَآيَةُ أَمْرِهِمْ خُسْرَانًا كَبِيْرًا.

قَالَ فَرَحَانُ: وَكَيْفَ يَكُونُ الْحِسَابُ الشَّدِيْدُ يَا شَيْخَنَا؟!... قَالَ الشَّيْخُ: الْحِسَابُ الشَّدِيْدُ لَا عَفْوَ فِيهِ وَلَا رَحْمَةً، وَإِذَا كَانَ حِسَابُ الْوَالِدَيْنِ وَعِقَابُهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ شَدِيْدًا أَحْيَانًا، فَإِنَّهُ لَا يُقَارَنُ بِحِسَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ، فَاللَّهُ قَوِيٌّ شَدِيْدُ الْعِقَابِ... قَالَ فَرَحَانُ: وَمَاذَا سَيَحْدُثُ لِأَهْلِ هَذِهِ الْقُرَى الظَّالِمَةِ فِي الْآخِرَةِ؟!... قَالَ الشَّيْخُ: إِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا لَيْسَ نِهَآيَةَ الْمَطَافِ يَا بُنَيَّ، فِي الْآخِرَةِ سَيُحَاسِبُهُمُ اللَّهُ حِسَابًا أَشَدَّ، وَيُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيْمَ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ.

قَالَ فرحانُ: وماذا نَفَعَلْ حَتَّى لَا يُحَاسِبَنَا اللهُ حِسَابًا شَدِيدًا؟!... قَالَ الشيخُ: نَتَّقِ اللهَ وَنَخَافُ عِقَابَهُ، وَنَعْمَلُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَهُوَ الذِّكْرُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَيْنَا لِيُذَكِّرَنَا بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَتَّبِعَ أَمْرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ لِيَتْلُوا آيَاتِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالْمَعْصِيَةِ، إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَنَجْتَهِدَ فِي فِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي؛ حَتَّى يُحَاسِبَنَا اللهُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيُدْخِلَنَا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ بُيُوتِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ، وَنَقُوزَ بِمَا فِيهَا مِنْ رِزْقٍ حَسَنِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَنَعِيشَ فِيهَا دَائِمًا وَأَبَدًا.

شَكَرَ فرحانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ بِسُرْعَةٍ، وَاعْتَذَرَ لِوَالِدَيْهِ وَإِخْوَتِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُسَامِحُوهُ، ثُمَّ فَتَحَ حَصَالَةَ نَقُودِهِ وَدَفَعَ ثَمَنَ الدَّجَاجَةِ الَّتِي أَكَلَهَا وَحْدَهُ، وَدَخَلَ الْمَطْبَخَ وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدَيْهِ، وَبَدَأَ يَغْسِلُ الْأَطْبَاقَ وَهُوَ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، وَلَا يُحَاسِبَهُ حِسَابًا شَدِيدًا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي فُوجِيَ فرحانُ بِقَاضِي الْغَابَةِ يَزُورُهُ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ: خَيْرًا أَيُّهَا الْقَاضِي، هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ تَزُورُنِي فِي بَيْتِي!!!... قَالَ الْقَاضِي: وَسَتَكُونُ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ... قَالَ فرحانُ: لِمَاذَا؟!... قَالَ الْقَاضِي: لِأَنِّي سَأَتْرُكُ الْغَابَةَ وَأَرْحَلَ، وَجِئْتُ كَيْ أُوَدِّعَكَ... حَزِنَ فرحانُ وَقَالَ: لِمَاذَا سَتَرْحَلُ يَا صَدِيقِي؟! هَلْ وَجَدُوا قَاضِيًا غَيْرَكَ؟!... قَالَ الْقَاضِي: لَا... قَالَ فرحانُ: فَلِمَ الرَّحِيلُ إِذَنْ؟!... قَالَ الْقَاضِي: لِأَنَّ الْغَابَةَ لَمْ تَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَى قَاضٍ... قَالَ فرحانُ: هَلْ سَادَ فِيهَا الْعَدْلُ؟!... قَالَ الْقَاضِي: بَلْ انْتَشَرَ فِيهَا الظُّلْمُ... قَالَ فرحانُ: وَكَيْفَ تَتْرُكُ الظُّلْمَ وَتَرْحَلَ؟ وَمَاذَا يَفْعَلُ الْمَظْلُومُونَ بِدُونِكَ؟!... دَمَعَتْ عَيْنَا الْقَاضِي وَقَالَ: أَنَا لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى مُحَارَبَةِ الظُّلْمِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ نُصْرَةَ الْمَظْلُومِ!!!.

تَعَجَّبَ فَرحَانُ وَقَالَ: أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ قَاضٍ شَجَاعٌ وَعَادِلٌ، وَالْحَيَوَانَاتُ تَخْضَعُ لِحُكْمِكَ، فَمَاذَا حَدَثَ؟!!!... تَنَهَّدَ الْقَاضِي ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ قَرَّرَ مَلِكُ الْغَابَةِ أَنْ يُوقِفَ الْعَمَلَ بِقَانُونِ الْعُقُوبَاتِ، وَأَمَرَنِي إِلَّا أَعَاقِبَ أَحَدًا عَلَى ذَنْبٍ فَعَلَهُ... صَاحَ فَرحَانُ قَائِلًا: وَكَيْفَ يَتَّخِذُ الْأَسَدُ هَذَا الْقَرَارَ الْخَطِيرَ؟!!!... قَالَ الْقَاضِي: لَقَدْ تَعَرَّضَ الْأَسَدُ لِحُدُودَةٍ كَبِيرَةٍ، فَقَدْ أَخْبَرْتُهُ الْحَيَوَانَاتُ الْقَوِيَّةُ أَنَّهُ سَيَكُونُ أَسَدًا طَيِّبًا، وَتُحِبُّهُ الْحَيَوَانَاتُ أَكْثَرَ؛ عِنْدَمَا يَحْكُمُ بِالرَّحْمَةِ فَقَطْ، وَلَا يَسْتَخْدِمُ الْعِقَابَ أَبَدًا، وَلَقَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنْ تَرَكَ الْمُخْطِئَ دُونَ عِقَابٍ خَطَرٌ كَبِيرٌ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِكَلَامِي.

قَالَ فَرحَانُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟... قَالَ الْقَاضِي: فَرِحَتِ الْحَيَوَانَاتُ الْقَوِيَّةُ بِالْقَرَارِ، وَانْطَلَقَتْ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ، فَسَرَقَتْ وَنَهَبَتْ وَظَلَمَتْ، وَمَلَأَ جَاءَنِي الْمَظْلُومُونَ يَشْتَكُونَ لَمْ أَسْتَطِعْ نُصْرَتَهُمْ، فَزَعَمُوا شَكْوَاهُمْ لِمَلِكِ الْغَابَةِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُعِيدَ قَانُونَ الْعُقُوبَاتِ مَرَّةً أُخْرَى، فَزَعَمَ ذَلِكَ!!!.

سَكَتَ فَرحَانُ لِحِظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَهِمْتُ الْآنَ لِمَاذَا قَرَّرَتِ الرَّحِيلُ أَيُّهَا الْقَاضِي، لَكِنْ رَحِيلُكَ لَنْ يَحُلَّ الْمُسْكَلَةَ... قَالَ الْقَاضِي: وَهَلْ عِنْدَكَ حَلٌّ آخَرٌ؟!!!... قَالَ فَرحَانُ: نَعَمْ، سَنُوجِهُ الْمَكْرَ السَّيِّئَ بِالتَّفْكِيرِ وَالتَّخْطِيطِ، وَنُحَارِبُ الْأَشْرَارَ بِالِاتِّحَادِ وَالْإِصْرَارِ... قَالَ الْقَاضِي: هَذَا كَلَامٌ جَمِيلٌ، لَكِنْ كَيْفَ سَنُنْفِذُهُ؟!!!... قَالَ فَرحَانُ: عِنْدِي خُطَّةٌ تَجْعَلُ الْحَيَوَانَاتِ الْقَوِيَّةُ تَذْهَبُ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ، وَتَتَرَجَّاهُ أَنْ يُعِيدَ الْعَمَلَ بِقَانُونِ الْعُقُوبَاتِ مَرَّةً أُخْرَى... تَحَمَّسَ الْقَاضِي وَقَالَ: زَادَكَ اللَّهُ عِلْمًا يَا فَرحَانُ، أَخْبِرْنِي بِهَذِهِ الْخُطَّةِ بِسُرْعَةٍ!!!.

سَكَتَ فَرَحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: سَنَجْعَلُ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةَ تَتَّحِدُ مَعًا، وَتُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُجَاهِدُ مَنْ يَظْلِمُهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْقَوِيَّةِ، وَهَذِهِ الْخُطْوَةُ سَتُعِيدُ الثِّقَّةَ لِلْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةِ، وَتُشْعِرُهَا بِقُوَّتِهَا، وَتُمَهِّدُ الطَّرِيقَ لِلْخُطْوَةِ التَّالِيَةِ... قَالَ الْقَاضِي: وَمَا هِيَ الْخُطْوَةُ التَّالِيَةُ؟... قَالَ فَرَحَانُ: سَنَحْوِلُ الدِّفَاعَ إِلَى هُجُومٍ، وَنَجْعَلُ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةَ تَسْتَعِيدُ كُلَّ حُقُوقِهَا الَّتِي سَلَبَتْهَا الْحَيَوَانَاتُ الْقَوِيَّةُ... قَالَ الْقَاضِي: وَمَاذَا سَنَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ فَرَحَانُ: سَنُطَوِّرُ الْهُجُومَ، فَبَعْدَ أَنْ تَسْتَعِيدَ الْحَيَوَانَاتُ الضَّعِيفَةُ حَقَّهَا، سَنَجْعَلُهَا تَهْجُمُ عَلَى الْحَيَوَانَاتِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي ظَلَمَتْهَا، وَتَأْخُذُ أَمْلاكَهَا وَتَسْتَوْلِي عَلَى أَرْضِهَا، وَذَلِكَ دُونَ أَنْ تَقْتُلَ أَوْ تَكْسِرَ أَوْ تَحْرِقَ... قَالَ الْحَكِيمُ: لَكِنَّ هَذَا ظُلْمٌ، وَأَنَا لَا أَقْبَلُ بِهِ... قَالَ فَرَحَانُ: وَهَذَا مَا نُرِيدُهُ تَمَامًا، فَالْحَيَوَانَاتُ الْقَوِيَّةُ سَتَشْكُو إِلَيْكَ مَنْ ظَلَمَ الْحَيَوَانَاتِ الضَّعِيفَةَ، وَأَنْتَ سَتُخْرِجُهَا أَنْ هَذَا ظُلْمٌ، وَأَنْتَ لَا تُوَافِقُ عَلَيْهِ، لَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ مُسَاعَدَتَهُمْ إِلَّا إِذَا أَعَادَ الْأَسَدُ قَانُونَ الْعُقُوبَاتِ... ابْتَسَمَ الْقَاضِي وَقَالَ: وَعِنْدَهَا سَتَذْهَبُ الْحَيَوَانَاتُ الْقَوِيَّةُ إِلَى الْأَسَدِ، وَيَطْلُبُونَ مِنْهُ إِعَادَةَ الْعَمَلِ بِقَانُونِ الْعُقُوبَاتِ، حَتَّى يَكُونَ أَسَدًا حَكِيمًا... قَالَ فَرَحَانُ: وَعِنْدَهَا سَتَحْكُمُ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَاضِي بِإِعَادَةِ الْحُقُوقِ لِأَصْحَابِهَا، وَيُطِيعُكَ الْجَمِيعُ، وَيَعُودُ الْعَدْلُ إِلَى الْغَايَةِ.



فكرة تربوية

بعد أن تحكي لأبنائك قصة الأسد الطيب...

- أسألهم: ما العقوبات التي يستخدها والداك؟ وما العقاب الأشد على نفسك؟ وما الأخطاء التي يُعاقبانك عليها بشدة؟ وما الأخطاء التي يتسامحان معك فيها؟ وما العقاب الذي تتمنى أن يتوقفًا عن استخدامه؟ ولماذا؟.
- أخبر أبناءك أن النبي ﷺ تعامل بحزم مع حفيده الصغير عندما رآه يأكل شيئاً لا يحلُّ له، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ -رضي الله عنهما- ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ (وَضَعَهَا فِي فَمِهِ لِأَكْلِهَا)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ كَيْفٌ، أَرِمَ بِهَا، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»، فَالْنَبِيُّ ﷺ وَآلَ بَيْتِهِ لَا يَأْخُذُونَ مِنَ الزَّكَاةِ أَوْ الصَّدَقَةِ، وَلَا تَحِلُّ لَهُمْ؛ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ.
- أخبر أبناءك أن الحساب يوم القيامة نوعان: حساب شديد ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا﴾ [الطلاق: 8]، وحساب يسير ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَّسِيرًا ۝٨ وَيَنْفَلُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 7 - 9].
- أخبر أبناءك أن السيدة عائشة -رضي الله عنها- سمعت رسول الله ﷺ يقول (يَدْعُو) فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَّسِيرًا»، فقالت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟! قَالَ ﷺ: «أَنْ يَنْظُرَ (اللَّهُ) فِي كِتَابِهِ (فِي كِتَابِ أَعْمَالِ الْعَبْدِ)، فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ (فَيَعْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِ)؛ إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَأْكُلُ مِنْهُ هَلَكٌ» [أصل صفة الصلاة للأباني 3/1007 وقال: إسناده جيد، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان ح ر 7372]، ثم شجّع أبناءك على حفظ هذا الدعاء، والدعاء به في صلاتهم.

المَوْزَةُ الْفِضِّيَّة

في يومٍ من الأيام استأذن فرحان من أمّه وذهب إلى الغابة، وبعد ساعات رجع إلى البيت وهو يبكي ويتألم، فاستقبلته أمّه بحنان، وسألته عما حدث له، فبكى فرحان وقال: لقد علمَ زعيمُ القُرود أنني أحبّ الموز، فأهداني الكثير منه، فقررتُ أن أكلَ بَعْضَهُ وأُحْضِرَ الباقي إلى المنزل، لكنني لم أنْتَبِهْ إلا بعد أن أكلتُ الموزَ كُلَّهُ، ومن ساعتها أشعرُ بآلمٍ شديدٍ في بطني؛ ولذلك لن أكلَ المَوْزَ بعد اليوم... فَحَضَنْتُهُ أمّه وقالت: شفاكَ الله وعافاك يا بُنَيَّ، والمشكلة ليست في المَوْزَ يا حبيبي، المشكلة فيمن أكلَ الموزَ كُلَّهُ... صاح فرحان قائلاً: والله لن أكلَ الموزَ بعد اليوم أبداً، أقسمُ على ذلك.

وبكى فرحان من شِدَّةِ الألم، وأمسَكَ بطنه وأخذَ يتلَوَّى ويتأوّه، فاتَّصَلَتْ أمّه بالطبيب، وأخبرته بما حدث لابنها الحبيب؛ فوصفَ لها الدواء، ودعا الله أن يجعلَ فيه الشفاء، وظلَّت أمُّ فرحان بجواره ترعاه وتدعو له حتى هدأ الألم، ونامَ في هدوءٍ وسَكِينَةٍ.

وفي اليوم التالي أحسَّ فرحان بالصَّحَّةَ والعافِيَةَ، وانطلقَ في نشاطٍ وسعادةٍ، وجلسَ يتناول الطعامَ مع أسرته، وكان هناك مَوْزٌ، فأخذَ فرحان مَوْزَةً، وقبل أن يأكلها فوجئَ بأمّه تقولُ له: هل نَسِيتَ ما حدثَ بالأمس؟ لقد حَلَفْتَ بالله ألا تأكلَ الموزَ أبداً... قال فرحان:

لَيْسَتْ هُنَاكَ مُشْكَلَةٌ، سَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَكُلُ الْمَوْزَ... فَقَالَتْ أُمُّ: لَا يَا حَبِيبِي، عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَزِمَ بِالْقَسَمِ، وَلَا تَأْكُلَ الْمَوْزَ أَبَدًا.

أَعَادَ فَرْحَانُ الْمَوْزَةَ إِلَى مَكَانِهَا، وَجَلَسَ يُشَاهِدُ الْجَمِيعَ وَهُمْ يَأْكُلُونَ الْمَوْزَ الَّذِي يُحِبُّهُ، فَأَحْسَسَ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ، وَأَخَذَ يَلُومُ نَفْسَهُ لِأَنَّهُ تَسَرَّعَ فِي الْحَلْفِ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: أَحْسَنْتَ يَا حَبِيبِي لِأَنَّكَ احْتَرَمْتَ الْقَسَمَ وَالتَزَمْتَ بِهِ، وَالْآنَ هَيَّا إِلَى حَلْقَةِ التَّحْفِيزِ، فَقَدْ اقْتَرَبَ مَوْعِدُكَ مَعَ شَيْخِكَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ فَرْجًا وَمَخْرَجًا.

قَامَ فَرْحَانُ مُتَثَقِّلًا، وَذَهَبَ إِلَى حَلْقَةِ التَّحْفِيزِ حَزِينًا، وَبَعْدَ سَاعَةٍ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ مُبْتَسِمًا، وَجَرَى نَحْوَ أُمِّهِ، وَقَالَ لَهَا: لَقَدْ وَجَدْتُ طَرِيقَةً تَجْعَلُنِي أَكُلُ الْمَوْزَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَحْتَرِمُ الْقَسَمَ... تَعَجَّبَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ أَخْبِرْنِي يَا حَبِيبِي.

تَهَدَّ فَرْحَانُ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ بَدَأْنَا الْيَوْمَ فِي حِفْظِ سُورَةِ التَّحْرِيمِ، وَعَرَفْتُ سَبَبَ نُزُولِهَا، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْعَسَلَ كَثِيرًا، وَكَانَ ﷺ يَذْهَبُ إِلَى زَوْجَتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فِي حُجْرَتِهَا، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا الْعَسَلَ، فَغَارَتْ زَوْجَتُهُ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لِأَنَّهُ ﷺ يُطِيلُ الْجُلُوسَ عِنْدَ زَيْنَبَ، وَاتَّفَقَتْ مَعَ السَّيِّدَةِ حَفْصَةَ -زَوْجَةِ النَّبِيِّ ﷺ- أَنْ يَقُولَا لَهُ ﷺ إِذَا زَارَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا: هَلْ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟! وَالْمَغَافِيرُ طَعَامٌ لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ... قَالَتْ أُمُّ فَرْحَانَ: وَمَاذَا حَدَّثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ؟!... فَقَالَ فَرْحَانُ: حَدَّثَ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ -رَضِيَ اللَّهُ

عنهما-، وَزَارَ النَّبِيَّ ﷺ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ لَهُ: هَلْ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟
 إِنِّي أَشُمُّ مِنْكَ رَائِحَةَ مَغَافِيرَ!!! فَقَالَ ﷺ: لَا، وَلَكِنِّي شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ
 زَيْنَبَ، فَلَنْ أَشْرَبَ مِنْهُ مَرَّةً أُخْرَى... وَحَلَفَ ﷺ أَلَّا يَأْكُلَ الْعَسَلَ أَبَدًا،
 فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّحْرِيمُ: 1]، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُعَاتِبُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهَ
 الْكَرِيمَ ﷺ وَيَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا تُحَرِّمُ عَلَى نَفْسِكَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ حَلَالًا
 لَكَ (وَهُوَ الْعَسَلُ) حَتَّى تُرْضِيَ زَوْجَاتِكَ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ لَكَ، وَرَحِيمٌ بِكَ.

قَالَتْ أُمُّ فَرْحَانَ: وَهَلْ تَوَقَّفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْعَسَلِ؟... ابْتَسَمَ
 فَرْحَانُ وَقَالَ: الْإِجَابَةُ عَنْ سُؤْالِكَ يَا أُمِّي فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى
 يَقُولُ فِيهَا: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
 [التَّحْرِيمُ: 2]، فَمَنْ لُطِفَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ وَبِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَنْ فَرَضَ لَهُمْ تَحِلَّةَ الْإِيمَانِ، فَمَنْ أَقْسَمَ عَلَى شَيْءٍ مَا، وَأَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ
 فِي يَمِينِهِ، فَعَلِيهِ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنَ الْيَمِينِ وَالْقَسَمِ، وَذَلِكَ بَأَنْ يُطْعَمَ عَشْرَةَ
 مَسَاكِينَ أَوْ يَشْتَرِيَ لَهُمْ مَلَابِسَ يَكْسُوهُمْ بِهَا، أَوْ يَشْتَرِيَ عَبْدًا وَيُعْتِقَهُ،
 فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَ ذَلِكَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَقَدْ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَسَلَ
 الَّذِي يُحِبُّهُ بَعْدَ أَنْ تَحَلَّلَ مِنْ يَمِينِهِ، وَأَنَا سَأَفْتَدِي بِهِ ﷺ وَأَتَحَلَّلُ مِنْ
 يَمِينِي وَأَكُلُ الْمَوْزَ اللَّذِييِّدَ.

حَضَنْتُ الْأُمَّ فَرْحَانَ فِي سَعَادَةٍ وَقَالَتْ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا حَبِيبِي، وَجَعَلَكَ
 مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ... نَظَرَ فَرْحَانُ إِلَى أُمِّهِ بِفَخْرٍ وَقَالَ: اللَّهُمَّ آمِينَ، وَالْآنَ
 أَيْنَ الْمَوْزُ يَا أُمِّي؟!!! صَحِكَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: لَقَدْ أَكَلْنَاهُ كُلَّهُ يَا حَبِيبِي!!!.

كَظَمَ فرحان غَيْظَه، وسَكَتَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: لَا مُشْكِلَةَ، سَأُكْفِّرَ عَنْ يَمِينِي، ثُمَّ أَذْهَبُ إِلَى الْغَابَةِ وَأَكُلُ الْمَوْزَ هُنَاكَ، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ سَأَكُلُ بَاعْتِدَالٍ دُونَ إِسْرَافٍ.

وَانْطَلَقَ فرحان إِلَى الْغَابَةِ بَعْدَ أَنْ أَدْنَتْ لَهُ أُمُّهُ، وَذَهَبَ إِلَى زَعِيمِ الْقُرودِ وَطَلَبَ مِنْهُ بَعْضَ الْمَوْزِ، فَفُوجِئَ بِهِ يَقُولُ لَهُ: لِلْأَسَفِ لَا يُمَكِّنُنِي فِعْلُ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ حَمْلُ الْمَوْزِ وَأَكْلُهُ جَرِيمَةً يُعَاقَبُ عَلَيْهَا مَلِكُ الْغَابَةِ... تَعَجَّبَ فرحان وَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟!... تَنَهَّدَ زَعِيمُ الْقُرودِ وَقَالَ: الثَّعْلَبُ الْمَكَارُ هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ تَشَاجَرْتُ مَعَهُ، فَقَرَّرَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ جَمِيعِ الْقُرودِ، وَذَهَبَ إِلَى الْأَسَدِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ هُنَاكَ مَوْزَةٌ فَضِيَّةٌ تَخْرُجُ فِي الْغَابَةِ كُلَّ مِائَةِ عَامٍ، وَمَنْ يَأْكُلُهَا يَكُونُ هُوَ زَعِيمَ الْغَابَةِ مَدَى الْحَيَاةِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ جَدَّهُ الْأَسَدَ الْعَظِيمَ وَجَدَ هَذِهِ الْمَوْزَةَ مِنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ، وَأَكَلَهَا فَأَصْبَحَ زَعِيمَ الْغَابَةِ طَوْلَ عُمُرِهِ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ مَوْعِدَ خُرُوجِ هَذِهِ الْمَوْزَةِ النَّادِرَةِ قَدْ اقْتَرَبَ، وَحَدَّرَهُ مِنْ وَقُوعِهَا فِي يَدِ أَحَدٍ غَيْرِهِ؛ حَتَّى لَا يَضِيعَ حُكْمُ الْغَابَةِ مِنْ يَدِهِ.

صَاحَ فرحان قَائِلًا: وَهَلْ هُنَاكَ مَوْزَةٌ فَضِيَّةٌ حَقًّا؟!... قَالَ زَعِيمُ الْقُرودِ: هَذِهِ كَذْبَةٌ كَبِيرَةٌ، وَحِيلَةٌ مَآكِرَةٌ قَامَ بِهَا الثَّعْلَبُ الْمَكَارُ لِيَحْرِمَ الْقُرودَ مِنْ أَكْلِ الْمَوْزِ... قَالَ فرحان: لَقَدْ فَهِمْتُ الْآنَ مَا حَدَثَ، لَقَدْ صَدَّقَ الْأَسَدُ كَلَامَ الثَّعْلَبِ، وَخَافَ عَلَى مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ؛ وَمَنْعَ أَكْلِ الْمَوْزِ فِي الْغَابَةِ، حَتَّى لَا تَقَعَ الْمَوْزَةُ الْفَضِيَّةُ فِي يَدِ أَحَدٍ غَيْرِهِ... قَالَ زَعِيمُ الْقُرودِ: لِلْأَسَفِ هَذَا مَا حَدَثَ يَا صَدِيقِي، وَلَقَدْ حَاوَلْنَا إِفْتِنَاعَ الْأَسَدِ أَنَّ هَذِهِ الْمَوْزَةَ لَا وَجُودَ لَهَا، وَأَنَّ الثَّعْلَبَ يَكْذِبُ، لَكِنَّ الْأَسَدَ لَمْ يُصَدِّقْنَا، وَحَرَمَنَا مِنْ أَكْلِ الْمَوْزِ، وَلَا نَدْرِي مَاذَا نَفْعَلُ!!!.

سَكَتَ فَرَحَانُ ثَوَانِي ثُمَّ نَظَرَ إِلَى زَعِيمِ الْقُرُودِ وَقَالَ: عِنْدِي فِكْرَةٌ، سَتَذْهَبُ أَنْتَ الْآنَ إِلَى الْأَسَدِ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ الْمَوْزَةَ الْفِضِّيَّةَ سَتَكُونُ عِنْدَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَأَنْكَ سَتُعْطِيهَا لَهُ أَمَامَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ؛ لِيَكُونَ مَلِكَ الْغَابَةِ بِلَا مُنَازَعٍ... تَعَجَّبَ زَعِيمُ الْقُرُودِ وَقَالَ: وَمَنْ أَيْنَ سَأُحْضِرُ هَذِهِ الْمَوْزَةَ الْعَجِيبَةَ؟!!!!... قَالَ فَرَحَانُ: أَنَا سَأُحْضِرُهَا لَكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ زَعِيمُ الْقُرُودِ بِحَزْمٍ: هَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ يَا فَرَحَانُ، فَهَلْ أَنْتَ وَاثِقٌ مِنْ قُدْرَتِكَ عَلَى إِحْضَارِ هَذِهِ الْمَوْزَةَ؟!!!!... قَالَ فَرَحَانُ: تَمَامَ الثِّقَةِ... قَالَ زَعِيمُ الْقُرُودِ فِي خَوْفٍ: إِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ وَعْدَكَ يَا فَرَحَانُ؛ فَالْأَسَدُ سَيَأْكُلُنِي إِذَا لَمْ... قَاطَعَهُ فَرَحَانُ قَائِلًا: اطمَئِنَّ يَا صَدِيقِي، فَكُلُّ شَيْءٍ سَيَكُونُ بِخَيْرٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ بِسُرْعَةٍ، وَاجْتَمَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي سَاحَةِ الْغَابَةِ الْكَبِيرَةِ، وَجَلَسَ الْأَسَدُ عَلَى عَرْشِهِ، وَوَقَفَ زَعِيمُ الْقُرُودِ أَمَامَهُ خَائِفًا، فَفَرَحَانُ قَدْ تَأَخَّرَ كَثِيرًا، وَالثَّعْلُبُ الْمَكَارُ يُشَكِّكَ فِي صِدْقِهِ، وَقَطِيعُ الْقُرُودِ يُشْفِقُ عَلَيْهِ، وَجَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَالْأَسَدُ بَدَأَ يَغْضَبُ.

وَبَعْدَ طَوِيلٍ انْتِظَارٍ جَاءَ فَرَحَانُ حَامِلًا الْمَوْزَةَ الْفِضِّيَّةَ، وَأَعْطَاهَا لِلْأَسَدِ قَائِلًا: لَقَدْ أَمَرَنِي زَعِيمُ الْقُرُودِ أَنْ أُحْضِرَ هَذِهِ الْمَوْزَةَ لَكَ، لَتَكُونَ أَيْهَا الْأَسَدُ مَلِكًا لِلْغَابَةِ بِلَا مُنَازَعٍ... هُنَا وَقَفَ الْأَسَدُ فِي فَخْرٍ، وَأَخَذَ الْمَوْزَةَ فِي سَعَادَةٍ، وَأَكَلَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ فِي فَخْرٍ، ثُمَّ زَارَ بِقُوَّةٍ، فَصَاحَتِ الْحَيَوَانَاتُ مُهَنِّئَةً لَهُ، وَأَلْغَى الْأَسَدُ قَرَارَ مَنَعِ أَكْلِ الْمَوْزِ؛ فَفَقَزَتِ الْقُرُودُ فِي سَعَادَةٍ، وَانْصَرَفَ الثَّعْلُبُ الْمَكَارُ خَائِبًا.

وبعد انتهائِ الحَفْلِ أَمَسَكَ زَعِيمُ القُرودِ يَدَ فرحان، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا: الحمدُ لله أَنَّكَ جِئْتَ فِي الوقتِ المُنَاسِبِ، وَالآنَ أَخْبِرْنِي أَيْنَ وَجَدْتَ هَذِهِ المَوْزَةَ العَجِيبَةَ؟!!!... ابْتَسَمَ فرحان وقال: فِي بَيْتِنَا... تَعَجَّبَ زَعِيمُ القُرودِ وقال: كَيْفَ؟!!!... هَمَسَ فرحانُ فِي أُذُنِهِ قَائِلًا: لَقَدْ أَحْضَرْتُ مَوْزَةً عَادِيَّةً، وَدَهَنْتُهَا بِاللونِ الفِضِّيِّ، فَأَصْبَحَتْ مَوْزَةً فِضِّيَّةً... تَنَهَّدَ زَعِيمُ القُرودِ وقال: الحمدُ لله، لَقَدْ أَنْقَذْتَنَا يَا صَدِيقِي مِنْ مُصِيبَةٍ كَبِيرَةٍ، وَلِذَلِكَ سَنُعْطِيكَ المَوْزَ مَجَّانًا لِمُدَّةِ عامٍ كامِلٍ، بِشَرَطٍ أَلَّا تَصْنَعَ مَوْزَةً فِضِّيَّةً أُخْرَى... وَضَحَكَ زَعِيمُ القُرودِ، وَضَحَكَ فرحان.

مكتبة

t.me/soramnqraa

فكرة تربية

بعد أن تَخَيَّ لَابْنائِكَ قصة المَوْزَةِ الفِضِيَّةِ...

- اسأَلَهُمْ: عن رأيهم فيما قام به فرحان لِيُنْقِذَ القُرودَ، وهل هناك طريقة أخرى تجعل الأسد يُوقِفَ العمل بقانون مَنع أكل المَوْز؟ وهل كان على فرحان أن يُعاقِبَ الثعلب المَكَّار؟ وكيف يفعل ذلك بطريقة ذكيَّة؟
- اسأَلْ أبنَاءَكَ: ما الذي أحلَّهُ الله تعالى من الأطعمَةِ والأشربة؟ وما الذي حرَّمَهُ سُبْحانَهُ؟ ثم اشرَحْ لهم هذا الأمر بالتفصيل؛ لِيُدرِكُوا أَنَّ الله تعالى أحلَّ لنا الطيِّبات وحرَّم علينا الخَبائِثَ.
- تناقَشْ مع أطفالك فيما يُحبُّونه ويكرهُونه من الأطعمة، واحكِ لهم ذكرياتك أيام الطفولة مع الأطعمة، وماذا كُنْتَ تُحب وتكره منها، وما تَغَيَّرَ في ذلك بمرور الأيام، وتكلَّمْ معهم عن الطعام المفيد الذي لا يُحبُّونه، وهل هناك طريقة تُشجِّعُهم على أكله، كأن تُشاركهم في صنِّعه، أو تُضيفَ له أشياء أخرى، أو يأكلوا بدائله إن وُجِدَتْ، وغيرها.
- استمِعْ مع أبنائك إلى أحد العلماء الثِّقات وهو يشرِّحُ قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرْتُمْ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 89]؛ لِيَعْرِفُوا الفرق بين يَمِين اللغو واليمين المُنْعَقِدَةِ، وكيفية التعامل مع كل منها، وكيف تكون الكَفَّارَةُ؟ ومتى؟.
- علِّمْ طفلك أن يُعظَّمَ القَسَمَ، وإذا أقسَمَ على شيء في المُستَقْبَل أن يقول: إن شاء الله، فالنبي ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ فَاسْتَثْنَى (يعني: قال مع يَمِينِهِ إن شاء الله)، فإن شاء مَضَى (فعل ما أقسَمَ عليه)، وإن شاء تَرَكَ (لم يفعل ما أقسَمَ عليه)، غيرَ حَنِثٍ» [صحيح النسائي للألباني ح ر 3802]، فلا كَفَّارَةَ عليه في هذه الحالة إن رَجَعَ في يَمِينِهِ.

السُّلْخَفَاءُ حَفِيزَةُ

في صباح أحد الأيام كان فرحان يتناول طعام الإفطار مع والديه وإخوته، في جوٍّ من المرح والسَّعادة، وبعد تناول الطعام فوجئ الأولاد بأبيهم يقول: يا أبنائي، سأخبركم بأمرٍ مهمٍّ، وأريده أن يَبْقَى سرًّا بيننا، لقد قرَّرَ الطبيب أن يُجْري لي عمليَّة جِراحِيَّة بسيطة، فلا تَقْلَقُوا، وادْعُوا لي بالشِّفاء.

أحسَّ فرحان وإخوته بالخوف على أبيهم الحبيب، وسألوه عن موعد هذه العمليَّة، ومَدَى خطورتها، ومكان إجرائها؛ حتى اطمأنُّوا على أبيهم، وانصَرَفُوا وهُم يَدْعُونَ له بالصَّحَّة والعافِيَّة، وتعاهدوا فيما بينهم أن يُحْسِنُوا التَّصَرُّف في هذا الظَّرْف الأَسْرَى الصَّعب.

ومرَّ اليومُ سريعا، وفي المساء فوجئ والدُ فرحان بكثير من الأقارب والأحباب يتَّصِلُونَ للاطمئنَّان عليه، ويسألون عن موعد العمليَّة الجِراحِيَّة، وجاء بعضهم لزيارته، كُلُّ هذا ووالدُ فرحان يقول في نفسه: كيف عرف هؤلاء أنني سأجْري عمليَّة جِراحِيَّة؟! وكيف انتشر الخبر بهذه السُرعة?!.

وفي صباح اليوم التالي جمعَ الوالدُ أفراد الأسرة، وقال لهم: لقد كان موضوع العمليَّة الجِراحِيَّة سرًّا بيننا، وأنا لم أخبر به أحداً غيركم، فكيف عرفه الجميع؟!... سكت الأولاد ثواني، ونظروا لبعضهم باستغراب،

ثم دافع كل واحدٍ منهم عن نفسه، وأقسم أنه لم يُخبر أحداً، لكن فرحان سكت ولم يتكلم، فنظر إليه والدُه وقال: وماذا تقول أنت يا فرحان؟ هل حفظت السر؟!!!... تنهّد فرحان ثم قال: في الحقيقة لقد أخبرْتُ ابنَ خالتي فقط، وطلبتُ منه ألا يُخبر أحداً، لكنه لم يسكت، ونشر الخبر على الفيس بوك.

سكت الوالد لحظات، ثم نظر إلى فرحان وقال: إنني حزينٌ جداً لأنك لم تحفظ السر... قال فرحان مُدافعاً عن نفسه: لكن ابن خالتي هو المخطئ؛ فهو من نشر الخبر... قاطعه أبوه قائلاً: ومن أين عرف هو السر، لقد عرفه منك للأسف... قال فرحان: لقد كنتُ أظن أنه سيحفظ السر... فنظر إليه أبوه بحزم وقال: لو حفظته أنت، لحفظه هو!!!.

وسكت الأب وانصرف غاضباً، وجلس فرحان صامتاً وحزيناً، فقالت له أمه: لقد أخطأت يا بُني لأنك لم تحفظ السر... قال فرحان: لو أن ابن خالتي حفظ السر لمر الأمر بسلام... فنظرت إليه أمه بحزم وقالت: توقّف عن الجدال يا بُني، فقد أخطأت وعلىكَ أن تعترف بذلك وتتحمل النتيجة...

ونظرت أم فرحان في الساعة ثم قالت: لقد حان موعد حلقة التحفيظ، فاذْهَبْ إلى شيخك، وعندما ترجع سنفكر معاً كيف نعالج هذا الخطأ الكبير!!!.

ذهب فرحان إلى حلقة التحفيظ، وهناك قرأ الشيخ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ

بَعْضٌ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿[التحریم: 3]...
ثم نظر الشيخ إلى الأولاد وقال: هل يعرف أحدكم سبب نزول هذه الآية؟...
سكت الجميع ولم يجب منهم أحد، فقال الشيخ: حسنًا، اسمعوني جيدًا...
ذات يوم أخبر النبي ﷺ زوجته حفصة -رضي الله عنها- بسرٍّ وأمرها ألا
تخبر به أحدًا، لكنها لم تحفظ السرَّ، وأخبرت به عائشة -رضي الله عنها-
زوج النبي ﷺ، فقد كان بينهما صداقة ومحبة، وعلم النبي ﷺ بما
حدث بينهما، وأن حفصة -رضي الله عنها- قد أفشت السرَّ... قال فرحان:
لابد أن السيدة عائشة هي من أخبرت النبي ﷺ، أليس كذلك؟... قال
الشيخ: لا يا بُني، فالسيدة عائشة كتمت السرَّ ولم تخبر به أحدًا...
تعجب فرحان وقال: ومن أين علم النبي ﷺ؟! أخبرنا يا شيخنا...
ابتسم الشيخ وقال: الله تعالى هو من أخبره يا بُني... قال فرحان: وماذا
فعل النبي ﷺ مع السيدة حفصة -رضي الله عنها-؟... قال الشيخ: لقد
عاتبها النبي ﷺ، وأخبرها ببعض ما تحدثت به مع السيدة عائشة، ولم
يخبرها بكل ما قالت لها، وذلك لسُمُو أخلاقه ﷺ؛ إذ في ذكر التفاصيل
مزيد من الإخراج لها، ولمَّا أخبرها النبي ﷺ بذلك سألتها: مَنْ أَخْبَرَكَ
بما دار بيني وبين عائشة؟! فأجابها ﷺ قائلًا: أخبرني بذلك الله العليم
بأحوال عباده وتصرفاتهم، الخبير بكل ما يدور في نفوسهم.

وسكت الشيخ ثواني ثم قال: وبعد ذلك وجّه الله تعالى خطابَه إلى
حفصة وعائشة -رضي الله عنهما-، وأمرهما بالتوبة عما صدر عنهما
في حق النبي ﷺ، من إفشاء سرِّه، وتعاونهما على ما يسوءه ﷺ،

إِذْ كَانَتَا سَبَبًا لِتَحْرِيمِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ الْعَسَلِ الَّذِي يُحِبُّهُ ⁽¹⁾،
وَعَاتَبَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ قُلُوبَهُمَا قَدْ (صَغَتْ)
مَالَتْ وَانْحَرَفَتْ عَمَّا يَنْبَغِي لَهُمَا، مِنَ الْوَرَعِ وَالْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ
ﷺ، وَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَلِيُّ النَّبِيِّ ﷺ وَنَاصِرُهُ، وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ
الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ نُصْرَةِ اللَّهِ أَعْوَانٌ لَهُ وَنُصْرَاءُ عَلَى مَنْ يُؤْذِيهِ
وَيُعَادِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ نُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا
عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: 4]، وَلَقَدْ تَابَتْ الزَّوْجَتَانِ الْكَرِيمَتَانِ، وَنَدِمَتَا عَلَى
مَا كَانَ مِنْهُمَا.

شَكَرَ فَرْحَانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ بِسُرْعَةٍ، وَاعْتَرَفَ بِخَطِيئِهِ أَمَامَ
الْجَمِيعِ، وَاعْتَذَرَ لِأَبِيهِ، وَوَعَدَهُ أَلَّا يُفْشِيَ السِّرَّ أَبَدًا، وَتَابَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،
وَدَعَاهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْفَيْلَ بَانِتِظَارِهِ، وَمَا إِنْ
رَأَاهُ الْفَيْلُ حَتَّى صَاحَ قَائِلًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّكَ جِئْتَ يَا فَرْحَانُ، فَأَنَا أَنْتَظِرُكَ
هَذَا مُنْذُ الصَّبَاحِ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: خَيْرًا أَيُّهَا الْفَيْلُ!!!... قَالَ الْفَيْلُ:
إِنَّ مَلِكَ الْغَابَةِ يُرِيدُكَ فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ، وَيَدْعُوكَ لِلِقَائِهِ فِي الْحَالِ.

رَكِبَ فَرْحَانُ عَلَى ظَهْرِ الْفَيْلِ، وَانْطَلَقَا إِلَى بَيْتِ مَلِكِ الْغَابَةِ، وَهُنَاكَ
رَحَّبَ الْأَسَدُ بِفَرْحَانِ، وَشَكَرَهُ عَلَى مَجِيئِهِ، وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ اسْتِشَارَتَكَ فِي
أَمْرٍ خَطِيرٍ... قَالَ فَرْحَانُ: خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ... قَالَ الْأَسَدُ: لَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ
يَكُونَ لِي مُسْتَشَارٌ خَاصٌّ، أَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِ الْغَابَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: هَذِهِ

(1) لتعرف ما حدث بالتفصيل؛ راجع قصة الموزة الفضيّة.

فِكْرَة جَمِيلَة... قَالَ الْأَسَدُ: وَلَكِنِّي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ اخْتَارَ هَذَا الْمُسْتَشَار...
قَالَ فَرْحَانُ: الْمُسْتَشَارُ الْجَيِّدُ لَهُ صِفَاتٌ خَاصَّةٌ أَهَمُّهَا حِفْظُ السِّرِّ،
فَمَنْ يَحْفَظُ السِّرَّ يَكُنْ مُسْتَشَارًا أَمِينًا... قَالَ الْأَسَدُ: وَكَيْفَ سَنَعْرِفُ إِنْ
كَانَ مَنْ يَتَقَدَّمُ لِهَذِهِ الْوَظِيفَةِ حَافِظًا لِلسِّرِّ أَمْ لَا؟!

سَكَتَ فَرْحَانُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ: عِنْدِي فِكْرَة، سَتُعَلِنُ فِي الْغَابَةِ أَنَّكَ تُرِيدُ
مُسْتَشَارًا، بِشَرْطٍ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِلسِّرِّ، فَمَنْ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ
الصِّفَةَ فَلْيَتَقَدَّمْ لِلْوِظِيفَةِ... قَالَ الْأَسَدُ: وَمَاذَا سَنَفْعُلْ بَعْدَ ذَلِكَ؟...
قَالَ فَرْحَانُ: سَنَخْتَرُ الْمُتَقَدِّمِينَ بِطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ وَذَكِيَّةٍ... قَالَ الْأَسَدُ:
كَيْفَ؟!!!... قَالَ فَرْحَانُ: سَتُقَابِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى انْفِرَادٍ، وَتَتَكَلَّمُ
مَعَهُ، وَخِلَالِ الْحَدِيثِ تُخْبِرُهُ بِسِرِّ، بِشَرْطٍ أَنْ تُخْبِرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِسِرِّ
مُخْتَلِفٍ، وَبَعْدَ انْصِرَافِهِمْ نَرَى مَنْ مِنْهُمْ سَيَحْفَظُ السِّرَّ... زَارَ الْأَسَدُ فِي
سَعَادَةٍ وَقَالَ: هَذِهِ فِكْرَة جَمِيلَة، وَسَنَبْدَأُ تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ جَاءَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ مَلِكِ الْغَابَةِ،
فَاسْتَقْبَلَهُ الْأَسَدُ بِسَعَادَةٍ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ نَجَحْتَ فِكْرَتُكَ، وَتَقَدَّمَ الْكَثِيرُونَ
لِوِظِيفَةِ الْمُسْتَشَارِ، وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةً فَقَطْ يَحْفَظُونَ السِّرَّ، هُمْ:
الْعُصْفُورُ زَقْزُوقٌ وَالضُّفْدَعُ مَحْبُوبٌ وَالسُّلْحَفَاءُ حَفِيزَةُ، وَلَقَدْ قَرَّرْتُ
أَنْ اخْتَارَ الْعُصْفُورَ لِيَكُونَ هُوَ مُسْتَشَارِي الْخَاصِّ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا
اخْتَرْتَهُ هُوَ بِالذَّاتِ؟!!!... ابْتَسَمَ الْأَسَدُ وَقَالَ: لِأَنَّ السُّلْحَفَاءَ بَاطِلِيَّةٌ،
وَالضُّفْدَعُ صَوْتُهُ مُزْعِجٌ، أَمَّا الْعُصْفُورُ فَسَرِيعٌ وَصَوْتُهُ لَطِيفٌ وَشَكْلُهُ
جَمِيلٌ... ضَحِكَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لَكِنَّا نَخْتَارُ الْمُسْتَشَارَ حَسَبَ كِفَائَتِهِ فِي
حِفْظِ السِّرِّ... قَالَ الْأَسَدُ: وَالْعُصْفُورُ يَحْفَظُ السِّرَّ... فَالْغَابَةِ فَرْحَانُ: وَكَذَلِكَ

الضُّفْدَع والسُّلْحَفَاة... فقال الأسد: إِذَا كَيْفَ نَخْتَارُ مِنْهُمْ؟!... قال فرحان: نَخْتَارُ أَكْثَرَهُمْ حِفْظًا للسرّ... قال الأسد: وَكَيْفَ سَنَعْرِفُ ذَلِكَ؟!...

سَكَتَ فرحان ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: سَتُعْلِنُ فِي الغابة أَنَّكَ أَلْعَيْتَ وَظِيفَةَ الْمُسْتَشَار؛ لِأَنَّ الفيلَ الوَظِيرَ يُمكنُهُ القيامُ بهذا الأمر... تَعَجَّبَ الأسدُ وقال: لِمَاذَا؟!... قال فرحان: افْعَلْ ذَلِكَ، وَستَرى النَتِيجَةَ بِنَفْسِكَ...

اسْتَجَابَ الأسدُ لفرحان، وأَعْلَنَ فِي الغابة أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَى مُسْتَشَار، وَأمرَ بِمُرَاقَبَةِ الحيوانات الثلاثة، ففُوجِئَ أَنَّ العُصْفُورَ رَقَزُوقَ قَدْ أَفْشَى السِّرَّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُهُ فَقَطْ لِيَكُونَ مُسْتَشَارًا، وَلِأَنَّ الوَظِيفَةَ ضَاعَتْ فَلَمْ يَعُدْ لِحِفْظِ السِّرِّ فَائِدَةً، وَبِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا تَصَرَّفَ الضُّفْدَعُ مَحْبُوبًا، أَمَّا السُّلْحَفَاةُ حَفِيزَةُ فَظَلَّتْ مُحْتَفِظَةً بِسِرِّ الأسد، وَرَفَضَتْ أَنْ تُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا، وَلَمَّا سَأَلُوها عَنِ السَّبَبِ؟ قَالَتْ: أَنَا لَمْ أَحْفَظِ السِّرَّ لِأَفُوزَ بِوَظِيفَةِ الْمُسْتَشَار؛ إِنِّي أَحْفَظُ السِّرَّ لِأَنَّ حِفْظَهُ أَمَانَةٌ وَإِفْشَاءُهَا خِيَانَةٌ، وَأَنَا لَنْ أَكُونَ خَائِنَةً أَبَدًا...

وهكذا عرفَ الأسدُ أَنَّ السُّلْحَفَاةَ حَفِيزَةُ تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ مُسْتَشَارَةً مَلِكِ الغابة، لِأَنَّهَا لَنْ تَخُونَهُ يَوْمًا، وَتَحْفَظُ أَسْرَارَهُ دَوْمًا.



فكرة تربوية

بعد أن تخفي لأبنائك قصة السَّلَخَفَةِ حَفِيظَةَ...

- أَخْبِرْهُمْ أَنَّ السِّرَّ أَمَانَةٌ وَإِفْشَاءُ خِيَانَةٍ، فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»، ثُمَّ اسْأَلْهُمْ: مَا الَّذِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يُفْشِي السِّرَّ؟!
- أَخْبِرْ أَبْنَاءَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِثْمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْسُودٌ» [صحيح الجامع للألباني ح ر 943]، ثُمَّ اسْأَلْهُمْ: كَيْفَ يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ سِرَّ نَفْسِهِ؟ وَمَا هِيَ مُوَاصَفَاتُ مَنْ تُخْبِرُهُ بِسِرِّكَ؟.
- اسْأَلْ أَبْنَاءَكَ: مَا أَنْوَاعُ الْأَسْرَارِ؟ وَمَا هِيَ أَسْرَارُ الْبُيُوتِ الَّتِي يَجِبُ أَلَّا تُخْبَرَ بِهَا أَحَدًا؟ وَهَلْ حَفِظْتَ السِّرَّ مِنْ قَبْلُ؟ وَهَلْ أَفْشَيْتَ السِّرَّ يَوْمًا؟ وَمَاذَا تَفْعَلُ لَوْ أَلْحَ عَلَيْكَ أَحَدُهُمْ لَتَكْشَفَ سِرًّا؟ وَمَتَى يَجِبُ عَلَيْكَ كَشْفُ السِّرِّ لَوَالِدَيْكَ وَمُعَلِّمِكَ وَغَيْرِهِمْ؟.
- احْكُ لِأَبْنَائِكَ قِصَّةَ حِفْظِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لِسِرِّ أَبِيهَا النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ (فُبَيْلَ وَفَاتِهِ ﷺ)، فَلَمْ يُعَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ مَمْشِيَةً كَأَنَّ مَشْيَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: مَرْحَبًا بَابْنَتِي، فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ ﷺ (لَهَا)؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ (مَاتَ)، فَسَأَلْتُهَا (مَاذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ)، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرْتَنِي، فَقَالَتْ: أَسَرَ ﷺ إِلَيَّ إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي (يُذَارِسُنِي) الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي؛ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ ﷺ: أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةً نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ -أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكْتُ لَذَلِكَ».

الغزال الثائب

في يومٍ من الأيام اجتمعَ أصدقاءُ فرحان، وبحَثُوا عن مُغامرةٍ جَدِيدَةٍ يقومون بها، وبعد تفكيرٍ طويلٍ قرَّروا أن يُجربُوا السرقة، ووضَعُوا الخطةَ ووزَعُوا الأدوارَ، وانطلقُوا إلى المَحَلِّ المُستَهْدَف، وتوجَّهَ أحدهم إلى البائع واشترى حُلْوً، أما الثاني فسألَ البائعَ عن سِعْرِ البِسْكِويت؛ ولمَّا انشَغَلَ البائعُ مَعَهُمَا، قامَ الثالثُ بالسرقة، بينما كانَ الرَّابِعُ يُراقِبُ الطريقَ.

وَمَثَّ عمليةَ السرقةِ بِنجاح، وجلسَ اللصُّوصُ يأكلونَ ما سَرَقُوهُ في سَعَادَةٍ، وهُنَا رَأَاهُم فرحانُ، وَعَلِمَ مِمَّا فَعَلُوهُ، فاستنكرهُ بِشِدَّةٍ، وَأَخَذَ يَنْصَحُهُم بِلُطْفٍ، وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ فَرَحَانُ مَوْعِدَهُ معَ شَيْخِهِ، فاستأذَنَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ، وانطلقَ بِسُرْعَةٍ نحوَ حلقةِ التحفيظ...

وهناك قال الشيخُ: اليومَ سنُكْمِلُ حِفْظَ سُورَةِ التَّحْرِيمِ، فَهَيَّا رَدِّدُوا مَعِيَ يا أولادِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

وبعدَ أنْ اتَّقَنَ الأولادُ تِلَاوَةَ الآيةِ، بدأَ الشيخُ يَشْرَحُ لَهُم مَعْنَاهَا، فقال: يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحْمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ بِفِعْلِ الْحَسَنَاتِ وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ، وَيَأْمُرُهُمْ سُبْحَانَهُ أَنْ

يَحْفَظُوا أَهْلَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَيَحْمُوهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَحِمَايَةَ الْأَهْلِ
وَالْأَوْلَادِ مِنَ النَّارِ يَكُونُ بِتَأْدِيبِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ،
وَنَهْيِهِمْ عَمَّا يُغْضِبُهُ سُبْحَانَهُ.

قال فرحان: لقد فهِمْتُ الآنَ سَبَبَ حِرْصِ أَبِي وَأُمِّي عَلَيْنَا، وَأَمْرَنَا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِنَا عَنِ الْمُنْكَرِ، إِنَّهُمَا يَجْتَهِدَانِ فِي حِمَايَتِنَا مِنَ النَّارِ، وَنَحْنُ
نَتَهَرَّبُ مِنْهُمَا وَنَنْظُرُ أَنََّّهُمَا وَالِدَانِ قَاسِيَانِ وَظَالِمَانِ، وَلَقَدْ كُنَّا مُخْطِئِينَ.

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، فَمَنْ يَخَافُ عَلَى أَبْنَائِهِ مِنَ نَارِ
الدُّنْيَا الَّتِي تُوقَدُ بِالخَشَبِ وَالْفَحْمِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْمِيَهُمْ مِنَ نَارِ الْآخِرَةِ
الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ.

وَسَكَتَ الشَّيْخُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: وَالْمَسْئُورُ عَنْ تَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ
مَلَائِكَةٌ أَقْوِيَاءُ أَشِدَّاءُ، وَهُمْ يَتَعَامَلُونَ مَعَ أَهْلِ النَّارِ بِقُوَّةٍ وَقَسْوَةٍ؛ فَلَا
يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَفْلِتَ مِنْهُمْ، وَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ لَا يَعْصُونَ لِلَّهِ تَعَالَى
أَمْرًا، وَيُنْفِذُونَ كُلَّ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ جَلَّ شَأْنُهُ.

وَنَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَوْلَادِ ثُمَّ قَالَ: بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَ
صِفَاتِ النَّارِ، وَصَفَ لَنَا مَا سَيَحْدُثُ لِلْكَفَّارِ عِنْدَ دُخُولِهَا، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
[التَّحْرِيمُ: 7]، فَالْكَفَّارُ عِنْدَ إِدْخَالِهِمُ النَّارَ يُحَاوِلُونَ الْإِعْذَارَ عَمَّا
فَعَلَوْهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ سَيِّئَاتٍ وَمَعَاصِي، فَتُوبِّخُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَقُولُ لَهُمْ:
لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ، فَقَدْ ذَهَبَ وَقْتُ الْإِعْذَارِ وَزَالَ نَفْعُهُ، فَالْيَوْمَ لَنْ
تُقْبَلَ أَعْذَارُكُمْ، وَسَتُعَاقَبُونَ عَلَى ذُنُوبِكُمْ.

وَهُنَا تَذَكُّرُ فَرْحَانُ السَّرِقَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا أَصْدِقَاؤُهُ؛ فَخَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَصَاحَ قَائِلًا: وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ اغْتِذَارَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ؟ أَخْبِرْنَا يَا شَيْخَنَا!!!.

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: الْإِجَابَةُ عَنْ سُؤْالِكَ يَا بُنَيَّ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِيهَا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: 8]، فَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْإِغْتِذَارِ عَنْهَا فِي الدُّنْيَا؛ حَتَّى لَا تَكُونَ سَبَبًا فِي دُخُولِهِم النَّارَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ؛ وَوَعَدَهُمْ عَلَيْهَا بِمَغْفِرَةِ السَّيِّئَاتِ، وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ.

قَالَ فَرْحَانُ: وَمَا هِيَ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ يَا شَيْخَنَا؟!!!.

سَكَتَ الشَّيْخُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: سَأُضْرِبُ لَكَ مَثَلًا، لَوْ أَنَّكَ خَرَجْتَ مِنْ هُنَا وَمَشَيْتَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يُوصِلُكَ إِلَى بَيْتِكَ، وَبَعْدَ فِتْرَةٍ أَقْنَعَكَ أَحَدُهُمْ أَنَّ تَمْشِي فِي طَرِيقٍ آخَرَ، فَأَطَعْتَهُ، ثُمَّ اكْتَشَفْتَ أَنَّهُ يَخْدَعُكَ، وَأَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ يَقُودُكَ إِلَى الْهَلَاكِ، فَمَاذَا سَتَفْعَلُ؟.

قَالَ فَرْحَانُ: سَأَتْرُكُ الطَّرِيقَ الْخَاطِئَ فِي الْحَالِ، وَأُنْذِمُ عَلَى طَاعَةِ هَذَا الْمُخْتَالِ، وَأُنْوِي أَلَّا أَسْمَعَ كَلَامَهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَأَرْجِعُ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فَوْرًا، وَأُسْرِعُ السَّيْرِ فِيهِ؛ حَتَّى أُصِلَ إِلَى الْبَيْتِ بِسَلَامٍ.

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا بَنِيَّ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَهُوَ يَمْشِي مُجْتَهِدًا فِي طَرِيقِ الْحَسَنَاتِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعِنْدَمَا يُذْنِبُ وَيَمْشِي فِي طَرِيقِ السَّيِّئَاتِ، عَلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الذَّنْبَ فَوْرًا، وَيَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهِ، وَيَنْوِي أَلَّا يَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَيَسْتَغْفِرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَعُودَ إِلَى طَرِيقِ الْحَسَنَاتِ وَيَجْتَهِدَ فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَإِذَا ظَلَمَ أَحَدُهُمْ يَرُدُّ لَهُ حَقَّهُ أَوْ يَطْلُبُ مِنْهُ الْعَفْوَ، وَهَذِهِ أَرْكَانُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ ذَنْبٍ دُونَ تَأْخِيرٍ.

شَكَرَ فَرْحَانُ شَيْخَهُ، وَجَرَى نَحْوَ أَصْدِقَائِهِ، وَشَرَحَ لَهُمُ الْآيَاتِ الَّتِي حَفِظَهَا الْيَوْمَ، وَشَجَّعَهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ، وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى رَدِّ ثَمَنِ الْمَسْرُوقَاتِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِمْ أَحَدٌ، وَبَعْدَ تَنْفِيزِ هَذِهِ الْخُطَّةِ أَحَسَّ الْجَمِيعُ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ، وَأَحَبَّ فَرْحَانُ هَذِهِ الْآيَاتِ أَكْثَرَ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَبَبًا فِي تَوْبَةِ أَصْدِقَائِهِ.

وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَجَلَسَ يَقْرَأُ وَرَدَّهُ الْيَوْمِيَّ عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ، وَلَمَّا انْتَهَى مِنَ التَّلَاوَةِ جَلَسَ يَتَأَمَّلُ فِيمَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالطَّيُورِ، وَفَجْأَةً سَمِعَ أَحَدَهُمْ يُنَادِي عَلَيْهِ بِصَوْتِ خَفِيزٍ، فَنَظَرَ نَاحِيَةَ الصَّوْتِ فَرَأَى الْغَزَالَ يَخْتَبِئُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، فَحَيَّاهُ فَرْحَانُ وَقَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَخْتَبِئُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ أَيُّهَا الْغَزَالُ؟ وَلِمَاذَا تَتَكَلَّمُ بِصَوْتِ خَفِيزٍ؟!!!... نَظَرَ الْغَزَالُ حَوْلَهُ بِخَوْفٍ وَقَالَ: لَقَدْ أَمَرَ الْقَاضِي بِالْقَبْضِ عَلَيَّ لِيَضَعَنِي فِي السَّجْنِ... تَعَجَّبَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لِمَاذَا؟!!!... نَظَرَ الْغَزَالُ حَوْلَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: لِأَنِّي مُتَّهَمٌ فِي قَضِيَّةِ سَرِقَةٍ، وَالْأَدْلَةُ كُلُّهَا تُشِيرُ إِلَى أَنِّي الْفَاعِلُ، وَالْغَابَةُ كُلُّهَا تَظُنُّ أَنِّي السَّارِقُ، رَغْمَ أَنِّي بَرِيءٌ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا غَيْرَكَ يُسَاعِدُنِي عَلَى إِثْبَاتِ بَرَاءَتِي.

نَظَرَ فَرَحَانُ إِلَى الْغَزَالِ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِالْحِكَايَةِ مِنَ الْبِدَايَةِ، وَلَوْ كُنْتُ بَرِيئًا حَقًّا فَسَأَسَاعِدُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ... تَنَهَّدَ الْغَزَالُ وَقَالَ: سَأُخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَقَدْ كُنْتُ زَعِيمًا لِعِصَابَةٍ مِنَ اللَّصُوصِ، وَكُنَّا نَسْرِقُ مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ، وَذَاتَ يَوْمٍ سَرَقْنَا بَيْتَ حَيَّوَانٍ يَتِيمٍ، وَتَسَبَّبَ ذَلِكَ فِي حُزْنِهِ وَمَرَضِهِ، وَاحْتَارَ الطَّبِيبُ فِي عِلَاجِهِ، فَحَزِنْتُ مِنْ أَجْلِهِ، وَأَذْرَكْتُ خُطُورَةَ الْجَرِيمَةِ الَّتِي نَزَكْتُ بِهَا، وَقَرَّرْتُ التَّوْبَةَ، وَعَرَضْتُ الْفِكْرَةَ عَلَى أَفْرَادِ الْعِصَابَةِ، فَسَخِرُوا مِنِّي وَاتَّهَمُونِي بِالْجُنُونِ، فَابْتَعَدْتُ عَنْهُمْ، وَأَعْلَنْتُ تَوْبَتِي، وَتَوَقَّفْتُ عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ... قَالَ فَرَحَانُ: وَمَا الَّذِي يَثْبِتُ أَنَّكَ ثَبَّتَ حَقًّا؟!... قَالَ الْغَزَالُ: أَهْلُ الْغَابَةِ يَشْهَدُونَ بِذَلِكَ، فَقَدْ أُعْطِيتُهُمْ قَائِمَةً بِكُلِّ مَنْ سَرَقْتُهُمْ، وَأَعَدْتُ الْمَسْرُوقَاتِ لِمَنْ اسْتَطَعْتَ، وَطَلَبْتُ الْعَفْوَ مِنَ الْبَاقِينَ، وَسَلَّمْتُ نَفْسِي لِلْقَاضِي، فَحَكَمَ بِبِرَائَتِي بَعْدَ تَوْبَتِي وَعَفْوِ الْحَيَوَانَاتِ عَنِّي.

تَعَجَّبَ فَرَحَانُ وَقَالَ: إِذَا مَا قِصَّةُ السَّرِقَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي تَوَرَّطْتَ فِيهَا؟!... قَالَ الْغَزَالُ: لَقَدْ سُرِقَ بَيْتُ الْوَزِيرِ، وَجَاءَتْهُ رِسَالَةٌ مِنْ مَجْهُولٍ تُخْبِرُهُ أَنَّ السَّارِقَ، وَأَنَّ الْمَسْرُوقَاتِ مُخَبَّاءَةٌ فِي بَيْتِي، وَكُنْتُ خَارِجَ الْغَابَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَاقْتَحَمُوا بَيْتِي وَفَتَّشُوهُ، وَلِلْأَسَفِ وَجَدُوا الْمَسْرُوقَاتِ فِيهِ، فَأَمَرَ الْقَاضِي بِالْقَبْضِ عَلَيَّ، وَمِنْ سَاعَتِهَا وَأَنَا هَارِبٌ وَلَا أَدْرِي مَاذَا أَفْعَلُ!!!

سَكَتَ فَرَحَانُ وَأَخَذَ يُفَكِّرُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْغَزَالِ وَقَالَ: عِنْدِي خُطَّةٌ نُثِبْتُ بِهَا بِرَاءَتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَكِنْ بِشَرْطٍ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ إِلَى الْقَاضِي، وَتُسَلِّمَ نَفْسَكَ... تَرَدَّدَ الْغَزَالُ قَلِيلًا، ثُمَّ وَافَقَ بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ فَرَحَانُ أَنَّهُ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ.

فَرِحَ الْقَاضِي لَأَنَّ الْغَزَالَ سَلَّمَ نَفْسَهُ، وَوَعَدَ بِمُسَاعَدَتِهِ، فَأَخْبَرَهُ فَرْحَانُ بِخَطِّتِهِ، وَقَالَ لَهُ: سَتُعْلِنُ أَيُّهَا الْقَاضِي أَنَّكُمْ قَبَضْتُمْ عَلَى الْغَزَالِ، وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ تُعْلِنُ أَنَّهُ قَدْ هَرَبَ، وَتَرَكَ رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا أَنَّهُ هَرَبَ لِثُبُتِ بَرَاءَتِهِ... تَعَجَّبَ الْقَاضِي وَقَالَ: وَمَاذَا نَفَعُ ذَلِكَ؟!!!!... قَالَ فَرْحَانُ: حَتَّى يَخَافَ الْمُجْرِمُ الْحَقِيقِي وَيَقُومَ بِخُطْوَةٍ خَاطِئَةٍ... قَالَ الْقَاضِي: وَمَا الَّذِي تَتَوَقَّعُ أَنْ يَقُومَ بِهِ هَذَا الْمُجْرِمُ؟!!!!... قَالَ فَرْحَانُ: سَيَسْرِقُ أَحَدَهُمْ، وَيَضَعُ الْمَسْرُوقَاتِ فِي بَيْتِ الْغَزَالِ؛ ثُمَّ يُبْلِغُ عَنْهُ لِثُبُتِ عَلَيْهِ تَهْمَةِ السَّرْقَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، لَكِنَّا سَنَنْصُبُ لِهَذَا الْمُجْرِمِ فَخًا فِي بَيْتِ الْغَزَالِ، وَنَضْبِطُهُ مُتَلَبِّسًا، وَنَجْعَلُهُ يَعْتَرِفُ بِجَرِيمَتِهِ، وَخِلَالَ تَنْفِيدِ هَذِهِ الْخُطَّةِ سَيَبْقَى الْغَزَالُ عِنْدَكُمْ فِي أَمَانٍ وَسَلَامٍ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالنَّجَاحَ .

وَأَفَقَ الْقَاضِي عَلَى خُطَّةِ فَرْحَانَ، وَبَدَأَ تَنْفِيدَهَا فِي الْحَالِ، وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ جَاءَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، وَاتَّجَهَ إِلَى بَيْتِ الْقَاضِي لِيَعْرِفَ مِنْهُ الْأَخْبَارَ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتَ هُنَاكَ يَحْتَفِلُونَ بِبَرَاءَةِ الْغَزَالِ، وَرَحَّبَ الْقَاضِي بِفَرْحَانَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَقَدْ نَجَحْتَ خَطَّتَكَ يَا صَدِيقِي، وَوَقَعَ الْمُجْرِمُ الْحَقِيقِي فِي الْفَخِّ، وَاعْتَرَفَ بِجَرِيمَتِهِ... قَالَ فَرْحَانُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَمَنْ هُوَ هَذَا الْمُجْرِمُ؟!!... قَالَ الْقَاضِي: إِنَّهُمْ شُرَكَاءُ الْغَزَالِ الْقُدَامَى فِي السَّرْقَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: وَمَاذَا أَرَادُوا إِلْصَاقَ التَّهْمَةِ بِالْغَزَالِ الْمُسْكِينِ؟!!!!... قَالَ الْقَاضِي: لَقَدْ غَضِبُوا لِأَنَّهُ تَابَ وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ، وَقَرَّرُوا الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ، وَأُلْصَقُوا تَهْمَةَ السَّرْقَةِ بِهِ؛ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى، لَكِنَّا سَاعَدْنَاهُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ.



فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة الغَزَالِ النَّائِبِ...

- اسألهم: ما رأيكم في الخطئة التي وَضَعَهَا فرحان لإثباتِ بَرَاءَةِ الغَزَالِ؟ وهل هناك طريقة أخرى لإثبات براءته؟ وما المهنة التي يُمكن للغزال أن يعمل بها بعد تَوْبَتِهِ؟ وماذا يفعل حتى يَثْبُتَ على التوبة ولا يَعُودَ للسرقة؟ وما الأشياء التي لو فعلها قد يَرْجِعُ للسرقة مرة أخرى؟... واستمع لإجاباتهم باهتمام، وتناقش معهم بِجِدَّةٍ واحترام.
- اشترك مع أبنائك في رَسْمِ لَوْحَةٍ جميلة تُوَضِّحُ أركانَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وشجِّعْ أبناءك على التوبة اليوميَّة؛ إقتداءً بالنبي ﷺ، فقد قال ﷺ فيما رواه البخاري: «والله إني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ من سبعينَ مرَّةً»، فمع أنَّ النبي ﷺ مَعْصُومٌ من الخطأ، فإنه كان يتوبُ ويستغفر تَعْلِيماً لَأُمَّتِهِ وطلباً لفضلِ الله تعالى وكرمه.
- استخدِمِ التوبة مع أبنائك بِطريقة تربوية، وشجِّعهم من خلالها على مُعَالَجَةِ أخطائهم، ويمكنك أن تجعل كلَّ واحدٍ منهم يكتبُ أخطاءه في ورقة (لا يَطْلُعُ عليها أحدٌ غيره)، ثم يَخْتَارُ منها خطأً واحداً على الأقل يتوبُ منه، وقدَّم لهم المساعدة إذا احتاجوا إليها، وكافَّهم على ما يُحقِّقونه من نجاح.
- اُبْحَثْ مع أبنائك عن الأعمال التي يُكْفِّرُ اللهُ تعالى بها السيئات ويغفر الذنوب، واكْتُبُوها في كَشْكُول خاص، واجتهدوا في العمل بها وخاصة بعد الوقوع في الذَّنْبِ، ويُمَكِّنُك أن تَشْرَكَ مع أبنائك في قراءة كتاب «مَعْرِفَةُ الْخِصَالِ الْمَكْفُورَةِ لِلذَّنُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْمُتَأَخَّرَةِ» للحافظ ابن حَجَرٍ رحمه الله، أو مُخْتَصَرٍ له، وذلك في جلسات مُتَعَدِّدَةٍ، واجتهد أن تكون هذه الجلسات قصيرة وجميلة، حتى يُحِبُّها الأبناء ويشتاقون إليها، وفي نهاية كلِّ جلسة شجِّعهم على العمل بما قرَأُوهُ، وكافَّهم حسب إنجازهم واجتهداتهم.

الغَابَةُ الْمُظْلِمَةُ

فِي إِحْدَى اللَّيَالِي كَانَ فَرْحَانُ يَجْلِسُ فِي غُرْفَتِهِ، وَيَسْتَمْتَعُ بِاللَّعْبِ، وَفَجْأَةً انْقَطَعَتِ الْكُهْرِبَاءُ وَأَظْلَمَ الْمَكَانُ، فَأَحْسَّ فَرْحَانُ بِالْخَوْفِ، وَبَعْدَ لِحْظَاتٍ نَبَحَتِ الْكِلَابُ فِي الشَّارِعِ، فَشَعَرَ فَرْحَانُ بِالْهَلَعِ، وَنَادَى عَلَى وَالِدَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ بِسُرْعَةٍ، وَحَضَنْتُهُ حَتَّى يَطْمَئِنَّ وَيَهْدَأَ، وَأَخْضَرَ أَبُوهُ مِصْبَاحًا صَغِيرًا (كَشَافًا) وَأَضَاءَهُ لِيُبَدِّدَ الظَّلَامَ.

وَجَلَسَ الْوَالِدَانِ مَعَ فَرْحَانٍ حَتَّى أَحْسَّ بِالْأَمَانِ، وَتَكَلَّمَ مَعَهُ عَنْ ذِكْرِيَاتِهِمَا مَعَ انْقِطَاعِ الْكُهْرِبَاءِ أَيَّامَ زَمَانٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: مَا رَأَيْكَ يَا بُنَيَّ أَنْ نَقُومَ مَعًا بِتَجْرِبَةٍ جَمِيلَةٍ، هَلْ أَنْتَ مُسْتَعِدٌّ؟... قَالَ فَرْحَانُ: نَعَمْ. أَطْفَأَ الْأَبُ نَوْرَ الْمِصْبَاحِ (الْكَشَافِ) فَأَظْلَمَتِ الْغُرْفَةُ، وَسَكَتَ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: بِمَاذَا تَشْعُرُ الْآنَ يَا بُنَيَّ؟... قَالَ فَرْحَانُ: أَشْعُرُ بِبَعْضِ الْخَوْفِ... فَأَضَاءَ الْأَبُ نَوْرَ الْمِصْبَاحِ، ثُمَّ قَالَ: وَبِمَاذَا تَشْعُرُ الْآنَ؟... ابْتَسَمَ فَرْحَانُ وَقَالَ: بِالْأَمَانِ... ضَحَكَ الْأَبُ وَقَالَ: عِنْدَمَا يَنْقُطِعُ النُّورُ فَكَّرْ فِي إِضَاءَةِ مِصْبَاحٍ، وَلَا تُفَكِّرْ فِيمَا يُخِيفُكَ، وَاجْتَهِدْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مِصْبَاحٌ لِلطَّوَارِئِ بِالْقُرْبِ مِنْكَ دَائِمًا.

نَظَرَ فَرْحَانُ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ... فَابْتَسَمَ أَبُوهُ، ثُمَّ أَطْفَأَ الْمِصْبَاحَ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَرَأَ بَعْضَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ قَالَ: بِمَاذَا تَشْعُرُ الْآنَ يَا بُنَيَّ؟... قَالَ فَرْحَانُ: بِهَدْوٍ وَاطْمِئْنَانٍ، مَعَ أَنَّي أَجْلِسُ فِي الظَّلَامِ...

فأضاء الأب المصباح وقال: بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا حَبِيبِي، وهكذا عندما تَشْعُرُ بالخوف من الظلام وغيره، اقرأ القرآن؛ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ، ويهدأ خَوْفُكَ.

ثم نظر الأب إلى فرحان وقال: الْآنَ حَانَ دَوْرُكَ يَا بُنَيَّ لِتُضِيءَ بَيْتَنَا بِأَنْوَارِ الْقُرْآنِ، هيا اقرأ لنا بعض ما تَحْفَظُ... اسْتَجَابَ فرحانُ لأبيه، وقرأ من أوَّلِ سُورَةِ التَّحْرِيمِ، حتى وَصَلَ إلى قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُؤْمِنُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم مِّنْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: 8]... فقال له أبوه: حَسْبُكَ يَا بُنَيَّ، والآن عندي سؤال؛ لماذا يَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى النُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ولماذا يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا؟.

سَكَتَ فرحانُ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَ: سَيَكُونُ هُنَاكَ ظِلَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلِذَلِكَ يَحْتَاجُونَ إِلَى النُّورِ... ابْتَسَمَ الأبُ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ، فَبَعْدَ الْحِسَابِ، يُؤْخَذُ الْكَفَّارُ إِلَى النَّارِ، وَيُلْقَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نُورًا خَاصًّا بِهِ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَكُلَّمَا زَادَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ كَانَ نُورُ صَاحِبِهِ أَقْوَى، فَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يُضِيءُ بَيْنَ يَدَيْهِ (مِنْ أَمَامِهِ)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى عَمودًا مِنَ النُّورِ مِثْلَ النَّخْلَةِ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ (وَأَقْلَهُهُمْ نُورًا) رَجُلًا يُعْطَى نُورُهُ عَلَى قَدَرِ إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ مَرَّةً، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحریم: 8].

وَسَكَتَ الْأَبُ لِحَظَاتٍ ثُمَّ قَالَ: بَعْدَ تَوَزِيعِ النُّورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعُبُورِ الصَّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ فَوْقَ جَهَنَّمَ، وَهُنَا يَنْطَفِئُ نُورُ الْمُتَأَفِّقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُخْفُونَ الْكُفْرَ، فَيَخَافُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَدْعُونَ رَبَّهُمْ قَائِلِينَ: ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: 8]... قَالَ فَرْحَانُ: وَكَيْفَ يَعْبُرُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّرَاطَ وَهُوَ مُظْلِمٌ؟... قَالَ أَبُوهُ: يَعْبُرُونَ بِالنُّورِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَمَنْ كَانَ نُورُهُ أَقْوَى (عَمَلُهُ الصَّالِحُ أَكْثَرُ) كَانَ عُبُورُهُ أَسْرَعَ؛ فَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَمُرُّ عَلَى الصَّرَاطِ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَسُرْعَةِ الطَّيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَجَرِي الْحِصَانِ السَّرِيعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَجَرِي الرَّجْلِ، وَيَكُونُ أَبْطَوْهُمْ هَذَا الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يَحْبُو عَلَى الصَّرَاطِ، وَيَتَعَثَّرُ لِقَلَّةِ عَمَلِهِ وَضَعْفِ نُورِهِ، وَتُصِيبُ جَوَانِبُهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَعْبُرَ الصَّرَاطَ، ثُمَّ يَقِفُ يَنْظُرُ إِلَى النَّارِ بَعْدَ نَجَاتِهِ مِنْهَا، وَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا؛ إِذْ أَنْجَانِي مِنَ النَّارِ بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا.

شَكَرَ فَرْحَانُ أَبَاهُ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحَاتِ؛ حَتَّى يَقْوَى نُورُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَعْبُرَ ظُلْمَةَ الصَّرَاطِ بِسُرْعَةٍ وَسَلَامٍ وَأَمَانٍ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ذَهَبَ فَرْحَانُ إِلَى الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتَ كُلَّهَا نَائِمَةً، فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ سَبَبِ نَوْمِهِمْ بِالنَّهَارِ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَالْجَمِيعُ كَانُوا نَائِمِينَ، فَذَهَبَ فَرْحَانُ فِي الْحَالِ إِلَى حَكِيمِ الْغَابَةِ لِيَفْهَمَ مِنْهُ مَا يَحْدُثُ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْحَكِيمُ بِسَعَادَةٍ، وَحَكَى لَهُ مَا حَدَثَ، فَقَالَ:

مُنْذُ فَتْرَةٍ اسْتَيْقَظَتِ الْحَيَوَانَاتُ لَيْلًا عَلَى أَصْوَاتٍ قَوِيَّةٍ وَمُرْعَبَةٍ، فَخَافُوا وَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدُهُمْ مِنْ بَيْتِهِ، وَفِي الصَّبَاحِ أَخْبَرْتَهُمُ الضَّبَاعُ أَنَّ حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ الْمُظْلِمَةِ هَجَمَتْ عَلَى غَابَتِنَا، ثُمَّ تَكَرَّرَ هُجُومُهُمْ، وَسَمِعَ الْجَمِيعُ أَصْوَاتَهُمْ، فَانْتَشَرَ الْخَوْفُ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ، وَهَرَبَ النَّوْمُ مِنْ عُيُونِهِمْ، فَأَصْبَحُوا يَسْهَرُونَ طَوَالَ اللَّيْلِ، وَيَسْقُطُونَ نَائِمِينَ عِنْدَ بُرُوعِ الْفَجْرِ.

تعجب فرحان وقال: هذه أول مرة أسمع فيها عن الغابة المظلمة، فأين تقع؟ ومن يسكنها؟... قال الحكيم: الغابة المظلمة كانت خُرافة تُخِيفُ بِهَا الْحَيَوَانَاتُ صِغَارَهَا لِتَسْمَعَ الْكَلَامَ، فَيَقُولُونَ لِلصَّغِيرِ: افْعَلْ كَذَا حَتَّى لَا نُرْسَلَكَ إِلَى الْغَابَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَلَا تَفْعَلْ كَذَا حَتَّى لَا تَأْكُلَكَ حَيَوَانَاتُ الْغَابَةِ الْمُظْلِمَةِ... وَلَقَدْ تَحَوَّلَتْ هَذِهِ الْخُرَافَةُ إِلَى حَقِيقَةٍ، وَهَجَمَتْ حَيَوَانَاتُ الْغَابَةِ الْمُظْلِمَةِ عَلَى غَابَتِنَا.

قال فرحان: وما الذي تعرّفوه عن هذه الغابة المظلمة وسكانها؟!... قال الحكيم: تقول الحكايات أن الغابة المظلمة لا يدخلها النور أبدًا بسبب أشجارها الطويلة والمتشابكة، وتسكنها حيوانات ضخمة وقوية وشرسة، وهذه الحيوانات تتحرك في الظلام بكل سهولة... قال فرحان: وهل رآها أحدكم عندما هجموا على الغابة؟!... قال الحكيم: نعم، الضباع رأوها، ووصفوا لنا شكلها، وفهموا كلامها، ومن ساعيتها أصبحت الضباع شجعان الغابة، وحرّاسها، والجميع يطيعهم، ويُعطيهم كل ما يريدون.

شكر فرحان حكيم الغابة، ورجع إلى بيته بسرعة قبل أن يحل الظلام، وجلس في غرفته يفكر فيما حدث في الغابة، وأحس أن هناك لغزًا،

وبدأ يَبْحَثُ عن الحيوانات التي يُمكنُهَا الرُّؤْيَةُ في الظلام، وقرأ عن صِفَات الضُّبَاعِ، وبعدَ ساعاتٍ من البَحْثِ والقراءة ابْتَسَمَ فرحانُ وقال: لقد فَهِمْتُ الآنَ كُلَّ شيءٍ، وسَتُسَاعِدُنِي البُومَةُ في حلِّ هذا اللُّغزِ.

وفي صباح اليوم التالي انطلقَ فرحانُ إلى الغابة، وذهبَ إلى بيت البُومَةِ، وأيقظَهَا مِنَ النومِ، وطلبَ مُسَاعَدَتَهَا، وأخْبَرَهَا بما يُريدُهُ منها، فَرَحَّبَتْ البُومَةُ بالفكرة، وطارَتْ في الهواءِ بِسُرْعَةٍ، ورجَعَ فرحانُ إلى بَيْتِهِ.

وفي اليوم التالي ذهبتِ البُومَةُ إلى بَيْتِ فرحانِ، وأخْبَرَتْهُ بما فَعَلَتْهُ، فصاحَ في سعادة، وقال: أَحَسَنْتِ أَيْتَهَا البُومَةُ الشُّجَاعَةُ.

وأخذَ فرحانُ البُومَةَ وانطلقَ إلى بَيْتِ حَكِيمِ الغابة، وطلبَ منها أنْ تحكي له ما حدث، فقالت البومة: أَيْهَا الحَكِيمِ، لقد راقَبْتُ الغابة طول الليل؛ ورأيتُ حيوانات الغابة المُظْلِمَةَ... قال الحَكِيمِ: أَحَسَنْتِ، صِفِيهِمْ لي... فوصفت البومة شَكْلَ الحيوانات المخيفة بالتفصيل، فصاحَ الحَكِيمُ قائلاً: كأنكَ تَصِفِينَ الضُّبَاعَ!!!!... فقال فرحانُ: نعم أَيْهَا الحَكِيمِ، فَهُجُومُ حيواناتِ الغابة المُظْلِمَةَ ليسَ إلا خُدْعَةٌ تقومُ بها الضُّبَاعُ.

صاحَ الحَكِيمُ في غضبٍ وقال: لا بُدَّ أنْ نُخْبِرَ سُكَّانَ الغابة بهذه الخُدْعَةِ اللَّيْمَةِ... فطلبَ مِنْهُ فَرَحَانَ أنْ يَهْدَأَ، وأخْبَرَهُ أَنَّهُمْ لَنْ يُصَدِّقُوهُ؛ لَأَنَّ الخوفَ يُسَيِّطِرُ عليهم، ويجبَ تَحْرِيرُهُمْ مِنَ الخوفِ أولاً... سَكَتَ الحَكِيمُ وقال: كَيْفَ سَنَفْعُلُ ذلك؟!!!!... ابْتَسَمَ فرحانُ وقال: سَنَكْشِفُ الحِيلَةَ بِحِيلَةٍ أَذْكَى مِنْهَا... قال الحَكِيمِ: كيف؟!!!!... قال فرحانُ: سَتُخْبِرُ سُكَّانَ الغابة أَنَّكَ وَجَدْتَ حَلًّا لِمُشْكِلَتِهِمْ، وذلكَ بَأَنْ يَجْمَعُوا أَجْمَلَ

الطعام، وَيُرْسِلُوهُ إِلَى حَيَوَانَاتِ الْغَابَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَيُعْطُوهُمْ مِثْلَهُ كُلِّ أُسْبُوعٍ، بِشَرْطِ أَنْ يَتْرُكُوا الْغَابَةَ فِي أَمَانٍ.

ابْتَسَمَ الْحَكِيمُ قَائِلًا: وَطَبْعًا سَنَطْلُبُ مِنَ الضَّبَاعِ أَنْ يَقُومُوا بِتَوْصِيلِ الطَّعَامِ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الْمُخِيفَةِ... قَالَ فَرْحَانُ: بِالتَّأَكِيدِ، وَسَيَفْرَحُ الضَّبَاعُ، وَيَأْخُذُوا الطَّعَامَ، وَيَتْرُكُوا الْغَابَةَ فِي أَمَانٍ عِدَّةَ أَيَّامٍ... قَالَ الْحَكِيمُ: وَمَاذَا سَنَفْعَلُ بَعْدَ ذَلِكَ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: سَتُرَاقِبُ الْبُومَةَ قَطِيعَ الضَّبَاعِ، وَتَعْرِفُ الْمَكَانَ الَّذِي يُخَبِّوْنَ فِيهِ الطَّعَامَ، وَعِنْدَهَا سَتَجْمَعُ أَنْتَ الْحَيَوَانَاتُ وَتَذْهَبُونَ إِلَى وَكْرِ الضَّبَاعِ، وَتَقْبِضُونَ عَلَيْهِمْ مُتَلَبِّسِينَ، وَتَجْعَلُهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِجَرِمَتِهِمْ أَمَامَ الْجَمِيعِ.

فَرِحَ الْحَكِيمُ بِالْفِكْرَةِ، وَانْطَلَقَ إِلَى مَلِكِ الْغَابَةِ وَأَخْبَرَهُ بِهَا، وَبَدَؤُوا تَنْفِيزَهَا فِي الْحَالِ، وَرَجَعَ فَرْحَانُ إِلَى بَيْتِهِ، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ جَاءَ لَزِيَارَةِ الْغَابَةِ، فَوَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً فِي السَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ، وَالْبُومَةُ تَقِفُ أَمَامَهُمْ، وَتَشْرَحُ لَهُمْ خَدْعَةَ الضَّبَاعِ، وَالْجَمِيعُ يَشْكُرُهَا، وَمَلِكُ الْغَابَةِ يُكْرِمُهَا، وَيُعَيِّنُهَا حَارِسَةَ الْغَابَةِ اللَّيْلِيَّةِ، وَشَاهِدَ مَلِكُ الْغَابَةِ فَرْحَانَ مَنْ بَعِيدٍ، فَرَحَّبَ بِهِ، وَشَكَرَهُ عَلَى خُطَّتِهِ الذَّكِيَّةِ، وَاحْتَفَلَ فَرْحَانُ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ بِعَوْدَةِ الْأَمَانِ إِلَى الْغَابَةِ.



فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة الغابة المظلمة...

- اسألهم: ما رأيكم في الخطّة التي وضّعتها فرحان لِفَضْحِ خُدْعَةِ الصُّبَاعِ؟ وهل هناك طريقة أخرى لِكَشْفِ هذه الخُدْعَةِ وإنقاذ الحيوانات؟
- اسأل أبناءك عن الأشياء التي يخافون منها، واسْتَمِعْ إليهم دون اسْتِهْزَاءٍ، ثم تكلّم معهم عن بَعْضِ الأشياءِ التي كُنْتَ تخافُ منها في طفولتك، وكيف اخْتَفَى هذا الخوفُ أو قلْ بِمُرُورِ الأيامِ، وشجّع أولادك على التفكير في طرق يُسَاعِدُونَ بها بعضهم على مُواجهة مخاوفهم.
- تكلّم مع أبنائك عن الخوف من الظلام، وما يَشْعُرُونَ به وما يُفَكِّرُونَ فيه عند انقطاع الكهرباء، واسألهم: لو كان أخوك يخافُ من الظلام ماذا تفعل لتُظْمِنَهُ؟ عندما ينقطعُ النور ماذا نفعل لنقللِ خَوْفًا؟ إذا كنت في الشارع وانقطعت الكهرباء كيف تتصرّف؟... وبعد أن تَسْتَمِعْ إليهم احكِ لهم ذكرياتك مع الخوف من الظلام، وكيف تَغَلَّبْتَ على هذا الخوف، وفكّر معهم في أشياء عمليّة تقومون بها للتغلب على الخوف من الظلام، وقمّ ببعض الأنشطة الجميلة مع أبنائك في الظلام، مثل حِكاية حَدُوثَةٍ على أضواء شَمْعَةٍ، وغيرها.
- أخبر أبناءك أنّ النبي ﷺ يقول: «الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، واشْرَحْ لهم معنى الحديث، وأخبرهم أنّ الظَّالِمَ يُسَلَبُ منه النورُ يوم القيامة، فلا يكون له نور، أو يُنْقَضُ نُورُهُ بِقَدْرِ ظُلْمِهِ، فيكون الظلمُ ظُلُمَاتٍ على صاحبه يوم القيامة، وإذا لم يكن للعبد نورٌ يومَ القيامة فكيف سَيَعْبُرُ الصِّرَاطَ؟!... ثم تكلّم معهم عن أنواع الظلم، وهي: ظلم الآخرين في أنفُسِهِمْ أو مَالِهِمْ أو عِرْضِهِمْ، واسأل أبناءك: هل ظلمك أحدُهم يومًا؟ وهل ظلمتَ أحدَهم ذات يوم؟ وكيف نَرُدُّ المَظَالِمَ لأصحابها أو نَطْلُبُ العفوَ منهم؟

أَجْمَلُ بَيْتٍ

في يوم من الأيام ذهبَ فرحانٌ لزيارة صديقه، وبعدَ ساعاتٍ رجعَ إلى البيتِ حزينًا، فسأَلته أمُّه عن سببِ حُزْنِه، فقالَ: أنا أريدُ بيتًا جميلًا مثلَ بيتِ صديقي... نَظَرَتْ أمُّه حَوْلَهَا وَقَالَتْ: بَيْتُنَا جَمِيلٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ... اعْتَزَّصَ فرحانُ وصَاحَ قَائِلًا: وَلَكِنَّ بَيْتَ صَدِيقِي أَجْمَلُ، ففِيهِ حَدِيقَةٌ وَحَمَّامٌ سَبَّاحَةٌ وَ... قَاطَعَتْهُ أمُّه قَائِلَةً: تَذَكَّرْ يَا حَبِيبِي أَنَّ هُنَاكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ بَيْتًا، وَنَحْنُ أَحْسَنُ مِنْهُ حَالًا... قَالَ فرحانُ بِتَحَدٍّ: وَهُنَاكَ أَيْضًا مَنْ يَمْلِكُ قَصْرًا جَمِيلًا وَمَنْزَلًا كَبِيرًا... ابْتَسَمَتْ أمُّه وَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، انْظُرْ دَائِمًا لِمَنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْكَ فِي الْمَالِ وَالصَّحَّةِ وَالْجَمَالِ وَغَيْرِهَا؛ حَتَّى تَشْعُرَ بِالرِّضَا، وَلَا تَنْظُرَ لِمَنْ هُوَ أَحْسَنُ مِنْكَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا؛ حَتَّى لَا تَحْتَقِرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ... قَالَ فرحانُ: وَلَكِنِّي أريدُ بَيْتًا أَجْمَلًا!!!.

سَكَتَتْ أُمُّ فرحانِ ثَوَانِي ثُمَّ قَالَتْ: حَسَنًا يَا حَبِيبِي، لَقَدْ اقْتَرَبَ مَوْعِدُكَ مَعَ شَيْخِكَ، فَتَجَهَّزْ بِسُرْعَةٍ حَتَّى لَا تَتَأَخَّرَ، وَعِنْدَمَا تَرْجِعَ سَنُكْمِلُ حَدِيثَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَطَاعَ فرحانُ أمَّهُ، وَغَيَّرَ مَلَابِسَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى حَلْقَةِ التَّحْفِيزِ، وَهُنَاكَ قَالَ الشَّيْخُ: قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ حِفْظَ الْيَوْمِ عِنْدِي سُؤَالٌ؛ مَا هِيَ مُوَاصَفَاتُ الْبَيْتِ الَّذِي يَحْلُمُ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؟ هَيَّا أَخْبِرُونِي.

سَكَتَ الْأَوْلَادُ لِحِظَاتٍ، ثُمَّ بَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَصِفُ بَيْتَ الْأَخْلَامِ الَّذِي يَتِمَّنَاهُ، وَاسْتَمَعَ الشَّيْخُ إِلَى الْجَمِيعِ بِإِنْصَاتٍ وَاهْتِمَامٍ، وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى الْجَمِيعُ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَخْلَامِ، قَالَ الشَّيْخُ: الْآنَ سَأُحْكِي لَكُمْ حِكَايَةَ أَجْمَلِ بَيْتٍ...

كَانَتْ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ تَسْكُنُ فِي أَجْمَلِ بَيْتٍ فِي زَمَانِهَا، إِنَّهُ قَصْرُ زَوْجِهَا فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ يَحْكُمُ مِصْرَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَكَانَ فِرْعَوْنَ كَافِرًا وَمُتَكَبِّرًا، يَقْتُلُ الْأَطْفَالَ وَيَظْلِمُ الْكِبَارَ، وَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى... فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مُوسَى وَهَارُونَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- يَدْعُوَانِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخُدَّهِ وَالتَّوَقُّفِ عَنِ الظُّلْمِ، فَتَكَبَّرَ فِرْعَوْنَ وَزَادَ فِي كُفْرِهِ وَظُلْمِهِ. قَالَ فِرْحَانُ: وَمَاذَا فَعَلَتْ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ يَا شَيْخَنَا؟ هَلْ كَفَرَتْ مِثْلَ زَوْجِهَا؟

ابْتَسَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ: سُؤَالَكَ جَمِيلٌ يَا فِرْحَانُ، وَأُبَشِّرُكَ يَا بُنَيَّ؛ فَالسَّيِّدَةُ آسِيَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لَمْ تَتَّبِعْ زَوْجَهَا فِي الْبَاطِلِ، وَأَمَنَتْ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَاتَّبَعَتْ هَارُونَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَعْلَنْتْ ذَلِكَ بِشَجَاعَةٍ أَمَامَ فِرْعَوْنَ.

صَاحَ فِرْحَانُ قَائِلًا: وَمَاذَا فَعَلَ فِرْعَوْنَ مَعَهَا؟ أَخْبِرْنَا يَا شَيْخَنَا!!!

تَنَهَّدَ الشَّيْخُ وَقَالَ: لَقَدْ قَامَ فِرْعَوْنَ بِتَعْذِيبِ زَوْجَتِهِ، وَأَمَرَ جُنُودَهُ فَأَخَذُواهَا إِلَى الصَّحَرَاءِ، وَرَبَطُواهَا مِنْ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا فِي الْأَرْضِ بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ، وَتَرَكَوْهَا فِي الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ، فَدَعَتْ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ رَبَّهَا أَنْ يَبْنِيَ لَهَا بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَدَعَتْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُجِيبَهَا مِنْ فِتْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَعْمَالِهِ الْخَبِيثَةِ، وَمِنْ فِتْنَةِ كُلِّ ظَالِمٍ.

قَالَ فِرْحَانُ: وَهَلْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهَا؟

قال الشيخ: نعم، اسْتَجَابَ اللهُ لها، فعاشَتْ في إيمانٍ كاملٍ، وثَبَاتٍ تامٍ، وَنَجاةٍ من الفِتَنِ، وأمرَ الله تعالى الملائكةَ أَنْ تُظِلَّهَا بِأَجْنِحَتِهَا، وكشَفَ لها عَنْ بَيْتِهَا في الجنَّةِ، فكانَتْ تَرَاهُ وَهِيَ تُعَذِّبُ؛ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُهَا⁽¹⁾.

قال فرحان: وماذا حدثَ لهذه المرأةِ المؤمنةِ بعد ذلك؟.

قال الشيخ: لقد غَضِبَ فرعونُ لأنَّ السيِّدةَ آسِيَةَ تَمَسَّكَتْ بإيمانها رَغَمَ التعذيبِ الشَّدِيدِ، وَقَتَلَهَا، فَنَالَتْ مَنَزِلَةَ الشُّهَدَاءِ، وَفازَتْ بِالْبَيْتِ الَّذِي بَنَاهُ اللهُ تعالى لها في الجنَّةِ، وَأَصْبَحَتْ من أَفْضَلِ نِسَاءِ أَهْلِ الجنَّةِ⁽²⁾، وَذَكَرَ اللهُ تعالى قِصَّتَهَا في سُورَةِ التَّحْرِيمِ، لِتَكُونَ مَثَلًا وَقُدُوةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: 11].

وأخَذَ الشيخُ يَصِفُ للأولادِ نعيمَ الجنَّةِ، حَتَّى اشْتاقُوا لها، وَتَمَنَّوْا دُخُولَهَا، وَدَعَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَبَّهُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا في الجنَّةِ.

شَكَرَ فرحانُ شَيْخَهُ، وَرَجَعَ إلى بَيْتِهِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ أُمُّهُ قَائِلَةً: لقد رَجَعْتَ بِوَجْهِهِ غَيْرِ الوجهِ الَّذِي ذَهَبْتَ بِهِ، فَقَدْ ذَهَبْتَ حَزِينًا وَرَجَعْتَ مُبْتَسِمًا، هَذِهِ بَرَكَاتُ الْقُرْآنِ يَا بُنَيَّ... قال فرحان: الْحَمْدُ لِلَّهِ... قَالَتْ أُمُّهُ: هَيَّا

(1) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِرْعَوْنَ أُوْتِدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةُ أَوْتَادٍ فِي بَيْتِهَا وَرَجُلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾» [التحريم: 11]، فَكَشَفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ» [السلسلة الصحيحة للألباني ج 2508]، وَعَنْ سُلَيْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «كَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ تُعَذِّبُ بِالشَّمْسِ، فَإِذَا انصَرَفُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ» [السلسلة الصحيحة للألباني ج 36/6].

(2) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ خُطُوطًا أَرْبَعَةً، ثُمَّ قَالَ: «اتَّذَرُوا مَا هَذَا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» [تخريج صحيح ابن حبان ج 7010، وتخرِج مسند الإمام أحمد ج 6228، لشعيب الأرناؤوط، وقال: إسناده صحيح].

تُكْمِلُ كَلَامَنَا عَنْ الْبَيْتِ الْجَمِيلِ الَّذِي تُرِيدُهُ... ابْتَسَمَ فَرْحَانُ وَقَالَ: لَا تُتَعَبِي نَفْسَكَ يَا أُمِّي، فَأَنَا لَمْ أَعُدْ بِحَاجَةٍ لِهَذَا الْحِوَارِ... تَعَجَّبَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: لِمَاذَا؟!... قَالَ فَرْحَانُ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّ بُيُوتَ الدُّنْيَا مَهْمًا كَانَتْ جَمِيلَةً سَنَنْتُكَهَا يَوْمًا وَنَزَحَلْ، أَمَا بُيُوتُ الْجَنَّةِ فَهِيَ أَجْمَلُ وَأَبْقَى، وَأَنَا أُرِيدُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ السَّيِّدَةِ آسِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... فَحَضَنْتُهُ أُمُّهُ وَقَالَتْ: زَادَكَ اللَّهُ رِضًا وَسَعَادَةً يَا بُنَيَّ، وَرَزَقَكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي تَتَمَنَّاهُ فِي الْجَنَّةِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي جَاءَتْ الْعُصْفُورَةُ زَقْرُوقَةً إِلَى فَرْحَانَ، وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ مَلِكَ الْغَابَةِ يُرِيدُهُ فِي أَمْرِ خَطِيرٍ وَعَاجِلٍ، فَاسْتَأْذَنَ فَرْحَانُ مِنْ أُمِّهِ، وَانْطَلَقَ مَعَ الْعُصْفُورَةِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْغَابَةِ وَجَدَ الْحَيَوَانَاتِ مُجْتَمِعَةً فِي السَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ، وَالْحُزْنَ يَظْهَرُ عَلَى الْجَمِيعِ، وَالْأَسَدُ يَقِفُ أَمَامَهُمْ صَامِتًا.

اقْتَرَبَ فَرْحَانُ مِنَ الْأَسَدِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا الَّذِي يَحْدُثُ يَا مَلِكَ الْغَابَةِ؟!... تَنَهَّدَ الْأَسَدُ وَقَالَ: غَابَتُنَا تَعِيشُ حَالَةَ غَرِيبَةٍ مِنْ عَدَمِ الرِّضَا، فَالْحَيَوَانَاتُ كُلُّهَا أَصْبَحَتْ تَكْرَهُ بُيُوتَهَا، وَاجْتَمَعُوا هُنَا وَقَرَّرُوا أَلَّا يَنْصَرِفُوا حَتَّى أَجِدَ لَهُمْ بَيْوتًا جَدِيدَةً وَجَمِيلَةً، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَتَصَرَّفُ، لِذَلِكَ طَلَبْتُ مُسَاعَدَتَكَ.

سَكَتَ فَرْحَانُ وَبَدَأَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ التَّوْفِيقَ، وَبَعْدَ دَقَائِقَ صَاحَ قَائِلًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَقَدْ وَجَدْتُهَا... ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأَسَدِ وَقَالَ: اسْمَعْنِي جَيِّدًا يَا مَلِكَ الْغَابَةِ، إِنَّ النِّظَرَ لِبُيُوتِ الْآخَرِينَ هُوَ سَبَبُ عَدَمِ رِضَا الْحَيَوَانَاتِ عَنْ بُيُوتِهَا، وَلَقَدْ كَرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَيْتَهُ لِأَنَّهُ أُعْجِبَ بِبَيْتِ غَيْرِهِ... قَالَ الْأَسَدُ: وَنَحْنُ مَاذَا سَنَفْعَلُ؟!... قَالَ فَرْحَانُ: سَنَطْلُبُ

مَنْ كُلِّ حَيَوَانٍ أَنْ يَخْتَارَ الْبَيْتَ الَّذِي يُعْجِبُهُ فِي الْغَابَةِ، وَنَحْنُ سَنَسَمَحُ لَهُ
بِالسَّكَنِ فِيهِ... زَارَ الْأَسَدُ قَائِلًا: هَذِهِ فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ، وَنَعْمَلُ بِهَا فِي الْحَالِ.

والتفت الأسد إلى الحيوانات، وأخبرهم بقراره، فصاح الجميع في
سعادة، وقال الأرنب: أنا أريد بيت العصفورة، فهو فوق الشجرة في
مكان جميل والهواء فيه عليل... وقالت الحمامة: أنا أريد بيت الفأر،
فهو محفور في الأرض، وبعيد عن حرارة الشمس... وقالت الغزالة: أنا
أريد بيت النمر، فهو في الأعلى فوق الشجرة، وبعيد عن الحيوانات
المفترسة... وقالت النملة: أما أنا فأريد بيت السلحفاة، لأنها تحمله
دائمًا؛ فتنام وقتما تشاء، وترتاح عندما تريد.

واختار كل حيوان البيت الذي يُعْجِبُهُ، فأخبرهم فرحان أن هناك
شرطًا جزائيًا واحدًا قبل استلام البيوت الجديدة؛ وهو: لو أن أحدهم
أراد الرجوع إلى بيته القديم، سيعمل في خدمة الغابة لمدة شهر..
فتعجب الأسد من هذا الشرط الغريب، لكن الحيوانات وافقت
عليه بسرعة ودون تردد.

انصرف الجميع في سعادة، وبعد عدة أيام جاءت العصفورة زقزوقة
إلى بيت فرحان مرة أخرى، وأخبرته أن الأسد يريد في الحال، فاستأذن
فرحان من أمه، وانطلق مع العصفورة بسرعة، ولما وصل إلى الغابة
وجد الحيوانات تجتمع في الساحة الكبيرة، ويصيحون قائلين: نريد
العودة إلى بيوتنا القديمة... فاقترب فرحان منهم، ووقف بجوار
الأسد، وبدأ يستمع لشكواهم، فقال الأرنب: إن بيت العصفورة غير

أَمِنْ؛ فَالْصُّفُورَ وَالنُّسُورَ يُمَكِّنُهَا أَنْ تَصْطَادَنِي هُنَاكَ بِسُهُولةٍ... وَقَالَتْ
الْحَمَامَةُ: إِنَّ بَيْتَ الْفَأْرِ ضَيِّقٌ وَغَيْرُ نَظِيفٍ... أَمَا الْغَزَالَةُ فَقَالَتْ: لَقَدْ
وَقَعْتُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَأَنَا أَحَاوِلُ الصُّعُودَ إِلَى بَيْتِ النَّمْرِ فَوْقَ الشَّجَرَةِ،
وَأُصِيبُ بِجُرُوحٍ كَثِيرَةٍ... وَقَالَتْ النَّمْلَةُ: إِنَّ بَيْتَ السُّلْحَفَةِ ثَقِيلٌ جَدًّا
وَلَا يُمَكِّنُنِي تَحْرِيكُهُ مِنْ مَكَانِهِ، فَكَيْفَ سَأَحْمِلُهُ فَوْقَ ظَهْرِي؟!

نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى فَرْحَانَ وَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا صَدِيقِي، وَالْآنَ عَلَيْنَا تَنْفِيزُ
الشَّرْطِ الْجَزَائِيِّ... وَزَارَ الْأَسَدُ بِقُوَّةٍ وَقَالَ: لَنْ يَرْجِعَ أَحَدٌ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بَعْدَ
أَنْ يَعْمَلَ فِي خِدْمَةِ الْغَابَةِ لَمُدَّةٍ شَهْرٍ... وَحَاوَلَتْ الْحَيَوَانَاتُ أَنْ تَعْتَزِّضَ،
فَزَارَ الْأَسَدُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ بِحَزْمٍ: لَقَدْ وَافَقْتُمْ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ،
وَلَا بَدَّ مَنْ تَنْفِيزِهِ.

أَطَاعَتِ الْحَيَوَانَاتُ الْأَسَدَ وَخَضَعَتْ لَهُ رَغْمًا عَنْهَا، وَبَدَؤُوا الْعَمَلَ فِي
خِدْمَةِ الْغَابَةِ، وَانْشَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِأَدَاءِ الْمِهْمَةِ الْمُحَدَّدَةِ لَهُ، وَمَرَّتِ
الْأَيَّامُ بِبُطْءٍ، وَانْتَهَى الشَّهْرُ بِصُعُوبَةٍ، وَتَفَاجَأَ الْجَمِيعُ بِالنَّتِيجَةِ، فَقَدْ
أُصْبَحَتْ الْغَابَةُ مَكَانًا أَجْمَلَ، وَأَعْلَنَ الْأَسَدُ عَنِ السَّمَاخِ لِلْحَيَوَانَاتِ
بِالرُّجُوعِ إِلَى بُيُوتِهَا، فَانْطَلَقَ كُلُّ حَيَوَانٍ إِلَى بَيْتِهِ الْقَدِيمِ، وَدَخَلَهُ بِسَعَادَةٍ
وَسُرُورٍ، وَأَحْسَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّ بَيْتَهُ أَجْمَلُ بَيْتٍ فِي الْغَابَةِ.

مكتبة

t.me/soramnqraa

فكرة تربوية

بعد أن تَحْكِي لأبنائك قصة أَجْمَل بَيْت...

- اسألهم: ما أَجْمَلُ شيءٍ في بَيْتِنَا؟ وما الذي يُضَافُكُمْ في بَيْتِنَا؟ وكيف نجعل بَيْتِنَا أَجْمَل؟ واستمع إليهم باهتمام، ثم اتَّفَقْ معهم على أفكار عملية تجعل الحياة في بيتكم أَجْمَل.
- اِبْحَثْ مع أبنائك عن صِفَةِ بَيْتِ النبي ﷺ، وشجِّعْهم على الاقتداء بأخلاق النبي ﷺ في بَيْتِهِ، مِنْ رِفْقٍ ورحمةٍ وغيرها، وكُنْ قُدوةً لَهُمْ في ذلك.
- تَكَلَّمْ مع أبنائك عن بُيُوتِ الجنة، وما فيها من جَمالٍ ونعيمٍ وسعادةٍ، وأخبرهم أَنَّ أبا هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قُلْتُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ): الْجَنَّةُ مَا بَنَّاؤُهَا؟ قَالَ ﷺ: «لِبَنَةِ مَنْ فَضَّةٍ (اللبنة ما يُبْنَى به كالحجر وغيره) وَلِبَنَةِ مَنْ ذَهَبٍ، وملاطُها (المادة التي توضع بين اللَّبَنَتَيْنِ لَتُمَسِّكَهَا مَعًا) الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ والياقوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 2526]، وما أَجْمَلُ أَنْ تَقْرَأَ مع أبنائك عَنْ وَصْفِ مَسَاكِينِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ اسْتَمِعُوا مَعًا لِأَحَدِ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ.
- اسأل أبنائك: كيف نُبْنِي بَيْتًا في الجنة؟ وبعد أَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْهِمْ أَخْبِرْهم أَنَّ النبي ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» ⁽¹⁾، «أَرْبَعًا قَبْلَ الظَّهِيرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ» [صحيح الترمذي للألباني ح ر 415]، وشجِّعْ أبنائك على صلاة السُّنَنِ لِبَيْتِ اللَّهِ لَهُمْ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَمَّا الْأَبْنَاءُ الْأَصْغَرُ سِنًا فَأَخْبِرْهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَاتٍ؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ» [السلسلة الصحيحة للألباني ح ر 589].

الفهرس

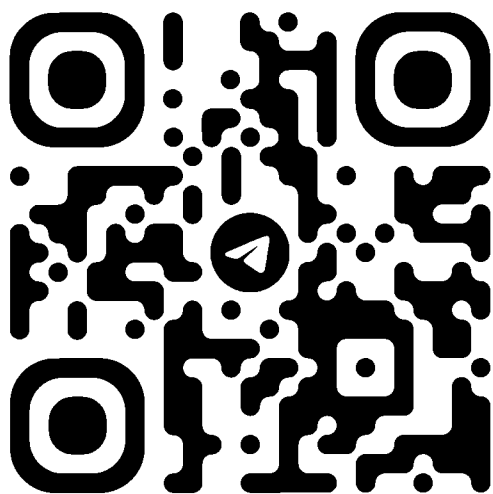


الفهرس

تمهيد.....	3
الحكايات.....	8
1- شَاوَى الضُّعَفَاء.....	9
2- الحِصَانُ نَسِيَان.....	16
3- نَادِي الضُّبَاع.....	23
4- مَجْلِسُ الحُكَمَاء.....	30
5- صَدَقَةُ المُنَاجَاة.....	37
6- الفِيلُ هَدَام.....	44
7- الثَّوْرُ الأَنَابِي.....	51
8- الفَائِزُونَ الثَّلَاثَة.....	58
9- الثَّغْلَبُ نَصُوح.....	65
10- غَايَةُ المُسْتَقْبَل.....	72
11- الرِّسَالَةُ السَّرِيَّة.....	79
12- حَسُون وَسَيْنُون.....	86
13- بَرْق وَرَعْد.....	93
14- الذُّئْبُ المُسَالِم.....	100
15- الأَزْنَبُ الغَرِيب.....	107
16- البَبْغَاءُ المُغَامِر.....	114
17- العِقَابُ الذَّكِي.....	121
18- طُيُورُ الظَّلَام.....	128

- 135.....19- التَّجَارَةُ الرَّابِحَةُ
- 142.....20- أَضْدِقَاءُ الْفِيلِ
- 149.....21- الطَّبِيبُ مَخَارِ
- 156.....22- غَابَةُ الْعُلَمَاءِ
- 163.....23- الزَّلْزَالُ الْكَاذِبُ
- 170.....24- سُوقُ الْجُمُعَةِ
- 177.....25- الرُّؤْيَا الْعَجِيبَةُ
- 184.....26- مَحْكَمَةُ الْغَابَةِ
- 191.....27- الْقِطُّ مَخْذُوعٌ
- 198.....28- الْمُبْدِعُونَ الصَّغَارَ
- 205.....29- سُبُورَةُ الْإِنْجَازَاتِ
- 212.....30- الْأَمْنِيَّةُ الْأَخِيرَةُ
- 219.....31- سِبَاقُ الْجَمَالِ
- 226.....32- الْخُدْعَةُ الْكُبْرَى
- 233.....33- الْقِرْدُ غَبُّونَ
- 240.....34- الدَّوَاءُ الْغَرِيبُ
- 247.....35- الْفَهْدُ الْفَقِيرُ
- 254.....36- الْحَمَامَةُ الْحَزِينَةُ
- 261.....37- الْمُكَافَأَتُ الْخَمْسُ
- 268.....38- الْجَمَلُ الْبَخِيلُ
- 275.....39- سَارِقُ الْأَمَلِ

282.....	40- الأسد الطيّب
289.....	41- الموزة الفضّية
296.....	42- السّالخفأة حفيظة
303.....	43- الغزال الثّائب
310.....	44- الغابة المظلمة
317.....	45- أجمل بيت
324.....	الفهرس



سجل في مكتبة
اضغط! الصفحة
SCAN QR

ملاحظات

مكايات فرحان مع القرآن جزء قد سمع

عندما تجلس مع أبنائك وتُحكي لهم حكايات فرحان مع القرآن (جزء قد سمع) ، فأنت تُعطيهم جرعة كبيرة من الحب والحنان ، وتزيد ثقتهم بأنفسهم ، وتمنحهم قوة ينطلقون بها في الحياة ، وتجعلهم يحبون القرآن ، ويفهمون معانيه ، ويجتهدون في العمل بما فيه .

والهدف من كتاب " حكايات فرحان مع القرآن - جزء قد سمع " : أن يحفظ أبناءنا القرآن بمتعة وسعادة ، ويحبوا جزء قد سمع ، ويفهموا آياته ، ويعملوا بما فيه ، وهذه الحكايات تناسب الأولاد والبنات ، والصغار والكبار ، في البيوت والمدارس وحلقات التحفيظ ، وهي قصص نخيها للصغار ، ويقروها أبناءنا الكبار ، حتى لو كان أحدهم يحفظ جزء قد سمع منذ سنوات ، فإن هذه الحكايات ستجعله يتذوق حلاوة الآيات ، ويفهم معناها ، ويعمل بما فيها ، مما يجعل حياته أجمل ، وأخرته أسعد إن شاء الله .

إن تعليم " جزء قد سمع " لأبنائنا وبناتنا بطريقة " حكايات فرحان " ينفعهم بإذن الله كثيراً ، لأننا بهذه الطريقة نعلمهم القرآن في جو من الحب والحنان ، والمتعة والتشويق ، وهذا يسمى " التعلم بالحب " ، وهو أكثر أنواع التعليم نجاحاً وتأثيراً .

ونلتقي بإذن الله تعالى في الجزء الرابع من حكايات فرحان والذي تدور أحداثه حول جزء (الذاريات)

مكتبة
t.me/soramnqraa

